الجزء الأول | المجلد الخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



محرم سنة ١٣٩٥ هـ
كانون الثاني سنة ١٩٧٥ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار	١٢٠٠ قرش سوري
	أو ما يعادلها	جنيه وعشرة شلنات
	» »	ثلاثة دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

صفحة خالدة

الأستاذ شفيق جبري

في الجزء الثالث من يتيمة الدهر صفحة في التجديد كتبها أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم ، قال أبو الحسين : « ومن ذا حظر على المتأخر مضادّة المتقدّم ، ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ، وهل الدنيا إلاّ أزمان ، ولكل زمانٍ منها رجال ، وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلاّ خطرات الأوهام ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم، ووقفها على وقتٍ محدود ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتّى يؤلّف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويرى في كل ذلك رأيه وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، أو علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة . . . » إلى أن قال : « ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلّت أفهام ثاقبة ، ولكلّت ألسنة لسنة ، ولما وشّى أحد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة ، ولمجّت الأسماع كل مردّدٍ مكرّرٍ ، وللفظت القلوب كل مرجّع ممضّغ » .

صفحة خالدة في أدبنا تدلّ على امتداد فكر صاحبها ، وعلى إيمانه الشديد بانتقال الحياة من طور إلى طور على تراخي الأحقاب ، فهو عدوّ الجمود ، وهو نصير التجديد ، ولا ريب في أن الجمود إنما هو عنوان الموت ، وأنّ التجديد إنما هو دليل الحياة ، وليس بي حاجة إلى إيضاح شيء ممّا جاء ذكره في قولي

ابن فارس ، فقد قال كلّ شيء ، وأوضح كلّ شيء ، فلم يترك مجالاً لقائل ، كما أنه لم يترك مجالاً لإيضاح ، وحرام عليّ تجزئة هذه الصفحة واختصار أفكارها ، فبلاغتها قائمة بتناسقها .

قد يخطر على البال أن ابن فارس قد أهمل شيئاً لم يشر إليه ، ما هو هذا الشيء ، قد يخطر على البال أن ابن فارس لمّا أشار إلى التجديد في الأدب لم يشر إلى المحافظة على روح اللغة في هذا التجديد ، ولكن ابن فارس أعقل من أن يفوته هذا الأمر ، وإذا كان لم ينبّه عليه فلأنه يعتقد على ما نرى أن هذه المحافظة إنما هي من بداءه الأمور ، فلولا المحافظة على روح اللغة في التجديد لما كان لهذا التجديد معنى ولضاع الأدب واللغة ، فليس معنى التجديد أن يخلق كل عصر من العصور لغةً خاصة وأدباً خاصاً ، وأن يخرج بهذه اللغة وبهذا الأدب عن روحها وجوهرهما ، فلو كان الأمر كذلك لتعاقبت العصور دون أن يفهم كلّ عصر لغة العصر الذي تقدّمه والأدب الذي جاء قبله .

إذا رجعنا إلى لغتنا وإلى أدبنا في قديم عصورهما وجدنا أن اللغة لم تثبت على طورٍ من الأطوار ، وإن الأدب لم يحافظ على شكلٍ من الأشكال ، فاللغة من بدء الإسلام ظهرت أطوارها التي دخلت فيها ، وهذا موضوع مديد لا يمكن حصره في مقالٍ مثل هذا المقال ، فالإسلام قد حوّل ألفاظاً عن معنى إلى معنى ، ثم حدثت علوم فاضطروا إلى وضع ألفاظٍ لها كما وضعوا ألفاظاً للنحو والفلسفة وغيرهما ، وما يقال في اللغة يقال في الأدب ، فالشعر لما انتقل من مضارب البدو في جاهليته إلى قصور الخلفاء في بغداد وغيرها اضطر أصحابه في الحضر إلى أن يأتوا بصور تخالف صور البدو ، وهذا أمر نشهده في شعرائنا لا يحتاج إلى برهان عليه .

لكنّ الشعر لما انتقل من أفق إلى أفق حافظ على روح اللغة وعلى

جوهرها ، فلم يأت أصحابه بصور غامضة ٍ ولا أتوا بلغة ٍ تنفر عنها أذواقنا ، وإذا كان المجال لا يتسع للتبسط في هذا السبيل فلا أقلّ من الاستشهاد بشاعر طبع شعره بروح عصره فكان فيه تجديد من جهة وكان فيه محافظة على روح اللغة وجوهرها من جهة ثانية ، ماذا فعل البحتري في شعره ، ليس موضوعي الإتيان على خصائص لغة البحتري في إدخال شعره في طور ٍ جديد يختلف عن الأطوار التي كان الشعر فيها على أيام الجاهلية وبعدها ، إنما أرى أنه لا بدّ من الإشارة إلى شيء من يسير من هذه الخصائص ، فقد رجعت إلى دفاتري التي دوّنت فيها بعض روح اللغة التي كان يستعملها البحتري فوجدت أنه رزق قدرة غريبة على التأليف بين الألفاظ من ذلك مثلاً قوله : شباب الدنيا ... بشاشة النعم ... بهجة الخلافة ، ومثل هذه القدرة نجدها في الصفات التي يطلقها على الموصوفات ، مثل قوله : القصور البيض . . . البوادي السود . . . فقد ينفخ في الموصوفات روحاً تدخل الحياة عليها ، وربما مررنا ببعض شعره بصفة ٍ يخيّل إلينا أنها من توليد العصر الذي نعيش فيه مثل قوله : همّة مجنونة .

والخلاصة أن البحتري لما أدخل شعره في طور جديد حافظ على روح اللغة في هذا الطور ، ولم يخرج عن محاسن ذوقها ، فقد مرّ عليه أكثر من ألف سنة ونحن لانزال نرى أن لغته كأنها من لغة هذا العصر ، فلا ننفر عن صفاته التي أطلقها على الموصوفات ، ولا نستغرب تأليفه بين الألفاظ ، فهو لم يأت بشيء لم يفهمه عصره ولا فهمته العصور التي جاءت بعده ، فقد غرّ في أيامنا ببعض شعر ٍ لا نفهمه نحن ، ولا تفهمه العصور في الآتي وهذا هو موت اللغة بأجمعها .

إنا لا نستطيع أن نقف في سبيل قانون من قوانين الحياة بلغ من القوة كلّ مبلغ ، إنا لا نستطيع أن ننكر أن الحياة تتجدّد من زمن

إلى زمنٍ ، وإن هذا التجديد يستوجب لغةً خاصة وصيغة خاصة ، ولكن الذي ننكره أن تكون هذه اللغة غريبة عن أهلها وأن تكون هذه الصيغة غريبة عن أدبنا ، ومعنى الغرابة في هذا القول ، أن تكون اللغة وصيغة الأدب فاسدين لا نفهمها نحن ولا يفهمها من يأتي بعدنا .

أذكر عبارة اطلعت عليها في كتاب وقع عليه نظري عرضاً في مكتبة في مدينة « وليمسبورغ » في أميركة ، فقد قال أحد أعضاء الكونغرس : إنا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين الذين يسرقون ويقتلون ، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة !

مثل هذا القول صدر في بلاد تشيع في أكثرها المعامل والآلات والدخان وغير ذلك من الحضارة المادية ، فما قولنا في بلادٍ مثل بلادنا لم تحتفظ من ماضيها إلا بلغتها وأدبها ، أفيجوز أن يقضى على هذه اللغة وهذا الأدب !.

« شفيق جبري »

نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور أ.ل كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد
حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٦ -

الدكتور حسني سبح

٩٧٥٤ بَرْدِي — 9754 Papyracé , ée

وأرجح شبيه بالرَّق أو بالوَرَق ، شأن ما جاء في تفسير اللفظة في معجم ستدمان(١) وكما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٢) لإلتباس هذه اللفظة بما ينسب الى البَرْد .

٩٧٥٥ بُقَط (السَّفُوف) — 9755 Paquets de poudre

والصحيح ظُروف أو مَظْروفات (المَسْحوق) ، والأخيرة أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وعرفها : صفة للمادة الصُلْبة عندما توجد على شكل دقائق صغيرة . ولا أرى للفظة بُقَط أن تدل على المعنى المطلوب(٣).

---

(١) لفظة (Papyraceous) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary)

(٢) (papierartig)

(٣) في تاج العروس : والبَقْط جَمْع المَتاع وحَزْمه ، يقال بَقَط الرجل مَتاعَه إذا جَمَعه وحَزَمه ليرتحل ، إلى أن قال الأعرابي : البَقْط التفرقة كما يأتي ، يصلح أن يكون ضداً .
في لسان العرب : وظَرْف الشيء وعاؤه والجَمْع ظروف .

٩٧٥٦ بِلُمْقات قَهْوة 9756 par cuillérée à café

وأرجح بلُمْقة مِلْعَقة قَهْوة أو شاي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) أو بلُعْقة مِلعَقة صغيرة أو بَتلتها ، ولأن لُمْقة قهوة وكذلك لُمْقات قهوة الواردة في اللفظة التالية لاتدلان على المعنى المطلوب بدون اضافة كلمة مِلْعَقة(٢) .

٩٧٥٧ بِلُمْقات حَلْوى 9757 par cuillérée à dessert , à entremets

٩٧٥٨ بِلُمْقة حِساء 9758 par cuillérée à soupe (ou à bouche)

والأفضل بِلُمْقة مِلْعَقة متوسطة في اللفظة الأولى وبلُمْقة مِلعَقة حَساء (بالفتح) أو مِلعقة كبيرة (انظر الهامش في اللفظة السابقة) .

٩٧٥٩ خَلِيَّة مُغَذِّية 9759 Parablaste

والصحيح الوُرَيقة المتوسطة (mesoblast) وبالأخص الجزء من هذه الوريقة والذي يتكون منه البناء الوعائي ، كما جاء في معجم وبستر(٣) ويرادفها الوريقة الوعائية (feuillet vasculaire) كما جاء في معجم لاروس(٤) .

٩٧٦٠ بَزْل 9760 Parancenthèse , poncti on

---

(١) (teaspoonful) .

(٢) في لسان العرب : لَمَق الشيء يلمَقه لَمْقاً لَحَسَه واللَّمقة بالفتح المرة الواحدة ، إلى أن قال واللُّمْقة بالضم اسم ماتأخذه المِلْمقة .

(٣) لفظة (parablast) في معجم (Webster 's Third New Inter - national Dictionary)

(٤) لفظة (praablaste) في معجم (Larousse du 20 ième siècle) .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة

١ — البَزْل (في البَطن والصَدْر) .

٢ — البَطّ[1] (للخزانة المُقدّمة لِلعَين) .

٩٧٦١ حَوْل المَرْكَز ، جانِب المَرْكز — 9761 Paracentral, le

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة جَنيب المركز

٩٧٦٢ نَظِيرة العُصَيّات الكولونية — 9763 Paracolibacilles

وأرجح نَظيرات العُصَيّة القُولونية . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة عُصَيّة نظير القُولوني — باسيل الباراقولون وجاء في الشرح : جرثومة من مجموعة الباسيلات السلبية لِصِبْغة (جرام) التي منها باسيل التيفود وباسيل القُولون .

٩٧٦٣ وَقْر ، ضَعف السَّمَع — 9762 Paracousie

التخيل السمعي (illusion auditive) أو الهَلاس السمعي (hallucination auditiive)

كما جاء في معجم ستدمان[2]

9764 Paracoxalgie, fausse Coxalgie

٩٧٦٤ نَظِير الوُراك ، وُراك كاذب

وأفضل نظير الألم الحَرْقَفي ، والألم الحَرْقفي الكاذب ، وقد سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[3]

---

(١) في لسان العرب : بَطّ الجُرحَ وغيرَه يَبُطّه بطاً وبَجّه بجّاً إذا شقه .

(٢) لفظة (paracusis) في معجم ستدمان الطبي (Stedmann's Medical Dictionary)

(٣) الصفحة ٩٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

9765 Paradidyme , corps innominé de Giraldès

٩٧٦٥ خِصيَة جانبية ، جسم جيرالدس غير المسمى

وأفضل جُنيب البربخ(١) ، جسم جيرالدس اللامسمى

9766 Paraffine

٩٧٦٦ شمعٌ معدني ، بارافين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بارافين

9767 Paraganglions

٩٧٦٧ نظائر العُقَد

أو أشباهها . هذا وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة في مصطلحات علم الجراحة (في دوراته الثالثة والرابعة والخامسة بعد العشرين) أقر ترجمة لفظة (paraganglioma) بورم جُنيب العُقدة المصبية ، مما يجعل ترجمة (parganglion) بجُنيب العُقدة والصحيح ما صنعته اللجنة (٢)

(2) glande carotidienne ou intercarotidienne, corpus - cule ou ganglion carotidien

(٢) — غُدة سُباتيَّة أو بَيْن السُباتيَّة جسيم أو عقدة سباتية

وأرجح غُدة سُباتيَّة ، الجِسْم السُباتي ، أو العُقْدة السُباتية

---

(١) لفظة (paradidymis) في معجم وبستر (Webster' s Third New International Dictionary

(٢) لفظة (paraganglia) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary) وقد فسرت اللفظة بأنها تدل على الأجسام الكرومافينية (chromaffin bodies) بعض الأجسام البيضية أو المستديرة مع محفظة من النسيج الضام والتي تكون فئات مستقلة من النسيج الكرومافيني (أو الولوع بالكروم) ضمن أعضاء أو أجزاء مختلفة من البدن ، لها خواص نخاع الكظر نفسه .

(3) glande coccygienne , glande de Luschka

(٣) غُدّة عُصْعُصيّة ، غُدّة لوشكا

غُدّة عُصْعُصيّة ، عُقْدة أو غُدّة لُشكا ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

(5) paraganglion aortique ou abdominal, organe. de - Zuckerkandl

(٥) نظيرة العُقدة الوَتينية أو البَطنيّة ، عضو زوكر كندل

وأرجح نَظيرَة العُقْدة الوَتينية أو الأبهَرية أو الأوْرطيّة (٢) البطنية ، وعضو تسوكركندل (كما يلفظ بالألمانية)

(6) paraganglion cardiaque

(٦) نظيرة العُقدة القَلبية

والعُقْدة القَلبية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

9768 Paraglobuline, paraglopine, susbtance fibrinoplastique

٩٧٦٨ نَظير الكُرَين ، شَبيه الكُرَوين مادة مُهَيْكِلة الليفين

وأرجح نَظير الكُرَيين أو باراغلُوبولين ، جِبْلة اللّيف أو جِبلة الليفين كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤) ولا أرى مُهَيكِلة تدل على المعنى المطلوب (٥)

---

(١) (Luschka' s gland or ganglion)

(٢) الصفحة ٤٨٥ من هذا المجلد .

(٣) (cardiac gland)

(٤) (paraglobulin fibrplastin fibrinoplastin)

(٥) في لسان العرب: جبلة الشيء طبيعته وأصله وما بُني عليه ، تهاكل القوم تنازعوا والهَيكل الضخم من كل شيء .

9770 parakératose psoriasiforme (Brock)

٩٧٧٠ نظير التقرّن الصَّدَفي الشكل (بروك)

وأفضل نظير التقرن الصَدَفاني

9771 Praraldéhyde

٩٧٧١ نظير الفوليد

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بارالدهيد

9772 Paralexie

٩٧٧٢ إستبدال التهجية

وأفضل القراءة المُبدَلة أو المُشَوَّهة ، لأن ما تعنيه اللفظة أن صاحبها يقرأ الكلمات والجمل المكتوبة قراءة سيئة باستبدالها بكلمات أو جُمَل لا معنى لها (١)

9774 paralysie agitante , maladie de Parkinson , parkinsonisme

٩٧٧٤ شلَلٌ راجٌ أوهازٌ ، شلَلٌ إرتجاجي أو إهتزازي داء بركنسن بركنسنية

سبقت المُلاحظة على هذه اللفظة (٢) وأرجح في اللفظتين الأخيرتين داء بركِنسن وبركِنسونية بكسر الكاف واستبدال الواو بالضمة .

9775 paralysie alterne ou dimidiée , syndrome de Millard Gübler , hémiplégie alterne croisée

٩٧٧٥ شلَلٌ متغاير أو مُفلّج ، تناذر ميلار غبلر ، فالج متغاير ، متصالب .

سبقت الملاحظة (٣) وترجيح شلل متقابل ، وأرى أن تكون

(١) لفظة (paralexia) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionaryl)

(٢) الصفحة ١١٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ١١٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

ترجمة (dimidiée) بالشلل المَشطور أو الشَطري (١) عوضاً عن الشِـقي ، كما ذكرت (وقد ترجمت اللجنة اللفظة بالشلل المُفَلَّج (٢)) كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر ترجمة (crossed paralysis) بشَلَل مُصالِب ، وجاء في الشرح : وفيه يَحدث شَـــلَل في جانب واحد من الوَجه ، وفي الجهة الأخرى من الجسم .

9786 Paralysie générale associée au tabes

٩٧٨٦ شَلَلٌ عامٌ مُشارِكٌ للسُّهام

وأفضل شَلَلٌ عام مع التّابِس (٣) .

9788 paralysie ischémique consécutive à l'application de la bande d'Esmarch

٩٧٨٨ شَلَلٌ بِقِقَرِ الدَّمِ المَوْضِعِي ناجم عَنْ شَدِّ رِباط إسمرخ

وأفضل شَلَل بنقص التروية بشد وَثاق رِباط إسمرخ (٤)

---

(١) إن ماتعنيه لفظة (dimidiée) هي النِصْفِي (أي النسبة إلى النِصْف) كما جاء في معجم لاروس الكبير ، وكان يصح أن تترجم بالشَلَل النصفي لولا أنه قد أُصطلح على إطلاق هذه اللفظة على (paraplégie) وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ايضاً . لذا فضّلتُ الشَلَل المشطور أو الشطري عليها .

(٢) في لسان العرب : الفَلَج تباعُد مابين السَاقَين ، وفَلَج الأسنان تباعد بينها إلى أن قال : ورَجلٌ مُفلَّج الثنايا متفرقها وهو خلاف المُتَراص الأسنان ، وفي لسان العرب : الشطر نصف الشيء .

(٣) الصفحة ٩٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) سبقت الملاحظة على لفظة (ischémie) في الصفحة ٤٩٦ من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة .

9790 paralysie musculaire pseudo - hypertrophique (Duchenne de Boulogne) ٩٧٩٠ شللٌ عضلي ضخامي موهِمٌ

والصحيح شَلَلٌ عضلي (ولعله خطأ مطبعي) ضخامي كاذب [١] .

9797 paralysie psychique ٩٧٩٧ شَلَلٌ نفساني

والشلل الهستريائي كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي [٢]

9799 paralysie résiduelle (sans base organique, par habitude) ٩٧٩٩ شَلَلٌ باقٍ أو ثُمالي (بدون أساسٍ عضوي بالاعتياد)

وأفضل شَلَلٌ مُتبَقٍّ أو مُتَخلِّف

9803 paralysie spasmodique familiale (Strümpell) ٩٨٠٣ شَلَلٌ تَشَنُّجي أسري (ستروميل) شَلَلٌ تشنّجي أسْري (شتروميل) كما يلفظ بالألمانية .

9804 paralysie spinale aigüe de l'adulte, paralysie antérieure aigüe de l'adulte ٩٨٠٤ شَلَل شَوْكي حادّ في الكَهل شَلَل أمامي حاد في الكهل

وأفضل شلل الكَهل الشَوكي الحاد ، الشَلل الأمامي الحاد للكهل .

9808 paralysie du voile du palais ٩٨٠٨ شلل الحَفّاف

وكذلك الاعفليك [٣]

---

(١) اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ في الصفحة ٤٦٩ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (psychic , hysterical paralysis) .

(٣) في لسان العرب : والاعفليكان لحمتان تكتنفان اللَّهاة ، الحفّاف : اللحم الذي في أسفل الحنك إلى اللهاة .

٩٨٠٩ التهاب ماحَوْل الثَّدي ، فلَغْمُون ماحَوْل الثّدي — 9809 Paramastite phlegmon périmammaire

وأفضل إلتهاب جَنيب الثّدي ، فِلَغْمون جَنيب الثَّدي .

٩٨١١ التهاب حَوْل الرَّحِم ، فِلَغْمون جانِب الرَّحم . — 9811 Paramétrite , phlegmon juxta - utérin

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، إلتهاب جَنيب الرَّحم ، وجاء في الشرح : وهو التهاب النسيج الضام (الخلالي) على جانبي الرحم .

٩٨١٤ شِبْه إرتجاج عَضَلي — 9814 Paramyoclonie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة رَجْف العضلات ترجمة لـ (paramyoclonus) في تَرجمة (paramyoclonus multiplex) إذ جاء في الشرح : إنقباضات رَجْفية تحدث في عضلات الجسم عدا الوجه .

وأرى ما ذهبت إليه اللجنة صحيحاً ، تاركاً الإرتجاف والرَّجْف ترجمة للفظة (myoclonus) .

٩٨١٧ تَظير الإنسلال — 9817 Parapédése

والصحيح الإنفراغ بقَناة غير طبيعية [1]

٩٨١٩ ضيق القُلْفة الخَلْفي — 9819 Paraphimosis

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الجُلاع [2] ، وجاء في

---

(١) لفظة (parapedesis) في معجم ستدمان الطبي .

(٢) في المخصص : جَلَعُ القُلْفة إن تصير خلف الحُوق ، فإذا كان الغلام كذلك فهو أَجْلَع .

الشرح : وهو أنْ تنقلب القلفة خلف الحوق فتختنق الحشفة .

٩٨٣٠ مُستَطفِل 9830 Parasité , ée

وأرجح مُتطوفِل أو مُلَوث بالطفيلي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1] .

٩٨٣٦ مُبِيدات الطُفيليات 9836 Parasiticides

وأرجح مُبيدات الطفيليات على غرار مُبيدات الحَشَرات (insecticides) كما جاء في اللفظة (٧٣٤٠) .

٩٨٣٧ تطفل لَبِثي ، مُلبِظ 9837 Parasitisme permanent

وأفضل تطفل دائم أو مُستَمِر .

٩٨٣٩ داءُ طُفَيلي 6839 Parasitose

وأرجح تلوث طُفَيلي تاركاً داء طفيلي ترجمة لِـ (maladie parasitaire)

٩٨٤١ نَظير الوِدِي ، 9841 Parasympathique , système

جِهاز نظير الودي parasympathique

والجملة الجُمْجُمية العَجُزِية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2] .

٩٨٤٢ حاثّة مُلحقات الدَّرَق 9842 Parathormone , parathyrine

والصحيح هرمون جنيبات الغدة الدرقية ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وباراتيرين .

---

(١) (infested) .

(٢) (craniosacral system) .

٩٨٤٤ عوارِض قصور جارات الدّرَق — 9844 Parathyréoprive

والصحيح عوارض قصور جنيبات الغدة الدرقية أو عوارض الحِرمان من هرمون جنيبات الدرقية .

٩٨٤٥ جارة الدَّرَق — 9845 Parathyroide

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الغدة جنيبة الدَّرقية .

٩٨٤٦ ذو علاقة بجارة الدّرق — 9846 Parathyroïdien , enne

وأرجح جنيبي الغدة الدَّرقية أو جنيبي الدرقية .

٩٨٤٨ نظيرة التيفية (حُمّى) — 9848 Parathyphoïde (fièvre)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة حمى الباراتيفوئيد وجاء في الشرح : حمى تشبه الحُمّى التيفودية . وأرجح نظيرة التيفية تعريباً .

٩٨٥٧ تشَوُّش الحِسّ — 9857 Paresthésie

وأرجح تشواش الحس ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة إنحراف الحِس — باراثيزيا ، وجاء في التعريف : وهو إحساس تلقائي شاذ مثل الحرقة والتنمل والوخز .

٩٨٦٤ كلامٌ مُبْهَم ، مُتردد — 9864 Parole indistincte , hésitante

وأرجح كلامٌ غامض ، مُترَدِّد تاركاً لفظة مُبهَم ترجمة لِـ (vague) .

٩٨٦٥ إنقلابُ التَّكلُّم — 9965 parole en miroir

وأرجح كلام مقلوب (١) .

---

(١) وماتعنيه اللفظة هو أن يتلفظ المصاب بهذا الخلل الكلامي ،الكلمات مقلوبة المقاطع (معجم ستديان في لفظة speech) .

٩٨٦٧ ضَلالُ الشَّم ، هَلَس الشَّم — 9867 Parosmie , hallucination de l'odorat

وأرجح ضَلال الشَّم ، وهُلاس الشَّم .

٩٨٦٨ التَّكَفة (استطالات) اللاضِغة — 9868 Parotide (prolongement massétèrien de la -)

وأفضل التَّكْفة (استطالات الماضغة في) ولعله خطأ مطبعي .

٩٨٦٩ مَبيض جانبي — 9869 Parovaire

والصحيح مَبيض بَدئي ، لأن ما تعنيه اللفظة هو عضو صَغير حُبَيبي وأصفر كائن في سمك الرباط العريض ، أكثر ما يصادفُ في الجنين والطفل ولا يصادف في الكهل ، وهو يمثل الجزء السفلي لجسم وولف (Wolff)[٢] .

٩٨٧٢ خاصّة ، خُصُوصِيَّة — 9872 Particularité

ومِيزة أيضاً .

٩٨٨١ مُوَلِّدَة ضِدٍّ قِسْمِيَّة أو جُزْئِيَّة — 9881 Partigène , antigène partiel

مُولِّد المُضاد (كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة) الجزئي وقد سبق للجنة أن ترجمت لفظة (antigène) بِمُكَوِّنة الضد .

(١) لفظة (parovarium) في معجم لاروس الكبير الموسوعي — (Grand Larousse Encyclopédique)

(٢) الصفحة ٧٢ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

٩٨٨٣ مُرور (passage animal d'un virus) 9882 Passage
عُبور ، مُرور ، إنتقال (لاسيا في الجملة الأخيرة)

٩٨٨٤ مرور قطيلة غزّي في القناة الجامعة 9884 passage d'un tempon de gaze par le cholédoque
وأرجح عُبور قطيلة غزي في القناة الجامعة .

٩٨٨٧ إجتازَ الأطرُوحةَ أو دافع عن الأطرُوحة 6887 Passer ou soutenir la thèse
وأفضل نَجَح في الأطروحة أو قُبِلَتْ أطرُوحَتُه أو دافع عنها .

٩٨٩٣ قُرْصة ، قُرَيصة 9893 Pastille
وأرجح مَصيص مُحلّىً أو مَصيص .
وسبق للجنة أن تَرجمت لفظة (gâteau) بقُرْص حَلوى
(اللفظة ٦٢٠٠) وكذلك (disque) بقُرص (اللفظة ٤٣٢٧) .

٩٨٩٤ قُرصة أو حَبّة للتَغريز 9894 pastille ou comprimé pour implantation (pellet)
وأرجح قُرَيْص أو مَضْغوطة للغَرْس . وسبق للجنة
أن استعملت لفظة حَبَّة ترجمة لـ (pilule)
(اللفظة ١٠٣٢٠) .

٩٨٩٧ مَعْجُونٌ جَموش أو جَميش 9897 pâte dépilatoire
وكذلك مَعْجون النُّورة[1] .

---

(١) في لسان العرب : والنُّورة من الحَجَر الذي يُحرق ويُسوّى منه الكِلْس ويحلق به شَعر العانة ، إلى أن قال : وقد إنتار الرَجلُ وتنوَّر تَطلّى بالنُّورة .

٩٨٩٨ مَعجُونٌ بالماء — 9898 pâte à l'eau

وأرجح معجون مائيّ .

٩٩٠٠ مَعجُون هُلاميني ، غراء (معجون) — 9900 pâte gélatineuse, colle de pâte

وأفضل مَعجُونٌ هُلامي ومعجون شبه المُجمد أو غرواني ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي ، وكما سبقت الملاحظة عليه (٢) .

٩٩٠١ مَعجونٌ دَسِم — 9901 pâte grasse

أو معجون دهني أيضاً .

٩٩٠٢ مَعجُون السُّوس — 9902 pâte de réglisse

وأفضل مَعجُون عِرق السُّوس إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة سُوس ترجمة لـ carié (اللفظة ٢١٦٥) التي سبقت الملاحظة عليها (٣) .

٩٩٠٤ أبويّ و (أو) أميّ ، أبوان — 9904 Paternel et maternel, elle des parents

وأفضل أبوي أو والدي كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي (٤) لأن المقصود من اللفظة نسبة إلى الأبوين كليهما أو أحدهما .

---

(١) (gelatinous jelly - like or colloidal paste) .
الصفحة ٨٤٦ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٧٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (parental) في الانكليزية و (elterlich) في الألمانية .

٩٩٠٥ مَعاجينُ غِذائيَّة 9905 Pâtes alimentaires

وأرجح مُعجَّنات غِذائية وإطرية (١) ومَعكَرونة وشُعيرية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) .

٩٩١٠ وَسْمُ مَرَضٍ 9910 Pathognomonie

٩٩١١ واسِم مَرَضٍ 9911 Pathognomonique

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الثانية بمُتَميِّز مَرضي وتكون الأولى تَمَيُّزٌ مرضي .

٩٩١٥ مَبحَثُ السَّريريات 9915 Pathologie clinique

وأفضل علم الأمراض السريري .

٩٩١٦ عِلمُ الأمراض المُقابَلة 9916 pathologie comparée

وأفضل عِلمُ الأمراض المُقارَن .

٩٩١٧ علم الأمراض التجريبية 9917 pathologie expérimentale

وأفضل عِلم الأمراض الإختباري .

٩٢٢٦ مُعجَّنات ، فُرْنيّات 9926 Pâtisserie

وأرى أن يكتفى بمعجَّنات أو حَلَويات ، وأن تترك فُرنيّات ترجمة للفظة (petits fours) الشائعة .

---

(١) الإطرية شاع استعمالها وإن كانت لا تدل بدقة على المعنى المطلوب ، فقد جاء في لسان العرب : والإطرية بكسر الهمزة مثل الهِبرية ، ضرب من الطعام ، ويقال له بالفارسية لا ُخشَه قال شمر : شيء يعمل مثل النَشَاستَج المُتَلَبِّقة .

(٢) (italian dishes , macaroni , moodles vermicelli) .

٩٩٢٨ كُفُوفٌ لإستعمال المِنظار الغلفاني — 9928 pattes galvanoscopiques

وما يَعنى بهــذه اللفظة المُحضَّر العضلي العصبي الذي أجرى العالِم غلفاني (Galvani) تجاربه فيه ، وأدى إلى اكتشاف نقل التيّار الكهربائي بالعصَب الوركي للضِفدع وتقلص عضَلات رِجلها ، بعد مُضي مــدة قصيرة على ذبحها ، إثر لمس العصب بقضيب معدني أو نحوه .

كما أن (galvonoscopique) هي نســبة إلى (galvanoscope) وهو مرادف لِ (galvanométre) أي المِقياس الغلفاني (١) لا المنظار الغلواني .

فالصحيــح في ترجمة اللفظة هي الأرجل الكاشفة للتيــار الغلواني أو المُحضَّر العضلي العَصبي لكشف التيار الكهربائي ، أو ضفدع كشف التيار الكهربائي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) .

٩٩٢٩ كَلأ ، عَلَف — 9929 Pâture

وأرجح عَلَف تاركاً لفظةَ كلأ ترجمة لـ (foin) (٣) .

٩٩٣٣ كِفافُ أو صِوان الأذُن ، أذَيْنه — 9933 pavillon de l oreille, auricule

(للبحث صلة)

---

(١) (galvanoseope) في معجــم كييه (Quillet dic - tionnaire encyclopédique)

(٢) (rheoscopic nerve - muscle preparation rhsoscopic frog)

(٣) الصفحة ٦٢٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

بين ابن سينا وابن رشد

الدكتور جميل صليبا

١ ـ مقدمة عامة

بين يدي كتاب « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، وكتاب « تهافت التهافت » لابن رشد ، وكتب أخرى تذكر هذين الفيلسوفين كنت أقرؤها لأني كنت أريد أن أعدّ محاضرة في فلسفة الغزالي ألقيها على طلاب الجامعة . ولكن ناحيـة انتقادية جديدة كشفت عنها في كتب ابن رشد صرفتني عن التحـدث عن الغزالي . وهذه الناحيـة هي تحديد موقف ابن رشـد إزاء فلسفة ابن سينا .

نحن نعلم أن ابن رشد كان يتهم الغزالي بالقصور في علمه (تهافت التهافت ٦٧) وبالتمويه في أقاويله الجدلية ، وأنه كان ينتقده لاعتماده في نقد الفلسفة اليونانية على ما جاء في كتب ابن سينا دون غيره ، وينتقده كذلك في مسائل أخرى كثيرة لا أريد الآن أن أتحدث عنها .

وليس الغريب في هذا النقد أن يتضمّن ردود ابن رشد على اعتراضات الغزالي ، ولكن الغريب فيه أن يشتمل في الوقت نفسه على تفنيد دقيق لبعض آراء ابن سينا . فالغزالي لم ينظر إلاّ في كتب ابن سينا فلحقه القصور في الحكمة من هذه الجهة (تهافت التهافت ٦٧) ، لقد تجرّد للردّ على ابن سينا ، فتوهم أنه ردٌّ على جميع الفلاسفة ، ونقل في كتاب « تهافت الفلاسفة » مذهب ابن سينا على غير وجهه ، فوقع فيما وقع فيه من التخبط ، فما بالك إذا كان أصحاب ابن سينا قد تأوّلوا عليه كثيراً من الآراء التي لم يصرح بها قط ؟

لقد كان ابن رشد يشعر بابتعاد ابن سينا والفارابي عن طريقة المشائين ،

ويرى أنه لولا ابتعاد هذين الفيلسوفين عن المعلم الأول لما استطاع الغزالي أن يردّ عليها ، وفي كتب ابن رشد ، ولا سيا في كتاب « تهافت التهافت » وكتاب « ما بعد الطبيعة » وكتاب « تفسير ما بعد الطبيعة » مواضع كثيرة يرد فيها ذكر ابن سينا في سياق الكلام على الغزالي أو في تفسير كلام أرسطو مثال ذلك أن ابن رشد ينتقد رأي ابن سينا في الرؤيا والوحي بقوله : « لا أعلم أحداً قال به من القدماء إلاّ ابن سينا » (تهافت التهافت ١٣٢) ، أو قوله : وهذا « شيء تفرد به ابن سينا وآراء القدماء في ذلك غير هذا الرأي » (تهافت التهافت ١١٩) . ومثال ذلك أيضاً أنه ينتقد رأي ابن سينا في النفس بقوله : « لا أعلم أن أحداً من الحكماء قال إن النفس حادثة حدوثاً حقيقاً ، ثم قال إنها باقية إلا ما حكاه ابن سينا » (تهافت التهافت ٣٣) ، ومثال ذلك أخيراً أنه ينتقد نظرية الفيض بقوله : « وأما ما حكاه ابن سينا ، من صدور هذه المبادىء بعضها عن بعض فهو شيء لا يعرفه القوم ، وإنما الذي عندهم أن لها من المبدأ الأول مقامات معلومة لا يتم لها وجود إلا بذلك المقام منه » (تهافت التهافت ٤٩) أو ينتقدها بقوله : إن في هذه النظرية تناقضاً « خفي على أبي نصر وابن سينا لأنهما أول من قال هذه الخرافات ، فقلدهما الناس ونسبوا هذا القول إلى الفلاسفة » (تهافت التهافت ٦٥) . وفي قول ابن رشد أن الفلاسفة من أهل الإسلام كأبي نصر وابن سينا عسر عليهم فهم صدور الكثرة عن المبدأ الأول (تهافت التهافت ٤٨) ، وقوله : ان ابن سينا لم يدرك ان اسم الموجود يدلّ على ذات الشيء لا على عرض في الشيء ، وفي أقوال أخرى غير هذين القولين دليل على أن الميزان الذي كان ابن رشد يزن به أقوال ابن سينا هو الميزان الآرسطي ، فلا غرو إذا لام ابن سينا على خلافه لأرسطو بقوله : « هذا شأن هذا الرجل في كثير مما يأتي به من عند نفسه » (كتاب ما بعد الطبيعة ، ص ٦) .

ولست أريد الآن أن أذكر جميع المسائل التي أتى بها ابن سينا من عند نفسه ، أو أذعن فيها لآراء المتكلمين ، أو خالف فيها مع الفارابي آراء أرسطو ، ولكني أريد أن أقول في ابن سينا ما قاله ابن سبعين ، وهو أن أكثر كتبه مؤلفة ومستنبطة من كتب أفلاطون ، فلا غرو إذا تضمّنت مسائل مخالفة لآراء أرسطو ، ولا عجب أن يتصدّى ابن رشد لنقدها ، وهو الفيلسوف المفتون بأرسطو والمعظم له .

ويبدو لي مع ذلك أن ابن رشد كان ناقداً منصفاً ، فكان موقفه إزاء الغزالي وابن سينا أشبه شيء بموقف أرسطو إزاء الذين كانوا لا يرون مثل رأيه ، والدليل على ذلك قوله :

« وأمّا قوله : (يعني الغزالي) إن قصده هاهنا ليس هو معرفة الحق ، وإنما قصده إبطال أقاويلهم (يعني الفلاسفة) وإظهار دعاويهم الباطلة ، فقصد لا يليق به ، بل بالذين في غاية الشر ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ، ومعظم ما استفاد هذا الرجل من النباهة ، وفاق الناس فيما وضع من الكتب إنما استفاده من كتب الفلاسفة ومن تعاليمهم ، (وهبهم) أخطأوا في شيء ، فليس من الواجب أن ينكر فضلهم في النظر وما راضوا به عقولنا ، ولو لم يكن لهم إلا صناعة المنطق لكان واجباً عليه وعلى جميع من عرف مقدار هذه الصناعة شكرهم عليها . وهو معترف بهذا المعنى وداع إليه ، وقد وضع فيها التآليف ، ويقول : « إنه لا سبيل إلى أن يعلم أحد الحق إلا من هذه الصناعة . وقد بلغ الغلو فيها إلى أن استخرجها من كتاب الله تعالى ، أفيجوز لمن استفاد من كتبهم وتعاليمهم مقدار ما استفاد هو منها حتى فاق أهل زمانه ، وعظم في ملة الإسلام صيته وذكره أن يقول فيهم هـــذا القول ، وأن يصرح بذمهم على الإطلاق ، وذم علومهم ؟ وإن وصفنا أنهم يخطئون في أشياء من العلوم الإلهية (يعني ابن سينا) فإنا

إنما نحتج على خطئهم من القوانين التي علمونا إياها في علومهم المنطقيـــة ، ونقطع أنهم لا يلزموننا (على) التوقف على خطأ إن كان في آرائهم ، فإن قصدهم ، إنما هو معرفة الحق ، ولو لم يكن لهم إلا هـذا القصد لكان ذلك كافياً في مدحهم ، مع أنه لم يقلْ أحد من الناس في العلوم الإلهية قولاً يعتدّ به ، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان ، وهم الأنبياء ، فلا أدري ما حمل هـذا الرجل على مثل هذه الأقاويل ، أسأل الله العصمة والمغفرة من الزلل في القول والعمل » (تهافت التهافت ٨٨) .

ففي هذا النص كما ترون إشارة إلى ما يريد ابن رشد أن يتقيـد به من العدل والإنصاف في الحكم والاعتدال في النقد ، والاعتراف بفضـل الفلاسفة السابقين وإن أخطأوا في بعض آرائهم .

ولسنا نريد الآن أن نبحث في اعتراضات الغزالي على الفلاسفة ولا في ردود ابن رشد على هذه الاعتراضات ، ولكننا نريد أن نقصر كلامنا على النظر في ثلاث مسائل كانت موضع خلاف عميق بين ابن رشد وابن سينا ، وهي:

١ — مسألة المبـدأ الأول هل يتم إثبـاته في علم الطبيعة أم في عـلم ما بعد الطبيعـة .

٢ — مسألة اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر؟

٣ — مسألة اسم الموجود هل يدل عـلى الذات أم على صفـة زائدة على الذات .

أما المسائل الخلافية الأخرى فسنعود إلى الكلام عليها في مقالاتنا القادمة .

٢ — المسألة الأولى
موضع إثبات المبدأ الأول

موضوع علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد هو : « النظر في الموجود

بما هو موجود ، وفي جميع أنواعه إلى أن ينتهي الى موضوعات الصنائع الجزئية ، وفي اللواحق الذاتية له ، وترقية جميع ذلك إلى جميع أسبابه الأول » (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ص ٣) . وموضوعه عند ابن سينا هو « البحث عن الموجود المطلق ، وينتهي في التفصيل إلى حيث تبتدىء منه سائر العلوم ، فيكون في هذا العلم بيان مبادىء سائر العلوم الجزئية » (ابن سينا ، النجاة ، ص ٣٢٢) ، فموضوع هذا العلم لايختلف عند ابن رشد عما هو عليه عند ابن سينا إلاّ في أمر واحد ، وهو أن ابن رشد يقول إن علم ما بعد الطبيعة المسمّى بالفلسفة الأولى يسلم بوجود المبدأ الأول عن العلم الطبيعي ، على حين أن ابن سينا يقول إن البحث في وجود المبادىء المفارقة ليس من موضوعات العلم الطبيعي ، وإنما هو من الموضوعات الخاصة بعلم ما بعد الطبيعة ، قال : « إن كل واحد من علوم الطبيعيات وعلوم الرياضيات فإنما يفحص عن حال بعض الموجودات ، وكذلك سائر العلوم الجزئية ، وليس لشيء منها النظر في أحوال الموجود المطلق ولواحقه ومبادئه » ، (النجاة ، ص ٣٢٢) ، ومعنى ذلك أن إثبات المبدأ الأول عند ابن سينا من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وأن العلم الطبيعي إذا بحث في إثبات المحرك الأول أو المبدأ الأول كان بحثه فيه فضلاً وزيادة .

وفي الحق أن موقف ابن رشد إزاء هذه القضية أقرب إلى رأي أرسطو من موقف ابن سينا ، لأن المعلم الأول قد أثبت وجود المبدأ الأول في المقالة الثامنة من العلم الطبيعي ، ولم يعد هذا الإثبات فضلاً في هذا العلم ، ولما عاد الى ذكر المحرك الأول في علم ما بعد الطبيعة أضاف إليه ذكر العلة الصورية ، والعلة الغائية ، وأخرج براهينه الواردة في الطبيعيات مخرجاً أعم ، ولولا ذلك لما احتاج إلى إعادة ذكره .

لقد كان ابن رشد مفسّراً بارعاً ، ففهم رأي أرسطو فهماً دقيقاً ، وعبّر عنه تعبيراً واضحاً . أمّا ابن سينا فلم يكن مفسراً ولا مقلداً ، بل كان يأخذ برأي نفسه ويبتعد عن أرسطو في مسائل كثيرة ، حتى لقد قال (ابن سبعين) فيه : إنه كان كثير التخبط ، مخالفاً للحكم .

ولعلنا إذا قلنا مع ابن سينا إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وإن ذكره في العلم الطبيعي فضل وزيادة ، نستطيع أن نجلي موضوعات هذين العلمين مستقلة بعضها عن بعض على وجه أتم وأوفى . فالعلم الطبيعي علم وضعي يبحث في ظواهر الطبيعة لا في المبادىء المفارقة . وهذا أقرب إلى الصواب من قول بعضهم إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات العلم الطبيعي .

٣ ـ المسألة الثانية

اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر

الواحد هو الموجود من جهة ما هو متميز عن غيره ، وغير منقسم ، وهو كما قال أرسطو ينحصر في أربعة أنواع : (تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ١/١٢٤١)

الأول : هو المتصل بالطبع .

والثاني : هو الكل والتام ، وهو الشخص الواحد من أشخاص الموجودات الطبيعية .

والثالث : هو البسيط في جنس جنس من أجناس المقولات العشر .

والرابع : هو الواحد بالصورة ، وهو المعنى الكلي .

وقد بين ابن سينا أن الواحد يقال لما هو غير منقسم ، وهو على أنواع : فإن كان لا ينقسم في الجنس كان واحداً في الجنس ، وإن كان لا ينقسم

في النوع كان واحداً بالنوع ، وإن كان لا ينقسم بالعرض العام كان واحداً بالعرض ، وإن كان لا ينقسم بالمناسبة كان واحداً في المناسبة ، كقولنا : إن نسبة الملك إلى المدينة والعقل الى النفس واحدة ، وإن كان لا ينقسم في الموضوع كان واحداً في الموضوع ، وإن كان لا ينقسم بالحد كان واحداً بالكلمة . (ابن سينا ، النجاة ٣٦٤ - ٣٦٥)

والواحد عند ابن سينا قد يكون فيه بوجه من الوجوه كثرة بالفعل أو بالقوة ، فإن كان فيه كثرة بالفعل كان واحداً بالتركيب والاجتماع ، وإن كان فيه كثرة بالقوة كان واحداً بالاتصال ، وإن لم يكن فيه كثرة لا بالفعل ولا بالقوة كان واحداً بالعدد على الإطلاق ، وأقل العدد عنده اثنان ، والاتحاد في الكيفية مشابهة ، وفي الكمية مساواة ، وفي الجنس مجانسة ، وفي النوع مشاكلة ، وفي وضع الأجزاء موازاة ، وفي الأطراف مطابقة.

أما ابن رشد فإنه يبن أن الواحد يطلق على الأسماء المشككة ، وهي ١
الأسماء الموضوعة لأمر عام مشترك بين الأفراد لا على السواء ، بل على التفاوت . ومن أنواع الواحد عنده الواحد بالعدد ، ويطلق على المتصل كقولنا خط واحد وسطح واحد وجسم واحد ، وأحق الأشياء باسم الواحد المتصل التام الذي لا يكون فيه زيادة ولا نقص كالخط المستدير . والمتصل قد يكون متصلاً بالوهم مثل الخط والسطح ، وقد يكون متصلاً بالوجود مثل الأجسام المتشابهة الأجزاء . وكما يطلق الواحد على المتصل التام ، فكذلك يطلق على الأشياء المرتبطة والمماسة بالطبيعة كاليد الواحدة والرجل الواحدة ، أو على الأشياء المرتبطة بالصناعة كالكرسي الواحد والخزانة الواحدة .

قال ابن رشد : « فهذه هي أشهر المعاني التي يقال عليها الواحد بالعدد ، وهو بالجملة إنما يدل به الجمهور على هذه الأشياء من حيث هي متحازة عن غيرها ، ومنفردة بذاتها ، إذ ليس يتصور في بادىء الرأي من

معنى الواحد غير هذه ، ولذلك قيل في حد الوحدة العددية إنها التي بها يقال في شيء شيء إنه واحد . فمن هذه الأشياء ما هي متحازة بأماكنها التي تحويها ، وهو أشهر الانحيازات ، ومنها ما هي متحازة بنهاياتها فقط ، وهي المتماسة ، ومنها ما انحيازها في الوهم فقط ، وبهذه الجهة تلحق العدد المتصل ، وإذا كان هذا هكذا فالواحد بالعدد في هذه الأشياء إنما يدل منها على أمور هي خارجة عن ذاتها ، وبالجملة على أعراض لاحقة لها ، ومن هذه الجهة يكون داخلاً من بين المقولات العشر في جنس الكم ، ويكون الواحد عرضاً ، إذ كان العدد إنما هو جماعة الآحاد التي بهذه الصفة ، (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ١٠)

وليس في هذه الأقوال التي قدمناها شيء يدل على اختلاف حقيقي بين ابن رشد وابن سينا ، فإن هذين الفيلسوفين يتفقان في الأشياء التي يطلق عليها اسم الواحد ، ان كلا منهما يطلق هذا الاسم على كل ما هو متميز عن غيره ، وغير منقسم ، يطلقه على مبدأ العدد وعلى المتصل الذي لا ينقسم كما يطلقه على الجواهر المفارقة ، والواحد عندهما مرادف للموجود ، لأن كل ما هو موجود فهو واحد ، وكل ما هو واحد فهو موجود ، (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ١/٣١١-٣١٢) وبالأحرى كل ما يصح عليه قولنا إنه موجود يصح أن يقال له واحد ، « حتى إن الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد قد يقال لها كثرة واحدة » . (ابن سينا ، النجاة ٣٢٣)

ولكن معنى الواحد الذي يختلفان فيه أعمق من معانيه التي يتفقان فيها ، فابن سينا يرى أن طبيعة الواحد طبيعة عرضية لأنه لا يدل على الجوهر بل على عرض في الجوهر ، على حين أن ابن رشد يرى أن اسم الواحد يدل على ذات الشيء وماهيته ، لأنه مرادف لاسم الموجود ، فإن كان الواحد عرضاً في الجوهر كما يقول ابن سينا كان لازماً للذات لامقوماً

لها ، وإن كان مرادفاً لذات الشيء وماهيته ، كما يقول ابن رشد ، كان مقوماً للذات وغير خارج عنها .

قال ابن سينا : « إن الوحدة من لوازم الماهيات لا من مقوماتها ، لكن طبيعة الواحد من الأعراض اللازمة للأشياء ، وليس الواحد مقوماً لماهية شيء من الأشياء ، بل تكون الماهية شيئاً ، إما إنساناً ، وإما فرساً أو عقلاً أو نفساً ، ثم يكون ذلك موصوفاً بأنه واحد وموجود ... فالواحدية ليست ذات شيء منها ، ولا هي مقومة لذاته بل صفة لازمة لذاته » (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤٠) . وقال أيضاً : « فلو كانت طبيعة الوحدة طبيعة الجوهر لكان لا يوصف بها إلا الجوهر ، وليس يجب إن كانت طبيعتها طبيعة العرض أن لا توصف بها الجواهر ، لأن الجواهر توصف بالأعراض ، وأما الأعراض فلا تحمل عليها الجواهر حتى يشتق لها منها الاسم » (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤١) ومعنى ذلك أن طبيعة الواحد عند ابن سينا طبيعة عرضية ، وكذلك طبيعة العدد الذي يتبع الوحدة ، ويتركب منها ، فالوحدة غير ذاتية للجواهر ، بل لازمة لها ، وهي معاقبة للكثرة في المادة ، ومقولة على الأعراض .

وهذا الذي ذهب إليه ابن سينا مخالف في نظر ابن رشد لآراء أرسطو ، لأن الواحد عند ابن رشد يدل من الشيء الموصوف به على طبيعته ، لا على أمر زائد عليه . قال ابن رشد : « مما يدل على أن الواحد ليس يقال على شيء زائد على الموصوف به أن جوهر كل واحد من الأشياء هو واحد بالذات لا لأمر زائد عليه ، وذلك أنه لو كان الشيء واحداً بأمر زائد على ذاته كما يذهب لذلك ابن سينا لم يكن شيء من الأشياء واحداً بذاته وجوهره بل بشيء زائد على جوهره ، وذلك الشيء الذي صار به واحداً ، إن قيل فيه إنما صار واحداً بمعنى زائد

على ذاته ، فقد سئل أيضاً في ذلك الشيء الذي به صار واحداً بماذا صار واحداً ، فإن كان ذلك الأمر بمعنى زائد عليه ، عاد السؤال فيه ، ومرّ الأمر إلى غير نهاية » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ١/٣١٤ - ٣٥١) والسبب في اعتقاد ابن سينا أن الواحد صفة لازمة للماهية لا صفة مقومة لها أنه « أشكل عليه الفرق بين اسم الواحد الذي هو مبدأ العدد . . . وبين اسم الواحد المرادف لاسم الموجود » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، ٣/١٢٦٧) ولذلك قال ابن رشد إن ابن سينا غلط في هذا غلطاً كثيراً فظن أن الواحد والموجود يدلان على صفات زائدة على ذات الشيء ، قال : « والعجب من هذا الرجل كيف غلط هذا الغلط وهو يسمع المتكلمين من الأشعرية الذين مزج علمه الإلهي بكلامهم يقولون إن من الصفات ما هي صفات معنوية ، ومنها ما هي صفات نفسية ، ويقولون إن الواحد والموجود هما راجعان إلى الذات الموصوفة بها ، لا إلى صفات دالّة على أمر زائد على الذات (ابن رشد تفسير ما بعد الطبيعة ١/٣١٣) ، وقال أيضاً : « لقد احتجّ هذا الرجل لمذهبه بأن قال إنه لو كان الواحد والموجود يدلان على معنى واحد لكان قولنا الموجود واحد بمنزلة قولنا الموجود موجود ، والواحد واحد ، وهذا إنما كان يلزم لو قيل أن قولنا في الشيء الواحد إنما هو موجود وواحد يدلاّن على معنى واحد من جهة واحدة ونحو واحد » (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٣) . ولكن الموجود والواحد إنما « يدلان من الذات الواحدة على أنحاء مختلفة ، لا على صفات مختلفة زائدة عليها » (ابن رشد المصدر نفسه ٣١٣) . فابن سينا لم يفرق بين الصفات الدالة على الذات والصفات الزائدة على الذات . وسبب غلطه كما يقول ابن رشد ، « أنه وجد اسم الواحد من الأسماء المشتقة ، وهذه الأسماء تدل على عرض وجوهر . . وأنه ظن أن اسم الواحد يدل على معنى في الشيء عادم للانقسام ، وأن ذلك المعنى

غير المعنى الذي هو طبيعة .. وأنه ظن أن هذا الواحد المقول على جميع المقولات هو الواحد الذي هو مبدأ العدد ، والعدد عرض فاعتقد أن اسم الواحد يدل من الموجودات على عرض» (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٤).

وجملة القول أن غلط ابن سينا يرجع في نظر ابن رشد إلى أمرين :

١ — أحدهما أنه اعتقد أن الواحد الذي هو مبدأ العدد هو الواحد المرادف لاسم الموجود ، فإن كان الأول عرضاً وجب أن يكون الثاني عرضاً مثله ، لأنه مرادف له .

٢ — والآخر أنه التبس عليه اسم الموجود الذي يدل على الجنس ، والذي يدل على الصادق ، فإن الذي يدل على الصادق عرض ، والذي يدل على الجنس يدل على كل مقولة من المقولات العشر دلالة تناسب الهوية .

إن الواحد يقال على أنحاء مختلفة ، وحدُّه كما قال أرسطو أنه مبدأ العدد لا أنه عدد ، وهو في غير هيولى ، وقولنا كل ما هو موجود واحد ينعكس مثل قولنا كل ما هو واحد موجود ، فالواحد مرادف للموجود ، وهو يقابل الكثرة كما يقابل العدم الملكة .

ثم إن تصور الواحد بديهي ، ومعناه سلبي ، وهو نفي الانقسام عنه ، فإن كان صفة دل على الواحد بالعدد ، أو على الفرد من جهة ما هو جزء من كل ، أي من كثيرين بالعدد ، أو على الأحد الذي لا نظير له في ذاته ، أو على الكثير من جهة ما هو ذو وحدة متماسكة فيكون واحداً بالتركيب . وإن كان اسماً دلَّ على أول الأعداد ، أو على مبدأ الوجود أو الفكر ، والواحد بهذا المعنى الأخير هو المطلق الحقيقي . قال الفارابي : « يقال لكلّ موجود واحد من جهة ما هو موجود بالوجود الذي يخصّه ، وهذا المعنى من معاني الواحد يساوق الموجود الأول ، فالأول أيضاً بهذا الوجه واحد ، وأحق من كل واحد سواه باسم الواحد ومعناه» (المدينة

الفاضلة ، ٣٠) ، وقال ابن رشد : « إن اسم الواحد والموجود يدلاّن على ذات واحدة ، وإنما يختلفان بالجهة » (تفسير ما بعد الطبيعة ١٢٨١/٣) .

والواحد عند ابن سينا لا يصدر عنه إلاّ واحد لأنه بسيط ، قال في كتاب النجاة : « إن الواحد من حيث هو واحد إنما يوجد عنه واحدٌ » (النجاة ، ٤٥٣) وقال في كتاب الإشارات : « الأول ليس فيه حيثيات لوحدانيته ، فيلزم كما علمت أن لا يكون مبدأً إلاّ لواحد بسيط » ، وهو العقل الأول . ومعنى ذلك أن الأول واحد من جميع الوجوه ، فإذا صدر عنه موجود غيره وجب أن يكون هذا الموجود واحداً . مثال ذلك أن واجب الوجود في مذهب ابن سينا لا يبدع إلا العقل الأول ، لأنه واحد ، ولأنه لا يصدر عن الواحد إلاّ واحد ، وهذا شبيه بقول (أفلوطين) في التاسعيات إن الواحد ، وهو الأقنوم الأول ، لا يصدر عنه إلا أقنوم ثان وهو العقل ، فالواحد غير معين ، أما الأقنوم الثاني فهو عقل وموجود ومعقول معاً . فابن سينا يعدُّ هذا المبدأ ركناً من أركان الفيض على حين أن ابن رشد يعدّه سبباً من أسباب الوهم ، لأنه ليس هنالك في نظره صدور ولا لزوم ولا فعل حتى تقول إن الفعل الواحد يلزم أن يكون عن فاعل واحد .

وها هنا سؤال لا بدّ من الإجابة عنه ، وهو قولنا : إذا كان الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد فمن أين جاءت الكثرة ؟ إن قولنا : إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد يناقض قولنا إن الذي صدر عن الواحد الأول شيء فيه كثرة ، وإذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول ترجع إلى كونه يعقل ذاته ويعقل الأول قال ابن رشد إن ذلك يوجب أن تكون ذات العقل الأول مركبة من طبيعتين ، فأي هاتين الطبيعتين هي الصادرة عن المبدأ الأول ، وأيها هي الغير الصادرة ، إنا لا نستطيع أن نتخلص من هذا الإشكال إلا إذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول كل واحد منها أول ، وهذا يسوقنا إلى القول بتعدد المبادىء .

ولكن الفلاسفة القدماء يجيبون عن سؤالنا : من أين جاءت الكثرة بواحد من الأجوبة التالية ، أحدها قول بعضهم إن الكثرة جاءت من الهيولى ، والثاني قول بعضهم إنها جاءت من الآلات ، والثالث قول من قال إنها جاءت من قبل الوسائط والذي جرى عليه ابن رشد في تعليل حدوث الكثرة إرجاعها إلى الأسباب الثلاثة أي إلى المتوسطات والآلات والاستعدادات ، وهذه كلها تستند إلى الواحد وترجع إليه .

وصفوة القول إن الواحد عند ابن رشد يدلّ على الجوهر تارة وعلى العرض أخرى ، أما عند ابن سينا فهو لا يدلّ إلا على عرض في الجوهر، وما كان عرضاً كان زائداً على الذات لا مقوماً لها . وسيتضح لنا ذلك عند الكلام على اسم الموجود في الفقرة التالية .

٤ ـ المسألة الثالثة

هل يدل اسم الموجود على الذات أم على صفة زائدة على الذات ؟

الموجود هو الثابت في الذهن أو في الخارج ، وهو من المعاني الأولية أو البديهية التي يصعب تعريفها . قال ابن سينا : « إن الموجود لا يمكن أن يشرح بغير الاسم لأنه مبدأ أول لكل شرح . فلا شرح له ، بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء » (النجاة ٣٢٥) . وقال ابن رشد: « إن اسم الموجود واسم الهوية يدل كل واحد منها على مقولة الجوهر ، وعلى سائر أعراض الجوهر التي هي المقولات التسع » (تفسير مابعد الطبيعة ٧٤٧/٢) ، وقال أيضاً : « ولكن هذا الاسم إنما يدل أولاً وباطلاق وتقديم على مقولة الجوهر » (المصدر نفسه ٧٤٧/٢) .

ونحن نلاحظ أولاً أن الموجود يقال عند ابن رشد على أنحاء مختلفة (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ٥ ـ ٦) .

١ – فهو يطلق على كل مقولة من المقولات العشر .

٢ – وهو من أنواع الأسماء التي تقال بترتيب وتناسب لا التي تقال باشتراك محض ، ولا بتواطؤ .

٣ – وهو يقال على الصادق ، وهو الذي في الذهن على ما هو عليه خارج الذهن .

٤ – وهو يقال على ما له ماهية وذات خارج النفس سواء تصورت تلك الذات أو لم تتصور .

٥ – وقد يدل بلفظ الموجود على النسبة التي تربط المحمول بالموضوع في الذهن ، وعلى الألفاظ الدالة على هذه النسبة سواء كان ذلك الارتباط ارتباط إيجاب أو سلب ، صادقاً كان أو كاذباً ، بالذات أو بالعرض .

وها هنا مسألتان كانتا سبب اختلاف شديد بين ابن سينا وابن رشد ، الأولى مسألة انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب ، والثانية مسألة الماهية والوجود .

١ – الواجب والممكن :

يقول ابن سينا : « إن الواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال ، وإن الممكن الوجود هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال . والواجب الوجود هو الضروري الوجود ، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه ، أي لا في وجوده ولا في عدمه » (النجاة ٣٦٦) . ثم يقول : « إن الواجب الوجود قد يكون واجباً بذاته ، وقد لا يكون بذاته . أما الذي هو واجب الوجود بذاته فهو الذي لذاته لا لشيء آخر ... وأما الواجب الوجود لا بذاته ، فهو الذي لو وضع شيء مما ليس هو صار واجب الوجود » (النجاة ٣٦٦) ، مثال ذلك : « إن الأربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن

عند فرض اثنين واثنتين ، والاحتراق واجب الوجود لا بذاته ولكن عند فرض التقاء القوة الفاعلة بالطبع والقوة المنفعلة بالطبع ، أعني المحرقة والمحترقة » ، ثم يضيف إلى ما تقدّم قوله : « ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معاً » (النجاة ٣٦٧) بل كل ما هو واجب الوجود بغيره فإنه ممكن الوجود بذاته ، وهذا ينعكس فيكون كل ما هو ممكن الوجود بذاته ، فإنه ان حصل وجوده كان واجب الوجود بغيره . فهناك إذن ثلاثة أنماط من الوجود .

الأول : هو الممكن بذاته ويشتمل على جميع الأشياء التي يتساوى فيها العدم والوجود .

والثاني : هو الممكن بذاته الواجب بغيره ، وهو يشمل جميع موجودات هذا العالم .

والثالث : هو الواجب الوجود بذاته ، وهو المبدأ الأول أي الله .

ولكن ابن رشد يبين أن انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب رأي انفرد به ابن سينا فربما أتى به من عند نفسه ، أو ربما أخذه عن الفارابي وإخوان الصفا ، أو عن المتكلمين ، وخصوصاً عن أبي المعالي الذي قال : « إن العالم بأمره جائز . قال ابن رشد : « ونحن نجد ابن سينا يذعن لهذه المقدمة بوجه ، وذلك أنه يرى أن كل موجود ما سوى الفاعل ، فهو إذا اعتبر بذاته ممكن وجائز » (ابن رشد ، كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ٤٠) ، وقال أيضاً : « إن المتكلمين يرون ... أن الموجود ينقسم إلى ممكن وضروري ، وأن الممكن يجب أن يكون له فاعل ، وان العالم بأسره لما كان ممكناً وجب أن يكون الفاعل له واجب الوجود . هذا هو اعتقاد المعتزلة قبل الأشعرية ، وهو قول جيّد ، ليس فيه كذب إلاّ ما وضعوا من أن العالم بأسره ممكن .. فأراد ابن سينا أن يعمم هذه

القضية ويجعل المفهوم من الممكن ما له علة ، وإذا سومح في هذه التسمية لم تنته به القسمة إلى ما أراد لأن قسمة الموجود أولاً إلى ما له علة وإلى ما لا علة له ، ليست قسمة معروفة بنفسها (كتاب تهافت التهافت ٧٢).

لقد زعم ابن سينا أن الواجب الوجود بغيره ممكن بذاته ، وأن الممكن يحتاج إلى واجب ينقله من حالة الوجود بالقوة الى حالة الوجود بالفعل ، فقال ابن رشد : ان الواجب ليس فيه إمكان أصلاً ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة ، ويقال في تلك الطبيعة إنها ممكنة من وجه ، وواجبة من وجه . قال ابن رشد : وليس يصح أن يقال : « ها هنا شيء ممكن من ذاته ، أزلي وضروري من غيره ، كما يقول ابن سينا إن الواجب منه ما هو واجب بذاته وواجب بغيره إلا في حركة السماء فقط ، وإما أن يوجد شيء هو في جوهره ممكن وهو من قبل غيره ضروري الوجود فلا يمكن ذلك ، لأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون من قبل جوهره ممكن الوجود ، ويقبل من غيره الوجود الضروري إلا لو أمكن فيه أن ينقلب طبعه ، وأما الحركة فيمكن فيها أن تكون واجبة من غيرها ممكنة من ذاتها . والسبب في ذلك أن الوجود لها من غيرها وهو المحرك ، فإن وجدت سرمدية فواجب أن يكون ذلك من قبل محرك (سرمدي) لا يتحرك بالذات ولا بالعرض ، فالبقاء للحركة من قبل غيرها وأما للجوهر فمن قبل ذاته ، ولذلك لم يمكن أن يوجد جوهر ممكن من ذاته ضروري من غيره ، وأمكن ذلك في الحركة » (تفسير ما بعد الطبيعة ١٦٣٢/٣).

ومعنى ذلك أن ابن رشد يجيز انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب في الحركة ، ويمنعه في الجواهر لأن الجواهر عنده أزلية ، والبقاء لها من قبل ذاتها ، لا من قبل غيرها ، والممكن الوجود لا يمكن أن يصبح

واجب الوجود إلا إذا انقلبت فيه طبيعة الإمكان إلى طبيعة الضرورة ، والإمكان السرمدي هو الوجود الضروري ، أمّا عند ابن سينا فإن الجواهر ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها . والجزئيات أعراض ممكنة بالقياس إلى الكليات، وقولنا إنها أعراض ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها لا يجعل العالم داخلاً في حظيرة الإمكان بل يجعله مع إمكانه مصطبغاً بصبغة الوجوب .

٢ – الماهية والوجود :

تطلق الماهية على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق ، مع قطع النظر عن الوجود الخارجي . فإذا سألنا ما المثلث مثلاً سألنا عن معناه المتصور في الذهن ، فالأمر المتصور في الذهن من حيث هو مقول في جواب ما هو يسمّى ماهية ، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمّى حقيقة ، ومن حيث مطابقته للشيء الموجود في الخارج يسمّى صادقاً . قال ابن رشد : « والصادق من إيجاب أو سلب هو الذي يكون من خارج النفس على ما هو عليه في النفس ، والكاذب ضدّ ذلك » (تفسير ما بعد الطبيعة ١/٥٥٥) ، ومسألة المطابقة بين الأشياء المتصورة في الذهن والأشياء الموجودة في الخارج من أعوص المسائل التي شغل بها الفلاسفة خلال حقب طويلة من الزمان ، حتى إن ابن سينا الذي عني بهذه المسألة عناية بالغة لم يقتصر على التمييز بين وجود الماهية في الذهن ووجودها أو عدم وجودها في الخارج ، بل قرر أن للمعقولات ثلاثة أنماط من الوجود ، وهي :

١ – وجودها في العقل الإنساني مجردة من اللواحق الحسية .

٢ – وجودها في الأعيان وجوداً طبيعياً غير مفارق .

٣ – وجودها في العقل الفعال .

ولكن تصور الماهية عند ابن سينا لا يستلزم وجودها الخارجي ، لأن

الوجود في نظره ليس مقوماً للماهية ، وإنما هو صفة عرضية لازمة لها ، وهو في ذلك يقول : « ليس من شأن المعنى المتصور أن يكون له في الوجود مثال بوجه ، مثل كثير من معاني الأشكال الموجودة في كتب الهندسة ، وإن كان وجودها في حيز الإمكان ، ومثل كثير من مفهومات ألفاظ لا يمكن وجود معانيها ، مثل مفهوم لفظ الخلاء ، ومفهوم الغير المتناهي في المقادير ، فإن مفهومات هذه الألفاظ تتصور مع استحالة وجودها ، ولو لم تتصور لم يمكن سلب الوجود عنها . فإن ما لا يتصور معناه من المحال أن يسلب عنه وجود ويحكم عليه بحكم سواء كان إثباتاً أو نفياً » (ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ٣١ـ ٣٢) ، ويقول أيضاً : إن الوجود صفة رئيسية للأشياء ذوات الماهيات المختلفة محمول عليها ، خارج عن تقويم ماهياتها » (المصدر نفسه ، ٢٢) ، ولا يمكن أن يكون الوجود صفة مقومة للماهية ، لأن الموجود مساوق للواحد والواحد كما ذكرنا آنفاً من لوازم الماهيات لا من مقوماتها .

وقد بين ابن سينا في كتاب الإشارات أن ماهية الشيء قد تكون علةً لإحدى صفاته ، ولكنها لا تكون علة لوجوده . إن العلة متقدمة على المعلول في الوجود فكيف يمكن أن تكون الماهية علة الوجود وهي لا تزال في حظيرة الإمكان . فهناك إذن فرق حقيقي بين ماهية الشيء ووجوده ، يدلّ على ذلك قول ابن سينا في تصنيف العلوم : إن العلم الطبيعي يبحث في أمور حدودها ووجودها متعلقان بالمادة والحركة ، وإن العلم الرياضي يبحث في أمور وجودها متعلق بالمادة والحركة ، وحدودها غير متعلقة بها ، وإن العلم الإلهي يبحث في أمور لا وجودها ولا حدودها متعلقة بالمادة والحركة . ففرْق كما ترى بين حدود الأشياء ووجودها في الخارج ، والحدّ عنوان الذات ، أو هو القول المفصل الدال على ماهية الشيء كحدّ المثلث المتساوي الأضلاع ، فإنه يولّد في النفس صورة معقولة

مطابقة لماهية المثلث ، ولكنه لا يستلزم بالضرورة وجود المثلث بالفعل في العالم الخارجي . ولم يكن ابن سينا أول من أخذ بهذا الرأي فقد سبقه إلى ذلك من فلاسفة الإسلام أبو نصر الفارابي في كتاب فصوص الحكم ، حيث بيّن أن الوجود لا يدخل في تقويم الماهيات الممكنة ، وإذا انقسمت الموجودات إلى ممكن وواجب أمكننا أن نقول إن الماهية والوجود هما في الموجود الواجب بذاته شيء واحد ، أما في الموجودات الممكنة بذاتها والواجبة بغيرها فالوجود غير مقوّم للماهية .

ذلك هو رأي ابن سينا في علاقة الماهية بالوجود ، وهو مختلف عن رأي ابن رشد تمام الاختلاف ، لأن ابن رشد يرى أن قولنا في الشيء إنه موجود لا يدلّ على معنى زائد على جوهره ، وكذلك وجوب وجود الشيء وإمكان وجوده فإنهما لا يدلاّن على معنى زائد على الماهية . وهو يلوم ابن سينا على قوله إن الوجود عرض لاحق للماهية ، وإن كل ما كان وجوده زائداً على ماهيته فله علّة ، وكلّ ما له علة أوجبت وجوده فهو ممكن بذاته وواجب بغيره .

وفي الحق أن لفظ الموجود يدلّ عند ابن رشد على معنيين :

« (أحدهما) ما يدل على الصادق مثل قولنا هل الشيء موجود أم ليس بموجود ، وهل هذا يوجد كذا أو لا يوجد كذا .

« (والثاني) ما يتنزل من الموجودات منزلة الجنس ، مثل قسمة الموجودات إلى المقولات العشر ، وإلى الجوهر والعرَض .

« فإذا فهم من الموجود ما يفهم من الصادق لم يكن خارج النفس كثرة ، وإذا فهم منه ما يفهم من الذات والشيء كان اسم الموجود مقولاً على واجب الوجود ، وعلى ما سواه بتقديم وتأخير مثل اسم الحرارة المقول على النار وعلى الأشياء الحارّة » (ابن رشد ، تهافت التهافت ٧٨) . فاذا قلنا إن الماهية متقدمة على الوجود ، وإن الوجود يرد على الشيء أو يضاف إليه

من خارج لم يفهم من قولنا هذا أن لفظ الوجود المستعمل هنا هو الوجود الذي يدل على ذوات الأشياء بل فهمنه أنه الوجود الذي يدل على الصادق. مثال ذلك أن المثلث له ماهية وهي كونه شكلاً تحيط به ثلاثة أضلاع ، وليس الوجود جزءاً من هذه الماهية مقوماً لها . ولذلك يجوز أن يدرك العقل ماهية المثلث ، وليس يدري هل له وجود في الأعيان أم لا ؟ فإن كان المعنى الذي في الأذهان مطابقاً للشيء الذي في الأعيان كان صادقاً ، وإن لم يكن كذلك كان كاذباً . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول إن تصور الماهية متقدم على الوجود في الخارج .

ولكن اسم الموجود لا يدل على الصادق فحسب ، بل يدل على شيء آخر ، وهو ذات الشيء . إنا لا نطلب معرفة ماهية الشيء حتى نعلم أنه موجود ، فالماهية الموجودة في الذهن والمتقدمة على الوجود ليست في الحقيقة ماهية ، وإنما هي شرح معنى اسم من الأسماء . فإذا علم أن ذلك المعنى موجود خارج النفس علم أنه ماهية ، وقد جاء في كتاب المقولات لأرسطو أن كليات الأشياء المعقولة إنما صارت موجودة بأشخاصها ، وأشخاصها معقولة بكلياتها ، وجاء في كتاب النفس أن القوة التي بها ندرك أن الشيء مشار إليه وموجود غير القوة التي ندرك بها ماهية الشيء المشار إليه . ولذلك قيل إنّ الأشخاص موجودة في الأعيان ، والكليات متصورة في الأذهان ولا معنى لقول ابن سينا إن الوجود زائد على الماهية ، لأنه لو كان زائداً عليها لكان كالواحد عرَضاً مشتركاً ، وهذا في نظر ابن رشد غير صواب .

فأنت ترى أن بين رأي ابن رشد ورأي ابن سينا اختلافاً كبيراً ، لأن ابن سينا يزعم أن الوجود زائد على الماهية ، وأن ماهية الشيء متقدمة على وجوده على حين أن ابن رشد يقول إن الماهية لا تتقدم على الوجود إلا اذا فهم من اسم الموجود أنه يدل على الصادق ، ولكن إذا فهم من

اسم الموجود أنه يدل على ذات الشيء كان الوجود مقوّماً للماهية لا لازماً لها . إنك لا تدرك ماهية الشيء إدراكاً حقيقياً حتى تعلم أنه موجود ، وهذا أقرب إلى رأي الوجوديين المعاصرين الذين يرون أن ماهية الشيء عين وجوده .

٥ ـ خاتمة

ونريد الآن أن نختم هذا المقال باشارة سريعة الى ما يريده ابن سينا بقوله : إن اسم الواحد عرَض في الجوهر ، وإن الوجود لازم للماهية لا مقوّم لها . إن ابن سينا آرسطي العقل ، أفلاطوني القلب ، إنه يبني هيكلاً أفلاطونياً بحجارة مشائية ، والدليل على ذلك أن للمعقولات عنده وجوداً في العقل الفعّال فوق العقل الإنساني ، والفرق بين معقولات ابن سينا ومثل أفلاطون أن الأولى مجتمعة في العقل الفعال ، والثانية قائمة بذاتها في عالم الآلة . ومع أن ابن سينا يبطل المُثُل الأفلاطونية كما يبطلها أرسطو ، فإنه لم يستطع أن يفسر لنا حصول المعرفة في العقل الإنساني إلا بطريقين : أحدهما طريق الإحساس ، والآخر طريق التأمّل ، ذلك لأن المعرفة لا تحصل بتأثير قوى النفس وحدها ، بل تحصل باشراق المعقولات على النفس الإنسانية من العقل الفعال . وقد قلت في موضع آخر إن العقل الفعّال يجمع الصور العقلية التي تفيض عليه من الجواهر العلوية ثم يرسلها إلى عالم الكون والفساد ليكسو بها المادة ، هكذا تفيض الصور الحسية على المادة لتنقلها من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل ، وهكذا أيضاً تفيض الصور العقلية على النفس الإنسانية لتولد فيها المعرفة المطابقة لحقائق الأشياء . فالمعرفة إذن هي الاتصال بعالم المعقولات ، والإشراق هو اتحاد إدراك العقل بجوهر الوجود ، ولو اقتصرت النفس على القوى الحيوانية من حس وخيال ووهم لما استطاعت أن تنتقل من إدراك الجزئيات

إلى إدراك الكليات ، والفرق بين ابن سينا وأفلاطون أن الأول يجعل المعقولات قائمة في العقل الفعال ، على حين أن الثاني يجعلها قائمة بذاتها خارج كل عقل .

وظاهر أن ابن سينا لم يقدم هذه المقدمات ولم يأخذ بنظرية الفيض الأفلاطونية إلا ليجعل فلسفته موافقة للدين . فالله في هذه الفلسفة هو الواجب الوجود الذي يوصف بأنه واحد ، وتام ، وخير ، وكامل ، ومبدع ، وهو واجب الوجود بذاته لا يشوب وجوده شيء من الإمكان والإضافة ، فوجوده عين ماهيته ، ووحدانيته عين ذاته . أما ما خلا الله من الموجودات الممكنة بذاتها ، والواجبة بغيرها فالوجود فيها عرض مضاف على الماهية ، والوحدة فيها من لوازم الماهيات لا من مقوماتها . لا تصبح الماهيات موجودة بالفعل في العالم الخارجي إلا بفعل مبدأ مفارق تفيض عنه الصور على المادة لتلبسها ثوباً من الجمال والخير . نعم ، إن الماهيات المعقولة موجودة في العقل الإنساني على سبيل الانفعال كما هي موجودة في العقل الفعال على سبيل الفعل ، ولكن وجودها في العالم الخارجي بالفعل يحتاج إلى علة فاعلة تنقلها من حالة اللاتعين إلى حالة التعين ، وهذه العلة الفاعلة هي الصانع أو الله الذي يعطي جميع الماهيات ، ذلك المعنى الذي تصير به موجودة ، فبين الوجود في العالم الخارجي وبين الوجود في العقل الإنساني مطابقة تامة ، كما أن بين الكليات الثابتة ، والجزئيات المتغيرة موازاة حقيقية . والسبب في هذه المطابقة أن الأصل الذي تصدر عنه الصور في كلا الحالين واحد . وفي هذه الصور التي تفيض على العالم صبغة إلهية تجعل الأشياء واجبة وضرورية ، نعم إن العالم في نظر ابن سينا داخل في مقولة الممكن وعلاقته بمبدعه كعلاقة الممكن بالضروري ، ولكن هذا الإمكان الذي اتشح به العالم ليس حادثاً في زمان معين . ولو أخذ ابن سينا بمذهب وحدة الوجود الذي يوحد الله والعالم لما احتاج إلى التمييز بين الماهية والوجود ، ولا بين الإمكان والوجوب ،

ولكنه زعم أن هنالك عالماً مفارقاً تفيض عنه الصور على العالم المحسوس وتنقل الأشياء من حالة الوجود الممكن إلى حالة الوجود الضروري . وفي هذا القول كما لا يخفى أثر من أفلاطون واضح لم يبق منه في فلسفة ابن رشد شيء . لقد ترددت الفلسفة العربية بين أفلاطون وأرسطو مدة طويلة من الزمان ، فلما انتشرت تآليف ابن رشد عادت إلى أحضان أرسطو واستقرت فيها . لقد قال ابن سبعين إن خلاف ابن سينا لأرسطو لما يشكر عليه ، ولكن ابن رشد الذي كان بالجملة مقلداً لم يشكر ابن سينا على ما خالف به أرسطو ، بل لامه على ذلك لوماً شديداً . وإذا كان نقده لابن سينا أخف من نقده للغزالي ، فمرد ذلك إلى أن الغزالي كان عدو الفلاسفة اللدود ، وقتال العدو للعدو لا يشبه عتاب الصديق للصديق . إن نسبة ابن رشد الى سلفه ابن سينا كنسبة أرسطو إلى أفلاطون ، أو كنسبة القديس توما الاكويني الذي كان أرسطياً الى القديس انسلم الذي اتبع طريقة القديس أوغستينوس وكان في جدله أفلاطونياً .

لقد قال أرسطو في المقالة الأولى من كتاب ما بعد الطبيعة إن الإنسان لا يصل إلى الحقيقة دفعة واحدة ، وإنه ينبغي له أن يعترف بفضل العلماء السابقين وإن كانت آراؤهم مخالفة لرأيه ، وإذا كان أرسطو قد ردّ على كل من جاء قبله حتى على أستاذه أفلاطون ، فمرد ذلك الى رغبته في إظهار الحق . ولولا ذلك لما اعتذر عن مخالفة أستاذه بقوله : أفلاطون صديقي ، والحق صديقي ، ولكن الحق أولى بالمحبة . لقد ردّ ابن رشد على الغزالي وابن سينا كما ردّ أرسطو على أفلاطون ، ولكن لو لم يكن ابن سينا لم يكن الغزالي ، ولو لم يكن الغزالي لم يكن ابن رشد .

جميل صليبا

أبو الفداء : الملك العلامة

الدكتور محمد كامل عياد

يُعتبر أبو الفداء ، الملك المؤيَّد عماد الدين إسماعيل بن علي ، صاحب حماة من ألمع الشخصيات في تاريخ العرب والإسلام ، فهو من أسرة الأمراء الأيوبيين الذين حكموا مصر وبلاد الشام أكثر من ثمانين عاماً وامتازوا بالشجاعة والإقدام ، وأبلَوا بلاءً حسناً في محاربة الصليبيين وطردهم من هذه الأقطار ..

ولد أبو الفداء في جمادى الأولى من سنة (٦٧٢) هجرية الموافق تشرين الثاني سنة (١٢٧٣) ميلادية بمدينة دمشق التي كان أهله قد جفلوا إليها من غارة التتر . وبعد انتصار الجيوش الإسلامية على التتر خارج حمص في سنة (٦٨٠)(١) عاد الملك المنصور محمد ، صاحب حماة إلى بلده ومعه أهله وأخوه الملك الأفضل والد أبي الفداء . ولمّا انتقل الحكم إلى الملك المظفّر محمود في سنة (٦٨٣) ظل عمه الملك الأفضل يساعده في إدارة الحكومة وقيادة عساكر حماة . وقد رافق أبو الفداء في السنة التالية وهو في الثانية عشرة من عمره أباه ، وابن عمه الملك المظفر عند محاربة الفرنج وفتح حصن (المرقب) الشهير(٢) . وفي سنة (٦٨٨) ساهم أبو الفداء في الهجوم على طرابلس وتحريرها من الصليبيين(٣) . وفي سنة (٦٩٠) أصبح أبو الفداء (أمير عشرة) فعهد إليه بنقل إحدى العجلات

---

(١) راجع كتاب المختصر في أخبار البشر طبعة استانبول سنة ١٢٨٦ ، المجلد ٤ صفحة ١٥

(٢) المختصر ، المجلد ٤ صفحة ٢٣

(٣) المصدر نفسه ، صفحة ٢٤

لحمل المنجنيق العظيم المسمّى المنصوري من حصن الأكراد إلى دمشق ثم إلى عكا . وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء . ويبين لنا أبو الفداء في تاريخه (١) ما لاقاه الجنود في الطريق من مصاعب بسبب الأمطار والثلوج ، ثم يصف لنا بدقة مراحل الحصار والقتال في ظروف قاسية زادها شدّة هبوب الرياح العاتية ، وارتفاع أمواج البحر ، وعنف مقاومة الفرنج . وبعد أن نوّه أبو الفداء بشجاعة عسكر حماة أشار إلى أن الفرنج الصليبيين كانوا استولوا على عكا وأخذوها من السلطان صلاح الدين الأيوبي ظهر يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة سنة (٥٨٧) فاستعادها الآن في سنة (٦٩٠) السلطان الأشرف صلاح الدين بن قلاوون كذلك يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة .

بعد وفاة والده احتلّ أبو الفداء مكانته في دولة حماة كمساعد لابن عمه الملك المظفر محمود الذي رفع رتبته في الجيش ، فظل يشترك في الحملات العسكرية والحروب ضد التتر والأرمن في الأناضول .

ولما مات الملك المظفر محمود فجأة في سنة (٦٩٨) خرجت مملكة حماة مؤقتاً من أيدي الأسرة الأيوبية — التقوية إذ أنه لم يكن للملك المظفر ولد يستطيع وراثته ، كما لم يتمكن سائر أفراد الأسرة وفي مقدمتهم أبو الفداء وأخواه أسد الدين عمر وبدر الدين حسن من الاتفاق على مرشح لملك حماة (٢) فانتهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون هذه الفرصة لإرضاء أحد رفاقه من المماليك هو (قرا سنقر) فأرسله نائباً عنه في حماة ثم تعاقب على هذه النيابة عدد من المماليك حتى سنة (٧١٠) .

وقد عرف أبو الفداء في هذه الفترة كيف يتودد إلى السلطان المملوكي

---

(١) المختصر ، المجلد ٤ الصفحة ٢٥ – ٢٦

(٢) راجع المختصر ، مجلد ٤ صفحة ٤٣

محمد بن قلاوون ويخدمه ويقدم إليه الهدايا ، واستطاع أن ينال ثقته حتى وعده بملك حماة . وساعد على إنجاز الوعد توسط (مهنا بن عيسى) أمير عرب الفضل الذي كان له نفوذ كبير في المملكة ، والذي حصل في سنة ٧١٠ على مرسوم من السلطان بتعيين أبي الفداء نائباً في حماة (١) . وبعد أن تسلّم أبو الفداء مقاليد الأمور لقب بالملك الصالح ، وأخذ يسعى إلى تمتين صلاته بالسلطان الناصر ، حتى عهد إليه في سنة ٧١٢ بالملك عوضاً عن النيابة ، ولقبه بالملك المؤيّد (٢) . وظل أبو الفداء يتردّد على القاهرة من حين إلى آخر ، ويزور السلطان محمد بن قلاوون ويخرج معه إلى الصيد ويرافقه إلى الحج . وكان السلطان يعرف أقدار الرجال ، ويحب أهل العلم ، وقد تأكد من إخلاص أبي الفداء له ، وأعجب بسيرته وبما رآه من آدابه وفضائله ، فكان يكرمه ويحترمه ويعظمه . ولذلك رفع في سنة ٧٢٠ رتبته فألبسه شعار السلطنة (٣) وفوض إليه بأن يفعل في حماة ما يشاء من إقطاع وولاية دون مراجعة القاهرة ، وإنما عليه أن يجرد العسكر من مدينته حماة عند تجنيد الجيوش من مصر والشام ، كما رسم بأن يخطب له على منابر حماة وأعمالها ، وأن يخاطب « بالمقام العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، المؤيدي على ما كان عليه الأمر مع عمه الملك المنصور » (٤) .

إن نجاح أبي الفداء في استعادة ملك أسرته واحتفاظه بمكانة سامية في العهد المملوكي الذي كثرت فيه التقلبات والاضطرابات الداخلية دليل قاطع على ما كان يتحلى به من مهارة وحنكة ومرونة سياسية أشار إليها مؤرخو عصره ...

---

(١) المختصر ٤/٦٣-٦٤ (٢) المصدر نفسه ٤/٧٠-٧١

(٣) المصدر نفسه ٤/٩٠

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، « طبعة القاهرة ١٣٥٨ » ١٤/٩٥ - ٩٦

كذلك برهن أبو الفداء على كفاءة فائقة في إدارة مملكة حماة . فكان كثير العناية بمصالح الناس وحاجاتهم ، عادلاً في أحكامه ، شديد الاهتمام بعمران البلاد وازدهارها . وقد شيد الكثير من المباني الجميلة سواء القصور أو الجوامع أو المدارس أو الحمامات التي ما زال بعضها قائماً ..

ثم إن أبا الفداء كان ، مثل الكثيرين من الأمراء الأيوبيين ، ينظم الشعر الجيد ، ويحب أهل العلم والأدب ، فيقربهم ويشجعهم ويجيزهم بسخاء على مدائحهم له ، بل كان قد خصص رواتب دائمة لبعض الشعراء.

ويقول ابن حجر العسقلاني : « لا أعرف في أحد من الملوك من المدائح ما لابن نباتة والشهاب محمود وغيرهما ، في أبي الفداء إلا سيف الدولة »[1].

وقد أجاد أبو المحاسن بن تغري بردي في تعداد صفات أبي الفداء ومزاياه الجمة إذ قال : « كان ملكاً عالماً ، عادلاً ، سخياً ، جواداً ، ممدحاً ، عاقلاً ، ديناً خيراً ، ذا رأي وتدبير ومعرفة وسياسة ، مع الحلم والرياسة ، صاحب معروف وصدقات ، ذكياً ، فاضلاً ، ذا همة عالية ونفس زكية ، محباً لأهل العلم والخير ، كثير الإكرام لهم ، يعطي العطيات الجزيلة ويجيز على المدائح بالجوائز السنية »[2] .

أما الشيخ جمال الدين الأسنوي فقد خص أبا الفداء بترجمة عظيمة في كتابه (طبقات الشافعية) وركز اهتمامه على الناحية العلمية وقال إنه « كان جامعاً لاشتات العلوم ، أعجوبة من أعاجيب الدنيا ، ماهراً في الفقه والتفسير والأصلين والنحو وعلم الميقات والفلسفة والمنطق والطب والعَروض والتاريخ ، وغير ذلك من العلوم »[3] .

(١) الدرر الكامنة ، المجلد ١ في ترجمة الملك المؤيد إسماعيل بن علي .
(٢) المنهل الصافي ، المجلد ٩ في ترجمة أبي الفداء .
(٣) نقلاً عن أبي المحاسن في المصدر نفسه .

ثم يروي الأسنوي كيف أن أبا الفداء ، عند قدومه إلى مصر في إحدى المرّات ، استدعاه إلى مجلسه بصحبة الطبيبين الشهيرين ركن الدين ابن القوبع والصلاح ابن البرهان فجرى البحث في عدة من العلوم شارك فيها أبو الفداء مشاركة عالم محقق ، ثم انتقل الحديث اتفاقاً إلى علم النبات والحشائش ، فكان كلما ذُكر نبات تكلم على صفاته ، والأرض التي ينبت فيها ، والمنفعة التي فيه ، واستطرد في ذلك استطراداً عجيباً . وهذا الفنُّ هو الذي كان يتبجح الطبيبان ابن القوبع وابن البرهان بالاختصاص به ، بينما أكثر الأطباء يجهلونه ، فلما خرجا تعجبا إلى الغاية ، وقال الشيخ ركن الدين : « ما أعلم ملكاً من ملوك المسلمين وصل إلى هذا العلم »(١).

ويتبين من الأخبار أن أبا الفداء كان يمارس الطب عملياً في بعض الأحيان . فقد مرض مرة ولده الملك الأفضل ، وكان يرافقه في رحلة إلى مصر ، فأرسل السلطان رئيس أطبائه الذي صار يأتي إليه بكرة وعشية فيجده حاضراً ليباحثه في سير المرض ، ويقدر الدواء ويمزجه بيده في دست من الفضة . وقد اضطر رئيس الأطباء إلى أن يعترف بمهارته في الطب ويقول له : « يا سيدي ، والله ما تحتاج إلي ، وما أجيء إلا امتثالاً لأمر السلطان »(٢) .

وفي الحقيقة فإن أبا الفداء إنما اشتهر في التاريخ ، قبل كل شيء ، بأنه هو نفسه كان من كبار العلماء العرب . ويتفق المؤرخون الذين بحثوا في سيرته على أنه قد شارك في علوم وفنون كثيرة من فقه وفلسفة وطب وغير ذلك ، وأن أجود ما كان يعرفه ويتقنه علم الهيئة .

---

(١) المصدر نفسه ١٣

(٢) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ١٧/١

ومما يدعو إلى الإعجاب حقاً أن نشأة أبي الفداء العسكرية واشتراكه في الحروب العديدة ثم مشاغله الإدارية والسياسية ، ورحلاته المتعاقبة إلى مصر للاتصال بالحكام المماليك لم تمنعه جميعاً من الاستمرار في طلب العلم ، واقتناء الكتب القيمة ومطالعتها ، وحضور مجالس العلماء والمشاركة في مناقشاتهم . والأعجب هو أنه فوق كل ذلك ، وجد الوقت الكافي ، وبذل الجهد الضروري ليقوم بتأليف جملة من الكتب النفيسة التي احتلت مكانة سامية ، ونالت شهرة واسعة في الأوساط العلمية ، والتي مازالت تسترعي الاهتمام وتستحق الدراسة .

لقد انكبَّ أبو الفداء على البحث العلمي . ولا يذكر المؤرخون أنه كانت تعقد في قصره مجالس الشرب واللهو ، بل يتفق الجميع على أنه كان متديناً ، وأنه قد انصرف إلى مسامرة الشعراء ، ومحاورة العلماء الذين كان يدعوهم إلى حماة التي أصبحت في عهده مركزاً لحركة ثقافية شاملة . وظل أبو الفداء يتابع الدراسة واقتباس المعرفة وتأليف الكتب طوال عمره ، إلى أن توفي في الثالث والعشرين من المحرم سنة ٧٣٢ هجرية - ١٣٣١ ميلادية .

من الأساتذة الذين تلقى أبو الفداء العلم عنهم نعرف الشيخ أثير الدين عبد الرحمن الأبهري الذي كان بارعاً في الطب والهيئة ، ويتقن الحساب والمساحة والاصطرلاب . وقد أخذ عنه أبو الفداء العلوم الرياضية وأسكنه في حماة وقدمه وأجرى عليه رزقاً (١) .

ويذكر أبو الفداء لنفسه أستاذاً آخر هو قاضي القضاة في حماة الشيخ جمال الدين محمد بن واصل الذي كان يتردد إليه كثيراً ، ويعرض عليه ما يحله من أشكال (اقليدس) ، ويستفيد منه معارف أخرى (٢).

---

(١) راجع ترجمة حياته في (الدرر الكامنة) ٢/٣٣٩

(٢) المختصر في أخبار البشر ٤/٣٩ - ٤٠

يروي المؤرخون وأصحاب التراجم جملة من الأشعار ، وعلى الأخص الموشحات التي نظمها أبو الفداء ، والتي لم تجمع حتى الآن . وهو قد ألّف عدداً من الكتب نذكر منها :

١ — نظم كتاب (الحاوي الصغير) في الفقه الشافعي ، تأليف نجم الدين عبد الغفار القزويني .

٢ — كتاب (الموازين) . يقول (رينو) و (دوسلان) في مقدمتها لطبعة كتاب (تقويم البلدان) باريس ١٨٤٠ : إن كتاب (الموازين) ربما كان عبارة عن المنظومة في الفلك المحفوظة مخطوطة منها في مكتبة (بودليان) باكسفورد .

٣ — شرح (نظم الكافية) في النحو لابن الحاجب .

٤ — (التبر المسبوك في تواريخ الملوك) ؛ ذكر فهرس دار الكتب المصرية أنه يتضمن تواريخ المماليك سلاطين مصر والشام .

٥ — (الكناش) ؛ وقد ذهب رينو ودوسلان في مقدمة تقويم البلدان إلى أن (الكناش) كتاب في الطب من عدة مجلدات ، ولكن الأستاذ الدكتور حسن الساعاتي في دراسته عن « منهج أبي الفداء في البحث » التي ألقاها في مهرجان أبي الفداء بدمشق ذكر أنه اطلع على مخطوطة من الكناش بدار الكتب المصرية ، كتب على صفحتها الأولى أن « الكناش » مرتب على سبعة كتب ، وأن المخطوطة المذكورة تؤلف الكتاب الأول الذي يبحث في « النحو والتصريف » ، وجاء على هامش الصفحة الأولى أن الكتب الأخرى تبحث في الفقه ، والطب ، والتاريخ ، والأخلاق ، والسياسة والزهد ، والأشياء ، وفي فنون مختلفة .

على أنه لم ينتقل إلينا من مؤلفات أبي الفداء ولم ينشر سوى الكتابين المشهورين :

٦ — تقويم البلدان .

٧ — المختصر في أخبار البشر .

أما كتاب (تقويم البلدان) الذي انتهى أبو الفداء من تأليفه في سنة ٧٢١ هـ فإنه ليس ـ خلافاً لما ادعاه أحد المستشرقين ـ عبارة عن مجموعة هزيلة من المعلومـــات نقلت عن المصادر القديمة (١) ، بل إنه موسوعة مبتكرة امتازت بالدقة والشمول والوضوح . وقد اشتهر كتاب « تقويم البلدان » منذ صدوره ونال ثقة جميع الباحثين في العصور التالية فقام العلامة (شمس الدين الذهبي) معاصر أبي الفداء باختصاره والتعليق عليه ، واقتبس عنه (القلقشندي) بعد مدة عصر أجزاء كثيرة في كتابه المشهور (صبح الأعشى) ، ثم قام في أواخر القرن السادس عشر الميلادي (محمد بن علي سباهي زادة) بترجمة مقاطع منه إلى اللغة التركية ، بعد أن رتبه على حروف المعجم ، وأخرجه تحت اسم (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)(٢) .

كما في الشرق ، كذلك لاقى كتاب (تقويم البلدان) اهتماماً كبيراً في بلاد الغرب ، ونال شهرة واسعة لدى المستشرقين . وقد نشرت أجزاء منه منذ منتصف القرن السابع عشر وترجمت إلى اللغة اللاتينية . ثم عني المستشرقان الفرنسيان رينو ودوسلان بتحقيق المتن العربي ونشره والتصدير له بقدمة ضافية عن سيرة أبي الفداء وعن كتابه في سنة ١٨٤٠ ، كما قاما بترجمة القسم الأول منه في سنة ١٨٤٨ وتمت ترجمة القسم الثاني من قبل (غيار) في سنة ١٨٨٣ .

---

(١) هكذا قال المستشرق الهولاندي (كرامرس Kramers) راجع كتاب (تراث الإسلام Legacy of Islam) طبعة اكسفورد ١٩٣١ م صفحة ٩١

(٢) راجع حاجي خليفة ، كشف الظنون ٢/٣٩٣ ، طبعة فلوغل .

يقول (رينو) و (دوسلان) : إن كتاب تقويم البلدان يمثل مؤلفاً ضخماً في مجاله ، وإن العصور الوسطى الأوروبية لم تعرف كتاباً يمكن مقارنته به . ويعلق المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) على ذلك قائلاً : « لا يزال هذا الحكم صحيحاً في جوهره حتى أيامنا هذه »[1]. ويرى المستشرق الطلياني (آماري) أن كتاب (تقويم البلدان) قد حاز الإعجاب لأسلوبه المتزن ونقـده القويم . أما الأستاذ (جورج سارتون) صاحب الكتاب المشهور (مدخل إلى تاريخ العلم) فيصرح بأن أبا الفداء كان أعظم جغرافي في عصره[2] .

وفي الحقيقة فإن أبا الفداء قدم لنا في كتاب (تقويم البلدان) خلاصة المعارف الجغرافية التي توصل إليها علماء العرب قبله . وقد برهن على مقدرة عالية في جمع الموادّ من مظانّها وتمحيصها ، وأجاد في ترتيبها وعَرْضها ، وهو يبين لنا في مقدمة الكتاب طريقته العلميـة في البحث ، وهدفه من التأليف إذ يقول : « إني لما طالعت الكتب المؤلفة في البـلاد ، ونواحي الأرض والجبال والبحار وغيرها ، لم أجد فيهـا كتاباً موفياً بغرضي . فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب (ابن حوقل) ، وهو كتاب مطوّل ذكر صفات البلاد مستوفياً ، غير أنه لم يضبط الأسماء ، وكذلك لم يذكر الأطوال والعُروض ، فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ؛ ومع جهل ذلك لا تحصل فائدة تامة » . ثم أشار من جهة ثانية إلى أن الكتب المؤلفـة في الأطوال والعُروض تهمل تحقيق الأسماء وبيان صفات

---

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، طبعة لينتغراد ١٩٥٧ ، صفحة ٣٨٩

(٢) G. Sarton : Introduction to The History Science . Vol. 111 p. 793 - 799 .

المدن ، بينما الكتب التي تعنى بتصحيح الأسماء وضبطها لا تتعرض إلى الأطوال والعروض ، وأضاف قائلاً : « ومع الجهل بالأطوال والعُروض يجهل سَمتُ ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ، ولا الجنوبي ولا الشمالي .. ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة ، من غير أن ندعي الإحاطة بجميع البلاد أو بغالبها ، فإن ذلك أمر لا مطمع فيه » .

وقد رجع أبو الفداء إلى مصادر عديدة ليستقي منها موادّ كتابه ، فاستعان بمؤلفات أشهر الجغرافيين العرب ، مثل (كتاب المسالك والممالك) (لابن حوقل) وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف (الإدريسي) وكتاب المسالك والممالك (لابن خرداذبه) وكتاب (الأقاليم) للاصطخري و (جغرافية الأقاليم السبعة) لابن سعيد المغربي ، وقد اعتمد ، لتحديد خطوط الطول والعرض ، على كتاب (رسم الربع المعمور) المنسوب إلى (بطلميوس) وعلى كتاب (القانون المسعودي) للبيروني وكتاب (التذكرة) للعلاّمة نصير الدين الطوسي ، وعلى الكتاب المعروف باسم (العزيزي) للحسن بن المهلبي الذي لم يصل إلينا ، كما أنه استفاد عند ضبط الأسماء من كتاب (الأنساب) للسمعاني ، وكتاب (اللباب) لابن الأثير وكتاب (المشترك وضعاً والمختلف صقعاً) لياقوت الحموي ، (ولكنه لم يذكر كتابه المشهور « معجم البلدان » الذي ربما لم يكن اطلع عليه) .

على أن أبا الفداء لم يكن يكتفي بالاقتباس والنقل عن هؤلاء المؤلفين ، بل كان دوماً ينسب إلى كل واحد منهم ما أخذه عنه ، ثم يفحص أقوالهم ويقارنها وينتقدها .

تتجلى عبقرية أبي الفداء العلمية في أنه قد استطاع تنسيق المعلومات

الكثيرة ، المنوعة التي جمعها من هذه المصادر ، وعرف كيف يختصرها ويختار منها ما هو مناسب وضروري بعد تمحيصه ، كما أنه أحسن ترتيبها وعرضها بطريقة مبتكرة ، في شكل جداول لم يستخدمها جغرافي آخر قبله . كذلك اتبع تصنيفاً جديداً للأقاليم إذ فرق بين الأقاليم الحقيقية وهي الأقاليم السبعة المعروفة ، الطبيعية أو المناخية ، وبين الاقاليم العرفية التي يقصد بها « كل ناحية أو مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الأماكن والبلاد ، مثل الشام والعراق وغيرها » . وقد عدّد ٢٨ إقليماً عرفياً ينقسم بعضها بدوره إلى أقاليم عرفية صغرى ، وقام بدراستها دراسة منهجية ، فذكر في كل إقليم أولاً حدوده وموقعه ، وبعض ظواهره الطبيعية ، ومراكزه البشرية ، ثم انتقل إلى الجداول التي تشتمل على أهم مدن الإقليم وقراه . ويمتدّ كلّ جدول على صفحتين : في الصفحة الأولى بيان خطوط الطول والعرض ، وتحديد الموقع ، وضبط الأسماء لغوياً ؛ وفي الصفحة الثانية ذكر الأوصاف والأخبار العامة بصورة مكثفة ، مع التركيز على الظواهر الطبيعية ، وبعض النشاطات البشرية والاقتصادية والآثار التاريخية . وقد أشار أبو الفداء عند كل موقع إلى المصادر التي نقل عنها معلوماته ، وهو لا يقتصر هنا على مؤلفات الجغرافيين السابقين ، بل يستشهد أيضاً بأقوال الرحالة والتجار المعاصرين الذين اجتمع بهم ، أو بمشاهداته الذاتية . وخلافاً لغيره من المؤلفين فإن أبا الفداء يركز البحث على المعلومات الجغرافية ، ولا يستطرد إلى المسائل الأدبية والتاريخية والأسطورية .

وبالنظر إلى مستوى علم الجغرافيا في عصر أبي الفداء ونقص آلات الرصد والقياس فليس غريباً إذا هو وقع في بعض الأخطاء أو نقلها عن غيره . ولا حاجة إلى الوقوف عند هذه الأخطاء لأن أهمية أبحاث أبي الفداء إنما تقاس بالنسبة إلى عصره وبالنسبة إلى الطريقة التي اتبعها في البحث .

ومن هذه الوجهة فإن كتابه (تقويم البلدان) قد تضمن خلاصة المعارف الجغرافية في ذلك العصر ، وهو يمتاز على غيره بروح النقد وصحة المعلومات ودقتها وحسن الترتيب ...

أما الكتاب الثاني الذي انتقل إلينا ، ونال أيضاً شهرة واسعة فهو كتاب (المختصر في أخبار البشر) . يقول أبو الفداء في مقدمة الكتاب إنه قد اختاره واختصره على الأخص من كتاب (الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير الجزري . ومن المعروف أن ابن الأثير إنما اختصر بدوره كتابه هذا من (تاريخ الأنبياء والملوك) لأبي جعفر الطبري ، مع إضافة فصول عن أيام العرب ، ومعلومات عن المغرب ، ثم سجل الأحداث التي وقعت بعد سنة ٣٠٢ هجرية ، التي كان الطبري وقف عندها لينتهي إلى سنة ٦٢٨ هجرية .

وقد اعتبر كتاب (الكامل) خير ما أُلف من كتب الحوليات في التاريخ الإسلامي ، لما امتاز به من مادة غزيرة ، وتبويب حسن ، وأسلوب شيّق ، ولغة دقيقة ، واضحة . على الرغم من ذلك فإن ابن الأثير قد غفل عن بعض الحوادث الهامّة ، ووقع في كثير من الأخطاء ، عدا أنه كان يهمل في الغالب ذكر مصادره ، وينحرف أحياناً ويتحزب . وقد لاحظ أبو الفداء هذه الشوائب ، وعرف أن كتاب (الكامل) ليس كاملاً من جميع الوجوه ، وكان من الطبيعي أن لا يقتصر عالم محقق ، واسع الاطلاع مثله على النقل والاقتباس ، بل لا بدّ له من أن يسعى إلى التأكد من صحة الأخبار ، وإلى ضبط التواريخ ، والأسماء بالرجوع إلى المصادر الموثوقة . ولهذه الغاية استعان أبو الفداء بمجموعة من المؤلفات القيمة التي قلما نجد لبعضها ذكراً عند غيره من المؤرخين . فعلاوة على كتب معروفة مثل (تجارب الأمم) لابن مسكويه ، و (وفيات الأعيان) لابن خلكان ،

و (تاريخ اليمن) للفقيه عمارة اليمني ، و (المغرب في أخبار أهل المغرب) لابن سعيد المغربي ، و كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) للقاضي جمال الدين بن واصل ، اعتمد أبو الفداء بصورة خاصة على (كتاب البيان عن تاريخ سني الزمان على سبيل الحجة والبرهان) لأبي عيسى بن المنجم ، ثم على (تاريخ سني ملوك الأرض) لحمزة الأصفهاني[١] .

وهنا لا بد من التساؤل : من هو أبو عيسى بن المنجم ؟ لقد ورد ذكره في كتاب (الفهرست) لابن النديم[٢] ، الذي يروي أخبار آل المنجم جميعاً ، ويقول إن جد الأسرة (يحيى بن أبي منصور) هو فارسي ، اشتغل بالنجوم ، وأسلم على يد الخليفة المأمون . وقد نبغ عدد من أولاده وأحفاده ، فاشتهر بعضهم بالأدب ورواية الشعر والتأليف في مختلف الفنون ومنادمة الخلفاء . ثم يقول ابن النديم : « ومن أفاضل آل المنجم أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى ، له من الكتب (كتاب تاريخ سني العالم) » دون أن يذكر شيئاً عن تاريخ مولد المؤلف أو موته أو عن محتوى الكتاب . ولكنه في ترجمة أخيه أبي عبد الله هارون يخبرنا أن هذا توفي في سنة ٢٨٨ هـ . ومن ذلك نستطيع أن نستنتج أنه عاش في أواخر القرن الثالث الهجري ، ويمكننا أن نتفق مع المستشرق (روزنتال F. Rosenthal) الذي يقول في كتابه (علم التاريخ عند المسلمين)[٣] : إن أبا عيسى بن المنجم ألف كتاب (تاريخ سني العالم) قبل الطبري بعدة عقود ، ثم يضيف قائلاً : إن هذا التاريخ ربما كان بحثاً مرتباً حسب السنين على النمط اليهودي ـ المسيحي يبدأ

---

(١) راجع المختصر في أخبار البشر ١/٣

(٢) ابن النديم ، الفهرست : طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ ، صفحة ٢٠٧

(٣) روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي ، طبعة بغداد ١٩٦٣ ، صفحة ١٠٣

منذ الخليقة وهبوط آدم والطوفان ، ويروي قصص الأنبياء وأخبار الفرس واليونان والروم ، وإنه ربما لم يتطرق إلى تاريخ الإسلام قط . ومن المؤسف أن الكتاب لم يكتب له الانتشار ولم يصل إلينا .

ومهما كان الأمر فإن أبا الفداء في القسم الأول من (المختصر في أخبار البشر) الخاص بالأمم القديمة ، يعتمد كل الاعتماد على كتاب أبي عيسى المنجم الذي يبدو أنه قد استقى معلوماته من مصادر سريانية وبزنطية . فهو ، عند تحديد تاريخ (هيلين) و (موسى) مثلاً يستند إلى كتاب (الردّ على جوليان) الذي ألفه (كيرلس Cyrillis) رئيس أساقفة الاسكندرية في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي . وهو يقول : « المنقول عن أصحاب السير من اليونان : أن (أميرس) أي [هوميروس] الشاعر اليوناني كان موجوداً في سنة ٥٦٨ لوفاة موسى »[1] . ونلاحظ أن هذا التحديد الزمني ينطبق على التقديرات الحديثة .

وعلى وجه الإجمال فإن الأخبار التي اقتبسها أبو الفداء عن أبي عيسى ابن المنجم فيما يتعلق باليونانيين والرومان تمتاز بالدقة ، وتقترب كثيراً من الصحة ، خلافاً لما يرويه أكثر المؤرخين العرب من قصص خيالية وأساطير . وقد أقدم أبو الفداء مرة واحدة على معارضة رواية أبي عيسى ، ولكن من المصادفات الغريبة أنه كان هو المخطيء في هذه الحالة . فقد ذكر أبو عيسى أن (طاليس) الملطي ، وهو أول فلاسفة اليونان ، كان في زمن (بخت نصر) . وهذا صحيح ، إذ حكم (بخت نصر) بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ قبل الميلاد وعاش (طاليس) بين ٦٤٠ و ٥٤٦ قبل الميلاد . ولكن أبا الفداء رجع إلى كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني الذي ذكر

(١) المختصر في أخبار البشر ٨٨/١

أن الفيلـوف اليوناني (فيثاغوراس) [وهو متأخر عن طاليس] كان في زمن (سليمان) وأنه أخذ الحكمة من « منبع النبوة »(١) . وهنـا أخذ أبو الفداء يحسب التواريخ القديمة فتبين له أن (بخت نصر) قد عاش بعد سليمان بأكثر من ٤٠٠ سنة واستنتج من ذلك أن قول (أبي عيسى) بأن الفلسفة اليونانية ظهرت في عهـــد (بخت نصر) غير مطابق لما ذكره الشهرستاني الذي اعتمد عليه دون مبرّر إلاّ أن يكون قد استهواه قول (الشهرستاني) بأن (فيثاغوراس) أخذ الحكمة من « معدن النبوة » ...

أما حمزة الأصفهاني الذي كان ، على الرغم من نزعته الشعوبية ، مشهوداً له بالفضل والمعرفة الواسعة ، والنظرة الفاحصة ، والآراء الجريئة ، فقـد تأثر أبو الفداء بطريقته الانتقادية في ضبط التواريخ وتحقيقها . وهو في كتابه (تاريخ سني الملوك) يذكر ملوك الفرس والروم وغيرهم فضلاً عن أنساب حمير ، وسائر دول العرب من غسّان ولخم وكنـدة ، وكان اهتمامه منصرفاً إلى تحقيق سني الولادة والوفاة ومدة الحـكم . وفي كتابه قائمة بأسماء الكتب الفارسية الكثيرة التي استقى منها معلوماته . وقد لاحظ أبو الفداء أن الأخبار المأخوذة عن المؤرخين قبل الإسلام مضطربة جداً ، لأنهم كانوا يؤرخون من ابتداء ملك كل من تملك منهم فكثرت بدايات تواريخهم ، وكان هذا ، كما قال حمزة الأصفهاني : « سبباً في فساد تواريخهم فساداً لا مطمع في إصلاحه ، مع ما انضم إلى ذلك من بعد العهد ، وتغير اللغات ، وقدم الكتب المؤلفة في هذا الفن ، فصار تحقيق التواريخ القديمة متعذراً أو في غاية التعسر . » (٢)

وقد تأثر أبو الفداء أيضاً بأبحاث (أبي الريحان البيروني) الذي يعتبر من أكبر العلماء والمفكرين المسلمين . إلاّ أنه قد اقتصر على كتاب واحد

(١) المصدر السابق ١/٨٨ (٢) المصدر السابق ١/٤

من مؤلفاته هو (القانون المسعودي) في الهيئة والنجوم الذي استفاد منه عند تأليف كتاب (تقويم البلدان) ونقل رأي (البيروني) في مساحة الأقاليم السبعة، ومقارنته بين أبحاث الهنود واليونانيين، وتصريحه القائل: «الروم والهند أصدق سائر الأمم عناية بهذه الصناعة، (يقصد علم الهيئة ووصف المعمورة) ولكن الهند لايبلغون غاية اليونانيين فيعترفون لهم بالتقدم، ولمثله نميل إلى آرائهم ونؤثرها»[1]. وقد اقتبس أبو الفداء عن كتاب (القانون المسعودي) بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بقياصرة الرومان.[2] وكان من المنتظر أن يستفيد أبو الفداء من كتابين آخرين للبيروني لهما صلة بالتاريخ هما كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة) وكتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ولكن الكتاب الأول لايأتي ذكره أبداً عند أبي الفداء، بينما يشير الى الكتاب الثاني مرة واحدة، وذلك عند شرح اسم (اليهود) فينقل عن الشهرستاني قوله بأن هذا الاسم مشتق من هاد الرجل أي رجع وتاب، وأنه إنما لزمهم لقول موسى: «إنا هدنا إليك» أي رجعنا وتضرعنا ثم يضيف أبو الفداء هنا ما قاله (البيروني) من أن ذلك ليس بشيء، وأن اسم اليهود إنما أطلق عليهم نسبة الى (يهوذا) أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة كما يوجد في كلام العرب.[3]

وقد استند أبو الفداء أيضاً إلى التوراة التي اعتبرها من أهمّ المصادر لمعرفة التواريخ القديمة. إلا أنّه لاحظ الاختلافات الكبيرة بين نسخ التوراة الثلاث المتداولة وهي السامرية والعبرانية واليونانية، فقال: إن الأولى والثانية «مفسودتان» وإن المحققين من المؤرخين قد اختاروا التوراة اليونانية التي ليس فيها ما يقتضي الإنكار من جهة الماضي من عمر الزمان. ثم

---

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان صفحة ١١

(٢) المختصر في أخبار البشر ١/٦٤ – ٦٥

(٣) المصدر نفسه ١/٩١

أشار أبو الفداء الى الأسطورة التي نسجت حول نقل هذه التوراة من العبرانية في عهد الملك بطلميوس الثاني (فيلادلفوس) وصرح بأنه قد اعتمد عليها دون غيرها في تحديد بعض التواريخ.[1] أما في سبيل قراءة الأسماء، فيقول إنه أحضر نسخة عبرانية لسفري القضاة والملوك، ثم أحضر شخصاً عارفاً باللغتين العربية والعبرانية فاستعان به عند ضبط الأسماء التي كانت فيها أحرف ليست من حروف العربي، وفيها إمالات ومدّات لا يمكن أن تعلم إلاّ مشافهة.»[2]

إلى جانب المصادر الرئيسية العامّة كان أبو الفداء يرجع في موضوعات معينة إلى الكتب الاختصاصية، فتراه مثلاً عند استعراض أسماء الفراعنة يعتمد على كتاب خاصّ بملوك مصر في قديم الزمان لمؤلف اسمه (ابن حنون الطبري) لا نعرف عنه شيئاً. على أنه لما نقل عن التوراة أن فرعون الذي غزا بني إسرائيل في أيام (رحبعام بن سليمان) هو (شيشاق) [أي ششنق الأول مؤسس الأسرة الليبية] علق على ذلك قائلاً: «وهو الأصح» أي أصح من اسم (بولة) الذي ذكره (ابن حنون).[3]

وفي الفصل الخاصّ بأمـــة اليونان نقل أبو الفداء تراجم حياة فلاسفة اليونان الكبار سقراط وافلاطون وآرسطو عن الشهرستاني، إلاّ أنه استعان أيضاً بكتاب (تاريخ الحكماء) لابن القفطي في سبيل معرفة أسماء الفلاسفة اليونانيين المتأخرين، وعلى الأخص الذين عاشوا منهم في الاسكندرية، واشتغلوا بالعلوم الرياضية والطب[4] والذين لم يتعرض إليهم الشهرستاني.

كذلك في قسم التواريخ الإسلامية كان أبو الفداء يرجع في كثير من

(١) المختصر ٦/١
(٢) المختصر ٣٢/١
(٣) المختصر ٦١/١
(٤) المختصر ٩٠/١

الموضوعات إلى مؤلفات الاختصاصيين لتلافي النقص أو تصحيح الأخطاء . فنراه مثلاً عند الكلام على غارة التتر ، التي يصفها بأنها كانت أعظم مصيبة نكب بها المسلمون ، يعتمد على كتاب (تاريخ ظهور التتر) تأليف (محمد بن أحمد النسوي) الذي كان كاتب الإنشاء لدى جلال الدين بن محمد خوارزم شاه ، وكان رافقه في حروبه ضد التتر ، وأصبح أخبر الناس بأحوال الخوارزميين وجيرانهم ، فنقل عنه أبو الفداء وصف بلاد الصين وأخبار نشأة جنكيز خان ، وحروب المغول والتتر .[1]

إن تفكير أبي الفداء كان يسيطر عليه الاتجاه الرياضي . فهو مولع باستقصاء المعلومات ومقارنتها وتمحيصها وبحساب التواريخ وضبطها . وقد رجع إلى كتاب (الجمع والبيان في أخبار القيروان) لأبي العرب الصنهاجي للتحقق من تاريخ مقتل أبي عبد الله الشيعي ، داعية المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ، إذ أورده ابن الأثير في سنة (٢٩٦) في حين ذكر الصنهاجي : إن ذلك في سنة (٢٩٨) ، ويضيف أبو الفداء قائلاً : « وهو الأصح عندي ، كما ذكر ذلك ابن خلكان أيضاً »[2] . وعند البحث في دولة بني حماد بافريقية في أواخر القرن الرابع يقتبس أبو الفداء معلوماته من كتاب الصنهاجي أيضاً . أما أخبار دولة الحفصيين ، ملوك تونس في القرن السابع ، فيقول إنه نقلها من الشيخ ركن الدين بن القويع التونسي[3] ، وهو الطبيب المشهور الذي اجتمع به في القاهرة كما ذكرنا سابقاً .

أورد ابن الأثير موت محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس ، صاحب حلب ، في (٤٦٩) . فعلق أبو الفداء على ذلك قائلاً : « لكنني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بابن العديم أن محموداً

---

(١) المختصر ١٢٩/٣
(٢) المختصر ٧٠/٢
(٣) المختصر ١٩٦/٣

المذكور مرض في سنة (٤٦٧) وحدث به قروح في الأمعاء مات بها في تلك السنة ذاتها ، فملك بعده ابنه نصر الذي لم يذكر ابن الأثير تاريخ مقتله ، بينما قال ابن العديم إن ذلك كان يوم الأحد مستهل شوال سنة (٤٦٩)[١].

ثم ذكر ابن الأثير أن قلعة (شيزر) القريبة من حماة لم تزل لبني منقذ يتوارثونها من أيام (صالح بن مرداس) . ولكن أبا الفداء صرح بأن الأمر ليس كذلك لأن ابن مرداس توفي سنة (٤٢٠) بينما كان تملك (بني منقذ) لشيزر في سنة (٤٧٤) أي بعد مدة أربع وخمسين سنة . ويضيف أبو الفداء قائلاً : « ونحن نورد أخبار بني منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد وهو أفضل بني منقذ . »[٢]

كان أبو الفداء يحرص على تقصي الأخبار الهامة من جميع المصادر . ومن الأمثلة على ذلك ما يرويه عن قاضي القضاة جمال الدين بن واصل الذي كان يتردّد عليه للدراسة كما سبق ذكره . فإن (ابن واصل) كان قد توجه في سنة (٦٥٩) هجرية (١٢٦١ ميلادية) رسولاً من قبل الملك (الظاهر بيبرس) إلى الامبراطور (مانفريد) . ويبدو أن أبا الفداء قد سأله عن مشاهداته في ايطالية ، فعلم منه أن كلمة امبراطور معناها ملك الأمراء وأن مملكة (مانفريد) تشمل جزيرة (صقلية) وبلاد (آبولية) و (لومباردية) من البرّ الطويل (أي ايطاليا كما كانوا يسمّونها) وأن الامبراطور (مانفريد) كان ، مثل والده الامبراطور (فريدريك الثاني) مصافياً للمسلمين ومحباً للعلوم ، وقد أكرم (ابن واصل) الذي صنف له كتاباً في المنطق بعنوان (الامبروزية) نسبة إلى الامبراطور . وذكر (ابن واصل) أنه أقام في مدينة من مدائن (آبولية) تبعد عن (رومية) مسيرة خمسة أيام (يقصد بذلك مدينة (فوجيا) وأن هناك بالقرب منها مدينة تسمى (لوجارا) أي

---

(١) المختصر ٢/٢٠٢

(٢) المختصر ٣/٣٣

(Lugera) ، أهلها كلهم مسلمون ، كان قد نقلهم الامبراطور (فريدريك الثاني) من صقلية ليكونوا حرساً خاصاً له . وكان أكثر أصحاب الامبراطور (مانفريد) مسلمين ، ويعلن في معسكره بالأذان للصلاة .[1]

كان أبو الفداء يتحلى بحس تاريخي حقيقي يساعده على تمييز الحوادث الهامة من غيرها ، وعلى نقد الرواة ، وتمحيص الأخبار ، واصطفاء المعلومات الموثوقة . وهو لم يكن ليخفى عليه أن كتب التاريخ مملوءة بكثير من القصص الخرافية والأساطير ، وأن الأخبار التي تتناقلها عن تعاقب الملوك والحكام والقادة ووصف الحروب والانقلابات وذكر الكوارث الطبيعية ، ليست جميعها مما يستحق التسجيل والحفظ . إنه كان يدرك أن أهمية الحادث التاريخي تقاس بمدى تأثيره في الأوضاع الحاضرة والمستقبلة . واذا كنا لا ننكر أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لا يخلو من بعض الحوادث التافهة والأخبار المشبوهة والقصص السخيفة فلابد لنا من الاعتراف بأن هذه الشوائب قليلة وأنه ، عند مقارنته مع نظرائه ، يبرهن على نزعة علمية ونظرة انتقادية وتفكير عقلاني . إنه ، بالإجمال ، يمتاز على كثير من كتب التاريخ باقتصاره على الأمور الهامة ، والأخبار الصحيحة .

إن أبا الفداء ، بعد أن ينقل قصص الأنبياء كما كانت ترويها اذ ذاك كافة المؤلفات التاريخية في الشرق والغرب بالاستناد الى شهادة الكتب المقدسة ، يبدأ في ذكر طبقات ملوك الفرس ويقول إن ملوك الطبقة الأولى القديمة « تروي عن مُدَد ملكهم وحروبهم أموراً يأباها العقل ، ويمجها السمع ، فأضربنا عنها لذلك ، ولم نذكر إلا ما يقرب إلى الذهن صحته »[2].

عوضاً عن ذكر التواريخ غير المحققة وجه أبو الفداء اهتمامه إلى

(١) المختصر ٤/٤٠ (٢) المختصر ١/٤١

أساليب الإدارة والسياسة لدى ملوك الفرس القدماء ، كما لخص مبادىء ديانة (زرادشت) ، ثم تعاليم (مزدك) التي تدعو الى التساوي في الأموال بين الناس ، والاشتراك في النساء ، والتي تؤمن بالتنجيم والطلاسم[١] ، والتي كان لها تأثير كبير في آراء بعض الفرق حتى العهد الإسلامي مثل القرامطة .

وعند ذكر أمة القبط نقل أبو الفداء عن كتاب (طبقات الأمم) لصاعد الأندلسي قوله : « إن سكان مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية ، وظهر بينهم علماء بضروب العلوم ، خاصة الطلسمات والنيرنجات والكيمياء ؛ وأنهم كانوا أخلاطاً من الأمم مـــا بين قبط ويونان وعماليق وروم وغيرهم ، وذلك لكثرة من تداول عليهم فإن أكثر من تملك مصر هم الغرباء »[٢] .

ولمـــا تكلم على اليونان قال : إنهم كانوا طوائف قبل (فيلبس المكدوني) وبعد أن ذكر الإسكندر وخلفاءه ، استعرض فلاسفة اليونان ، وبحث في آرائهم ومؤلفاتهم ، ونقل عن كتاب (أبي عيسى بن المنجم) قوله : « كان اليونانيون أهل شعر وفصاحة ، ثم صارت فيهم الفلسفة ، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم ، مثل العلوم المنطقية والطبيعية والآلهية والرياضية ، وكانوا يسمون العلم الرياضي (جومطريا) وهو المشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب والألحان والإيقاع وغير ذلك . وكان العالم بهذه العلوم يسمّى فيلسوفاً وتفسيره : محب الحكمة »[٣] .

وعند ذكر أمة الصين قال : « أما بلاد الصين فطويلة ، عريضة ، ويشتمل عرضها على الأقالـــيم السبعة . وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً ، وهم أحذق خلق الله بنقش وتصوير وسائر الصناعات »[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ٥٣/١
(٢) المصدر نفسه ٥٩/١ و ٨٦
(٣) » » ٨٩/١
(٤) » » ١٠١/١-١٠٢

كان أبو الفداء يكتفي هنا بالصفات العامة التي اشتهرت بها مختلف الأمم ، لأنه لم يكن في استطاعته أن يعرف عنها تواريخ مضبوطة ، ولأن مقصده من تأليف المختصر رسم صورة مجملة ، واضحة عن تاريخ البشرية .

عندما تعرض أبو الفداء إلى بلاد (عاد) التي تعرف بالأحقاف ، قال : « لقد كثر الاختلاف في أمرهم وجميع ما ذكر من ذلك مضطرب ، غير قريب للصحة ، فأضربنا عنه »(١) . وعند ذكر ملوك كندة أشار إلى قصة امرىء القيس التي تروي أن ملك الروم دس له السم في حلة فقال : « وهذا عندي من الخرافات » (٢) .

وفي الواقع كان أبو الفداء يتحاشى دوماً رواية القصص الخرافية التي كانت تزخر بها كتب المؤرخين المعاصرين له ، والتي كان يجاهر بمكافحتها . وقد نقل عن ابن الأثير أن الناس بالموصل أصابهم في سنة (٦٠٠) وجع في حلوقهم فشاع أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها ، وأن كل من لايعمل مأتماً يصيبه هذا المرض . فكان النساء وأوباش الناس يلطمون على عنقود ويقولون : « ياأم عنقود اعذرينا ، قد مات عنقود ومادرينا » . ثم يضيف أبو الفداء قائلاً : « وإنما أوردنا هذا لأن رعاع الناس إلى يومنا هذا وهو سنة ٧١٥ يقولون بأم عنقود وحديثها ليعلم تاريخ هذا الهذيان متى كان »(٣) . ورأي أبي الفداء هذا صحيح ، فإن أفضل وسيلة لتحرير عقول الناس من الخرافات والأساطير هي الدراسة التاريخية للقصص الغريبة والكشف عن حقيقة أمرها وبيان كيفية نشأتها ومراحل تطورها .

---

(١) المصدر نفسه ١/٣-١٠ (٢) المصدر نفسه ١/٧٩
(٣) « « ١٩٤/٢

بقدر ما كان أبو الفداء يُعرض عن رواية الأساطير والخرافات والقصص العجيبة كان يحرص ، بالعكس ، على الإكثار من الأخبار والأبحاث العلمية . هكذا يذكر في حوادث سنة (٢٥٩) هجرية وفاة (محمد بن موسى ابن شاكر) ، أحد الإخوة الثلاثة الذين يقول : « إنه كانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة ، وكان الغالب عليهم الهندسة والحيل (أي الميكانيك) والموسيقى » . ثم أخذ يبحث في المهمة التي عهد بها إليهم الخليفة المأمون ، وهي تحقيق ماورد في كتب الأوائل عن دور الأرض (أي محيطها) ، فشرح بالتفصيل كيف ساروا إلى صحراء سنجار ومسحوا درجة الطول .(١)

ولما سجل أبو الفداء بين حوادث سنة (٦٤٩) وفاة الشيخ (علم الدين قيصر) المعروف (بتعاسيف) قال عنه بأنه كان إماماً في العلوم الرياضية ومهندساً فاضلاً ، وذكر أن الملك المظفر ، صاحب حماة ، استخدمه فبنى له أبراجاً بحماة ، وطاحوناً على النهر العاصي ، وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم عليها جميع الكواكب المرصودة . ونقل عن القاضي (ابن واصل) قوله : « وقد ساعدت الشيخ علم الدين على عمل هذه الكرة في حماة . وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسأل عن مواضع دقيقة فيها . »(٢) و (تعاسيف) هذا هو الذي طلب منه الملك (الكامل) الإجابة على المسائل الرياضية والفلسفية التي أرسلها إليه الامبرطور (فريدريك الثاني) .(٣)

كان المؤرخون قد بدأوا منذ صدر الإسلام يهتمون بتراجم أحوال الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، فنشأت كتب (الطبقات) الأولى لهؤلاء ، ثم اتسعت دائرة الاهتمام حتى شملت الفقهاء والمتصوفين والنحاة والشعراء والأدباء والفلاسفة والأطباء وغيرهم . وفي هذا الصدد أبدى المستشرق النساوي

(١) المصدر نفسه ٢/٥١ – ٥٢ (٢) المصدر نفسه ٣/١٨١

(٣) راجع المقريزي ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٣٢

(شبرنغر Sprenger) الملاحظة التالية : « من المبادىء الأساسية النبيلة عند العرب والمسلمين احترام الذات والكرامة الشخصية . فإن لكل فرد قيمته ومكانته . لذلك فإن الكتب التي ألفها المسلمون في التراجم والأنساب تفوق في عددها كل ما كتبته الأمم الأخرى السابقة والمعاصرة لهم معاً » .

ولم يقتصر الأمر على كتب التراجم بل إن التواريخ العامة ، وبالأخص الحوليات جميعاً تشتمل أيضاً على سير الكثيرين من (الأعيان) . ومثل غيره من مؤلفي الحوليات كان أبو الفداء أيضاً يذكر ضمن حوادث كل سنة المشاهير الذين ماتوا فيها . إلا أن هناك فرقاً بينه وبين أكثر المؤرخين المعاصرين الذين يحشرون أكبر عدد ممكن من أسماء الأشخاص ، سواء كانوا بارزين حقاً أو مجرد مشتغلين بالقراءة والحفظ أو الخطابة والوعظ . فقد كان أبو الفداء يقتصر على الشخصيات البارزة من كبار علماء اللغة والأدباء والشعراء ، ويؤثر على الأخص الأطباء والمهندسين والفلاسفة . وكان بارعاً في تصوير حياة هؤلاء المشاهير بكلمات قليلة تبرز الصفات الجوهرية ، وتكشف عن الخصائص المميزة ، كما كان يروي عن أبطاله بعض الأقوال والأشعار والقصص التي تعكس أحوال البيئة والظروف التاريخية ، وتتضمن أحياناً نقداً ، ولا تخلو أحياناً أخرى من نكتة ظريفة ، أو دعابة لطيفة . هكذا كتب أبو الفداء تراجم وافية جيدة لأبي بكر الرازي ، والفارابي ، وابن سينا ، ونصير الدين الطوسي ، ثم للشافعي ، والأشعري ، وسيبويه ، والفراء ، والجاحظ ، والطبري ، وابن الأثير . وقد تكلم بإسهاب عن الإمام فخر الدين الرازي الذي يصفه بأنه كان أوحد زمانه في المعقولات والأصول ، ثم يروي كيف ثار عليه في سنة (٥٩٥) فقهاء الكرامية والحنفية بهراة في ما وراء النهر ، ونسبوه إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة ، فاضطر أن يلجأ إلى

صاحب (غزنة) ، وإلى السلطان خوارزم شاه اللذين حظي لديها ، وينقل من نظم فخرالدين الرازي الأبيات التالية :(١)

نهاية إقــدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانــا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويروي أبو الفداء قصة أمين الدولة بن التلميذ الذي كان طبيب دار الخلافة في عهد المقتفي ، ويصفه بأنه كان حاذقــاً ، فاضلاً ، ظريف الشخص ، عالي الهمة ، مصيب الفكر ، ويقول عنه إنه كان شيخ النصارى وقسيسهم ، وله في الأدب يد طولى ، وكان متفنناً في العلوم ، وخلف تصانيف حسنة ، منها كتاب (اقراباذين) وهو المعتمد عليه عند الأطباء . ومن معاصري ابن التلميذ أبو البركات بن ملكان الحكيم صاحب كتاب المعتبر في الحكمة . وكان بينهما تنافس كما يقع كثيراً بين أهل كل صنعة . وكان أبو البركات يهودياً ثم أسلم في آخر عمره ، وكان متكبراً ، بخلاف ابن التلميذ الذي عرف بالتواضع ، فنظم فيه هذه الأبيات :

لنا صديق يهودي ، حماقتــه إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منـه منزلة كأنه بعدُ لم يخرج من التيه (٢)

وفي حوادث سنة ٥٨٤ يذكر أبو الفداء وفاة محمد بن الكاتب المعروف بالتعاويذي ، الشاعر المشهور الذي شاعت قصائده في الغزل والنسيب ، والذي له غير ذلك أشياء حسنة أيضاً ، منها الأبيات التي صنعها على أثر مصادرة جماعة من أهل الدواوين في بغداد وهي :

يا قاصداً بغداد جز عن بلدةٍ للجور فيهــا زجرة وعتاب

(١) المختصر ٣/١٠١ - ١٠٢ و ١١٨ (٢) المختصر ٣/٥٤

إن كنت طالب حاجةٍ فارجع فقد
سُدّت على الراجي بها الأبواب
والناس قد قامت قيامتهم فلا أنساب بينهم ولا أسباب
والمرء يسلمه أبوه وعرسه ويخونه القرباء والأحباب
لا شافع تغني شفاعته ولا جــان له مما جناه متاب (١)

وفي حوادث سنة ٦١٢ يتعرض أبو الفداء إلى الوجيه المبارك بن أبي الأزهر الذي اشتغل بعلم العربية وولي تدريس النحو بالمدرسة النظامية في بغداد ، وكان حنبلياً ، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعياً ، فقال فيه أبو البركات زيد التكريتي :

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وفارقته إذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تديناً ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر
إلى مالك فافطن (لما) أنت قائل (٢)

وفي سنة ٦٣٤ — ٦٣٥ أوفد الخليفة أبو جعفر المستنصر بالله رسولاً لتهنئة الملك (العادل) بالسلطنة واستخلافه للمستنصر وللإصلاح بين العادل وأخيه الصالح أيوب ، وكان هذا السفير هو محيي الدين يوسف بن أبي الفرج الجوزي ، الذي سبق له القيام بمثل هذه المهمة في مناسبات أخرى ، وقد اتفق أن مات في حضوره أربعة من السلاطين العظماء : هم الملك (الكامل) صاحب مصر ، وأخوه (الأشرف) صاحب دمشق ، و (العزيز) صاحب حلب ، و (كيقباذ) صاحب بلاد الروم ، فقال في ذلك (ابن المسجف) ، أحد شعراء دمشق :

(١) المختصر ٣/٨٠ (٢) المصدر نفسه ٣/١٢٣

يا إمام الهدى أبا جعفر المنـ ـصور يا من له الفخـار الأثيل
ماجرى من رسولك الآن يحيي الدين في هـذه البلاد قليل
جاء والأرض بالسلاطين تزهى وغدا والديـار منهم طلول
أفقر الروم والشآم ومصر أفهـذا مغسّل أم رسول ؟ (١)

وعندما تكلم أبو الفداء على استسلام الصليبيين المحاصرين في (دمياط) وعلى رأسهم ملك فرنسا (لويس التاسع) في يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر سنة ٦٤٨ الموافق ٦ أيار سنة ١٢٥٠ وورود البشرى بذلك إلى سائر الأقطار ، ذكر الأبيات التي نظمها الشاعر جمال الدين يحيى بن مطروح بهذه المناسبة وهي :

قل للفرنسيس إذا جئته مقـال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصراً تبتغي ملكها تحسب أن الزمر يا طبل ريح
وكل أصحابك أوردتهم بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفاً لا يرى منهم غير قتيـل أو أسير جريح
وقل لهم إن أضمروا عودة لأخذ ثـأر أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها
والقيـد باقي والطواشي صبيح (٢)

[دار لقمان هي التي كان ينزلها كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان والتي سكن فيها ملك فرنسا بعد أسره ، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي لحراسته] .

لا شك في أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ينقصه الكثير من المزايا التي نجدها في كتاب (الكامل) لابن الأثير مثل تنوع

(١) المختصر ٣/١٧١-١٧٢ (٢) المصدر نفسه ٣/١٩٠ - ١٩١

المعلومات ، ووفرة الوثائق ، والتوازن بين مختلف العصور والأقاليم ، والتعليقات ، والتأملات حول الأحداث الهامّة ، والأسلوب الجميل في عرض الوقائع بصورة متسلسلة ، متماسكة .

وفي الواقع لم يفكر أبو الفداء ، بادىء الأمر ، في تأليف كتاب شامل . فلم يضع مخططاً لأجزاء الكتاب وفصوله ، ولم يقصد توجيه الكلام إلى القراء ، وشرح آرائه في أحداث التاريخ وتعليلها . وهو إنما قام بتدوين بعض التواريخ لتكون تذكرة له تغنيه عن مراجعة الكتب المطولة ، وقد كتب هذه المذكرات بأسلوب بسيط ، بل جاف ومختصر للغاية .

على الرغم من هذه الشوائب فقد نال كتاب (المختصر في أخبار البشر) شهرة واسعة سواء في العالم الإسلامي أو في بلاد الغرب . والسبب في هذا التقدير هو أن أبا الفداء استطاع اختصار مجموعة من الكتب التاريخية القيمة ، ضاع بعضها ، وألف منها خلاصة مكثفة ، منقحة ، بذل كل جهده في تحقيق وضبط ما ورد فيها من تواريخ وأسماء . وإذا كان الباحثون في الوقت الحاضر لم يعودوا يرجعون إلى كتاب (المختصر في أخبار البشر) كمنبع للمعلومات عن الأمم القديمة والعصور الإسلامية الأولى بعد أن نشرت المصادر الأصلية ، المفصّلة ، فإن الفصول الأخيرة من الكتاب المتعلقة بالعصر الذي عاش فيه المؤلف ، وبالأخص زمن الحروب الصليبية وعهد الأيوبيين والخوارزميين والمماليك ، ما زالت تستحق كل اهتمام ، لأن قسماً كبيراً من حوادث هذه الحقبة قد شاهدها أبو الفداء بنفسه ، واشترك فيها وأحسن وصفها بأسلوب مبين ، واضح ، دقيق ، بعيد عن التزويق والتنميق ، مقتصراً على الأمور الهامة . ولعل من أهم العوامل التي دفعت المستشرقين إلى الاعتماد على كتاب (المختصر في أخبار البشر) هو التزام

المؤلف بهذه الطريقة العلمية ، الموضوعية ، حتى عندمـــا يسرد حوادث الحروب الصليبية ، أو يتكلم على أفراد أسرته ، دون أن يبدو عليه شيء من التعصب والانحياز .

وقد اتجهت أنظار الباحثين الأوروبيين منذ أوائل القرن الثامن عشر ، إلى نشر أجزاء منه مع ترجمتها اللاتينية . ثم نشر الكتاب كله على مراحل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وترجم إلى اللاتينية والفرنسية والانكليزية ، كما نقل إلى لغة (الأوردو) وطبع في دلهي سنة ١٨٥٦ . وقد ظل الكتاب يعتبر مدة طويلة أهم مصدر يستند إليه المستشرقون في دراساتهم لتاريخ العرب والإسلام ، وبالأخص تاريخ الحروب الصليبية . ويقول (رينو) و (دوسلان) إنه قد حوى أخباراً ما كان يتسنى معرفتها بدونه [١] .

إن أبا الفداء الذي احتفلنا بمرور ٧٠٠ سنة على مولده يستحق كل عناية وتقدير ، لما امتاز به من معرفة واسعة ، وحب الاطلاع والبحث ، ومن نزعة علمية ، وطريقة انتقادية ، ونظرة حيادية ، موضوعية . وهو جدير بأن ندرس آثاره ونبرز قيمتها العلمية ، ومكانتها في تاريخ العلوم ، وتطور الفكر البشري .

محمد كامل عياد

---

(١) راجع كتاب (تقويم البلدان) طبعة باريس ١٨٤٠ التصدير ص ٢٩

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

أ ـ كتب الغريب قبل كتاب الدلائل :

١

لما حج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة حجة الوداع ، وخطب الناس خطبته الشهيرة الجامعة التي بين لهم فيها ما بيّن ، كان مما قاله في خطبته : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » (١) .

وخرج العرب المؤمنون من جزيرتهم يداً واحدة ، يبشرون بالهدى ودين الحق ، فدانت لهم الأرض ما بين بحر الظلمات إلى أسوار الصين ، غدت بهم نقية كالزلفة (٢) ، تنبت ثمراتها وتمنح خيراتها ، تظللها رايات العدل ، ويسودها الإخاء والتقوى ؛ واستمسك أصحاب رسول الله بدعامتي الإسلام : القرآن والسنة أيما استمساك ، وكانوا الأقوياء الأمناء عليها ، مضوا يتدارسون ما فيها ليتفقهوا في الدين وليعلموا قومهم ، فهم أبداً يعلّمون ويتعلمون ، صباحهم ومساءهم لا يفترون ، شعارهم : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ سورة الزمر : ٩) ، يحفزهم

---

(١) المستدرك للحاكم (كتاب العلم) ١ : ٩٣ ، فيض القدير ٣ : ٢٤٠ـ ٢٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٩

(٢) الزلفة : بفتح الزاي واللام ، المرآة ، شبهت الأرض بها لصفائها ونظافتها ، وقيل : هي الروضة . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٦٩

الإيمان ، وتملأ صدورهم الحمية ، وليس أقوى منها ، وتلقى الخلف الثروة عن السلف ، وثمّر الأبناء ما غرس الآباء ، فتفتحت من الكتاب والسنة حدائق ذات بهجة ، باسقات الأشجار ، ظلها دائم ، وقطوفها دانية ، لست في صدد عرضها وتعدادها ، فقد كفى ذلك المؤلفون المتقدمون ، ومن أراد اللمحة الدالة فله العود إلى « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي ، « وكل علم فمن القرآن »(١) ، وإلى مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، « والسنة تفسر القرآن وتبينه »(٢) ، وإنما يعنيني في كلمتي هذه أن أقف عند علم واحد من تلك العلوم الجمة التي نجمت عن مدارسة الحديث ، وتفهم معانيه ومقاصده ، لا أعدوه إلى سواه ، ألا وهو علم « غريب الحديث » .

٢

نشأ علم « غريب الحديث » نشأته الأولى على أيدي العلماء من أئمة اللغة ، ليُعنى بشرح الكلمات الغامضة الغريبة في حديث رسول الله ، وتفسير ما خفي من معانيه وأساليبه من المشكل الذي لا يفطن إليه إلا بعد الكد والمطاولة . كان علماء اللغة هم فرسان هذا الميدان الذين جروا في مضماره : جرؤوا عليه ، وتفردوا به ، فعرضوا للغريب الغامض في حديث رسول الله من الألفاظ والأساليب ففسروه ، وجلوا معناه ، وكشفوا عن مراميه ، وأبدوا ما ذهبوا إليه من تفسير وشرح بالشواهد من شعر العرب .

ويذكر لنا ابن النديم في كتابه « الفهرست » أوائل من ألّف

(١) التيسير في علوم التفسير للديريني : ٢

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٤١ ، ٢٥٢ ، الاختلاف في اللفظ : ٣٤

في غريب الحديث ، فعدّ منهم أبا عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ) وأبا الحسن النضر بن شميل المازني (٢٠٤ هـ) وأبا علي محمد بن المستنير الملقب بقطرب (٢٠٦ هـ) واسم كتابه : « غريب الآثار » وأبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٣ هـ) وأبا عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢١٣ هـ) « ومن روى كتابه في غريب الحديث عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عمرو الشيباني » ، وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) وأبا عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي الراوية ، وأبا عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (٢٣١ هـ)[١] .

وذكر الخطيب البغدادي من بينهم أيضاً أبا الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط (٢١١ هـ)[٢] ، ونستطيع أن نتلمس صنيع هؤلاء الأئمة في كلمة أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي (٣٤٧ هـ) التي رواها الخطيب البغدادي ، وهو يتحدث عن غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قال : « أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ، ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أبو عدنان النحوي البصري كتاباً في غريب الحديث ذكر فيه

(١) الفهرست : ٧٤، ٨٣ – ٨٥ ، ٨٧ – ٨٨ ، ١٠٨ – ١٠٩ ، ١٣٥ (ط.مصر) نور القبس : ٢١٧ – ٢١٨ ، مراتب النحويين : ٩١ ، وظل كتاب شرح (غريب الحديث) لأبي عبيدة متداولاً دهراً طويلاً . فكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير الأموي الاشبيلي (٥٠٢ – ٥٧٥ هـ) ، حدثه به الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) ، انظر فهرست ابن خير : ١٨٥ — ١٨٦ . وروى الأزهري في تهذيبه بسنده ، من غريب الحديث للنضر بن شميل (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٣ — ٥٤)

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

الأسانيد ، وصنفه على أبواب السنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير »[١] ، كذلك فإن صاحب « الفهرست » قال في صنيع أبي عدنان : « وله كتاب غريب الحديث ، وترجمته : ما جاء من الحديث المأثور عن النبي ﷺ مفسراً ، وعلى أثره ما فسره العلماء من السلف »[٢] .

ويتحدث ابن الأثير « أبو السعادات المبارك مجد الدين ـ ٦٠٦ هـ » عن هذه المرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، ويصف الطريقة التي انتهجها أئمة اللغة في التأليف فيقول : « فقيل : إن أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن كل مبتدىء لشيء لم يسبق إليه ، ومخترع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر .

والثاني : أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم .

ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة ، وشرح فيه وبسط ، على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قريب الأصمعي ، وكان في عصر

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

(٢) الفهرست : ٧٤ ، انباه الرواة ٤ : ١٤٢ . وترجمة الكتاب : عنوانه ، قال ابن قتيبة في مقدمة إصلاح الغلط : ٣ « لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته » ، وسئل الرماني فقيل له : لكل كتاب ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله تعالى ؟! فقال : هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به (البلغة للفيروز ابادي : ١٥٩ — ١٦٠) .

أبي عبيدة وتأخر عنه ، كتاباً أحسن فيه الصنع وأجـــاد ، ونيّف على كتابه وزاد [١] ، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب وغيره من أئمة اللغة والفقه ، جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها ، في أوراق ذوات عـــدد ، ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر »[٢] .

— لقد استأثر اللغويون بالمرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، وكانت طريقتهم أن يأتوا بالحديث مجرداً عن سنده ، ليتفرغوا لتفسير الغريب من كلماته ، والغامض المشكل من أساليبه ، لم يشذ منهم أحد عن ذلك ، غير أبي عدنان الذي خرج على إجماعهم ، فساق في كتابه الأحاديث بأسانيدها ، وصنفها على أبواب السنن والفقه ، ثم كانت تآليفهم ، في الأعم الأغلب ، صغيرة ، موجزة ، لا تتوخى الإحاطة والشمول .

— ويذكر المؤلفون أن أبا بكر الحسين بن عياش السلمي الباجدائي الرقي الجزري (٢٠٤ هـ) قد ألّف مصنفاً في غريب الحديث ، وكان الحسين أديباً ، فاضلاً ، فصيحاً ، ولكننا لا نستطيع أن ندرج اسمه بين أئمة اللغة ، وليس بين أيدينا وصف لكتابه الذي وضعه ، ورواه عنه أبو عمرو هلال بن العلاء

---

(١) يقول ابن النديم في الفهرست : ٨٨ - ٨٩ ، وهو يعدد كتب الأصمعي : « وله كتاب غريب الحديث ، نحو مائتي ورقة ، رأيته بخط السكري » . ثم يذكر له مرة أخرى في الموضع نفسه : « كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي » . أما الإمام الخطابي ، فقد ذكر ، وهو يعدّد كتب غريب الحديث ، كتاب الأصمعي وقال : « يقع في ورقات معدودة » ، انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (هـ) من المقدمة ، ويذكر ذاكرون أن الأصمعي لم يكن يجيب في القرآن وحديث النبي تحرجاً وورعاً (مراتب النحويين ٤١ ، ٤٨-٤٩)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ط . الخيرية) ١ : ٤ — ٥

الباهلي الرقي (١٨٤ — ٢٨٠ ﻫ) ثم رواه عن هلال أبو القاسم الحسين بن عبد الله بن مناذر الواسطي (١) .

٣

وإذا كانت الفترة الزمنية لهذه المرحلة تبدأ في القرن الثاني الهجري لتختم في مطالع القرن الثالث ، فإنه يحق لنا أن نضم إليها كتباً ألفها أصحابها في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وهي بذلك تتداخل من الناحية الزمنية بكتب المرحلة الثانية ، ولكنها ، من حيث طريقة تأليفها ، أشبه بكتب المرحلة الأولى ، بل هي امتداد وتتمة لها .

وأبرز من نعدهم في هذا الصدد من مؤلفي هذا النمط من كتب الغريب :

عمرو بن أبي عمرو الشيباني (٢٣١ ﻫ) وأبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم (٢٣٠ ﻫ) وصاحبا الفراء : أبو جعفر محمد بن قادم ، وأبو محمد سلمة بن عاصم الكوفي ، وأبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥ ﻫ) وأبو معاذ النحوي اللغوي صاحب القراءات ، وأبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي (٢٥٥ ﻫ) وكتابه في غريب الحديث كبير جداً (٢) .

---

(١) الفهرست : ٩٦ (ط . إيران) ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٦٢ — ٣٦٣ ، ١١ : ٨٣ — ٨٤ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (ﻫ) من المقدمة ، ولعل في المطبوع من تاريخ بغداد سقطاً ، إذ لم يرد فيه ترجمة الحسين بن عياش السلمي. وذكر صاحب تاريخ الموصل : ٣٥٥ ، في أحداث سنة ٢٠٤ ﻫ ، موت الحسن ابن العباس الخزرجي وقال فيه : « وهو مولى لبني سليم ، وكان فصيحاً ، وله كتاب في غريب الحديث » . ويبدو لي أن الاسم والنسبة محرفان عن الحسين بن عياش الجزري.

(٢) الفهرست : ٨٩ — ٩٠ ، ١٠٦ — ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، بغية الوعاة : ٢٦٦ — ٢٦٧ ، انباه الرواة ٤ : ١٧٩ ، غريب الحديث لأبي عبيد الصفحة (ﻫ) . من المقدمة ، مقدمة تهذيب اللغة للأزهري : ٦٥ — ٦٨ ، وجعل الأزهري أبا معاذ النحوي في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، مع أبي عبيد القاسم بن سلام (مقدمة تهذيب اللغة : ٦٥) . .

٤

وبدأت المرحلة الثانية في علم « غريب الحديث » بظهور كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الأزدي البغدادي (١) .

١ – ولد أبو عبيد (٢) بهراة ، في حدود عام ١٥٧ هـ ، وتبينت فيه مخايل النجابة والنبوغ منذ صغره ، فطلب العلم ، وسمع الحديث ، ودرس الأدب ، ونظر في الفقه ، وروى اللغة عن أعظم علماء عصره من أئمة اللغة ، أمثال أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد اليزيدي ، وغيرهم من البصريين ، وأمثال ابن الاعرابي وأبي زياد الكلابي وأبي محمد عبد الله بن سعيد الاموي ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والأحمر والفراء ، وأبي الحسن علي بن حازم اللحياني وغيرهم من الكوفيين .

– وصل أبو عبيد أسبابه ببعض الحكام والأمراء في عصره ، كان مؤدباً لأولاد المراغة ، وتوثقت علاقاته بآل طاهر بن الحسين أمراء خراسان ، وبعبد الله بن طاهر منهم خاصة ، وعلت منزلته لديهم ، ولما

---

(١) طبع كتاب غريب الحديث لأبي عبيد في الهند ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر أباد الدكن ، وصدرت أجزاؤه الأربعة ما بين سنتي (١٩٦٤ – ١٩٦٧ م) وصدر مصححه محمد عظيم الدين جزءه الأول بمقدمة فيها نقول من مخطوطة كتاب غريب الحديث للخطابي ، المحفوظة في مكتبة الجامعة العثمانية .

(٢) انظر أبرز مصادر ترجمة أبي عبيد في انباه الرواة ٣ : ١٢ (الحاشية) والأعلام ٦ : ١٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ : ١٠١ – ١٠٢ ، ووفيات الأعيان (ح ، الدكتور إحسان عباس) ٤ : ٦٠ (الحاشية) ، ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية الجديدة) ١ : ١٦١ – ١٦٢

قدم بغداد وأقام بها يؤلف ويعلم ، تعرّف إلى ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ، وتولى ثابت أمر الثغور في عام ١٩٢ هـ ، أواخر عهد الرشيد؛ فاصطحب أبا عبيد إلى طرسوس وولاه القضاء بها ثماني عشرة سنة (١٩٢ - ٢١٠ هـ) وقُدّر لأبي عبيد أن يسافر إلى مصر ، مع العالم المحدث الكبير يحيى بن معين ، في سنة ٢١٣ هـ ، فاستفاد ممن لقيه بها من العلماء وأفاد ، (كتب بمصر وحُكي عنه) ، ثم عاد إلى بغداد ، واستأنف سيرته الأولى يؤلف ويعلم ، ويذكر أبو بكر سنان بن محمد أنه سمع من أبي عبيد ببغداد سنة عشرين وإحدى وعشرين ومائتين ، ولحق أبو عبيد في أخريات أيامه بمكة مجاوراً ، بعد أن صنف ما صنف من كتبه ، ولم يزل بها إلى أن توفي في عام ٢٢٤ هـ ، وقد بلغ سبعاً وستين سنة .

كان أبو عبيد ذا فضل ودين وسيرة جميلة ومذهب حسن ، عده الأزهري في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، وقال في صفته : « وكان ديناً ، فاضلاً ، عالماً ، أديباً ، فقيهاً ، صاحب سنة ، معنياً بعلم القرآن وسنن رسول الله ﷺ ، والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل »(١) ويعده علماء اللغة الكوفيون من أبرز علمائهم ، وكبار أئمتهم(٢).

٢ - صنف أبو عبيد الكتب في فنون شتى ، في علوم اللغة والفقه ، والقرآن ، وغريب الحديث ، والامثال ، ومعاني الشعر ، وغير ذلك ،

(١) الفهرست : ٧٨ ، ١١٢ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ - ٤١٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ - ٦١ ، انباه الرواة ٢ : ٢٥٥، ٢٥٧ ، ٣ : ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، نور القبس : ٣١٤ - ٣١٥ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ ، تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٩ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، كتاب الأموال : ٢ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٥ - ٣١٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٥٩ - ٢٦٢ ، غريب الحديث لأبي عبيد ١ : ٢٢٦

(٢) مراتب النحويين : ٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٩٩ - ٢٠٢

وكان حسن الرواية، صحيح النقل، روى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً، عدَّ منها صاحب الفهرست عشرين كتاباً، وذكر أن له غير ذلك من الكتب الفقهية [1].

وكانت كتبه مستحسنة، مطلوبة في كل بلد، وقد أجزل له الامراء، وبنو طاهر بن الحسين خاصة، العطاء اعترافاً بفضله، وجودة تآليفه. قال أبو الطيب اللغوي: «وكان أبو عبيد يسبق بمصنفاته إلى الملوك فيجيزونه عليها، فلذلك كثرت مصنفاته» [2]. وحظي أبو عبيد برواة ثقات مشهورين، ذوي ذكر ونبل، نبغوا وتصدروا للاقراء والافادة، حملوا علمه إلى الآفاق، وأقرأوا كتبه، ونشروا مروياته ومسموعاته [3].

٣ - ليس من همنا الحديث عن كتب أبي عبيد، المطبوع منها والمخطوط [4]، وإنما غرضنا أن نعرض بايجاز لكتابه الشهير (غريب

---

(١) الفهرست : ١١٢ — ١١٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ : وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ ، نور القبس : ٣١٥

(٢) الفهرست : ١١٢ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤

(٣) الفهرست : ٧٧ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٥٧ — ٥٨ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٠٥ - ٢٠٧ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ ، فهرست ابن خير : ١٨٦ — ١٨٧ ، انباه الرواة ١ : ٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢ : ١٤٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣ : ٢١ — ٢٢ ، ٢٦٣

(٤) المطبوع من كتب أبي عبيد :

أ — كتاب الامثال (انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ١٢١) ، كما طبع شرحه :

— فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري (ط ١ ، ١٩٥٨ م ، ط ٢ ، ١٩٧١ م) .

ب — كتاب الأموال (مصر ١٣٥٣ ﻫ)

ج — كتاب الأجناس (الهند ١٩٣٨ م)

=

الحديث) ؛ الذي يعد بدءاً لمرحلة جديدة من مراحل التأليف في هذا الفن .

– كان السابقون ممن عرضوا لغريب الحديث من أئمة اللغة المشهورين ، ولم يكن لهم كبير مشاركة في علوم أخرى ، أما أبو عبيد فكان أول من تصدى لهذا الفن من التأليف ، ولم تكن اللغة وحدها كل زاده ، كان ، كما ذكرنا ، متفنناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والحديث والعربية والاخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، حتى قال فيه ابراهيم الحربي : « كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح ، يتكلم في كل صنف من العلم » . وأعانه ذلك على أن ينهج في تأليفه نهجاً جديداً ، يفيد فيه من مشاركته في علوم عدة متنوعة ، تتصل بالحديث متناً واسناداً ، ليخرج به على السنن الذي سلكه سابقوه في التأليف(١) .

– تتبع ابو عبيد أحاديث رسول الله على كثرتها ، وآثار الصحابة والتابعين ، على تفرقها وتعددها ، وأحاط بكل ما ألف قبله في هذا الشأن ، واستوعب كل ما سبقه ، فلما تكامل له جمع ما احتاج الى بيانه من الأحاديث

= د – كتاب غريب الحديث (الهند ١٩٦٤ – ١٩٦٧ م)
هـ – كتاب الإيمان (دمشق ١٣٨٥ هـ)
ونسب إليه :
و – كتاب النعم (ليبزيغ ١٩٠٨ م)
ز – رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات العرب ، طبعت بهامش كتاب التيسير في علوم التفسير للديريني (مصر ١٣١٠ هـ)
ح – كتاب الرحل والمنزل (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)
ط – كتاب النخل والكرم (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١١ ، ٤١٣ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٨٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١

عرضها في كتابه مشفوعة بأسانيدها ، وهذا مالم يقو عليه سابقوه ، ولا تطرقوا اليه(١) .

-- كانت طريقته ان يورد الحديث ، ثم يعقب بذكر سنده ، ليمضي بعد ذلك في الكشف عما غمض من كلماته ، ويفسر الغريب من الفاظه ، وإذا اتفق أن كان اللفظ من المشترك فقد يتطرق إلى ذكر جملة من معانيه ، إضافة إلى معناه الوارد في الحديث . وقد يدعوه تفسير لفظة إلى تفسير أخوات لها تلاقيها في الاشتقاق . ويمتد به نفس القول احياناً ، فيما أشكل من الاحاديث ، فيمدُّ من اطراف الشرح والتفسير ، ايضاحاً لمعناها ، وبياناً لوجهها ، وتأويلاً لمتشابهها ، وقد يستطرد الى ألوان من الفقه ، وبسط للأحكام ، ناقلاً في شروحه وتفاسيره أقوال ائمة اللغة ، مؤيداً قوله بآيات من القرآن وبشواهد من الشعر ، ليسترسل احياناً في تفسير ما جاء في الآيات والشعر من غريب .

-- بدأ ابو عبيد كتابه بذكر أحاديث رسول الله ، ثم أتبعها ذكر أحاديث الصحابة فالتابعين ، كل على حدته(٢) . وعني ابو عبيد بكتابه أتم عناية ، بذل فيه جهده وكده ، وأفنى فيه عمره ، حتي بلغ فيه ما بلغ من الاجادة والاتقان في التصنيف . كان كلامه (كالمسمار في الساج) دقة وتحقيقاً ، واستهرت طريقته الجديدة التي سلكها في التأليف أهل الحديث والفقه واللغة ، فرغبوا في كتابه ، وتسابقوا الى دراسته ، لاجتماع ما يحتاجون اليه فيه(٣) .

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، وقد شغلت أحاديث رسول الله الجزء من الأول والثاني من الكتاب المطبوع ، وسبع صفحات ومائتين من الجزء الثالث ، أما أحاديث الصحابة فقد شغلت بقية الجزء الثالث (ص : ٢٠٨ — ٤٨٦) ، وإحدى وأربعين وثلثمائة صفحة من الجزء الرابع ، وكان لأحاديث التابعين بقية الجزء الرابع ما بين الصفحة ٣٤٢ إلى الصفحة ٥٠٠

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥

٤ - ولعل من الخير أن نقتطف من كتاب غريب الحديث ما نتمثل به طريقة ابي عبيد واضحة جلية .

- (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : الطيرة والعيافة والطرق من الجبت[١] ، قال : حدثناه الفزاري مروان واسحاق الأزرق أو أحدهما ، عن عوف عن حيان عن قطن بن قبيصة عن قبيصة بن مخارق الهلالي عن النبي ﷺ .

قال أبو عبيد : قوله : العيافة ، يعني زجر الطير ، يقال منه : عفت الطير أعيفها عيافة ، ويقال في غير هذا : عافت الطير تعيف عيفاً ، اذا كانت تحوم على الماء ، وعاف الطعام يعافه عيافاً ، وذلك اذا كرهه .

وأما قوله : « في الطرق » فانه الضرب بالعصا ، ومنه قول لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالعصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال : بعضهم يرويه : الضوارب بالعصا ، ومعناهما واحد ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد ، لأنه يطرق بها ، اي يضرب ، وكذلك عصا النجاد التي يضرب بها الصوف .

والطرق ايضاً في غير هذا : الماء الذي قد خوضته الابل وبولت فيه ، فهو طرق ومطروق ، ومنه حديث ابراهيم : الوضوء بالطرق أحب الي من التيمم ، وأما الطروق فانه من الطارق الذي يطرق ليلا ، وأما الاطراق فانه يكون من السكوت ، ويكون ايضاً استرخاء في جفون العين ، يقال منه : رجل مطرق . قال الشاعر في عمر بن الخطاب يرثيه :

وما كنت أخشى ان تكون وفاته بكفى سبنتى أزرق العين مطرق[٢]

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٩٤ ، والنهاية (ح . الطناحي) ٣ : ١٢١ ، ٣٣٠

(٢) ينسب البيت للشماخ ، ولاخويه مزرد وجزء ، انظر البيان والتبيين ٣ : ٣٦٤ ، وشرح ديوان الحماسةللمرزوقي ،ق ٣ : ١٠٩٠ - ١٠٩٢ ، والاصابة ٦ : ٨٥

وأما التطارق فهو اتباع القوم بعضهم بعضا ، يقال : قد تطارق القوم اذا فعلوا ذلك ، ومنه قيل للترسة : المجانّ المطرقة ، يعني قد اطرقت بالجلود والعصب اي ألبسته ، وكذلك النعل المطرقة ، هي التي أضيفت اليها أخرى . واحد المجان : مجن).[1]

---

(١) غريب الحديث ٢ : ٤٤ - ٤٨ ، والحديث صالح الاسناد

— مروان الفزاري ، شيخ أبي عبيد ، هو مروان بن معاوية ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ ، إلا أنه كان يدلس أسماء الشيوخ . مترجم في الجرح والتعديل ٤/١ : ٢٧٢ — ٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٥ — ٢٩٦ ،وميزان الاعتدال ٤ : ٩٣ — ٩٤ ، والعبر ١ : ٣١١ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٩٦- ٩٨ ، والتقريب ٢ : ٢٣٩

— وإسحاق الأزرق ، شيخ أبي عبيد الآخر ، هو إسحاق بن يوسف ابن مرداس المخزومي الواسطي ، من الثقات المأمونين . مترجم في الجرح والتعديل ١/١ : ٢٣٨ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٣١٥ وتاريخ واسط : ١٥٦ — ١٥٧ وتاريخ بغداد ٦ : ٣١٩ - ٣٢١ وتذكرة الحفاظ : ٣٢٠ — ٣٢١ ، والعبر ١ : ٣١٨ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٢٥٧ والتقريب ١ : ٩٣

— وعوف ، هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي الهجري أبو سهل البصري ، ثقة . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٥٨ ، والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٥ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٠٥ ، والعبر ١ : ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ١٦٦ — ١٦٧ ، والتقريب ٢ : ٨٩

— وحيان ، هو حيان بن العلاء ، قال فيه الحافظ في التقريب ١ : ٢٠٨ ، مقبول . وهو مترجم في الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٦٨

— وقطن بن قبيصة ، قال فيه الحافظ في التقريب ٢ : ١٢٦ ، صدوق . مترجم في أخبار أصبهان ٢ : ١٥٨ والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٣٧ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٨١

— وقبيصة بن مخارق الهلالي ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٥ ،=

-- (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : ان افضل الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر(١) ، حدثنيه يحيى بن سعيد ومحمد بن عمر الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد ، قال يحيى : عن عبد الله بن لحي ، وقال محمد : عن عبد الله بن نجي ، عن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ .

قال ابو عبيد : قوله : يوم القر ، يعني الغد من يوم النحر ، وانما سمي يوم القر ، لان اهل الموسم يوم التروية وعرفة والنحر في تعب من الحج ، فاذا كان الغد من يوم النحر قروا بمنى ، فلهذا سمي يوم القر ، وهو معروف من كلام اهل الحجاز .

قال ابو عبيد : سألت عنه ابا عبيدة وابا عمرو [الشيباني] فلم يعرفاه ، ولا الاصمعي فيما أعلم) (٢) .

= والإصابة ٥ : ٢٢٧ ، والتهذيب ٨ : ٣٥٠ والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٧٧ عن يحيى بن سعيد عن عوف به ، وفيه بعده قال : العيافة من الزجر ، والطرق من الخط ، ثم أخرجه ٥ : ٦٠ عن روح عن عوف به أيضاً .

وأخرجه أبو داود ٤ : ٢٣ (عون المعبود) عن مسدد عن يحيى عن عوف به ، وفيه عقبه : « الطرق : الزجر ، والعيافة : الخط » عكس ما جاء عند أحمد في الموضع الأول . وأخرجه ابن سعد في ترجمة قبيصة في الطبقات ، عن أحمد بن جعفر بن مالك ، عن بشر بن موسى عن هوذة بن خليفة عن عوف به أيضاً .

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٣٢٦ ، والنهاية (ح ، الطناحي) ٤ : ٣٧

(٢) غريب الحديث ٢ : ٥٢ - ٥٣

-- ويحيى بن سعيد ، شيخ أبي عبيد ، هو يحيى بن سعيد القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٩٣ ، والجرح والتعديل ٤/٢ : ١٥٠ - ١٥١ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٣٥ - ١٤٤ ، والعبر ١ : ٣٢٧ - ٣٢٨ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٨ - ٣٠٠ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٢١٦ - ٢٢٠ =

= - ومحمد بن عمر الواقدي ، شيخ أبي عبيد الآخر ، تكلم فيه غير واحد من أئمة الحديث ، وقال الحافظ في التقريب ٢ : ١٩٤ ، متروك مع سعة علمه. مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٤ - ٣٣٥ ، والجرح والتعديل ٤/١ : ٢٠ - ٢١ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٣ - ٢١ ، والعبر ١ : ٣٥٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٣٤٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ - ٦٦٦ ، وتهذيب التهذيب ٩: ٣٦٣-٣٦٩

- وثور بن يزيد ، أبو خالد الكلاعي الحمصي ، ثقة ثبت ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٦٧ ، والجرح والتعديل ١/ ١ : ٤٦٨-٤٦٩ ، والعبر ١ : ٢١٩ ، وتذكرة الحفاظ : ١٧٥ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٣ - ٣٥ ، والتقريب ١ : ١٢١

- وراشد بن سعد المقرائي ويقال الحبراني الحمصي ، ثقة ، من أثبت أهل الشام . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٥٦ ، والجرح والتعديل ١/ ٢ : ٤٨٣ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ، والتقريب ١ : ٢٤٠

- وعبد الله بن لحي : الحميري ، أبو عامر الهوزني الحمصي ، ثقة ، مترجم في الجرح والتعديل ٢ / ٢ : ١٤٥ ، وتاريخ الإسلام ٣ : ٢٢١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ ، والتقريب ١ : ٤٤٤

- وعبد الله بن قرط ، الأزدي الثالي ، صحابي ، مترجم في الإصابة ٤ : ١١٨ - ١١٩ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٣٠١ : وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٦١ ، والجرح والتعديل ٢/٢ : ١٤٠ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٤١٥

والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٥٠ عن يحيى بن سعيد عن ثور به ، إلا أنه سمى فيه عبد الله بن لحي : عبد الله بن نجي ، وفيه : أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر .

وأخرجه أبو داود ٢ : ٨٢ (عون المعبود) عن إبراهيم بن موسى الرازي عن عيسى ، وعن مسدد عن عيسى = عن ثور به ، وفيه بعده ، قال عيسى ، قال ثور : وهو اليوم الثاني.

وذكر الحافظ في الإصابة في ترجمة عبد الله بن قرط أن حديثه هذا رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن لحي عنه .

(تولى الخلافة ١٩٨ — ٢١٨ ﻫ) وقرأه عليه ، وعرضه على عبد الله ابن طاهر فاستحسنه ، وأجرى عليه رزقا كل شهر ، ثم كان أول من سمعه منه المحدث الكبير يحيى بن معين ، أعلمُ الناس بصحيح الحديث وسقيمه ، وكتب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل كتاب غريب الحديث إعجاباً به وتقديراً (١) .

— وكان أبو عبيد معجباً بصنيعه ، يذكر ما عاناه في سبيله حتى استوى له على صورته التي تم عليها ، فقد روي عنه أنه قال : « كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة » (٢) .

وأقرأ أبو عبيد الناس ببغداد كتابه في (غريب الحديث) (٣) ، وأشار إليه في كتابه (الامثال) (٤) وأما كتابه الأجناس فمستخرج من غريب الحديث (٥) .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٦ — ٤٠٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، نور القبس : ٣١٥ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٩١

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٧ ، طبقات الحنابلة ١ : ٢٦١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، وروى الأزهري هذه الكلمة لأبي عبيد في كتابه (الغريب المصنف) (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ — ٥٧) ، وفي مراتب النحويين : ٩٣ ، « قال أبو عبيد : جمعت كتاب (الغريب المصنف) في ثلاثين سنة » . أما القفطي فقد روى كلمة أبي عبيد مرة بصدد غريب الحديث ، ومرة بصدد الغريب المصنف (إنباه الرواة ٣ : ١٦ ، ٢٢) .

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٥

(٤) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ط ٢) : ٦٠١

(٥) الأجناس : ١

وقُدر لكتاب أبي عبيد أن يحجب ما سبقه من كتب ، وأن يحتل المنزلة الأولى في كتب غريب الحديث ، حتى قال فيه ابن الأثير : « جمع أبو عبيد كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار الذي صار - وإن كان أخيراً - أولاً ، لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الجمة ، فصار هو القدوة في هذا الشأن » وكان الهلال بن العلاء الرقي يقول : « منَّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم ، بالشافعي تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ، لولا ذلك كفر الناس ، وبيحيى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، وبأبي عبيد القاسم بن سلام ، فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ، لولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ » وذكر ابن خلكان مقالة لقوم أجازوا لأنفسهم أن يجعلوا أبا عبيد أول من صنف في هذا الشأن إعجاباً بما جاء به فقال في كتابه وفيات الأعيان وهو يتحدث عن أبي عبيد : « ويقال : إنه أول من صنف في غريب الحديث » ، وكأنهم لم يعتدوا بتلك الكتب التي سبقت ، تفخيماً لصنيع أبي عبيد ، وتمييزاً له عنها . وتناقلت الرواة كتاب أبي عبيد في مشرق الأرض ومغربها ، وكان له في الأندلس شأن أي شأن . « وبقي على ذلك كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه ، ويعتمدون في غريب الحديث عليه » ذلك بأنه انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون وإليه يتحاكمون (١) .

٦ - وإذا كان كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد قد لقي

---

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، غريب الحديث لأبي عبيد ص (و) من المقدمة ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٠ ، مناقب الشافعي للبيهقي ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨

الإعجاب والتقدير ، فـإن ذلك لم يعفه من أن يعرض له عدة علماء بالنقد والرد .

ـ كان نقد بعضهم ينصبُّ على أن أبا عبيد لم يأت في تصانيفه بجديد ، وإنما سلك طريقاً ملحوباً ، مهده له من جاء قبله من العلماء والأئمة ، يقول ابن درستويه (٣٤٧ هـ) في ذلك ــ وكان ابن درستويه شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة ــ : « وقد سُبق [ابو عبيد] إلى جميع مصنفاته ، فمن ذلك الغريب المصنف ... وكتاب غريب الحديث ، أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ... فجمع أبو عبيد عامة ما في كتبهم وفسره ، وذكر الأسانيد ... وكذلك كتابه في معاني القرآن ... » ويمضي ابن درستويه ليؤكد أن أبا عبيد في كتبه قد عمد إلى كتب السابقين فأفاد منها ، وقد يضيف إليها ما يحسنها(١).

وجاء أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١ هـ) ــ وكان مفرط العصبية للبصريين ، يُنحي على من سواهم ، ولا يرى العلم إلا ما جاءوا به(٢) ــ فأيد مقالة ابن درستويه في اعتماد أبي عبيد في تآليفه على السابقين ، ينتزع كتبه من تصانيفهم ، كما أضاف إلى ذلك أن أخذ على أبي عبيد قلة روايته في اللغة ، وأن أكثر ما يحكيه عن علماء البصرة غير سماع ، قال في حقه : « وأما أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه مصنف حسن التأليف ، إلا أنه قليل الرواية ، تقطعه عن اللغة علوم افتنّ فيها .... وأما كتابه في (غريب الحديث) فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى في (غريب الحديث) .... وذكر أهل البصرة أن أكثر ما يحكيه عن

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، البلغة للفيروز ابادي : ١٠٧ ، وصحفت كلمة (سبق) بالباء الموحدة في طبعة تاريخ بغداد إلى (سيق) بمثناة تحتية .

(٢) مراتب النحويين : ٢٤ ــ ٢٧ ، ٧٤ ــ ٧٥ ، ٩٠ ــ ٩٢

علمائهم غير سماع ، إنما هو من الكتب . . . . وكان ناقص العلم بالإعراب » (١) .

— وتصدى علماء لنقد كتاب (غريب الحديث) خاصة ، قال إبراهيم الحربي (٢٨٥ هـ) : « وكتاب غريب الحديث فيه أقل من مائتي حرف « سمعت » ، والباقي : « قال الأصمعي ، وقال أبو عمرو » ، وفيه خمسة وأربعون حديثاً لا أصل لها ، أتي فيها أبو عبيد من أبي عبيدة معمر بن المثنى » وفي رواية أخرى عنه : « في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسون حديثاً ليس لها أصل » وفي رواية ثالثة عنه : « في كتاب أبي عبيد : غريب الحديث ، مائة وخمسة وعشرون حديثاً ليس لها أصل قد علمت عليها في كتابي » (٢) .

— ورد أبو سعيد أحمد بن خالد البغدادي الضرير على أبي عبيد حروفاً كثيرة من كتاب (غريب الحديث) (٣) .

— ثم قام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) بوضع كتاب فيما أخذه على أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، سماه إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث (٤) .

---

(١) مراتب النحويين : ٩٣

(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٣٥ – ٣٦ و ١٢ : ٤١٣ ، معجم الأدباء ١ : ١٢١ ، نزهة الألباء : ٢٧٧ ، نور القبس : ٣١٥ وفي مطلع عبارة (نور القبس) سقط يستكمل من تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٣

(٣) مقدمة تهذيب الأزهري : ٦٣ – ٦٤ ، إنباه الرواة ١ : ٤١ ، معجم الأدباء ٣ : ١٦ – ١٧ ، بغية الوعاة : ١٣١ – ١٣٢

(٤) الفهرست : ١٢٢ ، ١٣٥ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨ ، بغية الوعاة ٢٩١ ؛ وسنفصل القول في الكتاب حين نتحدث عن ابن قتيبة وجهوده في غريب الحديث ، في الفقرة التالية .

— وألف أبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة كتاب (الرد على أبي عبيد في غريب الحديث) (١) .

٥

ويعد ابن قتيبة الرجل الثاني الذي يمثل هذه المرحلة الجديدة من مراحل التأليف في غريب الحديث ، والتي بدأها أبو عبيد .

١ — ولد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢) في سنة ٢١٣ هـ ببغداد ، وقيل : بالكوفة ، ونشأ وترعرع في جنبات بغداد ،

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٢٢ ، وقد رد علماء آخرون على أبي عبيد القاسم بن سلام ؛ ولكننا لم نورد هنا إلا ما كان من ردود علماء القرن الثالث الهجري ومطالع الرابع ، وإلا ما كان صريحاً في الرد على غريب الحديث خاصة ، لا في الرد على كتاب آخر من كتب أبي عبيد كالغريب المصنف ، ولا في الرد على غلط أبي عبيد في كتبه عامة ، مثل كتاب أبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي المعروف بصعودا (فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه) ، ومثل كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب (٣٤٥ هـ) ، (ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه وصنفه) انظر الفهرست ١١٦ ، ١٢٠ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ و ١٩ : ١٠٥ .

(٢) انظر مصادر ترجمة ابن قتيبة في إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ (الحاشية). والأعلام ٤ : ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٦ : ١٥٠ — ١٥١ ، وكتاب المعاني الكبير ، الصفحة (د) من المقدمة ، وكتاب عيون الأخبار ٤ : ١٢ (من المقدمة) . وقد خصه الأستاذ السيد أحمد صقر بكلمة طيبة في مقدمة كتاب : تأويل مشكل القرآن ، ثم أفرد له الأستاذ جيرار لكونت كتابه الجامع الوافي (ابن قتيبة) (ط . المعهد الفرنسي بدمشق — ١٩٦٥ م) ، وهو يعد من أجود الدراسات التي صدرت عن ابن قتيبة حتى الآن ، وقد عرض في كتابه لمصادر ترجمة ابن قتيبة ، والدراسات التي ألفت عنه ، كما حرر الأستاذ لكونت مقالة ابن قتيبة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة الفرنسية) ٣ : ٨٦٨ — ٨٧١

فتأدب على أيدي علمائها وفقهائها ومحدّثيها . وهو مروزي الأصل وإنما سمي الدينوري لأنه ولي قضاء الدينور (١) مدة فنسب إليها ، وإذ كانت الدينور من أمهات مدن الجبل أجاز البيروني لنفسه أن يجعله (الجبلي) (٢).

— كان ابن قتيبة منذ نشأته طلعة ، ذا نفس توّاقة إلى المعرفة والنظر في كل علم ، يقول عن نفسه : « وقد كنت في عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم » (٣)، فغشي مجالس الفقه والتفسير والحديث ، وتردد على حلقات الأدب واللغة والتاريخ ، ونهض بعبء الطلب حق النهوض ، يريد أن يلم بكل شيء ، مشغوفاً بالدرس ، لا يختار عنه بديلاً ، حتى توصل إلى ما شاء من تلك الثقافة العريضة ، واجتمعت له علوم كثيرة ، فهو عالم باللغة ، والنحو ، وغريب القرآن والحديث ومعانيها ، والشعر ، والفقه ، روى عن كبار أئمة اللغة في عصره أمثال أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٤٨ هـ) وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧ هـ) وأبي الحسن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبي سعيد أحمد بن خالد المكفوف البغدادي (٤) ،

---

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين كثيرة الثمار والزروع ، ولها مياه ومستشرف . والدينور بمقدار ثلثي همذان ، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخاً (معجم البلدان) .

(٢) الآثار الباقية : ٢٣٨ ، والجبل أو الجبال : هي البلاد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة (معجم البلدان ، كلمتا : الجبل ، والجبال) .

(٣) تأويل مختلف الحديث : ٦١

(٤) أخطأ القفطي في إنباه الرواة (١ : ٤١) حين ذكر أن أبا سعيد الضرير (المكفوف) قدم على ابن قتيبة وأخذ عنه ، فعكس الأمر وقلب الواقعة .

وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (٢٤٩ هـ)(١). وبلغ من اتساعه في المعرفة، وافتنانه في العلوم أن عده الذهبي: من أوعية العلم. وكان ابن قتيبة صادقاً فيما يرويه، ثقة، ديناً، فاضلاً.

— ألف ابن قتيبة الكتب الحسان في فنون شتى من القرآن والحديث والفقه والأخبار واللغة والشعر، وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته، وكان كثير التصنيف والتأليف، عدد له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً من تآليفه(٢) وقال: «وكتبه بالجبل مرغوب فيها»، وقال أبو زكريا محيي الدين النووي (٦٧٦هـ) وهو يتحدث عن ابن قتيبة: «وله مصنفات كثيرة جداً، رأيت فهرستها ونسيت عددها، أظنها تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم»(٣).

تنوعت تآليف ابن قتيبة بتنوع معارفه، وكان لكتبه شأن أي شأن في المغرب والاندلس حتى كانوا يقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه، وقال ابن كثير: «وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه»، وعد ابن خلدون في مقدمته كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة واحداً من أربعة دواوين هي أصول علم

---

(١) ذكر الفيروز ابادي في البلغة: ١١٦، أن ابن قتيبة روى عن ابن الأعرابي، وقد تفرد الفيروز ابادي بهذه الرواية، ولعله وهم بمحمد بن زياد ابن عبيد الله الزيادي أحد شيوخ ابن قتيبة. وانظر شيوخ ابن قتيبة في مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن: ٣-٦، وفي كتاب (ابن قتيبة) لجيرار لكونت: ٥٤-٧٤

(٢) ذكر ابن النديم وهو يعدد كتب ابن قتيبة كتاب عيون الشعر، وأنه يحتوي على عشرة كتب منها كتاب المراتب، ثم عاد فذكر كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر، فإذا أسقطنا الثاني لأنه جزء من الكتاب الأول، كان ما ذكره ابن النديم من كتب ابن قتيبة اثنين وثلاثين كتاباً (الفهرست: ١٢١ - ١٢٣).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، القسم الأول، الجزء الثاني: ٢٨١

الأدب وأركانه . وتوفي ابن قتيبة فجأة في سنة ٢٧٦ هـ[1] .

٢ ـ لن نعرض لكتب ابن قتيبة المخطوط منها والمطبوع[2] ، ولا لاختلاف آراء العلماء فيها ، وكل ما يعنينا انما هو كتابه الذي ألفه في (غريب

(١) الفهرست : ١٢١ — ١٢٢ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ - ١٤٧ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٢ - ٤٤ ، بغية الوعاة : ٢٩١ ، البلغة للفيروز ابادي : ١١٦ ، مراتب النحويين : ٨٤ - ٨٥ ، تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية : ١٢١ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٣٣ ، البداية والنهاية ١١ : ٤٨ ، ٥٧ و١٣ : ٢٧٨-٢٧٩ ، مقدمة ابن خلدون : ٤٨٩ ،تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠-١٧١

(٢) المطبوع من كتب ابن قتيبة : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، أدب الكاتب ، الأشربة ، إصلاح الغلط ، الأنواء ، تأويل مختلف الحديث ، تأويل مشكل القرآن ، تفسير غريب القرآن ، الشعر والشعراء ، العرب ، عيون الأخبار ، المسائل والأجوبة ، المعارف ، المعاني الكبير ، الميسر والقداح .

وينسب إليه كتاب الإمامة والسياسة وليس له ، ورسالة في اللبأ واللبن منتزعة من كتاب الجراثيم المنسوب إليه (البلغة في شذور اللغة : ١٤٦ ، ط ١٩١٤ م بيروت) .

وذكر صاحب الأعلام في المستدرك الثاني : ١٣٣ أن كتاب ابن قتيبة في غريب الحديث قد طبع جزءان منه في الهند ، ولست على يقين من صحته . وقد جمع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكناني (٤٥٤ هـ) بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن لابن قتيبة في كتاب القرطين المطبوع في القاهرة (١٣٥٦ هـ) .

وانظر صفة كتب ابن قتيبة في مقدمة الجزء الرابع من عيون الأخبار ، ٤ : ١٩ — ٣٨ ، وفي مقدمة كتاب القرطين ، الصفحة (ط - ص) ، وفي مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٧ — ٣٥ ، وفي الفصل الخامس من كتاب (ابن قتيبة) لجيرار لكونت : ٩٣ — ١٧٨

الحديث) ، يتابع فيه الطريقة التي ابتدأها أبو عبيد القاسم بن سلام وكان أبا عُذرها .

– نشأ ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري ، القرن الذي كان من أخصب القرون في حفظ الحديث وتدوينه وروايته والتأليف فيه ، وشهد ابن قتيبة كبار المحدثين والحفاظ ، وحذاق اصحاب الجرح والتعديل ، وكان ، كما ذكرنا ، منهوماً بالعلم ، متعلقاً بالمعرفة ، قد أخذ من كل علم بطرف ، وأتيح له أن يلي القضاء ، فدفعه ذلك الى ان يمضي في بسط آفاق معرفته في اللغة والأدب والفقه والحديث والتفسير وأمثالها ، ليكون أقدر على الحكم ، وأدنى الى الصواب في القضاء ، ومال ابن قتيبة الى الحديث وأصحابه ميلاً شديداً ، وآثر طريقتهم ، وحمد نهجهم(١) . وكان له من ثقافته الدينية واللغوية ما هيأ له أن يشارك في (غريب الحديث) .

– كان ابن قتيبة شديد الاعجاب بسلفه أبي عبيد ، تعرّف الى مؤلفاته وهو في طراءة العمر ومقتبل الشباب ، فقد هيأ له أستاذه ابو العباس احمد بن سعيد اللحياني صاحب ابي عبيد القاسم بن سلام طريق الاطلاع عليها ، حدثه بكتابي ابي عبيد : الأموال ، وغريب الحديث في عام ٢٣١ ﻫ ، وابن قتيبة في الثامنة عشرة من عمره ، فأشرب قلبه حبه ، ومال اليه وجمع كتبه ، وعكف على مؤلفاته(٢) .

– واستأثر به كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد ، وأعجبته طريقته التي اختطها في تأليفه ، وأخذ نفسه بمدارسته حتى كان منه أبداً على ذكر ،

---

(١) تأويل مختلف الحديث : ٧٣ – ٨٦

(٢) إصلاح الغلط : ٦ ، ٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٤٥

يستشهد به ، ويعود اليه ، وينهل منه ، وكان من أثر إكباب ابن قتيبة على غريب أبي عبيد ، قراءة ومدارسة وتمحيصاً ، أن تبين له ان ابا عبيد لم يحط بكل الأحاديث التي تحتاج الى تفسير أو بيان ، وأن مـا ندّ عنه وشرد ، لايقل عما أثبت وقيّد ، وتشوّف الى أن يصنع مثل صنيعه ، في غريب الحديث ، وألزم نفسه ان يمضي على النهج الذي اختطه ابو عبيد وحده ، فيتم بعمله ما بدأه الرائد الأول ، ويشيد ما أسس ، ويكون كتابه صلة لغريب ابي عبيد وتكملة . فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث ، حذا فيه حذو ابي عبيد في طريقته ، ولم يودع كتابه شيئاً من الأحاديث التي ذكرها ابو عبيد في كتابه ، بل فسر من الأحاديث مالم يفسر ابو عبيد ، الا ما دعت اليه حاجـة من زيادة شرح أو بيان أو استدراك أو اعتراض .

— لم يؤلف ابن قتيبة كتابه ، أول ما ألفه ، على النحو الذي انتهى إلينا ترتيباً وتبويباً ، بل إنه حين ابتدأ في عمل الكتاب أطلع عليه قوماً من حملة العلم فسألوه ان يخرج لهم ما يؤلف في كل اسبوع ، فلما تم لهم الكتاب وسمعوه من ابن قتيبة حمله قوم منهم الى الامصار . ثم عرضت لابن قتيـبة بعد ذلك أحاديث كثيرة لم يكن فسرها ، فعمل بها كتاباً ثانياً سـماه الزوائد في غريب الحديث[1] .

— ثم كان من شأن هذه الصلة الوثيقة التي ربطت بين ابن قتيبة وكتاب أبي عبيد في الغريب أن تكشفت له مواضع جانب فيها أبو عبيد الصواب ، وخالف عن القصد في تفسيره ، فألف ابن قتيبة في ذلك كتاباً

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ ، ٤

سماه (اصلاح غلط ابي عبيد في غريب الحديث)[١] ، ذكر فيه الأحاديث التي أداه اجتهاده ان يخالف ابا عبيد في تفسيرها ليعرض تفسيراً آخر يراه الصواب ، وأنه المعنى المراد ، ولكنه لم يغفل عن ان يشيد ، في مقدمة كتابه ، بفضل أبي عبيد عليه ، وأنه منه تعلم ، وعنه أخذ ؛ ولم ينس ان يذكر ان ما قام به من اصلاح الفساد وسد الخلل ، قليل في جنب صواب ابي عبيد . إن ابن قتيبة يتحدث عن سلفه بشكل التجلة والتقدير (وما أحسنه أدبا) ؛ فهو يقول : « ونذكر الأحاديث التي خالفنا الشيخ ابا عبيد رحمه الله في تفسيرها ، على قلتها في جنب صوابـــه ، وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه »[٢] .

ثم يطل ابن قتيبة في اصلاحه وقصر مآخذه على ثلاثة وخمسين حديثاً وقع فيها زلل فنبه ابن قتيبة عليه ، ودل على الصواب فيه . وهو حقاً شيء

(١) قام الأستاذ جيرار لكونت بتحقيق إصلاح الغلط عن نسختي أيا صوفيا والظاهرية ، ونشره في مجلة جامعة القديس يوسف ببيروت عام ١٩٦٨

وذكر صاحب كشف الظنون (١ : ١٠٨) أن أبا المظفر محمد بن آدم ابن كمال الهروي (ـ ٤١٠ هـ) قد شرح إصلاح الغلط لابن قتيبة (انظر ترجمة أبي المظفر محمد في معجم الأدباء ١٧ : ١١٦ — ١١٧ ، وبغية الوعاة : ؛ ؛ وإنباه الرواة ٣ : ١٢٦) .

وذكر أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري أن ابن قتيبة حدثهم باصلاح الغلط من أوله إلى آخره في سنة ٢٦٨ هـ بعد أن قرأ عليهم كتاب غريب الحديث (مجلة الدراسات الشرقية ٢١ : ٣٩٤ ، مقدمة اصلاح الغلط : ـ) ولم يكتف ابن قتيبة بتعقب أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، بل تعقبه في اختيار القراءات أيضاً . انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ١ : ٥٠١ ، ٢ : ١٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٤

(٢) إصلاح الغلط : ٦

قليل في جنب ما ألفه ابو عبيد(١) .

— ثم بدا لابن قتيبة ، وقد أفرد المآخذه على ابي عبيد كتاب اصلاح الغلط ، أن يعيد النظر في كتابيه المؤلفين اولاً في الغريب ، ليجمعها في كتاب واحد ، مع ما يقتضيه ذلك الجمع من تنسيق بين ما جاء في الكتابين ، بتقديم ما يجب تقديمه ، واسقاط ما يحسن اسقاطه ، فجاء كتابه مثل كتاب ابي عبيد او اكبر منه ، واذ كان عمله انما هو اكمال لما فات ابا عبيد ، قال فيه الحافظ ابن حجر : « ذيّل ابن قتيبة على ابي عبيد في غريب الحديث ذيلاً يزيد على حجمه »(٢) .

٣ – ونقتطف، هنا ،كلمات لابن قتيبة من مقدمة كتابه (غريب الحديث) يصف بها تجربته في التأليف وصنيعه في الاقتداء بسلفه أبي عبيد ، قال – بعد أن ذكر جملة من الأحاديث تشكل على حملة العلم – :

« .... ومثلُ هذا كثير ، يطول بذكره الكتاب ، وفيما ذكرت منه ما دلَّ على ما أردت ، وستقف على تفسير هذه الأحاديث في أضعاف الكتاب إن شاء الله . وقد كان تعرّف هذا وأشباهه عسراً ، فيما مضى ، على من طلبه ، لحاجته إلى أن يسأل عنه أهل اللغة . ومن يكمل منهم لتفسير غريب الحديث وفتق معانيه وإظهار غوامضه قليل . فأما زماننا هذا فقد كُفي حملة الحديث فيه مؤونة التنقير والبحث ، بما ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم بما ألفناه في كتابنا هذا بحمد الله . وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ،

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨–١٩٠، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، ٣٥٩-

(٢) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨

وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبتُ ذلك بالنظر والتفتيش ، والمذاكرة ، فوجدتُ ما ترك نحواً مما ذكر ؛ أو أكثر منه ، فتتبعت ما أغفل ، وفسرته على نحو ما فسّر ، بالاسناد لما عرفت إسناده ، والقطع لما لم أعرفه ، وأشبعت ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر . وكرهت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب ، فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها ، وأحاديث السلف وألفاظهم ما يشاكل الحديث أو يوافق لفظه لفظه ، لتكثر فائدة الكتاب ويتمع قارئه ، ويكون ذلك عوناً على معرفته وتحفظه ، ولم أعرض لشيء مما ذكره أبو عبيد ، إلا أحاديث وقع فيها زلل ، فنبهت عليه ، ودللت على الصواب فيه ، وأفردتُ لها كتاباً يدعى كتاب (إصلاح الغلط) ، وإلا حروفاً تعرض في باب ، ولا يكمل ذلك الباب إلا بذكرها ، فذكرتها بزيادة في التفسير والفائدة . ولن يخفى ذلك على من يجمع بين الكتابين . وكنتُ حين ابتدأت في عمل الكتاب أطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطالبين له ، فأعجلتهم الرغبة فيه ، والحرص على تدوينه ، عن انتظار فراغي منه ، وسألوا أن أخرج لهم من العمل ما يرتفع في كل أسبوع ، ففعلت ذلك حتى تم لهم الكتاب ، وسمعوه ، وحمله قوم منهم إلى الأمصار . ثم عرضتْ بعد ذلك أحاديث كثيرة فعملت بها كتاباً ثانياً يدعى كتاب الزوائد في غريب الحديث ، ثم تدبرتُ الكتابين فرأيت الأصوب في الرأي أن أجمعها ، واقدم ما سبيله أن يُقدم ، وأؤخر ما سبيله أن يُؤخر ، وأحذف ماسبيله أن يحذف ، فمن رأى ذينك الكتابين على غير تأليف هذا الكتاب فليعلم انها شيء واحد ، وأن الاختلاف بينها إنما هو بتقديم وتأخير وحذف مكرر من التفسير ، ورأيت أن أفتتح كتابي هذا

بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه [١] .... ثم ابتدأت تفسير غريب حديث النبي ﷺ ، وضمنته الأحاديث التي يدّعى بها على حملة العلم حمل التناقض ، وتلوته بأحاديث صحابته رجلاً رجلاً ، ثم بأحاديث التابعين ومن بعدهم ، وختمت الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة ، سمعت أصحاب اللغة يذكرونها ، لا أعرف أصحابها ولا طرقها ، حسنة الألفاظ ، لطاف المعاني ، تضعف على الأحاديث التي ختم بها أبو عبيد كتابه أضعافا . وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال ، وأسأل الله أن ينفعنا بما علمنا .... » [٢] .

– وهذه الطريقة التي اتبعها ابن قتيبة في تأليف كتابه غريب الحديث، وتنقيحه إياه بعد ذلك هي التي تفسر لنا إشارة ابن قتيبة إلى كتابه غريب الحديث في بعض كتبه ، ثم إشارته إلى تلك الكتب في كتابه الغريب [٣] .

٤ – كان ابن قتيبة مغتبطاً بكتابه (غريب الحديث) ، راضياً عنه ، فقد احتفل له وتهيأ ، وبذل فيه ما بذل من جهد ، ما سمح له أن يقول في خطبة كتابه : « وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين ، من غريب

---

(١) وسلك نحو هذا في كتابه تفسير غريب القرآن حين افتتحه بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وأتبع ذلك ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب لم ير بعض السور أولى بها من بعض (تفسير غريب القرآن : ٣) .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ – ٤

(٣) ذكر ابن قتيبة كتابه (غريب الحديث) في كتابيه : (إصلاح الغلط) ٣ ، ١٩ ، و (تأويل مشكل القرآن) (ط ٢) : ٨٢ ، ٩٣ ، ١٣١ ، ٢٦٥ ، كما ذكر في غريب الحديث (مخطوطة الظاهرية) كتابه إصلاح الغلط (١ : ٣ ، ٧٠) ، وكتابه مشكل القرآن (١ : ٩) .

الحديث ، ما يكون لأحد فيه مقال » ، وأشار ابن قتيبة إلى كتابه (غريب الحديث) في عدة كتب له ، أشار إليه في : أدب الكاتب ، وإصلاح الغلط ، وعيون الأخبار ، والأشربة ، وتأويل مختلف الحديث ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، والمسائل والأجوبة . بل إنه في كتاب (المسائل والأجوبة) عطف على كتابه في غريب الحديث ليضيف إليه أحاديث عرضت له ، لم يكن قد أوردها فيه ، إتماماً له واستكمالاً [١] .

— واختلف العلماء في تقدير ابن قتيبة وأعماله ، وليس من غرضنا استعراض ما قالوه [٢] ، بل نقف ، ما أمكن ذلك ، عند أقوالهم بشأن .

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦ ، المسائل والأجوبة : ١٥ - ٢٠ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن للسيد أحمد صقر : ١٠ — ١١ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٧ ، ويذكر ابن خير في فهرسته : ١٩٥ ، كتاب المسائل لابن قتيبة ، في معاني غريب القرآن والحديث ، مما لم يقع في كتاب الغريب .

— وفي الظاهرية نسخة من (غريب الحديث) لابن قتيبة ، تتألف من الجزمين : الأول (وعدد أوراقه ١٣٩) والثالث (وعدد أوراقه ١٣٤)، ونسخة ثانية من ثماني أوراق ، تتضمن القسم الأول من الجزء الأول من الكتاب . وفي مكتبة شستربتي المجلد الثاني من غريب الحديث من نسخة قديمة جداً مكتوبة ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ .

انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : ١ ـ المنتخب من مخطوطات الحديث للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني : ٩٤ ، ٢ ـ علوم اللغة العربية للسيدة أسماء حمصي : ١٠٢ — ١٠٦ ، المستدرك الثاني من كتاب الأعلام : ١٣٣ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن : ١٠ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٨ ، مجلة الدراسات الشرقية (المعهد الفرنسي بدمشق) ٢١ : ٣٥١ — ٣٥٨، ٣٦٨ — ٣٩٣ ، مجلة المورد ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني : ١٧٢ رقم ٣٤٩٤ .

(٢) انظر آراء العلماء في ابن قتيبة في مقدمة تأويل مشكل القرآن : ٤٥-٧٦

كتابيه : إصلاح الغلط ، وغريب الحديث خاصة ، ونستطيع أن نقول ان ابن قتيبة قد تألب عليه في هذا الباب فئتان : فئة من اللغويين المختصين الذين وقفوا أنفسهم على اللغة وعلومها ، وتفرغوا لها تفرغ عابد متبتل في محاريبها ، فلم ينظروا إلى ابن قتيبة نظرة الرضا ، إذ كان مشاركاً في علوم جمة ، ولم يقصر همه على اللغة وحدها ، حفياً بها منصرفاً اليها ، وفئة ثانية ليست من جنس الأولى ، نقمت عليه أن ينقد أبا عبيد ، وأن يجرؤ على تخطئته ، وهي التي تربأ بأبي عبيد عن الهفوة ، وتأبى له الزلة ، فقد أصبح أبو عبيد قمة لا يطالها الآخرون والإمام المقبول عند الناس كافة ، ترسخت مكانته اللغوية بكتابيه (الغريب المصنف) و (غريب الحديث) ، فانكب الناس عليهما درساً وحفظاً ، حتى قال أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي اللغوي : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد »(١) . ورزق أبو عبيد أصحاباً حفظوا عنه ، واقرأوا كتبه ، وأنصاراً راحوا يتشبهون به ويمضون على سنته ، علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً ، وغدا الامام القدوة مضرب المثل . فأنَّى لابن قتيبة أن يقاس به ، وأين نجره من نجاره(٢) .

— ونستطيع أن نعد من رجال الفئة الأولى أبا علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة ، فقد ألف كتابه (الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) ، وكان من قبل قد رد على أبي عبيد(٣) .

ونضم إليه أبا الطيب عبد الواحد بن علي النحوي (٣٥١ هـ) الذي قال في حق ابن قتيبة : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

---

(١) تهذيب التهذيب ٨:٣١٦ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٧ ، إنباه الرواة ٢:٧٧-٧٨

(٢) انباه الرواة ١ : ١٢٥ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٩٢ ، وانظر بشأن أصحاب أبي عبيد ما سبق (ص : ٨٣ ، رقم ٣) .

(٣) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، وانظر ماسبق (ص : ٩٤) .

أخذ عن أبي حاتم [السجستاني] ... إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي ﷺ وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف والشعراء ، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامة ، ومن لا بصيرة له »[1] .

كما نستطيع أن نعد من رجال الفئة الثانية محمد بن نصر المروزي (٢٩٤ هـ) الذي انتصر لأبي عبيد ، ورد على ابن قتيبة اعتراضاته ، وردوده على أبي عبيد[2] .

وكانت الفئة الثانية تتعاظم ويزداد عددها ، فقد غدا ابو عبيد يتعالى شأنا على كرور الايام ، ويزيده مر القرون رفعة وتجلة ؛ فاذا نحن نستقبل على مدارج السنين فئات اثر فئات ، يتدارسون كتبه ، ويتناقلونها ، يرويها عدلٌ عن عدلٍ ، ينضحون عنها وينافحون ، وتقاس كتبهم واعمالهم بما كتب وعمل ، ويُعد منبهة لأحدهم ما رواه من كتب ابي عبيد ، بل يكبل احدهم نفسه حتى يحفظ كتابه (الغريب المصنف) ، فعل الفرزدق حين قيد نفسه ليحفظ القرآن . ثم هم يمضون ابعد من ذلك ليحاولوا ترتيب كتب ابي عبيد وتنسيقها او اختصارها ، او التذييل عليها[3] .

ومن هنا نستطيع أن نفهم ذلك الصوت المتأخر الذي انطلق من الأندلس

(١) مراتب النحويين : ٨٤ – ٨٥

(٢) لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣١٥

(٣) انباه الرواة ١ : ٢٩ ، ٢٦٨ ، ٢ : ٣١٠ ، بغية الوعاة : ٤٢ ، ٧٥ ، البلغة للفيروزبادي : ١٤٩ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٥٩ ، المحمدون من الشعراء : ٢٧٠ ، برنامج شيوخ الرعيني : ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ٢٠٤

في أواخر المائة الخامسة أو في أوائل السادسة ينتصر لأبي عبيد على ابن قتيبة ، ذلك هو صوت ابي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري (٥٢٠ ﻫ) الاديب الشاعر الكاتب المترسل الذي الف كتاباً في الانتصار لابي عبيد[١] .

ولعل ابا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ ﻫ) ، وهو من اشد الناس منافحة عن مذهب الكوفيين ، قد جمع في هجمته على ابن قتيبة الصفتين السابقتين ، فشن عليه حملة لا هوادة فيها . وكان عنيفاً قاسياً في كتاباته وردوده ، نسب ابن قتيبة الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة .

كان ابو بكر ابن الانباري من اعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، حدث انه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها وثلاثمائة الف بيت شاهدة في القرآن ، وكان يملي من حفظه لا من كتاب . انتصب ابن الانباري للدفاع عن الكوفيين ، وكان أبو حاتم السجستاني البصري ينال منهم نيلاً شديداً ، ويصغّر من أقدارهم ، ولعل ابن قتيبة قد قبل من استاذه ابي حاتم بعض آرائه ، او نظراته ، فما هو الا ان الف كتابه (إصلاح الغلط) حتى لاحت الفرصة مواتية لابن الأنباري فآذنه واستاذه ابا حاتم بحرب واستعرض اكثر من كتاب من كتبه ، ليسلقه بلسانه حديد ، تمده حافظة لا تعرف النسيان . رد على ابن قتيبة قريباً من ربع ما ألفه في مشكل القرآن ، « عمل رسالة المشكل رداً على ابن قتيبة وابي حاتم ونقضاً لقولها » . واستدرك على ابن قتيبة مواضع في كتابيه غريب الحديث واصلاح الغلط[٢] . يقول ابن الانباري يتحدث عن

(١) فوات الوفيات ٢ : ١٩

(٢) طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٥٣ - ١٥٤ ، انباه الرواة ٣ : ٢٠١ - ٢٠٨ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢ : ٧١ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص (و) ، الأضداد لابن الأنباري : ٩٤ - ٩٥ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٣٠٧ - ٣٠٩ أمالي القالي ١ : ١١٨ - ١١٩ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩ - ٧٠ ، ١٢٨ ، ٣٣٦ - ٣٣٧

السجستاني: « وقد انكر هذا رجل من أهل البصرة يعرف بابي حاتم السجستاني ، معه تعدٍّ شديد ، واقدامٌ على الطعن في السلف ، قال : فحكيت ذلك لاحمد بن يحيى [ثعلب] فقال : هذا من ضيق عطنه ، وقلة معرفته »(١) .

٥ ـ لن يدخل في تقسيمنا هذا أولئك اللغويون الذين كانوا يرجحون ابا عبيد على ابن قتيبة ، ولكنهم سلكوا طريقاً وسطاً ، فكانوا يصححون مازلَّ به ابن قتيبة ، ويستدركون عليه اللفظة تلو اللفظة فإذا رأوا أن وجه الحق قد لاح بجانبه ، آزروه ، ورجحوا قوله .

نذكر من بين هؤلاء اللغويين الإمام أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ)الذي كان يوثق ابن قتيبة في روايته ، ولا يدفعه عن الصدق فيما يحكيه عن أئمة اللغة ، « فأما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض ، أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، أو حرف غريب ، فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة ، وألفيته يحدس بالظن فيما لايعرفه ولا يحسنه » ، ومن هنا كان يرى البون بعيداً بين الرجلين ، وان أبا عبيد أعلى كعباً ، وأرفع منزلة ، على ما وقع فيه من أغلاط ، وقد أشار في كتابه التهذيب إلى مآخذه على أبي عبيد وابن قتيبة في غريبيهما(٢) ، وإن كان قد أفاد منهما في تهذيبه كل الافادة .

ونذكر من بينهم الشريف المرتضى علي بن الحسين (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) الذي عرض في أماليه لابن قتيبة وأبي عبيد ، وما جاء به ابن الأنباري ، وحاول أن يرجح من الأقوال ما تبين له رجحانه ، باسلوب هادىء متزن ، لا غلو فيه ولا عصبية (٣) .

---

(١) لسان العرب (شنأ) .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ١٠٢ ، ١٨٨

(٣) أمالي الشريف المرتضى ١ : ٥ ـ ٩ ، ١٥ ، ١٧ ـ ١٩ ، ١٢٠ ، ١٥٦ ـ ١٥٨ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ ـ ٤٣٢ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٧ ، ٦٣٢ ـ ٦٣٥ ، و ٢ : ٥ ـ ٩ ، ٥٠ ـ ٥٣ ، ٨١ ، ٨٢ ـ ٨٦ ، ٢٠٠ ـ ٢٠٤

ونضيف إلى ذلك جماعة علماء الغريب من أمثال الزاهد والخطابي والهروي والزمخشري وابن الأثير الذين كانوا يأخذون ويدعون ، وفق ما يترجح لديهم ، وإن كانوا يدينون لغريبي أبي عبيد وابن قتيبة بأعظم الدين .

٦ ـ مهما يكن من شيء ، فقد أصبح كتابا أبي عبيد وابن قتيبة يؤلفان كلًا واحداً متكاملًا في « غريب الحديث » ، استأثرا باعجاب العلماء وتقديرهم في مشرق الأرض العربية ومغربها ، فكانوا يئاون إليها ويعولون عليها .

يقول الإمام الخطابي (٣٨٨ﻫ) في صنيع أبي عبيد وابن قتيبة في غريب الحديث : « وكان أول من سبق إليه ، ودلّ من بعده عليه ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، وصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون ، ثم انتهج نهجه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتاباً لم يأل أن يبلغ به شأو المبرز السابق ، وبقيت بعدهما صبابة للقول »[١] .

ولما أعاد الخطابي القول ، بعد ذلك ، في مقدمة كتابه فذكر الكتب الأخرى المؤلفة في غريب الحديث لم يلبث أن عطف قائلًا ، ان في كتابي أبي عبيد وابن قتيبة غنى ومندوحة عن كل كتاب ذكره قبل ، إذ كانا قد أتيا على جماع ما تضمنت الأحاديث المودعة فيها ، من تفسير وتأويل ، وزادا عليه ، فصارا أحق به وأملك له ، ولعل الشيء بعد الشيء منها قد يفوتها[٢] .

ثم عرض الخطابي لايضاح الفروق بين كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، وهو في معرض الموازنة بينها وبين كتب الغريب الأخرى فقال : « ثم انه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص(و) ، تأويل مشكل القرآن ، مقدمة المحقق : ٩ـ١٠

(٢) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦

منهاج كتاب أبي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستنباط وكثرة الفقه ، ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة في اشباع التفسير وايراد الحجة وذكر النظائر وتخليص المعاني »[١].

ـ غدا الكتابان مورداً عذباً تزاحم عليها الدارسون ، ومصدراً هاماً يستشهد أئمة اللغة وعلماؤها بما جاء فيها من أقوال ونقول[٢]. وبلغ من إعجاب الناس بالكتابين أن والوا النظر فيها وردّدوه . وأخذ بعضهم نفسه بحفظها أو أحدهما[٣] ، وانتدب لها من تناولها أو أحدهما بالتهذيب أو الاختصار أو التذييل والزيادة ، أو الشرح : ألف أبو الهيثم الرازي (٢٧٦ هـ) كتاب ما زاد في الغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد[٤] ، وقام الشيخ الفقيه أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (٤٤٧ هـ) فجمع كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، واختصرهما بكتاب : « تقريب الغريبين لأبي عبيد وابن قتيبة »[٥] ، وصنف أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الأندلسي الشاطبي (٤٦٥ هـ) غريب الحديث لأبي عبيد ، على حروف المعجم ، وجعله أبواباً[٦] ، ثم تعرض أبو الحسن علي بن عبد الله المقيلي (٥٤٦ هـ) إلى غريب الحديث لأبي عبيد فقفاه على الحروف[٧]. وأما عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩ هـ) فقد صنف غريب الحديث الكبير ، جمع فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي[٨].

ـ للبحث صلة ـ

---

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦

(٢) المخصص ١ : ١٢ ، التكملة للصاغاني ، المقدمة : ٧

(٣) الصلة ١ : ١٧ (٤) معجم الأدباء ١٨ : ١٠٠

(٥) فهرست ابن خير : ١٩٥ ، المعجم العربي ١ : ٥٧ ، مقدمة النهاية (ح الطناحي) ١ : ٦ ، وانظر ترجمة أبي الفتح الرازي في وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٧ ، وانباه الرواة ٢ : ٦٩

(٦) انباه الرواة ٢ : ١٨٣ (٧) انباه الرواة ٢ : ٢٨٥ ، معجم الأدباء ١٦ : ١٠

(٨) طبقات الأطباء ١ : ٢٠٤ ، ٢١١

مصرع الشمس (*)

للشاعر محمد عبد الغني حسن

مضى عام ، وما زال   لهيب الحزن في كبدي
على الشمس التي ولّت   عن الدنيا إلى الأبــد
ضَنِنّـــا أن نوسدها   وأشفقنا على الجســد
وقلنا : إن يفُتنـا الدفـ   ـن صُبْحَ غدٍ، فبعد غد!
وقلنا : يا ركاب المو   ت! لاتستعجلي ! اتئدي!
وما زلنا نراوغ في احـ   ـتيالاتٍ على الأمد ...
وهبنا قد أطلنا سا   عة التوديع في العدد
فهل زادَ لنـــا التسوِ   يفُ حيناً حانَ لم يزد ؟
وهل رَدَّ مطالُ الدفـ   ـن من عمْرٍ على أحد ؟

* * *

لقــد كان هنا شمسٌ   على الآفـــاق تلتمعُ
وكان هنا لهـــا شُعَلٌ   وكان هنا لهـــا لُمَعُ
وكان على أشعتهـــا   شعاعُ الفكر يجتمع
وكان لها على العـافـ   ـين مُصطافٌ ، ومرتبع
إذا ما أجدبَ الناسُ   على أفيائهـــا انتجعوا
وإمّـــا مسّهم ضُرٌّ   إلى ساحاتهـــا فزعوا

(*) القصيدة التي أعدها الشاعر عضو مجمع اللغة العربية المراسل لتلقى في الاحتفال بذكرى مرور سنة على وفاة عميد الأدب العربي في شهر شباط (فبراير) ١٩٧٥

وفيهـــا لذوي الآما ل ، والآلام متّسـع
تساوت عندهـــا الآحا د في المعروف ، والجمع
علت ، لكنها بالفضـ ل والأخلاق تتضع ...

* * *

رأيتُ الشمسَ طالعةً كما شاهدتُ مصرعها
وقد أحسستُ مصرعها كما أحسستُ مطلعها
وأدركتُ علـى الحالـ ن مبداها ، ومرجعها
ففيم حمدتُ غرتهـــا وفيم ذممتُ برقعهـا ؟
ومَن بالدمـع بلّلهـا ومَن بالدر رصّعها ؟
ومَن أنضب ـ بعد الفيـ ض والتهطال ـ منبعها ؟
ومَن ثبّت فوق الفـ لك الدوّار موقعها ؟
ومَن عطّلَ ناديهـــا ومَن فرّقَ جمعهـا ؟
ومَنْ قدَّرَ لي وأنـا عليـلُ أن أودعهـــا

* * *

لقد ودّعتُ في « تشريـ ن » شمساً ذاتَ إشعاع
أطلّتْ من سماوات النـ هى تُزهَى بإبـــداع
تخطّت قمّـةَ التفكيـ ر وهيَ رهينـة القـاع
على نُور البصيرة هَل إلى الأبصارِ من داعي ؟
وكم من مبصـر بالعيـ ن أعمى القلب مرتاع !
وماذا تنفـع العينـــا نِ قلباً ليس بالواعي ؟
لقد جـازت مدار العُمـ ر في خَبَبٍ وإيضاع

فما بالت بأسقام ولم تأبه لأوجاع
وما زالت هنا حتى نعاها للعُلا ناعي ..

* * *

هنا قد مالت الشمس الـ ـتي أطلعها « الأزهرُ »
أما كانت هنا — والله ـه — لله يدٌ تؤثَر ؟
أما كان هنا الشيخ الـ ـذي بالشك قد ثرثر ؟
وفي « ديكارتَ » منه ملا مح بالشك أو أكثر
وفي قصة « إسماعيـ ـل » كَسْرٌ منه لا يُجبر
تعالى الله ! عاد الشكُّ إيماناً ، وقد أثمر
وآب ظلامُه الدامـ ـس بالصُّبح الذي أسفر
أما تمَّت هنا المعجـ ـزة الكبرى التي تبهر ؟
أما كان هنا طفلٌ ضريرُ العين قد أبصر ؟

* * *

« حديث الأربعاء » اليو م مَن يسكبُه صِرفا ؟
ومَن يمزج فيه النقـ ـد لطفاً فيه ، أو عنفا ؟
ومَن « للسيرة » الغرا ء لا يخرِمُها حرفا
ومَن « للفتنة الكبرى » يجلّيها لنا وصفا ؟
ومَـن يجهرُ بالرأي فلا جُبن ، ولا خوفا ؟
ومَن أضفى على التعليـ ـم من كفيه ما أضفى ؟
ومَنْ كالريح إن هفَّت ومَن كالطل إن رفّا ؟
ومَن قد شغل الدنيا وفاقاً فيه أو خُلفا ؟

لقد وفّى الشعاعُ الغا　　رب الرحلةَ واستوفى ...

* * *

وقفتُ على مغيب الشمـ　　ـس أدعوهـا فلا تسمعْ
أناديـــا ، وهل يُغني　　نداء الموت أو ينفـع ؟
وأضمـع من ودِاعيها　　ءما ليس به مطمـــع
هنـا قال لي الناصـــ　　ـح : يامغرورُ ! لا تخدع !
فمَن راحَ فـــلا يأتي　　ومَن ولَّى فلا يرجـع
ومن أدركـــه المنز　　ل هيهات بأن يطلع !
فرُحتُ ألمُّ أثوابي　　من الخزي ، واسترجع
أكفكفُ النفسَ عن أوها　　مها في الحادث المفجـع
فكأسُ الدهر لا يُوقَى　　وسهمُ الموت لا يُدفـع

* * *

خرجت مـــع الجماهير　　غـداةَ الدفن أنتحبُ
وقد أوهى الضنى جسَدي　　وهدَّ كيانيَ الوَصب
لعلي أبصر الشمس الـ　　ـمضيئةَ ، وهي تنقلب
فللشمس عـــلى المغر　　ب فينا منظرٌ عجب
وما أروعَ قرص الشمـ　　ـس ، وهي تكاد تحتجب
هنا ... هان لديَّ الجا　　ه ، والألقاب ، والرتب
هنا ... أدركتُ أن المجـ　　ـد شيء زائف كذب
هنا ... أيقنتُ أن الفا　　نييْنِ : المال والنشب
هنا ... آمنت أن الخا　　لدَيْنِ : العلم والأدب...

* * *

رأيت الشمس قد مالت إلى المغـــرب مُغبرَّه
كساها الموت من أكفا نه في خدرهـــا صفره
وبدَّلها الردى المغتـــا لُ من أفلاكها حفره ..
وأدركهـــا مصيرٌ لا يفوت الحر ، والحره ...
فقـــام الصبح يبكيها ويندبُ عندهـــا فجره
وراح الروض يرثيهـا ويَرثي معهـــا عطره
ولم يَبق عـــلى التودي ـع إلا ساكبٌ عَبره
وقال الكون : إن الشمـ ـس قد ماتت فيا حسره !
نعم ! قد ماتت الشمس ولكن لم تمت فكره ...

القاهرة محمد عبد الغني حسن

مع ابن الأزرق في مخطوطته :

بدائع السلوك في طبائع الملوك

وحديثه عن : السفارة والسفراء

الدكتور عبد الهادي التازي

يوجد عدد كبير من رجالات العلم ، والحديث ، والفقه ، والتاريخ ، والأدب ، ممن يحملون اسم الأزرق أو ابن الأزرق أو الأزرقي في المشرق والمغرب ... والأزرق جدٌّ قديم من أجداد العرب في الجاهلية ، يتصل نسبه بالعمالقة ، وكانت منازل بيته بالحجاز .. وإليه ينسب في – بعض الروايات – المؤرخ اليماني محمد بن عبد الله بن أحمد بن الأزرق من أهل مكة ، وصاحب كتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) والمتوفى سنة ٢٥٠ ، وقبل مؤرخ مكة ، نعرف عن أبي راشد نافع بن الأزرق البصري الحنفي رأس الأزارقة ، وإليه نسبتهم ، الذي صحب عبد الله بن عباس وكان هو وأصحابُه من أنصار الثورة على سيدنا عثمان وموالاة الإمام علي ، رضي الله عنهما ، إلى أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية . قتل على مقربة من الأهواز عام ٦٥ في أعقاب مقاتلة المهلب بن أبي صفرة له ... كما نعرف عن الحافظ حماد بن زيـــد الأزرق شيخ العراق في عصره الذي ولد وتوفي بالبصرة (عام ١٧٩) وعن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن الأزرق الذي ورد من مصر على الأندلس وتوفي بقرطبة (سنة ٣٨٥) والمؤرخ عبد الله بن محمد ابن الأزرق المتوفى عام ٥٩٠ . . هذا إلى الكاتب المعروف محمد ابن هذيل الشهير بابن الأزرق الذي خاطب الملكة فونيـــا Fona يخبرها

بوصول السفراء المغاربة من حصن القلاعة أوائل ذي الحجة عام (٦٤٧) وغير هؤلاء من الزُّرق الذين تناهت إلينا أخبارهم وفي صدرهم مترجَمُنا اليوم قاضي غرناطة ووزيرها وسفيرها أبو عبد الله بن الأزرق ...

ويظهر أنه لا صلة بين أسرة الأزرق هـذا وبين الأُسر التي تحمل لقب الأزرق ببعض المدن المغربية ، وبفاس على الخصوص ، فإن هـذه الأُسر ، أو بعضها على الأقل ، وردت للمدينة من الجبال ، وقد كان جدي للأم السيد عبد الرحمن بن عبد السلام الأزرق يذكر أنهم من صنهاجة السراير بإقليم الحسَيمة من بطن هناك يعرف ببني زرقت ، لقبوا بذلك لأنَّ عيون أغلبيتهم زرقاء .

وكما أنه ليس ببعيد إطلاقاً أن يكون أصل بعض أسر الأزرق منحدراً من الديار الأندلسية عبر الجبل ، فإن التلقيب بالألوان معروف بالمغرب كما بغيره من سائر الجهات ، كالأخضر ، والأحمر ، والأبيض ، والأشقر ، والأكحل ، على نحو ما عهد من التلقيب بمختلف المِهَن والحِرَف كالقاضي والمفتي ، والفقيه ، والمؤذن ، والخطيب ، والإمام ، والنجار ، والحداد ، والصباغ ، والعطار .

ويعتبر القاضي ابن الأزرق من عيون رجال الفقه والأدب والعلم ، الذين عرفهم القرن التاسع الهجري ، وقد أفاد السّخاوي أنّ ابن الأزرق كان من الملازمين للأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح مفتي غرناطة : في النحو ، والأصلين والمنطق (١) كما كان من الذين يحضرون

---

(١) اشتهر الشيخ ابن فتوح هذا بسلوك منهاج تربوي خاص مع طلبته ، حيث يفسح لهم المجال كاملاً للبحث والتعقيب والتعليق ، بل إنه لا يرضى منهم بالتسليم المطلق والمتابعة العمياء .. ويأتي هذا المنهج وسطاً بين مذهب العبدوسي =

مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السّرقسطي عُمدة غرناطة في العلوم الفقهية ، ومجالس الخطيب أبي الفرج ، عبد الله بن أحمد اليقني ، ومجالس قاضي الجماعة بها أبي العباس أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني . . . كما أنه كان من أقرب الناس إلى بلاط بني نصر ، فهو لذلك من أقطاب السياسة في ذلك العهد . وإذا ما تتبعنا آثاره سواء منها النثرية والشعرية ، فسنجد أنه ليس رجل وظيف شرعي ، ولكنه رجل دولة ، وكاتب ملك ، وأن سلطان بني نصر كان يؤثره بأسرار لا يبثها إلى قاضي الجماعة ، الأمر الذي يدل عليه قوله يخاطب شيخه الحافظ القاضي أبا القاسم بن سراج وقد طلب إليه هذا الأخير أن يجتمع به في ظروف اضطراب ، مؤملاً أن يحصل منه على سر من أسرار السلطان . . . لقد باعده الوزير ابن الأزرق معتذراً بهذه الأبيات البديعة الرائعة لفظاً ومعنى :

فديتك لاتسأل عن السرّ كاتبا ... فتلقاه في حال من الرّشد عاطل
وتضطره إمـا لحـالة خائن ... أمانتـه أو خائض في الأباطـل
فلا فرق عندي بين قاض وكاتب ... وتَمَّى ذا بحق أو قضى ذا بباطل

وقد كان من أبرز الذين سَجّلوا لهم مواقف حاسمة عندما اضطربت الأحوال في غرناطة واختلط الأمر على الناس ، فنكثوا بيعة السلطان أبي الحسن النصري ، وبايعوا عوضه ابنه محمداً ، فقد كان من رأي القاضي ابن الأزرق ، والمفتي أبي عبد الله المواق ، وكذا سائر فقهاء غرناطة أن مثل هذه المبادرة في مثل تلك الظروف إنما تخدم مصلحة العدوّ ولا تنقذ الموقف في شيء ، وأنها شبيهة بتبديل الفرس أثناء عبور النهر المائج المائج ...

= (ت ٨٤٧) ومذهب المشدالي (ت ٨٦٤) ن المقري : الرياض تحقيق السقا ، الأبياري ، شلبي . طبع المعهد الخليفي تطوان ١٩٣٩ ن ٣/٣٠٤ — ٣١٧ ن نفح الطيب تحقيق إحسان عباس طبع دار صادر ١٩٦٨ — ٢ / ٧٠٠ ن التازي : جامع القرويين بفاس طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ٢/٤٢٨ .

وهكذا وقّع فتوى شجب فيها فعل الناكثين أواسط شهر رمضان من عام ٨٨٩ بالرغم من المخاطر التي كانت تحتف به وهو يقدم على هذا الموقف الجريء.

وقد اقتضت منه غيرته على تداعي الديار الأندلسية وتوالي انكسارها أن يفكر — إثر هذه الفتوى — في السفارة لدى ملوك المغرب والمشرق آملاً في إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وترقباً في الحصول على نجدة من شأنها أن تردع الأعداء المتربصين، وتبقي على الوجود الإسلامي ببعض تلك الديار.

ولما كانت ظروف المغرب الأقصى آنذاك قد بلغت من الاضطراب والقلق درجة لا تمكنه من الالتفات لما يجري في العدوة الأخرى فقد وفد القاضي إلى تلمسان بعيد التسعين وثمانمائة (١) وكان يحكمها آنذاك العاهل أبو ثابت الثالث، ولكن السفير ابن الأزرق، وقد شعر بانشغال الناس عنه بالتصدي للمناورات والمضايقات التي كانت تحاك ضدّ الجزائر من طرف الأجنبي، اتجه نحو مصر لدى الملك الأشرف قايتباي محمد بن علي ...

وهناك لقي كل ترحيب وتكريم، لكنه فهم من المسؤولين هناك أنهم يدركون أن أمر الأندلس قد انتهى، وأنه لا فائدة ترجى من تدارك المحتضَر الذي يسلم نفسه الأخير «فكان كمن يطلب الأنوق أو الأبيض العقوق» (٢). وهكذا فقد اقترحوا عليه أن يغدو أولاً للقيام بمناسك الحج قبل أن يعطوا له الجواب النهائي، وكانوا في واقع الأمر يتوقعون وصول المزيد من الأخبار عن الأندلس، هذا أيضاً إلى إنشغال الملك بمنازلة السلطان العثماني بايزيد الثاني(٤).

---

(١) أزهار الرياض ٣/٣١٨

(٢) نفح الطيب ٢/٧٠٢

(٣) السلطان بايزيد الثاني من أعظم سلاطين آل عثمان، فتح عدداً من القلاع والحصون، وبنى طائفة من المدارس والجوامع والمستشفيات، وما يزال حيّ بكامله يحمل باسطانبول اليوم اسم بايزيد، كان يحاول احتلال بعض الجهات =

وقد قصد القاضي ابن الأزرق الحرمين الشريفين حيث قام بأداء الفريضة ، وعاد أول سنة ٨٩٦ للقاهرة لمتابعة القيام بساعيه التي من أجلها رحل ، ولكنه وجد أن الأخبار التي يتوفر عليها السلطان قايتباى كانت تنذر بأن كل شيء بالديار الأندلسية في طريقه نحو النهاية .

لقد بلغت الأخبار الحزينة فعلاً عن سقوط العاصمة غرناطة وأخذها من يد الأمير محمد بن أبي الحسن منذ ربيع الأول من عام ٨٩٥ .

وكانت للسلطات مع السفير جلسات مهمة أفهمه السلطان فيها أن قضاء الله قد نفذ ، وعرض عليه بهذه المناسبة خطة قضاء القضاة في بيت المقدس تسلية له وتلهية ، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد بن مازن النزي . ووصل الإمام ابن الأزرق إلى القدس يوم الاثنين ١٦ شوال ٨٩٦ حيث قضى هناك ردحاً من الزمان محاطاً برعاية تلاميذه من مريدي الفقه المالكي ، واحترام معارفه ممن كان (حيُّ المغاربة) بالقدس[1] يزخر بهم ، لا سيما وقد كان يضيف إلى علمه واطلاعه جمال الشكل ، وإنارة الشيبة ، وسيمة الأبهة والوقار ، والنزاهة والصيانة والطهارة .

التابعة لـ : قايتباي ، فكان هذا منصرفاً بكليته لصد الهجوم ، وقد أنفق أموالاً طائلة في هذا القتال الذي حـال دون تلبية عدد من نداءات ملك غرناطة ، ولكنه مع ذلك كان يحاول بالطرق الدبلوماسية أن يبلغ قلقه للإسبان ، وربما تهديداته كذلك بواسطة القسيسين والرهبان المتواجدين في القدس الشريف .

مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الطبعة الوهبية مصر ١٢٨٣ م ٢/٥٩١ . الزركلي : الأعلام مادة قايتباي .

(١) عبد الهادي التازي : (حي المغاربة بالقدس) نشر في مجموعة موسوعة العتبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي دار التعاون ، بغداد ، المجلد الأول ٩٥ — كما نشر بمجلة مركز الدراسات الفلسطينية المجلد الأول العدد الثالث غشت ١٩٧٢ ٥/٧ وبملحق العلم الأسبوعي الثقافي ١٤ يناير ١٩٧٢ .

لكنه كان ينغص من هول الأنباء المتلاحقـــة من الأندلس . . . فتناوشته الهموم ولم يَقْوَ على تحمُّل الصدمـة والغربة في آن واحد ، لم يبق عنده بستان ولا مركب ولا مسكن على ما يقول في نونيته المعروفة ، وهكذا توعك ولم تلبث أنفاسه أن فاضت بعد نحو من شهرين من توليه القضاء حيث توفي يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة الحرام ٨٩٦ بعد الفراغ من الصلاة ، وصلي عليه في يومه بعد صلاة العصر بالمسجد الأقصى ، وحشر إلى جانب حوش البسطامي من جهة الغرب .

* *

لقد خلف القاضي ابن الأزرق تراثاً أدبياً فاخراً تجلى في هذه القطعات الشعرية الجيدة التي نقلتها عنه الموسوعات الأندلسية الأدبية ، فمن تلك القطع هـذه الأبيات التي نظمها عند نزول طاغية النصارى بمروج غرناطة ، والتي تعبر عما كان يحس به من الآلام ، وهو يعيش الأيام الأخيرة بالأندلس(١) :

مشوق بخيمات الأحبة مولع ... تذكره نجـــد وتغريه لعلع
مواضعكم يالائمين على الهوى ... فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومَن لي بقلب تلتظي فيه زفرة ... ومن لي بجفن تنهمي فيه أدمع
رويدك فارقب للطائف موضعا ... وخل الذي مَن شرّه يتوقع
وصبراً فإن الصبر خير غنيمة ... ويا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم ... فألطافه من لمحة العين أسرع
وإن جاء خطبٌ فانتظر فرجاً له ... فسوف تراه في غد عنك يرفع
وكن راجياً لله في كل حالة ... فليس لنا إلا إلى الله مرجع

ومن نونية خفيفة تنسب إليه بلغَتْ زهاء المائة بيت ، هذه الأبيات

(١) النفح ٢/٧٠٤

التي تمكس مشاعره وروحه المرحة وهي على ما يظهر من نظمه في المهجر :

لا أم لي لا أب لي إن لم أبرد شجني
وأخلمن في الجو ن والتصابي رسني
يا عاذلي في مذهبي أرداك شرب اللبن :
أعطيت في البطن سنا نا إن تخالف سنني
وإن تسفه نظري ومــــذهبي وتنهني
فلصفع تستوجبــــه نعم ، ونتف الذقن
والنفي تستوجبــــه لواسط أو عدن !

* * *

أفدي صديقاً كان لي بنفسه يســـمدني
فتــارة أنصحــه وتارة ينصحـــني
وتارة ألعنـــه وتــارة يلعنـــني
وربمـــا أصفعـــه وربمـــا يصفعني

* * *

دهر تولّى وانقضى عني كطيف الوسن
يا ليتـــني لم أره وليتـه لم يرني
دنست فيـه جانبي وملبســـي بالدرن
وبعت فيـه عيشتي لكن ببخس الثمن !
كأنني ولسـت أد ري الآن ما كأنني!!

* * *

لو أنصف الدهر لما أخرجني من وطني !
وليس لي من سجنة وليس لي من مسكن

أسرّح الطرف وما لي دمنة في الدِّمَن
وليس لي من فرس وليس لي من سكن !
ياليت شعري وعى ياليت آن تنفعني

* * *

هل للثريد عودة إليّ ؟ قد شوقني
ولي إلى الاسفنج شو قٌ دائم يطربني
وللأرز الفضل إذ تطبخه باللبن
وهات ذكر الكسكسو فهو شريف وسنّي
لا سيا إن كان مصـ نوعاً بفتال حسن
أرفع منه كوّراً بهن تدوي أذني
وإن ذكرت غير ذا أطعمة في الوطن
فابدأ من المثوما ت بالجبن المكن
من فوقها الفروج قد أنهي في التسمّن
وثنّ بالعصيدة الـ تي بها تطربني
والزبزبن في الصحـ اف حسبُ أهل البطن(١)

ومن شعره في مدينة بسطة :

في بسطة حيث الأباطح مشرقة أضحت جفوني بالمحاسن معلقة

وله أيضاً فيها :

قل لمن رام النوى عن وطن قولةً ليس بها من حرج
فرّج الهم بسكنى بسطة إن في بسطة بابَ الفرج(٢)

(١) النفح ٣/٢٩٨
(٢) النفح ٦/٤٤٧

ومن نظمه سينية بديعة من نحو أربعين بيتاً في مدح شيخه العلاّمة أبي يحيى ابن عاصم هذا مطلعها :

خضعتْ لمعطفه الغصون الميَّسُ ... ورَنا فهام بمقلتيه النرْجسُ
بك مجلس الأنس اطمأنَّ وبابن عا ... صمٍ اطمأن من الرياسة مجلس
بدر بأنوار الهدى متطلع ... غيث بأشتات الندى متبجس(١)

ومن نظمه قوله في المجبَّنات :

ورب محبوبــة تبـدت ... كأنها الشمس في حلاها
فعجب لحال الأنام من قد ... أحبها منهـم قلاهـــا !

ومن شعره في جمال الربيع قوله :

تأملت من حسن الربيع نضارة ... وقد غرَّدت فوق الغصون البلابل
حكت في غصون الدوح قساً فصاحة ... لتعلم أن النبت في الروض باقل

ومن شعره في الرثاء قوله في والدته :

تقول لي ودموع العين واكفة ... ما أفظع البينَ والترحال ياولدي
فقلت أين السرى؟ قالت: لرحمة من ... قد عز في الملك لم يولد ولم يلد

غير أن ما تركه الإمام ابن الأزرق من مؤلفات قيمة طغى على سائر مناحي نشاطه الفكري فقد تحلى فيها دبجته يراعته في مختلف العلوم والفنون ماجعله مثار إعجاب الذين كتبوا عنه أو قرأوا أو سمعوا . . وقد كان منها كتاب (الإبريز المسبوك في آداب الملوك) و (روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم

---

(١) أزهار الرياض ٣/٣٢٢ ، وقد تشكك في النفح في نسبة هذه السينية لابن الأزرق ، هذا كما نسب الأبيات الثلاثة الماضية (فديتك لا تسأل عن السر) لابن عاصم . النفح ٦/١٥٢

الإسلام) و (شفاء الغليل في شرح مختصر خليل)[١] هذا إلى مأثر عنه من فتاوى نقلها عنه صاحب المعيار في جامعه[٢]. وقد رأيت أن أقدم بين يدي الباحثين اليوم عرضاً عن مخطوطته الفريدة « بدائع السلك في طبائع الملك » التي لخص فيها كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وكلام غيره ولكن مع زوائد كثيرة[٣]...

(١) وقف الإمام المقري على جملة من هذا الشرح بتلمسان تتألف من ثلاث مجلدات ويقدر صاحب النفح أن يصل الكتاب إلى عشرين مجلداً حيث أن المجلد الأول لم يكمل مسائل الصلاة. قال المقري: « لم أر في شروح الخليل – مع كثرتها – مثله ».

(٢) كان منها فتواه باستنكار نكث بيعة أبي الحسن النصري.

(٣) وقفت في المكتبة العامة بالرباط على أربع نسخ من المخطوط المتحدث عنه علاوة على ما يوجد منه في خزانة جامعة القرويين والخزانة الملكية الأولى رقم ج/٦٤ كمل نسخها في أوائل صفر عام ٩٩٨، عدد صفحاتها ٥٢٩ تحتوي الورقة على واحد وعشرين سطراً من قياس ٢٥,٥ س على ١٨,٥ بينما النسخة الثانية رقم ج/٩٣ عدد صفحاتها ٣٩٧ تحتوي الصفحة على خمسة وعشرين سطراً قياس ٢٢,٥/١٧,٥ والثالثة رقم د ٥٨٢ عدد صفحاتها ٥١٢ قياس الصفحة ٣٠/٢١,٥ وقد نسخت في جمادى الأولى عام ١٢٦٣ - أما النسخة الرابعة فتحمل رقم د/١٣٤٠ عدد صفحاتها ٦٤٨ تحتوي كل صفحة على واحد وعشرين سطراً قياس الصفحة ٢٢,٥/١٧,٥

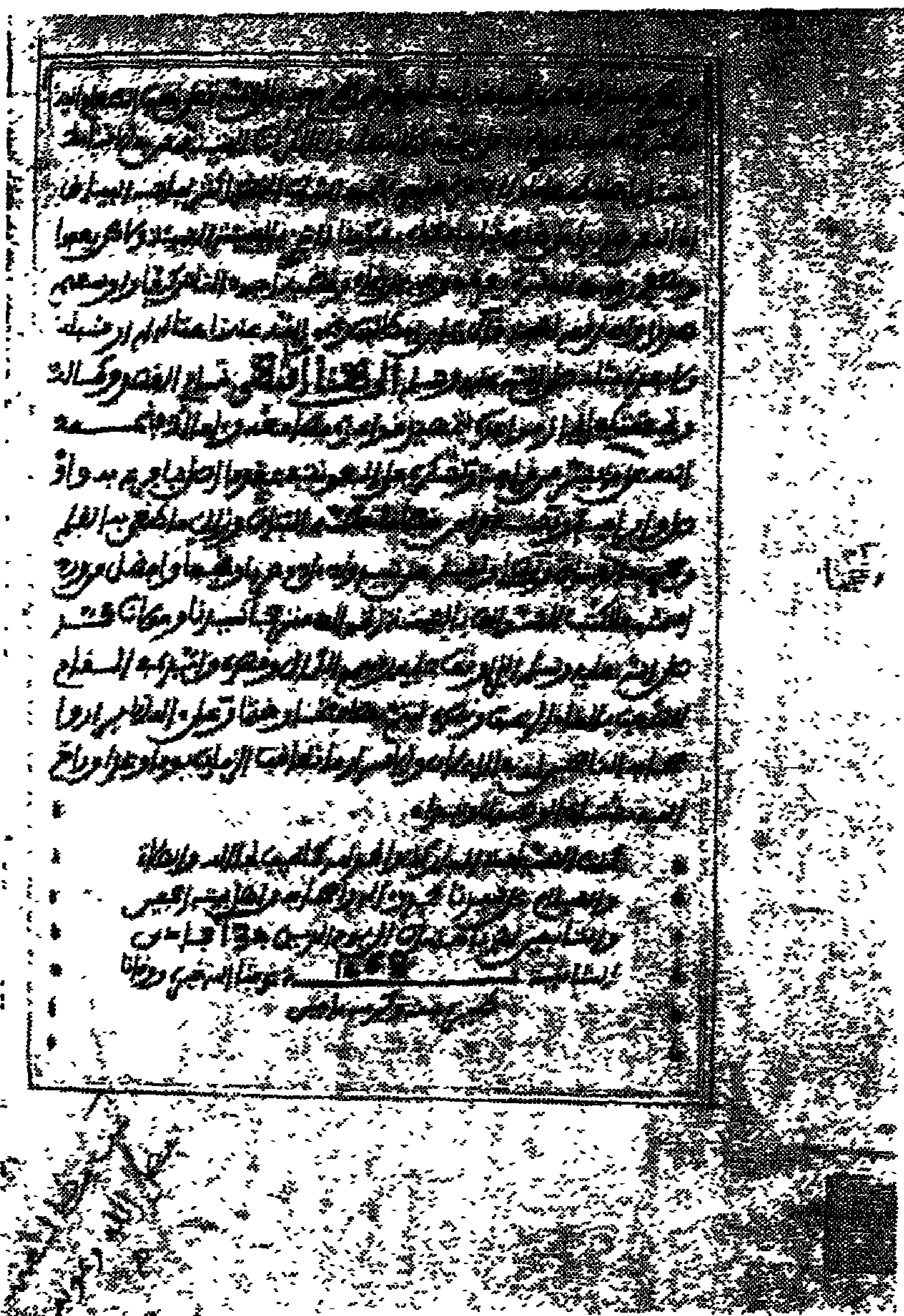
ويبتدىء الكتاب هكذا: « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. قال الشيخ الفقيه الخطيب البليغ البارع العالم المتفنن المتبحر الصدر الإمام الأوحد فخر علماء الأندلس في عصره في العلوم وسيد وقته في العلوم قاضي الجماعة السيد أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الأصبحي وصل الله عزته وحفظ في الأعلام العلماء رتبته: الحمد لله مالك الملك إيجاداً وتدبيراً ومبدعه من فيض جوده عليا بأسرار وجوده خبيراً...

وينتهي بالصلاة على النبي الكريم « وعلى آله والأبرار الصحابة الناصحين في الإعلان والإسرار ماتعاقب الزمان يوماً وغدا، وراح إليه مشتاق الوصول وغدا..

(النسخة ج/٦٤) الصفحة الثالثة « سميته ببدائع السلك في طبائع الملك » وفي النسخة د/٣٢ كتابة العنوان هكذا: «بدائع السلوك في طبائع الملوك » يقول: لو خصصت السياسة بلحظ جانبها المرعي الذمام ، وأعمل في فائدة حملها، بعتبرها في التصريف ومعملها، واجب العناية بها والاهتمام لناسب أن يسمى بتحبير السياسة وتدبير السياسة، فهي العلم الذي لا يستغني عنه سوقة ولا ملك ، ولا من نهج به في التقويم سبيل الرشد القويم وسلك ، فمن سماه بذلك فوجهه وضاح الأسرة مشرقها ، ولحظه في الاعتبار المناسب أصيل المناسب معرقها ،

النسخة ج/٩٣ . اشتهر عن القاضي ابن الأزرق أنه كان في كتابه « بدائع السلوك » متأثراً جداً بابن خلدون ، بل إنه يكتفي أحياناً بنقل كلامه حرفياً ... وهذه الصفحة من المخطوطة ، حول أن للدول أعماراً محدودة كالأشخاص ، تعطي فكرة عن مدى صحة هذا القول الذي يظهر أن له نصيباً، من النظر ولو أن ابن الأزرق حرص كثيراً على أن يدلي برأيه فيما يلخصه ، الأمر الذي يدل على أنه ليس مجرد ناقل .. لاحظه هنا يعقب : قلت : تقدم له قبل هذا أن طول أمد الدول على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة ، واستظهر على ذلك بشهادة الواقع من طول أمد كثير من الدول ، ثم هو هنا يقدر عمرها بما ذكر ويجعله طبيعياً ، فانظر فيه متأملاً .

النسخة د/٥٨٢ . كما يحكي ابن رضوان أن الوزير الشهير أبا عبد الله بن الحكم (صوابه : الحكيم) لما وفد رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب ، قال له : ما طلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعفناه بكذا .. وعدّد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة ، فقال له : نعم يا مولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولا جهله ، لكن لسان حاله ينشد : أيا ملبسي .. « البيت » .



النسخة د/١٣٤٠ آخر ورقة من المخطوط التي تعالج، كمسكة الختام ،بيان مايدل من الأخبار على فضل النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا نزل به الأمر فوّض المخرج فيه إلى الله تعالى . أحب الطعام إليه ماكثرت عليه الأيدي .. أكثر لباسه البياض .. لايجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ... أجود الناس كفّاً ، وأوسعهم صدراً ، وأصدقهم لهجة ... صلى الله عليه وسلم ... وعلى آله الأبرار وأصحابه الناصحين له ، في الإعلان والإسرار ، ماتعاقب الزمان يوماً وغدا ، وراح إليه مشتاق الوصول وغدا ». ويلاحظ أن هذه النسخة كملت يوم ١٣ جمادي الثانية ١٢٦٨ هـ .

وبخاصة أريد سوق كلامه عن (الرسالة والوفود) وما أثار انتباهه مما قيل عن الموضوعين في المؤلفات التي سبقته ، وذلك تنويها بالكتاب وإشادة ، وتدليلاً عليه ، تكميلاً للفائدة التي قدمها إلينا ، لحد الآن ، سائر الذين عنوا بابن الأزرق .

رتب الكاتب ابن الأزرق مؤلفه ترتيباً دقيقاً ، وتفصيلاً متقناً ، أمكن معه أن نستخلص للمخطوط فهرساً تقريبياً يستوعب سائر مادته ويعطي فكرة عن محتوياته ، سواء منها رؤوس الأقلام أو ماينذرج أو يتفرع عن تلك الرؤوس.

ولعل من المفيد أن تتحمل استعراض هذا الفهرس أمامنا لنشوق الباحثين لمراجعة المخطوط واستشارته ، وذلك قبل أن نقدّم الفصل الذي وقع عليه اختيارنا . . .

يستهلّ الكتاب بمقدّمتين ، الأولى في تقرير ما يوطن للنظر في الملك عقلاً وفيه عشرون سابقة . . . بينما تعالج المقدّمة الثانية تمهيد أصول من الكلام في الملك شرعاً وفي هذه عشرون فاتحة .

وبعدها يجزىء المخطوط إلى كتب أربعة وخاتمة .

الكتاب الأول : في حقيقة الملك والخلافة وسائر أنواع الرياسات وفيه بابان : الأول في حقيقة ذلك وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في حقيقة الملك وفيه خمس مسائل . . . النظر الثاني في حقيقة الخلافة وفيه خمس مسائل ... النظر الثالث في سائر أنواع الرياسات . . . أما الباب الثاني فهو في سبب وجود الملك وشرطه ، والنظر في طرف سببه ومابه قضى الله ذلك الشرط وهو الحرب والقتال وفيه ثلاثة أطراف : الطرف الأول في سبب وجود الملك ، الثاني في شرط وجود الملك وهو العصبية أو مايقوم مقامها ، الثالث في الحروب التي تفضي إليها العصبية في طلب الملك أو الدفاع عنه أو غير ذلك، وفيه ذكر الأمم في ترتيبها ومايلزم في تدريبها من الأدب والمكائد .

الكتاب الثاني : في أركان الملك وقواعد مبناه ضرورةً وكمالاً وفيه بابان : الأول في الأفعال التي تقام بها صورة الملك ووجوده وهي عشرون ركناً : الركن الأول نصب الوزير وفيه مقدمتان وثلاثة مطالب ـ الثاني إقامة الشريعة ـ الثالث إعداد الجند ـ الرابع حفظ المال ـ الخامس تكثير العمارة فيه مقدمتان وثلاثة مقاصد ـ السادس إقامة العدل ـ السابع تولية الخطط الدينية ـ الثامن ترتيب المراتب السلطانية ـ التاسع رعاية السياسة ـ العاشر مشورة ذوي الرأي وفيه مقدمات ومقامات ـ الحادي عشر بذل النصيحة ـ الثاني عشر في أحكام التدبير ـ الثالث عشر تقويم الولاة والعمال ـ الرابع عشر كثرة اتخاذ البطانة وأهل البساط ـ الخامس عشر تنظيم المجلس ـ السادس عشر تقدير الظهور والاحتجاب ـ السابع عشر رعاية الخاصة والبطانة ـ الثامن عشر ظهور العناية لمن له الحق ـ التاسع عشر مكافأة ذوي السوابق ـ العشرون تخليد مفاخر الملك ومآثره . أما الباب الثاني ففي الصفات التي تصدر منها تلك الأفعال على أفضل نظام ، والمقرر منها عشرون قاعدة ومقدمات . القاعدة الأولى العقل وفيها مسائل ـ الثانية العلم وفيها مسائل ـ الثالثة الشجاعة وفيها نظران ـ الرابعة العفة وفيها مسائل ـ الخامسة السخاء والجود وللنظر فيها منهاجان ـ السادسة الحلم وفيها مسائل ـ السابعة كظم الغيظ والغضب ، وفيها طرفان ـ الثامنة العفو وفيها مسائل ـ التاسعة الرفق وفيها مسائل ـ العاشرة اللين ـ الحادية عشرة التثبت وفيها مسائل ـ الثانية عشرة الوفاء بالعهد وبالوعد وفيه طرفان ـ الثالثة عشرة الصدق والكذب وفيها مسائل ـ الرابعة عشرة كتم السر وفيها مسائل ـ الخامسة عشرة الحزم ، وفيها مسائل ـ السادسة عشرة الدهاء والتغافل وفيها نظرات ـ السابعة عشرة التواضع وفيها ثلاثة مطالب ـ الثامنة عشرة سلامة الصدر من الحقد والحسد وفيه طرفان ـ التاسعة عشرة الصبر وفيه مسائل ـ العشرون الشكر وفيه مسائل...

الكتاب الثالث : فيما يطالب به السلطان تشييداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعده وفيه مقدّمة وبابان ـ المقدمة في التحذير من محظورات تخلّ بذلك شرعاً وسياسة . الباب الأول : في جوامع ما به السياسة المطلوبة من السلطان ومن يليه وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول ، في سياسة السلطان ويندرج تحته سياسات ، الأولى سياسة الرعية . الثانية سياسة الأمور العارضة التي هي الجهاد والسفر والشدائد النازلة والرسالة والوفود ـ الفصل الثاني في سياسة الوزير وفيه ثلاث سياسات ... الفصل الثالث في سياسة سائر الخواص والبطانة في صحبة السلطان وخدمته ـ أما الباب الثاني ففي واجبات يلزم السلطان سياسةً القيام بها وفاء بعهدة ماتحمله وطلب منه .

والواجب الأول حفظ الدين ، والواجب الثاني تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين ، والواجب الثالث إقامة الحدود وفيه مسائل ، والواجب الرابع في عقوبة المستحق وتعزيره ـ الواجب الخامس رعاية أهل الذمّة وفيه مسائل .

الكتاب الرابع : في عوائق الملك وعوارضه وفيه بابان : الأول في عوائق الملك المانعة من دوامه ، وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في التعريف بالعوائق . العائق الأول حصول الترف والتنعيم للقبيلة ـ الثاني لحاق المذلة للقبيل ـ الثالث استحكام طبيعة الملك ـ الرابع إرهاف الحد ـ الخامس الحجاب الواقع دليلاً على الهرم ـ السادس حجر السلطان والاستبداد عليه ـ السابع استظهار السلطان على قومه ـ الثامن انقسام الدولة الواحدة بدولتين . النظر الثاني في التعريف بكيفية طروء الخلل إلى الدول . النظر الثالث في التعريف بأن مقتضى الإنذار يمنع دوام الملك .

أما الباب الثاني ففي عوارض الملك اللاحقة لطبيعة وجوده ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول في عوارض الملك من حيث هو وفيه مسائل ـ الثاني في اختيار المنازل الحضرية وفيه مسائل ـ الثالث في اكتساب المعاش بالكسب والصنائع وفيه مسائل ـ الرابع في اكتساب العلوم وفيه مسائل . . .

الخاتمة في سياستي المعيشة والناس وفيها مقدمتان وسياستان ، المقدمة الأولى في التقوى ، والثانية في حسن الخلق وفيها مسائل ـ السياسة الأولى : سياسة المعيشة ، وفيها ثلاثة مطالع : المطلع الأول في كليات مما تدبر به المعيشة من جانب الوجود وفيه إثارات . . . المطلع الثاني في أمهات مما تحفظ به من جانب العدم وفيه إضاءات ، المطلع الثالث : في مهمات دينية يعتبر بها حفظ المعاش من جانبي الوجود والعدم وفيه لوامع . . . السياسة الثانية : سياسة الخلق وفيه مقدمات وست مسائل : الأولى في ملك اللسان ـ الثانية ملك الحواس ـ الثالثة في صورة الإنسان ظاهراً وباطناً ـ الرابعة في أحوال الإنسان الخارجة عنه ـ الخامسة في الإخوان والصديق ـ السادسة في المعارف...

وضمّن الكتاب الثالث حول ما يطالب به السلطان تشيداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعده يوجد الباب الأول في جوامع السياسة المطلوبة من السلطان . . . وهذا الباب يتفرع إلى ثلاثة فصول : الأول في سياسة السلطان وتحت هذا سياسات كما أسلفنا . . . وفي مبحث السياسة الثانية نجد تفصيلاً عن الأمور العارضة كما تقدم . وقد عالج العارض الرابع موضوع الرسالة ، كما عالج العارض الخامس موضوع الوفود ، وكلا العارضين الرابع والخامس نقترح على القراء مطالعتها معنا تأكداً من أسلوب الكتاب وعلو نفس مؤلفه وبعض المصادر التي يعتمدها أو يتأثر بها . . . مؤملين من ذلك مزيد إلفات نظر لهذا المؤلف الجليل :

قال ابن الأزرق تحت عنوان العارض الرابع :

« . . . ولموقعها ـ أي الرسالة ـ من الملوك عند مسّ الحاجة إليها تخصّها رعايات من السياسة سابقة ولاحقة » .

● الرعاية الأولى : تحقق أن موقع الرسول من السلطان موقع الدليل من المدلول ، والبعض من الكل ، ففي سياسة أرسطو[1] : اعلم أن الرسول يدلّ على عقل من أرسله ، إذْ هو عينه فيما لايرى ، وأذنه فيما لايسمع ، ولسانه فيما غاب عنه . وقالوا : الرسول قطعة من المرسل . قلت : ومن المشهور قولهم ثلاثة دالّة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدي ، والكتابة على الكاتب .

● الرعاية الثانية : اختيار من يرضى لها لأجل هذا الموقع ففي بقية كلام أرسطو المتقدم مقرراً لما يترتب عليه : « فيجب أن تختاره أرفع من في حضرتك عقلاً وبصيرة وهيبة وأمانة تجنبًا لجميع الريب » .

إذا ماكنتَ متخذاً رسولاً   فلا ترسل سوى رجل نبيل
فإن النجح في الحاجات يأتي   لطالبها على قدر الرسول

● الرعاية الثالثة : تقسيم الأرسال بحسب اتصالهم بمايطلب فيهم إلى ثلاثة كما يظهر من كلام أرسطو : أولهم الكامل الاتصاف بما شرط فيه وهو المفوض إليه بعد المعرفة بغرض مرسله ، ولذلك لايوصّى لاحتمال أن يرى عند المشاهدة أن الصواب في غير ماوصّى به ، قال :

إذا كنت في حاجة مُرسلاً   فأرسل حكيماً ولاتوصـــه
وإن باب أمرٍ عليك التوى   فشاور لبيباً ولا تعصـــه[2]

(١) ألف أرسطاطاليس كتابه السياسة في تدبير الرياسة لتلميذه الملك الاسكندر ابن فيليبس اليوناني ، وفي مكتبة برلين نسختان منه ، وقد نقله إلى العربية يوحنا البطريق.

(٢) البيت لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب . راجع كتاب رسل الملوك تأليف ابن الفراء تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ٨ ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٠

الثاني المتوسط الاتصاف اقتصاراً على الثقة والأمانة والتيقظ ، وهو المقصور على ماألقي إليه من غير زيادة ولا نقص ليؤدي الجواب عليه كما سمعه .

الثالث المقتصر على الأمانة فقط ، وهو الموجه بكتاب ليأتي بجوابه.
قلت : والعرف الآن أنه لايعد من الأرسال وإنما يُسمى رقاصاً ورتبته مختلفة عنهم بكثير .

● الرعاية الرابعة : اجتناب تخصيص الوزير بها وإن كان المتصف بأكمل الصفات وأجمها ، ففي سياسة أرسطو : « إياك أن ترسل وزيرك ولا تخرجه من حضرتك ، فإن في ذلك فساد ملكك » قلت : لأن منزلة الوزير من السلطان منزلة السلطان من الرعية فكما لاتستغني الرعية عن السلطان لا يستغني هو عن الوزير . وقد تقدم تقريره . .

● الرعاية الخامسة : اعتماد التلطف في الوصول إلى المقصود بها والتيقظ لوجوه التصدي إليه تحصيلاً واستجلاباً كما حكى ابن رضوان(١) أن الوزير الشهير أبا عبد الله بن الحكيم(٢) لما وفد رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس

---

(١) هو رئيس الكتاب الصدر البليغ أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري من أهل مالقة كان من أعيان كتاب السلطان المستعين بالله سالم المريني. النفح ٦/١٠٧

(٢) أجمعت النسخ المخطوطة التي أشرنا إليها على تسميته هكذا : ابن الحكم والصواب ابن الحكيم . وهو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي الرندي وأصل سلفه من أعيان إشبيلية ثم ثم انتقلوا إلى رندة في دولة بني عباد . ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه ، وقد قدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر إثر عودته من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهري فألحقه السلطان بكتابه إلى أن توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة =

على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب قال له : مامطلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعفناه بكذا ، وعدّد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة فقال له : نعم يامولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولاجهله لكن لسان حاله ينشد :

أيا ملبسي النعمى التي جل قدرها لقد خلقت تلك الثياب فجددا!

قال فأكمله مطالبه ، ووفى بحسن تلطفه مآربه .

● الرعاية السادسة : اتقاء التساهل في اختيار الرسول لما يؤدي إليه من عظيم الضرر مع الموالي والمعادي ، فمن بعض الحكماء : « اختر رسولك في الحرب والمسالمة فإن الرسول يلين القلوب ويخشنها ، ويبعد الأمور ويقربها ويصلح الود ويفسده » . وكان أردشير يقول : كم من دم سفكه الرسول بغير حق ، وكم من جيوش قد قتلت ، وعساكر قد انتهكت ، ومال قد نهب ، وعهد قد نقض ، بخيانة الرسول وكذبه (١) .

= ثم لقبه بذي الوزارتين ولكن السياسة لم تشغله عن المطالعة والدرس ... إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً غدوة يوم الفطر شوال سنة ثمان وتسعمائة يوم خلع سلطانه ، ومن شعره :

فقدت حياتي بالفراق ومن غدا بحال نوى عمن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدي عن ديار ألفتها جحيم فؤادي قد تلظى وقد وقد !

وقد ورد ابن الحكيم سفيراً على السلطان أبي يعقوب يوسف عام ٧٠١ صحبة الوزير عبد العزيز الداني لإحكام عقد الموالاة بين الأندلس والمغرب وقد تم اللقاء بضواحي تلمسان ، مما قيل في رثائه :

قتلوك ظلماً واعتدوا في فعلهم حد الوجوب
ورموك أشلاء ، وذا أمر قضته لك الغيوب
إن لم يكن لك سيدي قبر فقبرك في القلوب

الإحاطة ٢/١٨٠ ، النفح ٢/٦١٨ ، ٥/٥٩٨ ، الاستقصاء ٣/٨٢

(١) التازي : تاريخ المغرب الدبلوماسي ، طبعة فضالة ، ص ٨ — ٩

● الرعاية السابعة : امتحان الرسول عند ترشيحه للرسالة ، قال الجاحظ : « من الحق على الملك أن يمتحن رسوله محنة طويلة قبل أن يجعله رسولاً » ثم حكي عن ملوك الأعاجم أنها كانت تمتحن من تختاره للرسالة بجعله رسولاً إلى بعض خاصته مع جعل عين عليه ، فإذا طابق ماأحصاه العين عليه وعلم صدق لهجته جعله رسولاً إلى عدو له مع بعث العين عليه ، فإن اتفقا فيما رجعا به وعلم أن قد صدقه صيّره رسولاً إلى ملوك الأمم ووثق به وأقام بعد ذلك خبره مقام الحجة . انتهى ملخصاً .

● الرعاية الثامنة : إرداف الرسول بثان أوثالث أو رابع ، وإن كانا اثنين فذلك مما أخذ به بعض حكماء الملوك مبالغة في التحفظ من خيانة الرسول أوتقصيره . فمن أردشير أنه كان يقول : « يجب على الملك إذا وجّه رسولاً إلى ملك آخر أن يردفه بآخر . وإن وجه رسولين أن يتبعهما باثنين فإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقاة ولا يترافقا فيتوافقا فعَل »(1). قلت : وهذه مبالغة يعسر العمل بها والميسور منها لايترك .

● الرعاية التاسعة : تربُّص العمل بمقتضى ما ورد بـه الرسول حتى يوقف على حقيقته من جهة أخرى ، ذكر الجاحظ قائلا (2) : على السلطان إذا عاد إليه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك ، في خير أو شر ، أن أن لا يحدث في ذلك أمراً حتى يكتب إليه مع رسول آخر بحكاية كتابه الأول حرفاً ، فإن الرسول ربما أحرم بعض ما أمّل فافتعل الكتاب وحرَّض المرسل على المرسل إليه وأغرى به كذبا عليه . ثم حكى ما اتفق لرسول عن الإسكندر لما أمر بخلع لسانه من قفاه حين وقف على زيادة منه تعرفها بإعادة الرسول إلى من كذب عليه ذلك الرسول . قلت : « الوقوع في

(1) رسل الملوك ص ٢٥ (2) التاج في أخلاق الملوك .

ذلك نادر ، والتحفظ منه بهذه المبالغة ربما يتعذر فلا توقف لما ذكر ، والصواب ما يقتضيه الحال والله تعالى المرشد إليه ، والمعين لمن شاء عليه » .

● الرعاية العاشرة : تعلم الرسول ما يجب عليه شرعا وسياسة ، فقد قال النووي في فضل معرفة ما يحتاج إليه المسافر حسبما تقدم عنه : « إن كان رسولا عن سلطان أو نحوه اهتم بتعلم ما يحتاج إليه من آداب المخاطبات وأجوبة المحاورات ، وما يحل من الضيافات والهدايا ، وما يجب عليه من رعاية النصيحة وتوقي الغش والخداع والنفاق والحذر ، ومن التسبب في مقدمات الغدر ، إلى غير ذلك مما يتعين عليه » انتهى .

من مستحسن ما وفت به الأرسال من حقوق مرسلها في الثناء عليه بحسن السيرة على أبلغ بيان ما حدث به الجاحظ عن الفضل بن سهل قال : كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا للمأمون يجعل اختلافهم إليّ ، فكنت أسأل رجلاً منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظمائهم ، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال : بذل عرفه ، وجرّد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، لا يبطر جنده ، ولا يحوج رعيته ، سهل النوال ، حزْن النكال ، الرجاء والخوف معقودان في يده ، فقلت : وكيف حكمه ؟ قال : يردّ الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه ، فالرعية اثنان: راض ومغتبط ، قلت : وكيف هيبتهم له ؟ قال : يتصوّر في القلوب فتغضي له العيون . قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائي له وإقبالي عليه ، فسأل ترجمانه : ما الذي يقول الرومي ؟ قال له : يذكر ملكهم ويصف سيرته . فتكلم مع الترجمان بشيء فقال لي الترجمان : إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، وقد كسا رعيته جميل نعمته ، وخوّفهم عنيف عقوبته ، فهم يتراءونه ترائي الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسعهم عدله

وردعتهم سطوته ، فلا تمتهنه مزحة ولا توهنه غفلة ، إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ، فالناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجي خائف الأمل ، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : لا ترفع العيون إليه أجفانها ، ولا تتبعه الأبصار إنسانها ، كأن رعيته قطا رفرفت عليهم صقور صوائد(١) . فحدث المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتها عندك ؟ قلت : ألفا درهم . قال : يافضل إن قيمتها عندي أكثر من الخلافة ، أما علمت قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قيمة كل امرىء ما يحسن فتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة ، فقد أمرت لها بعشرين ألف دينار ، واجعل المذر مادة بيني وبينها في الجائزة ، فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما ما في بيت مال العامة والخاصة دون ما يستحقانه .

وبعد هذا مباشرة ينتقل ابن الأزرق للفصل التالي تحت عنوان (العارض الخامس الوفود) . وللسياسة الفاضلة بهم عنايات :

● العناية الأولى : احتفال السلطان للقائهم بإظهار زينة الملك وجماله ، فقد كان للنبي ﷺ حلة يتجمل بها للوفود والعظماء ، قال القرافي : وذلك أهيب وأوقع في النفوس وأجدر لحصول التعظيم في الصدر ، قال ابن رضوان : فهو أمر عادي شرعي .

● العناية الثانية : إكرام من يرد منهم من ذوي النباهات في قومه ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لما وفد عليه زيد الخيل بسط له رداءه وأجلسه عليه وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

● العناية الثالثة : حسن الإقبال عليهم بالتلطف لهم في الخطاب

---

(١) رسل الملوك ص ٣١

تأنيساً لهم وإدلالاً ، ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان رفيقاً بالوفود ، قلت : كقوله ﷺ لوفد عبد القيس : مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى .

● العناية الرابعة : الإذن في الكلام لمن هو أهل في المقام السلطاني لئلا يتجاسر عليه من لا يستحقه ، ففي وفادة قريش على سيف بن ذي يزن قوله لعبد المطلب جدّ النبي ﷺ إذ كان لا يعرفه وأراد أن يتكلم : « إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك » ، وفي وفادة الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله للغلام الذي تصدر للكلام : (ليتكلم من هو أسنّ منك) .

● العناية الخامسة : إفاضة الإحسان على وفد التهنئة مبالغة في البرّ بهم وإدخال السرور عليهم ، قال ابن رضوان : وهي من سنن الملوك الحسنة وكأنها في معرض شكر الله تعالى بإدخال المسرة على خلقه على النعمة المهنأ بها .. انتهى .

شرح إشارة تقدمت بحكايتين فيها جمل من آداب هذا المقام .

الحكاية الأولى : قضية وفادة قريش على سيف بن ذي يزن : يروى عن ابن عباس رضي الله عنه أتاه وفد العرب وأشرافهم وشعراؤهم لتهنئه وتمدحه ، وأتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ، في عدّة من وجوه قريش ، وأهل مكة ، وأتوه بصنعاء وهو في قصره الذي يقال له غمدان ، فاستأذنوا عليه وهو متضمخ بالعنبر يبصّ المسك من مفارقه ، وعن يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك ، فاستأذن عبد المطلب في الكلام وكان أجل القوم قدراً ، وأعظمهم فخراً ، وأعلاهم نسباً ، وأكرمهم حسباً . ولم يكن سيف يعرفه فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب : أيها الملك إن الله عز وجل قد أحلّك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك

نباتاً طابت أرومته ، وأعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن . وأنت رأس العرب وربيعها الذي به تخصب ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت فيهم خير خلف ، ولن يخمل ذكر من أنت خلفه . أيها الملك نحن أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا بك ، فنحن وفد التهنئة لا وفد التعزية . قال : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال : ابن أختنا؟ قال : نعم ، قال : أدن . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال : مرحباً وأهلاً : وناقة ورحلاً ، وأمناً ومناخاً سهلاً ، وملكاً فحلاً ، يعطي عطاء جزلاً ، قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، لكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم ، فأخبره ببعثة النبي ﷺ من قومه ، وأمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل ، وعشرة أعبد وعشر إماء ، وعشرة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش عنبر .. وأمر لعبد المطلب بعشرة أمثال ما أمر لهم .

الحكاية الثانية : خبر وفد الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : يُروى أنه لما ولي الخلافة وفد عليه الوفد من كل بلد ، فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر : ليتكلم من هو أسن منك ، فقال له : أصلح الله أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه من الأنام . ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في مجلسك هذا من الأمة من هو أحق منك . فقال : نعم صدقت ، قل ما بدا لك ، فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد تعزية ، وقد أتيناك لمن الله الذي منّ علينا بك ، لم يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتتنا منك ، وأما الرهبة فقد أمنّا جورك بعدلك ، فقال له عمر : عظني

ياغلام فقال : أصلح الله أمير المؤمنين إن ناساً من الناس غرّهم حلم الله تعالى وطول آمالهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت أقدامهم فهوَوا في النار ، فلا يغرنك حلم الله تعالى ، وطول أملك ، وكثرة ثناء الناس عليك ، فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم ، فلا جعلك الله منهم ، وألحقك بصالح هذه الأمة ، ثم سكت . فسأل عمر عن سنّ الغلام فإذا هو من ثماني عشرة سنةً ثم سأله عن نسبه فإذا هو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتمثل بقوله .

تعلّم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
فإن كبير القوم ، لا علم عنده ، ... صغيرٌ إذا التفت عليه المحافل
وإن صغير القوم ـ والعلم عنده ـ ... كثيرٌ إذا ردت إليه المسائل

لعلّ جولة القارىء في كل تلك الرعايات والعنايات والسياسات تعطيه نظرة عن مخطوطة ابن الأزرق التي كانت محلّ اهتمام وتتبع من سائر الملوك والقادة الذين وجدوا فيها سلوى لهم عند الأذكار ، ومرشداً لهم وقت الاختيار ، وإذا كانت الاستطرادات في بعض الأحيان مما لا يستسيغه التسلسل ، فإنّ استطرادات ابن الأزرق على العكس من ذلك ، تشعرك وأنت تتنقل في ثناياها وبين رحابها بأنك فعلاً في بستان مبهج بزهوره المتنوعة ، وثماره اللذة ومناخه المنعش ، وإنّ الذي زاد في قيمة الكتاب ووزنه أن مؤلفه معدود من الخبراء بالسياسة ، العارفين بأحوالها ، عرف الوزارة والسفارة ، كما زاول مهنة الخطباء والقضاء ، فهو لذلك خير من يقدم لنا مثل هذا العطاء ، وأصدق من يحدثنا عن السياسة والرياسة .

الرباط

عبد الهادي التازي
مدير مركز البحث العلمي

التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية

الدكتور رمضان عبد التواب

أصبح من المسلم به عند العلماء ، أن اللغة ليست من صنع فرد أو أفراد ، وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع ، يجد أفراده أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة ، للتفاهم والتعبير عما يجول بالنفس ، وتبادل الأفكار . تلك الوسيلة هي اللغة .

ومن المسلم به كذلك عندهم أن هذه الوسيلة عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وصيغها ودلالاتها ونظام جملها ، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى .

ويهمنا في هذه المقالة تلك التغييرات التي تعتور أصوات اللغة . وتنقسم هذه التغييرات عموماً إلى قسمين كبيرين ، أولهما : التغييرات التاريخية ، والثاني : التغييرات التركيبية . ونعني بالتغييرات التاريخية تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة ، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته ، صوتاً آخر . أما التغييرات التركيبية فهي التي تصيب الأصوات ، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة .

● ومن أمثلة التغييرات التاريخية في الأصوات : تطور الباء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم إلى « فاء » في اللغات السامية الجنوبية ، وهي العربية والحبشية ، وقد بقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشمالية ، وهي العبرية والآرامية والأكادية ؛ مثال ذلك كلمة : *pōl* (פּוֹל)

في العبرية (١)، التي صارت في العربية: « فول »، وفي الحبشية: Fāl (ፉል).

ومثال ذلك أيضاً: pē (פֶּה) في العبرية = pūmā (فومًا) في الآرامية = pū في الأكادية = « فو » في العربية [إلى جوار: فَمٌ، بالتميم الذي نُسي أصله، فعدّ أصلاً من أصول الكلمة، وأضيف إليها التنوين الذي يقابل التميم، وفتحت الفاء قياساً على بعض أسماء الأعضاء في الجسم؛ مثل: يد، عين، رأس .. الخ] = af (አፍ) في الحبشية.

ومثال ذلك أيضاً: pālag (פָּלַג) في العبرية = plag (فلج) في الآرامية بمعنى: « شق »، فيها = palgu في الأكادية بمعنى: « قناة » = Falag (ፈለግ) في الحبشية بمعنى: « جدول » = « فَلْجٌ » و « فَلَجَ » في العربية بمعنى: « شَقَّ ».

وتطور هذه الباء (p) المهموسة في العبرية والآرامية إلى « فاء » مسألة خاصة بالسياق الصوتي فيها؛ فإن هذا الصوت مع خمسة أخرى، يطلق عليها أصوات: (بجد كبت)، الأصل فيها أن تكون انفجارية، إلا إذا جاءت بعد حركة، فإنها في هذه الحالة تتحول إلى أصوات احتكاكية دون أن يتأثر المعنى بذلك؛ فمثلاً: كلمة « فتح » في العربية، تقابل في العبرية: pātaḥ (פָּתַח) كما تقابل في

(١) انظر: سفر صموئيل الثاني ١٧/٢٨ وسفر عزرا ٤/٩

الآرامية : *ptah* (ܦܬܚ) ، غير أن المضارع من هذا الفعل في العبرية هو : *yiftah* (יִפְתַּח) وفي الآرامية : *neftah* (ܢܦܬܚ) ، فلم تنطق « الباء » فيها : « فاء » إلا لوقوعها هنا بعد حركة .

● ويعد صوت الجيم في العربية مثالاً طيباً للتغييرات التاريخية في الأصوات ؛ فإن مقارنة اللغات السامية كلها ، تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت ، كان بغير تعطيش ، كالجيم القاهرية تماماً ؛ فكلمة : « جمل » مثلاً ، هي في العبرية : *gāmál* (גָּמָל) وفي الآرامية : *gamlā* (ܓܡܠܐ) وفي الحبشية : Gamal (ገመል) . أما العربية الفصحى فقد تحوّل فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار ، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج ، يبدأ بدال من الغار ، ثم ينتهي بشين مجهورة .

ومن التغييرات التاريخية لهذا الصوت انحلاله إلى أحد عنصريه المكوّنين له ، في اللهجات العربية الحديثة ؛ إذ ينطق كالدال في صعيد مصر ، فترى أهالي مدينة « جرجا » مثلاً ، يسمون مدينتهم : « دِردا » ، كما يقولون : « دَمَل » و « داموسة » في : « جمل » و « جاموسة » وغير ذلك . والمكوّن الثاني للجيم ، وهو الشين المجهورة ، نسمعها جيداً في نطق الشاميين لهذا الصوت ، وهو مانسميه : « بالجيم الشامية » .

ويبدو أن انحلال الجيم العربية الفصيحة إلى العنصر الأول من عنصريها ، قد حدث منذ وقت مبكر في اللهجات العربية ؛ فقد ذكر

ابن مكي الصقلي (المتوفّى سنة ٥٠١ هـ) في كتابه : « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » أن الناس في عصره كانوا يقولون : « دشيش » في : « جشيش »[١] ، ومثل ذلك رواه أبو بكر الزبيدي (المتوفّى سنة ٣٧٩ هـ) عن عوام الأندلس في كتابه : « لحن العوام »[٢] ، كما ذكر ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) إلى جانب هذه الكلمة كذلك : « تدشّيت » في : « تجشّأت »[٣] .

وأقدم من هذا انحلالها إلى العنصر الثاني وهو الشين المجهورة ، وقد ضاع منها الجهر ، فصارت شيناً مهموسة ، كالشين الأصلية في العربية ؛ فقد روي عن قبيلة تميم أنهم كانوا يقولون في المثل : « شرٌّ ما أشاءك إلى مُخّة عرقوب » بدلاً من : « أجاءك » أي : « ألجأك »[٤] .

وقال زهير بن ذؤيب العدوي[٥] :

فيا لَ تميمٍ صابروا قد أُشِئتمُ إليه وكونوا كالمُحَرِّبة البُسْلِ

كما قال الراجز[٦] :

إذ ذاك إذ حبل الوصال مُدْمَشُ

أي : « قد أجئتم » بمعنى : « ألجئتم » و « مدمج » .

ويروي لنا أصحاب كتب لحن العامة بعض أمثلة هذه الظاهرة عبر

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦
(٢) لحن العوام للزبيدي ٢٠
(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠١
(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/١٦٤ ، والصحاح (شيأ) ١/٥٩
(٥) الصحاح للجوهري (شيأ) ١/٥٩
(٦) سر صناعة الإعراب ١/٢١٥ وألف باء للبلوي ٢/٤٣٢

عصور العربية ، وفي أصقاعها المختلفة ؛ فقد رووا لنا مثلاً : « اشترّت الدابة » في : « اجترّت » و « فلان مشّهد » في : « مجتهد » و « اشترأ على فلان » في : « اجترأ عليه » و « شخّ الصبي » في : « جخّ » و « فشّر » في : « فجّر » و « وِشّ »[1] في : « وجه » ، وغير ذلك .

وهناك تغيير تاريخي ثالث للجيم في اللهجات العربية ، وهو تحولها إلى « ياء » . وقد حدث في لهجة تميم كذلك ؛ فقد روي أن بني تميم يقولون في : « الصهريج » وفي جمعه : « الصهاريج » وهو الذي يجتمع فيه الماء : « الصهريّ والصهاريّ » ، كما روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال : « شيرة » للشجرة . وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكنّ ظل ولاجنى فأبعدكنّ الله من شيرات

تريد : « شجرات » .

وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر ، في بعض قرى جنوبي العراق ، وبعض بلدان الخليج العربي ؛ إذ يقولون في « مسجد » مثلاً : « مسيد » ، وفي « دجاج » : « دياي » وغير ذلك[2] .

● وصوت القاف كذلك من الأصوات التي عانت كثيراً من التغييرات التاريخية في العربية ؛ فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان والتصاقها باللهاة ، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول هذا السد فجأة ، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ؛ ففي العبرية مثلاً :

Ḳōl (קוֹל) بمعنى: «صوت» وفي الآرامية: Ḳdām (קְדָם)

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٣١٥ ، ٣٣٥

(٢) انظر في كل ذلك : فصول في فقه العربية ١١٣

بمعنى : « قدّام » ، وفي الحبشية : Kōma (ቆመ) بمعنى : « قام » ، وفي الأكادية : pakad بمعنى : « بحث » . وهذا النطق المهموس هو الذي نسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية في مصر .

وقد عدّ قدماء اللغويين العرب « القاف » من الأصوات المجهورة ، فإن صدق وصفهم هذا ، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة ، وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر .

غير أن هناك تغييرات تاريخية أخرى كثيرة ، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية ، فهو في كلام كثير من أهل مصر والشام : « همزة » ، وقد روي لنا في القديم مثل هذا النطق في كلمة : « القفز » و « الأفز »[1] ، كما ينطق في السودان وجنوبي العراق « غيناً » ، فنسمعهم يتحدثون عن « الاستغلال » وهم يقصدون بذلك : « الاستقلال » . وفي لهجة مصر كلمتان من هذه الظاهرة ، هما : « يغدر » ومشتقاتها بدلاً من : « يقدر » ، وكلمة : « زغزغ » بمعنى حرك يده في خاصرة الصبي ليضحكه ، ولها صلة « بالزقزقة » المروية لنا عن العرب ، بمعنى ترقيص الطفل[2] . كما ينطق صوت القاف صوتاً مزدوجاً ، كالجيم الفصيحة ، في بعض بلدان الخليج كالبحرين ؛ إذ يقولون مثلاً : « الجبلة » ، بدلاً من : « القبلة » . كما نسمعها في مدينة « الرياض » وما حولها بالسعودية ، صوتاً مزدوجاً كذلك ، غير أنه مكوّن من دال وزاي

---

(١) انظر الإبدال لأبي الطيب ٢/٦٢٥
(٢) انظر اللهجة العامية المصرية في القرن الحادي عشر ١١٥

(d z) في مثل : « زبلة » في : « قبلة » ، و « المزيبرة » في : « المقبرة » وغير ذلك . وهناك أخيراً تطور للقاف لدى كثير من الفلسطينيين ، بنطقها كالكاف ، فهم يقولون مثلاً : « كال » في : « قال » و « كتله » في : « قتله » ، وغير ذلك .

* * *

هذه هي بعض أمثلة التغييرات التاريخية للأصوات في اللغات السامية ، والعربية ولهجاتها . أما التغييرات التركيبية فهي مشروطة بتجمع صوتي معين ، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللفظية .

وأهم قوانين التغييرات التركيبية للأصوات قانونان هما : قانون المماثلة Assimilation وقانون المخالفة Dissimilation . أما الأول فيدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب ، في حين يدعو الثاني صوتين متماثلين إلى التخالف والتباعد . ونفصل فيما يلي القول في هذين القانونين :

١ – قانون المماثلة :

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل ، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة ، مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام ، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ؛ ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها – كما نعرف – في المخارج ، والشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق ، وما إلى ذلك ، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً ، حدث بينهما شدٌّ

وجذب ، كل واحد منها يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها .

وهذا التوافق كما يحدث بين الأصوات الصامتة يحدث كذلك بين الحركات ، كما يحدث أيضاً بين الأصوات الصامتة والحركات .

وهناك اصطلاحات لعلماء الأصوات ، في أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة ، فإن أثر الصوت الأول في الثاني فالتأثر (مقبل) ، وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر) ، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر (كلي) ، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر (جزئي) . وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع ، قد يكون الصوتان متصلين تماماً ، بحيث لايفصل بينها فاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات ، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض ، بفاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات .

ويمكن تلخيص بيان أشكال التأثر الصوتي ، على النحو المبين في الصفحة المقابلة .

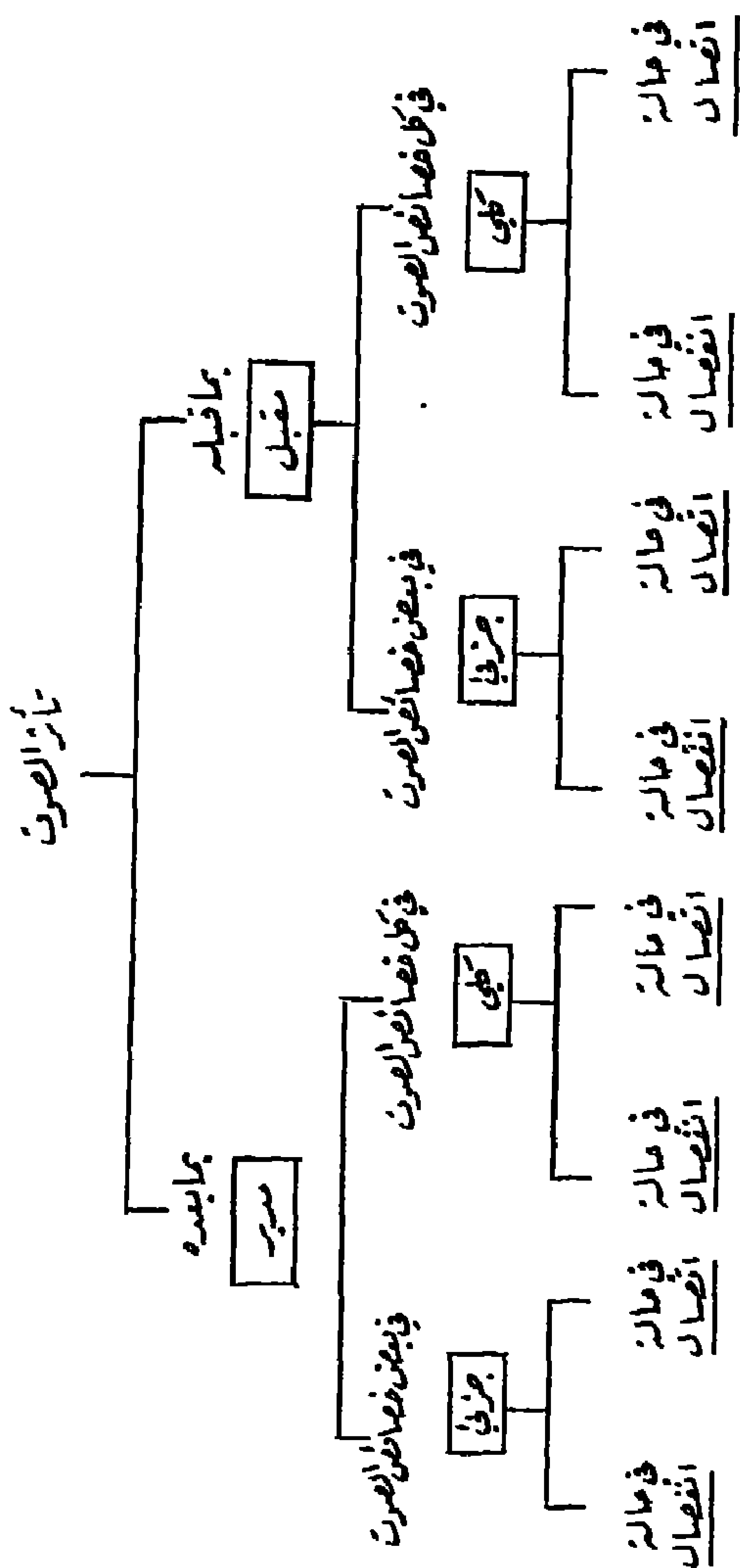
وقبل أن نضرب الأمثلة المختلفة على ذلك ، نحب أن نشير هنا إلى أن الصوت لايمكن أن ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جداً ، فلاينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلاً ، إلى صوت آخر من أصوات الحلق ، وكذلك العكس .

وقد فطن إلى هذه الحقيقة العلامة ابن جني فقال (١) : « فأما قول من قال في قول تأبط شراً :

كأنما حثحثوا حُصّاً قوادمُه   أوأمَّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاق

إنه أراد : حثثوا ، فأبدل من الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا

(١) سر صناعة الإعراب ١/١٩٧



تأثر الصوت
بما قبله
مقبل
بما بعده
مدبر
في كل خصائص الصوت
في بعض خصائص الصوت
كلي
جزئي
في حالة اتصال
في حالة انفصال

وإنما ذهب إليه البغداديون وأبو بكر [بن السراج] معهم ، وسألت أبا علي عن فساده ، فقال : العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف ، إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء فبعيدة عن الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها . قال : وإنما (حثحث) أصل رباعي ، و (حثّث) أصل ثلاثي وليس واحد منهما من لفظ صاحبه ، إلا أن (حثحث) من مضاعف الأربعة ، و (حثّث) من مضاعف الثلاثة » .

كما يقول ابن سيدة : « ما لم يتقارب مخرجاه ألبتة ، فقيل على حرفين غير متقاربين ، فلا يسمى بدلاً ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق [1] » .

وفيما يلي نضرب الأمثلة لكل نوع من أنواع التأثر السابقة :

(١) التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال : من أمثلته ما يلي :

ا – تتأثر تاء الافتعال دائماً بالدال أو بالطاء قبلها ، فتقلب دالاً أو طاء ؛ وذلك مثل :

ادترك ، ادّرك ؛ ادتهن ، ادّهن ؛ اطتلب ، اطّلب ؛ اطتلع ، اطّلع ؛ اطترد ، اطّرد .

ب – تتأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها ، فتقلب ذالاً أو صاداً أو ضاداً ؛ مثل : اذتكر ، اذّكر ؛ اضتجع ، اضّجع ؛ اصتبر ، اصّبر .

جـ – تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل ، إذا كانت طاء ، فتقلب طاء في بعض

---

(١) المخصص ١٣/٢٧٤

اللهجات القديمة . وعلى هذه اللغة أنشد قول علقمة بن عبدة التميمي :

وفي كل حيٍّ قد خَبَطْتَ بنعمة فحقٌّ لشأس من نداكَ ذَنُوب

ويقول سيبويه : « وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء ؛ لأن هذه التاء علامة الإضمار ، وإنما تجيء لمعنى ، وليست تلزم هذه التاء الفعل ، ألا ترى أنك إذا أضمرت غائباً قلت : (فَعَلَ) فلم تكن فيه تاء » (١) .

(٢) التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال : من أمثلته ما يلي :

ا ـ تتأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (ـهُ) والجمع المذكر (ـهُم) والجمع المؤنث (ـهُنَّ) والمثنى (ـهُما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة ، أو ياء ، فتقلب الضمة كسرة ؛ مثل : برجليهُ > برجليهِ ؛ فيهُ > فيهِ ؛ عليهُ > عليهِ ؛ ضربتيهُ > ضربتيهِ ؛ بصاحبيهُم > بصاحبيهِم ؛ قاضيهُم > قاضيهِم ؛ بهُنَّ > بهِنَّ ؛ بهُمَا > بهِمَا ، وغير ذلك . وأصل حركة هذا الضمير موجود في القراءة القرآنية المروية عن حفص في قوله تعالى : « وما أنسانيهُ إلا الشيطان أن أذكره » وقوله تعالى : « ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله (٢) » ، وهذا الأصل هو لغة أهل الحجاز ، وقد روي عنهم أنهم كانوا يقرأون : « فخسفنا بهو وبدارهو الأرض » (٣) .

ب ـ روى أبو بكر الزبيدي أن عامة الأندلس في القرن الرابع الهجري كانت تقول : خَيْزَران وسَيْكَران ، وهو نبت تدوم خضرته في القيظ (٤) ، بدلاً من خَيْزُران وسَيْكُران .

---

(١) كتاب سيبويه ٢/٤٢٣

(٢) التيسير للداني ١٤٤

(٣) المقتضب للمبرد ١/٣٧

(٤) لحن العوام للزبيدي ٥٤ ، ١٢٤

(٣) التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال : من أمثلته مايلي :

ا - تتأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها ، فتقلب طاء في الحالتين الأوليين ، ودالاً في الحالة الثالثة ؛ مثل : اصتبغ ﴿ اصطبغ ؛ اضتجع ﴿ اضطجع ؛ ازتجر ﴿ ازدجر .

ب - تتأثر تاء الافتعال بالجيم إذا كانت فاء للفعل ، فتقلب دالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : اجتمع ﴿ اجدمع ؛ اجتزّ ﴿ اجدزّ .

ويقول ابن جني[1] : « وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات ؛ قالوا : اجدمعوا في اجتمعوا ، واجدزّ في اجتزّ ، وأنشدوا :

فقلت لصاحبَيْ لا تحبسانِي بنزع أصوله واجدزَّ شيحا

ولايقاس ذلك إلا أن يسمع ، لاتقول في اجترأ : اجدرأ ، ولا في اجترح : اجدرح » !

جـ - تتأثر الثاء بالأصوات المجهورة قبلها ، فتقلب ذالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : يجثو ﴿ يجذو ؛ تلعثم ﴿ تلعذم .

وإن كان ابن جني ينكر أن يكون ذلك قلباً ويدعي أنها لغتان ؛ فيقول[2] : « وأما قولهم : جذوت وجثوت ، إذا قمت على أطراف أصابعك . وقرأت على أبي علي :

إذا شئت غنتني دهاقين قرية وصنّاجة تجذو على كل منسَمِ

فليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه ، بل هما لغتان ، وكذلك قولهم أيضاً : قرأ فما تلعثم ، وما تلعذم » .

(١-٢) سر صناعة الإعراب ١/٢٠١

د — تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل إذا كانت صوتاً مفخماً ، فتقلب التاء طاء في بعض اللهجات القديمة ، وهي تلك التي يقول أصحابها : فَحَصْطُ برجلي ، بدلاً من : فحصت (١) .

هـ — روى أبو الطيب اللغوي (٢) أنه يقال في « نَشْز » : « نَشْس » ، كما يقال في « رجل جِبْس » للرجل الدنيء : « رجل جِبْز » ؛ ففي المثال الأول تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها ، فقلبت إلى نظيرها المهموس وهو السين ، وفي المثال الثاني تأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي .

(٤) **التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال** : من أمثلته مايلي :

أ — تتأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي في كلمة : مِهْراس ، التي صارت : مِهْراز في لهجة الأندلس العربية في القرن السادس الهجري ، كما روى لنا ذلك ابن هشام اللخمي (٣) .

ب — تتأثر الذال بالقاف قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم وهو الظاء ، في بعض اللهجات القديمة ؛ يقال للشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت : وقيذ ووقيظ . ويقول ابن جني (٤) : « يقال : تركته وقيذاً ووقيظاً . والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال ؛ لقوله عز اسمه : (والموقوذة) بالذال ، ولقولهم : وقذه يقذه ، ولم أسمع : وقظه ، ولا موقوظة ؛ فالذال أعم تصرفاً ، فلذلك قضينا بأنها الأصل » .

---

(١) انظر كتاب سيبويه ٢/٤٢٣ ، وسر صناعة الإعراب ٢/٢٢٥

(٢) الإبدال لأبي الطيب ٢/١١٨ (٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٤

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٢٣٣

جـ ـ تتأثر الدال بالراء قبلها في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم ، وهو الضـــاد ؛ لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية ؛ مثل : معربد ، معربض[1] .

(ه) التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال ؛ من أمثلته ما يلي :

ا ـ في مضارع صيغتي : تفعّل وتفاعل ، تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان ؛ ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي ؛ مثل :

يَتَذَكّر > يَتْذَكّر > يَذّكّر ← اذّكّر (في الماضي)

يَتَطَهّر > يَتْطَهّر > يَطّهّر ← اطّهّر (في الماضي)

يَتَدارأ > يَتْدارأ > يَدّارأ ← ادّارأ (في الماضي)

يَتَثَاقل > يَتْثَاقل > يَثّاقل ← اثّاقل (في الماضي)

وقد حدث ذلك في اللغة العربية القديمة ، وجاء ذلك في القرآن الكريم ، جنباً إلى جنب مع الصيغة الأخرى ، التي لم يحدث فيها تطور ؛ كقوله تعالى : « اثّاقلتم إلى الأرض » (التوبة ٩/٣٨) « وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها » (البقرة ٢/٧٢) « بل ادّارك علمهم في الآخرة » (النمل ٢٧/٦٦) « وما يذّكّر إلا أولو الألباب » (البقرة ٢/٢٦٩) « وما يدريك لعله يزّكّى أو يذّكّر فتنفعه الذكرى » (عبس ٨٠/٣-٤) « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنَتْ » (يونس ١٠/٢٤) .

ولعل هذه الظاهرة كانت في سبيل التطور في العربية الفصحى ، عندما جاء الإسلام ؛ ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم ـ كما قلنا ـ جنباً إلى جنب مع الصيغ القديمة ، التي لم يحدث فيها تغير للأصوات ،

---

(١) لحن العوام للزبيدي ٢٩٦

كقوله تعالى : « لولا أن تداركه نعمة من ربك » (القلم ٤٩/٦٨) « وما يتذكر إلا من ينيب » (غافر ١٣/٤٠) « قالوا إنا تطيرنا بكم » (يس ١٨/٣٦) ، وهو يقول في آية أخرى : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك » (النمل ٤٧/٢٧) . بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين معاً ، كقوله تعالى : « ليدّبروا آياته وليتذكّر أولو الألباب » (ص ٢٩/٣٨) .

وقد ظل هذا التطور سائراً في طريقه في لهجات الخطاب ، حتى ساد وحده ، وقضى على الظاهرة القديمة ؛ ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلاً : فلان اصّدعت دماغه ، واسّرّع في كلامه ، واشّهّى الأكل ، واصّوّر ، واطّوّع في الجيش . ولا أثر للصيغة القديمة في لهجات الخطاب ؛ إذ لا يقال فيها مثلاً : فلان تصدّعت دماغه ، وتسرّع في كلامه ، وتشهى الأكل ، وتصوّر ، وتطوّع في الجيش .

وكذلك الحال في صيغة (تفاعل) ؛ إذ ماتت هي الأخرى ، وحلت محلها صيغة : (اتفاعل) التي شاهدنا مولدها في عصر نزول القرآن الكريم ؛ إذ نقول الآن في لهجات الخطاب : فلان اطاول على فلان ، واشّاتم هو وهو ، واسّاهل معاه ، واصّالحوا سوا ؛ بدلاً من . تطاول عليه ، وتشاتم ، وتساهل ، وتصالح .

بل لقد سادت صيغتا (اتفعّل واتفاعل) في اللهجة العامية المصرية ، حتى ولو لم يكن في الأصل صوت من أصوات الصفير أو الأصوات الأسنانية ، كقولنا مثلاً . « اتفرّج » و « اتبهدِل » و « اتزازِل عليه » ، وغير ذلك .

ب — تتأثر النون في : إنْ وأنْ ومِنْ وعَنْ ، بالميم واللام التي تليها ،

فتقلب ميماً أو لاماً ؛ مثل : إمّا وأمّا وإلا وألا وممّا وعمّا ، وما إلى ذلك .

جـ — في العربية القديمة ، تتأثر لام التعريف بما بعدها ، من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة (الراء واللام والنون) ، وهي ماتسمى عند اللغويين العرب بالحروف الشمسية ، فتدغم فيها . وقد جمعها بعض الشعراء في أوائل كلمات البيت التالي :

طب ثم صل رحماً تفز ضف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفاً للكرم

د — روى لنا اللغويون في « وَتِد » : « وَدّ » ، وقالوا : « الأصل : وَتِد ، وهي اللغة الحجازية الجيدة ، ولكنْ بني تميم يسكنون التاء ويدغمونها في الدال »[١] .

هـ — تتأثر اللام في كلمة : (بل) بالراء في أول الكلمة التي تأتي بعدها ؛ فتقلب راء ؛ كقول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينـــا

فإنها تنطق : « بردّيه » . وكان ذلك هو السبب الذي أوقع قطرباً النحوي المشهور في الخطأ ، حين زعم أن « بَرْد » من كلمات الأضداد ، تأتي بمعنى : بَرْد وسخُن ، اعتماداً على هذا البيت ، ولم يدر أن الراء منقلبة عن اللام في « بل » . وقد عابه بذلك أبو الطيب اللغوي ، في كتابه الأضداد (١/٨٦) . ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم » (المطففين ٨٣/ ١٤) . وهذا هو السر في أن بعض القراء يسكت بعد اللام سكتة لطيفة ، حتى يوجد فاصلاً بين اللام والراء بعدها ، فلا تتأثر بها .

---

(١) الجمل للزجاجي ٢٨٠

و - تتأثر الراء في بعض قراءات القرآن باللام بعدها ، في مثل قوله تعالى : « يغفر لكم » فتقلب لاماً ، وإن كان ابن جني ينكر ذلك ويقول : « واعلم أن الراء لما فيها من التكرير ، لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف ؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير . فأما قراءة أبي عمرو : « يغفر لكم » ، بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا ، وغير معروف عند أصحابنا ، إنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس » [1] .

ز - أورد سيبويه شواهد على تأثر لام (بل) بالشين والثاء والتاء بعدها ؛ مثل قول طريف العنبري :

تقول إذا استهلكتُ مالاً بلذّة ... فكيهةُ هشّيءٌ بكفيّك لائقُ

يريد : هل شيء ... وقرأ أبو عمرو : هثّوّب الكفارُ ، يريد : « هل ثُوّب الكفار ... » وقد قرىء : بتّؤثرون الحياة الدنيا ، يريد : « بل تؤثرون ». وقال مزاحم العقيلي :

فدع ذا ولكن هتّعينُ متيّماً ... على ضوء برق آخر الليل ناصبُ

يريد : هل تعين » [2] .

(٦) التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ من أمثلته ما يلي :

ا - كلمة : (እምዘ) *ʾemza* في الحبشية تقابل كلمة : « مُنْذُ » العربية ، وهي في الحبشية مركبة من : (እም) *ʾem* بمعنى « مِنْ » و (H)za بمعنى اسم الموصول (ذو) الطائية . وهذا كله يدل على أن أصل (مُنْذُ) العربية : (مِنْ + ذو) ،

(١) سر صناعة الإعراب ٢٠٦/١

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٤١٧/٢

فقلبت كسرة الميم ضمة تأثراً بضمة الذال بعدها . وقد بقي هذا الأصل عند بني سليم ، فقد حكي عنهم أنهم يقولون : « مِنْذُ » بكسر الميم [1] . ويخطىء السيوطي حين يرى أن الذال في مُنْذُ « ضمت إتباعاً لحركة الميم ، ولم يعتدّ بالنون حاجزاً »[2] .

ب - تطورت كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة : مِفْعَل ومِفْعَلة ، وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري [3] ؛ إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين ، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ مثل : مَقْوَد ، ومَسَنّ ، ومَقْنَع للثوب الذي يغطى به الرأس ، ومَطْرَد للرمح الصغير ، ومَخَدّة ، ومَزْدَغة للوسادة . وقد استمر ذلك في لهجة الأندلس في القرون التالية ، فقد روى لنا ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون : مَصيدة ، ومَطرقة ، ومَغرفة ، ومَرود ، ومَشرط ، ومَنجل ، ومَنبر ، ومَكنسة ، ومَروحة ، ومَلعقة [4] .

وهذا هو الاتجاه العام في تطور هاتين الصيغتين في اللهجات العربية الحديثة ؛ ففيها يسود التأثر المُدْبِر ، كما في الأمثلة السابقة . أما التأثر المُقْبِل فيها ، فلم أعثر له على مثال إلا فيما رواه ابن الجوزي (المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ) من قول العامة في عصره : (مِكِنْسة) بدلاً من « مِكْنَسة »[5] .

(١) انظر : لسان العرب (منذ) ٥/٤٧

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٧

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ١٩٠ - ١٩١

(٤) المصدر نفسه ٢٣٧ - ٢٣٨

(٥) تقويم اللسان لابن الجوزي ٤٤

(٧) التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال ، من أمثلته ما يلي :

ا — في العربية القديمة تتحول الصاد قبل الدال إلى زاي ؛ مثل : « يَزْدُق » في « يَصْدُق » ، واتصال الصاد بالدال هنا شرط لتحقق التأثر السابق ؛ قال ابن السكيت : « والعرب تقول : ازْدُق بمعنى : اُصْدُق ، ولا يقولون : زَدَق »(١) . ولم يعين اللغويون القبيلة التي ينتمي إليها هذا الإبدال ، وأغلب الظن أن الزاي هنا كانت مفخمة ، غير أنهم كتبوها بالزاي المرققة ، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية . وقد روي لنا هذا الإبدال كذلك في المثل العربي : « لم يُحرم من فُزْدَ له »(٢) .

وقد زعم أبو الطيب اللغوي أن طيئاً تقلب كل صاد ساكنة زاياً ، ولم يقيدها بوقوعها قبل الدال ، فقال : « ويقال : هي المِزدغة والمِصدغة ، للمِخدَّة . وطيء تقلب كل صاد ساكنة زاياً . قال الأصمعي : كان حاتم الطائي أسيراً في عنزه ، فجاءته النساء بناقة ومِفْصَد ، وقلن له : افصد هذه الناقة ، فأخذ المفصد فلَتَم في سَبَلتها ، أي نحرها ، وقال : هكذا فزدي أَنَهْ ، أي فصدي أنا ثم قال :

لا أفصد الناقة من أنفها لكنني أوجرُها العاليه

وقد قرىء : حتى يَصْدُر الرِّعاء ويَزْدُر الرعاء . ويقال : هو كثير القزدلك والقصدلك »(٣) .

(١) انظر : القلب والإبدال لابن السكيت ٤٥

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ١٩٤

(٣) الإبدال لأبي الطيب ٢/١٢٦ – ١٢٨

وكل هذه الأمثلة وقعت فيها الصاد قبل الدال مباشرة ، وهي السبب في هذه المماثلة ، فلا يقال - كما في هذا النص - : « وطيء تقلب كلّ صاد ساكنة زاياً » ، بل تزاد عبارة : « قبل دال » ولعلها ساقطة من أصل الكتاب .

ب - تتأثر النون الساكنة بالباء التالية لها ، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء ، وهو صوت الميم ؛ إذ هو شفوي كالباء ، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب في مثل قوله تعالى : « من بعد ما جاءهم » ، وقوله تعالى : « عليم بذات الصدور » ، وقوله : « إذ انبعث أشقاها » . ومثل ذلك قول عامة الناس اليوم : « مَمْبَر » في مِنْبَر إلى جانب التأثر المدبر الكلي في حركة الميم ، كما سبق أن عرفنا .

جـ - تقول العامة في عصرنا الحاضر : « يِسْحَف » بدلاً من « يَزْحف »[1]؛ فقد تأثرت الزاي في هذا المثال ، وهي صوت مجهور ، بالحاء التالية لها وهي صوت مهموس ، فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين .

(٨) التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال ؛ من أمثلته ما يلي :

ا - الصاد قبل الراء تقلب زاياً في بعض قراءات القرآن الكريم ؛ مثل : « زراط » في : « صراط » أو لعلها كانت تنطق مثل الظاء العامية ؛ إذ يقول صاحب « مقدمتان في علوم القرآن » (١٤٧) : « غير أن الذي يُشمّ بالصاد زاياً يحافظ على بقاء الإطباق في الصاد » . وهذا ما سبق أن ذكرناه من ترجيح أن تكون الزاي مفخمة في مثل هذه الكلمات .

(١) انظر : تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٨٥

ب ـ روى ابن هشام اللخمي أن النـاس كانوا في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري يقولون في : « سرداب » : « زِرْداب »[١].

جـ ـ الناس في مصر وبعض البلاد العربية ، يطلقون على : « السعتر » « زعتر » [٢] .

د ـ بنو أسد يقولون في « الدَّفتر » : « تِفتر »[٣] .

هـ ـ تميل الراء إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها ، ومن هـذا الأثر قولنا في مصر : « طُور » في : « تُور » المنقلبة عن « ثَور » ، كما نطلق كلمة : « الضرب » على « الدرب » بمعنى الطريق المسدود .

و ـ السين قبل الطاء تقلب صاداً في بعض قراءات القرآن ؛ فقـد روي « عن ورش عن نافـع : أم هم المصيطرون ، و : فلست عليهم بمصيطر ، بإخلاص الصاد . وروى محمد بن الجهم عن الفراء قال : الكتاب وخط المصحف بالصاد في : مصيطر ، والمصيطرون ، والقراءة بالسين » [٤] .

٢ ـ قانون المخالفة :

هناك قانون صوتي آخر ، يسير في عكس اتجـاه قانون المماثلة ، وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم : « قانون المخالَفة » ؛ فقد عرفنا أن قانون المماثلة ، يحاول التقريب بين أصوات بينها بعضُ المخالفات . أما قانون المخالفة ، فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات ،

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٤٣
(٢) انظر : تهذيب الألفاظ العامية للشيخ الدسوقي ٦٦
(٣) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١/١٠٩
(٤) انظر : مقدمتان في علوم القرآن ١٤٨

فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم : Liquida وهي : اللام والميم والنون والراء .

ويقول فندريس : « ينحصر التخالف ، وهو المسلك المضاد للتشابه ، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة ، وكان من حقها أن تعمل مرتين ؛ فمن الكلمة اللاتينية : Arborem (أربُورم) بمعنى : شجرة ، نشأت الكلمتان : الأسبانية Arbol (أربُل) والبروفنسية Albre (ألبْر) ، فالذي حدث في كلتا الحالتين ، مع اختلاف الترتيب ، هو أن المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات ، التي يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلاً من أن يقوم بحركتين ، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج اللام المائعة »(١) .

ومثال المخالفة بين السامية الأم والعربية : كلمة « شمس » ، فهي في السامية الأولى : « شمش » كما في الأكادية والعبرية والآرامية . والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم ، قلبت في العربية « سيناً » ، وهذا من التغييرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل ، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية : « سمس » ، غير أن المخالفة بين السينين ، أدت إلى قلب الأولى شيناً .

وكذلك كلمتا : « سنبلة » و « قنفذ » حدثتا بطريق المخالفة بين الصوتين من كلمتين كانت الباء فيهما مشددة ؛ « فسبلة يوافقها في العبرية : šibbōlet̠ (שִׁבֹּלֶת) وقنفذ يوافقه في العبرية : Kippōd̠ (קִפֹּד) »(٢) .

(١) اللغة لفندريس ٩٤

(٢) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو ٤٦

ومثـال ذلك في العربية : « قيراط » و « دينار » بدلاً من : « قِرّاط » و « دِنّار » بدليل الجمع : « قراريط » و « دنانير » . و « أملل » و « أملى » ، وفي القرآن الكريم : « وليملل الذي عليه الحق » (البقرة ٢/ ٢٨٢) .

وكان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في : « إجّاص » للكمثرى : « إنجاص » ، وفي : « أترجّ » : « أترنج » ، وفي : « إجّانة » : « إنجانة » ؛ فقد ذكر الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩ هـ) أن الناس كانوا في عصره يزيدون النون في هذه الكلمات فقال : « ويقال : أترجّ وإجّانة وإجاص . هذه الأحرف بإسقاط النون »[١] .

كما كان أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري يقولون : « كرناسة » في : « كراسة » كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة : « عدنبس » بدلاً من الكلمة القديمة : « عدبّس » ، وكان يقولون : « تقعور » بدلاً من الفعل : « تقعّر »[٢] .

كما روى أبو منصور الجواليقي (المتوفّى سنة ٥٣٩ هـ) عن عامة عصره أنهم كانوا يقولون : « مِنْطَر » في : « ممطر » ، كما كانوا يقولون : « خَرْمَش » في : « خَمَّش »[٣] .

والكلمة الأخيرة يستعملها العامة اليوم مع القلب المكاني ، فيقولون : « خرشم » ومثل ذلك في كلامهم لفظة : « لخبط » التي حدث فيها قلب مكاني من : « خلبط » التي نتجت بطريق المخالفة الصوتية من الفعل القديم : « خلّط » .

(١) انظر : ما تلحن فيه العوام للكسائي ٣٥ ، وانظر كذلك : إصلاح المنطق ١٧٦

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ٣٥ ؛ ١٦١ ؛ ٢٦٤

(٣) انظر : تكملة ما تلحن فيه العامة للجواليقي ١٣٤ ؛ ١٣٩

كما تقول العامة في عصرنا الحاضر : « قرنبيط » في : « قنّبيط » و « مهردم » في : « مهدّم »[1] و « فرتك » في « فرّك » و « ضرفة الباب » بدلاً من : « دفّة » ، وقد فخمت الدال بتأثير الراء ، كما سبق أن ذكرنا ذلك ، كما يقولون : « كعبل » بدلاً من « كبّل »[2] . ويقولون كذلك : « سنكر الباب » بدلاً من « سكّر » المستعارة من الآرامية : (ܣܟܪ)[3].

وقد حكى ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) بعض الأمثلة التي يمكن أن تفسّر بقانون المخالفة ، عن طريق إبدال أحد المتماثلين حرف مدّ ؛ مثل : « عايرت الموازين » في : « عيّرت » و « عوش الطائر » في : « عشّ » و « مصافتهم » في : « مصفّتهم » و « ضارة المرأة » في « ضرّة » و « موخ » في : « مخّ »[4] . ومثل ذلك ما حكاه ابن السكيت عن العرب أنهم يقولون : « الذمّ » و « الذّام » للعيب[5].

ولعلنا ، بقانون المخالفة ، نستطيع أن نفسر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي : « زُحْلُوفة » و « زُحلُوقة » في قول الأصمعي : « الزحاليف والزحاليق : آثار تزلّج الصبيان من فوق طين أو رمل أو صفاً ، فأهل العالية يقولون : زحلوفة وزحاليف ، وبنو تميم ومن يليهم من هوازن يقولون : زحلوقة وزحاليق »[6] ، فالظاهر أن الكلمة الأولى : «زحلوفة» مأخوذة من الفعل : « زحلف » الناتج بطريق المخالفة الصوتية من « زحّف » كما أن الكلمة الثانية : « زحلوقة » مأخوذة من الفعل : « زحلق » الناتج بطريق

(١) انظر : أصول الكلمات العامية لحسن توفيق العدل ٣٩

(٢) انظر : المحكم في أصول الكلمات العامية ، للدكتور أحمد عيسى ٨٣ ؛ ١٨٨

(٣) انظر : فصول في فقه العربية ٢٩٠ .

(٤) انظر : المدخل إلى تقويم اللسان ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣

(٥) القلب والإبدال لابن السكيت ٢٦

(٦) الإبدال لأبي الطيب ٢/٣٣٧

المخالفة الصوتية كذلك من الفعل : « زلّق » ، فانظر إلى اختلاف الأصول وتشابه الفروع الجديدة :

وليس من اللازم أن يكون الصوتان متجاورين ؛ فكلمة : « عنوان » تنطق في بعض اللهجات عندنا : « علوان » ، وكلمة : « لعل » فيها عشر لغات مشهورة[1] . ومن هذه اللغات : « لعنّ » ، وهي أثر من آثار قانون المخالفة .

وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة ، وكانوا يعبرون عنها أحياناً « بكراهية التضعيف » أو « كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد » أو « اجتماع الأمثال مكروه » أو « استثقلوا اجتماع المثلين » وغير ذلك ؛ فقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه بعنوان : « هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء ، لكراهية التضعيف ، وليس بمطرد »[2] .

وقال أبو عكرمة الضبي : « أنشدني أبو العالية لبعض بني أسد :

إذا برِحَت فنقعٌ مستكفٌّ ... وإن تُقْني فيلْتَغْنْدٌ عذُومُ

تقني : صارت في قنان من الأرض ، وهي إكام ذات حجارة ، الواحد قُنّة . وكان الأصل : تُقْنِن ، فأبدل النون الأخيرة ياء ، كراهةً لاجتماع حرفين من جنس واحد ، كما قالوا : تظنّيت ، والأصل : تظننت ، وكقول العجاج :

تقضّيَ البازي إذا البازي كسر

أراد : تقضض . ولهذا أمثال كثيرة »[3] .

ومن قواعد الصرفيين في العربية ، أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٧١/١

(٢) كتاب سيبويه ٤٠١/٢

(٣) الأمثال لأبي عكرمة ٨٤ – ٨٥

قبل واو متحركة مطلقاً ، أو ساكنة متأصلة الواوية ، نحو : « أواصل » و « أواق » ؛ فإن الأصل فيها : « وواصل » ، وكذلك : « وواق » ؛ لأنها جمعان لكلمتي : « واصلة » و « واقية » ؛ ففاء كل منها واو . ويجري مثل ذلك في أنثى : « الأول » وجمعها ؛ فإن الأصل فيهما أن يكونا : « وُولى » و « وُوّل » ، ولكنهما في العربية : « أولى » و « أوّل » ، وليس ذلك كله إلا أثراً من آثار قانون المخالفة .

والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية ، هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بها في كلمة واحدة ؛ ولتيسير هذا المجهود العضلي ، يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً ، كاللام والميم والنون .

ويرى « برجشتراسر » أن العلة في التخالف « نفسية محضة ، نظيره الخطأ في النطق ، فإنا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه ، وأكثر ما يكون هـــذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ؛ لأن النفس يوجد فيها — قبل النطق بكلمة — تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه ، بعــــد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع فيها حروف متشابهة » (١) ، وذلك مثل الكافات في عبارة : « كريم الكركشندي دبح كبش ، وحمل على كرش الكبش كشك ، يا ما أحلى كشك كرش كبش كريم الكركشندي » !

ومن المخالفة الصوتية المؤثرة في العربية كذلك : المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين ، إذا كانت الأولى منها طويلة ؛ إذ تتحول الثانية منها في

---

(١) التطور النحوي ٢١

هذه الحالة إلى كسرة ، فالأصل في نون المثنى هو الفتح ، غير أنها كسرت تبعاً لهذا القانون ؛ بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر، وبدليل بعض الأمثلة التي بقيت على الأصل القديم ، وهي ما نسميه نحن « بالركام اللغوي » ؛ مثل : « شتانَ » في مثل قولهم : « شتان أخوكَ وأبوكَ » أي هما متفرقان ؛ فهو تثنية شتّ ، والشتّ : المتفرّق (١) .

ومن لم يقنعه هذا المثال ، فلينظر في نون التوكيد المشدّدة ، وهي مفتوحة — كما نعرف — في : « يضربَنَّ » و « تضربَنَّ » وما إلى ذلك ، غير أنها مكسورة في مثل : « يضربانِّ » بسبب المخالفة المذكورة .

وهذه النون التي تسمّى بنون الرفع في الأفعال الخمسة ، هي مفتوحة في : يفعلونَ وتفعلونَ وتفعلينَ ، ولكنها مكسورة في : يفعلانِ وتفعلانِ ، بسبب هذا القانون نفسه .

بل إن نصب جمع المؤنث بالكسرة ليُفَسَّر كذلك بهذا القانون ، أي أن الأصل هو نصب هذا الجمع بالفتحة ، بدليل ما رواه الكوفيون عن العرب من قولهم : سمعت لغاتَهم ، وقول الرياشي : سمعت بعض العرب يقول : أخذت إراتَهم (٢) ، غير أن أثر هذا القانون ، هو الذي أدّى إلى تخالف الفتحة إلى كسرة ، فيما نعتقد .

وليست المخالفة هي الطريق الوحيد في اللغات ، للفرار منْ ثقل اجتماع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في الكلمة ؛ فقد تنشىء اللغة فاصلاً بين الصوتين ، يخفف من ثقل اجتماعها ، كما هو الحال في توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ؛ إذ تزيد اللغة العربية فيه ألف مدٍ بين نون

(١) لسان العرب (شتت) ٢/٣٥٥

(٢) منهج السالك لأبي حيان ص ١١

النسوة ونون التوكيد ، وهذه الألف يسميها الصرفيون « بالألف الفارقة »[١].

ويقول فندريس : « هناك مسلك ثالث ، وذلك بأن لا يتجه الصوتان المتماسان إلى التوافق بين عناصرهما بزيادة المشابهة التي بينهما ، تلك المشابهة التي تصل أحياناً إلى التماثل التام ، ولا أن يتحصن كل منهما ضد الآخر ، بوضع نوع من العازل ، يكون عقبة في سبيل التأثير المتبادل بينهما ، بل على العكس من ذلك بأن يستغلا ما بينهما من فروق فيعمقاها إلى حد ألا يبقى بينهما شيء مشترك ، ثم يزيلا كل نقطة للتشابه ، وتلك هي عملية المفارقة »[٢] .

ويقصد فندريس بالتوافق ما سبق أن سميناه : « المماثلة » ، كما يقصد بالمفارقة ما سميناه : « المخالفة » . أما « العازل » الذي يتحدث عنه فهو الذي سبق أن مثلنا له بالألف الفارقة في العربية . وقد مثل (فندريس) لهذه الاتجاهات التطورية الثلاثة ، بمعاملة بعض اللغات للمجموعتين الصوتيتين : Akta و Atna على النحو التالي :

توافق	↙ anna	‖	توافق	↙ atta
عازل	atna ← atena	‖	عازل	akta ← aketa
مفارقة	↖ atra	‖	مفارقة	↖ achta

وتميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال في أبنيتها ، عن طريق آخر ، إلى جانب طريق المخالفة الصوتية ، ووضع العازل بين الأصوات، ذلك هو طريق الحذف . ومن أمثلة ذلك فيها : صيغ « تفعّل » و « تفاعل » و « تفعلل » مع تاء المضارعة ؛ مثل : « تتقدّم » و « تتقاتل »

(١) انظر في طرق التخلص من توالي الأمثال : الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٨

(٢) اللغة لفندريس ٩١

و « تتبختر » ، فالكثير في العربية الاكتفاء بتاء واحدة . وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك ؛ ففيه مثلا : « تذكّرون » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل : « تتذكّرون » ٣ مرات بلا حذف ، كما يقابلنا فيه مثلا : « تكاد تميّز من الغيظ » بدلاً من : « تتميز » و « فأنت عنه تلهّى » بدلاً من : « تتلهّى » و « ناراً تلظّى » بدلاً من : « تتلظّى » وغير ذلك .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية ، قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب ، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة ، قبل هاتين الحالتين ، كقول الأعشى :

أبالموت الذي لا بدّ أنّي ملاق لا أباكِ تخوّفيني (١)

أي « تخوفينني » . وكقول عمرو بن معديكرب :

تراه كالثغام يُعَلّ مسكا يسوء الفاليات إذا فَلَيْنِي (٢)

أي « فلينني » . وكقول جميل :

أيا ريح الشمال أما تريني أهيم وأني بادي النحول (٣)

أي « ترينني » .

وليست ضرورة الشعر هي المتسببة في هذا الحذف ، كما قد يُتَوَهّم ، إذ ورد في النثر كذلك ؛ فقد ورد في سيرة ابن هشام : « ما الذي تهشونا به » (٤) ، وفيها كذلك : « أفلا تعطوني » (٥) . وفي الأغاني

---

(١) أمالي ابن الشجري ١/٣٦٢ ، والكامل للمبرد ٢/١٤٢ ، والمنصف لابن جني ٢/٣٣٧
(٢) كتاب سيبويه ٢/١٥٤ والمنصف لابن جني ٢/٣٣٧
(٣) الأغاني ٨/١٠٩
(٤) سيرة ابن هشام ٤٠٨
(٥) المصدر نفسه ٥١

للإصفهاني : « فأخبراه أنها لا يعرفاني »[١]. وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: « لِمَ تزعجوني من جواركم »[٢]. وفي تفسير الطبري : « كنا نعطيم في الجاهلية ستين وَسْقاً ، ونقتل منهم ولا يقتلونا »[٣].

ومن أمثلة الحذف لكراهة توالي الأمثال كذلك : إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ ، مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب . والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلاً : « إني » ١٢٤ مرة ، في مقابل : « إنني » ٦ مرات ، كما ورد فيه : « وإنّا » ٣٣ مرة ، في مقابل : « وإننا » مرة واحدة ،وغير ذلك.

ولعل المسؤول عن منع كلمة : « أشياء » من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » (سورة المائدة ٥ / ١٠١) ؛ إذ لو صرفت لقيل : « عن أشياءٍ إنْ » ، ولا يخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن) .

وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال ؛ ففي الآرامية مثلاً : (ܐܪܝܐ) بمعنى « ليث » أصلها الاشتقاقي ʾaryāyā . وفي الألمانية مثلاً كلمة der Beamte بمعنى : « الموظف » ، هذه الكلمة أصلها الاشتقاقي : Der Beamtete وغير ذلك من الكلمات[٤].

القاهرة رمضان عبد التواب

(١) الأغاني ٥/١٢٦ (٢) عيون الأخبار ١/٢٩٣ (٣) تفسير الطبري ٨/٥١٠

(٤) انظر في تفصيل ذلك : مقالتنا « كراهة توالي الأمثال » مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨/١٩٦٩ م

التعريف والنقد

مروان بن محمد
وأسباب سقوط الدولة الأموية

دار لسان العرب « بيروت » ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

الأستاذ عارف النكدي

هذا الكتاب هو تاريخ للعهد الأخير من الدولة الأموية في الشرق. وضعه القاضي سعدي أبو جيب ، وقدم له الدكتور شاكر مصطفى ، فأحسن كلاهما : الدكتور في مقدّمته ، والمؤلف في كتابه ، أحسنا معنى ومبنى ، فليس من حق ما يكتب عن بني أمية ، واللغة العربية كانت في المنزلة التي كانت ، أن يكتب عنها بغير الأسلوب الذي كتبت فيه المقدمة ووضع فيه الكتاب .

ينفي صاحب المقدمة عن مروان (ظلم التاريخ له حين يجعل نهاية الدولة الأموية على يديه ومن عمله ، وما له في الأمر يدان ، وإنما جنى الشوك الذي كان زرعه الآخرون) وهو القول الحق . فالدولة الأموية كانت تحتضر قبل مروان ابن محمد ، وهذا ماأثبته المؤلف فيما عدّده من فساد في الداخل وتزاحم على الخلافة وتقاتل في سبيلها ، وما أحاط بها من فتن وثورات واضطرابات على ما يقوله المؤلف ، وهو الواقع .

نقول : حال لا يقوى خليفة على دفعها ولا القضاء عليها ، أكان مروان بن محمد ، أم غيره .. حتى ولو كان عمر بن عبد العزيز الذي ذهب المؤلف إلى أنه لها ...

دولة مترامية الأطراف ، مختلفة الشعوب ، متباينة المذاهب .. السياسية والدينية ، كانت تجمعها جامعة من الدين ، ففترت حدّته ، وغلبت عليه المطامع

والأغراض فالتفت الناس إلى وجه جديد يغيرون معه ما كانوا فيه ، جاهلين ماعسى أن يقع لهم ، مثلهم مثل من همه أن يخرج مما هو فيه ، ولا يبالي على أي جنبيه وقع .

ويدخل بك المؤلف إلى كتابه في مدخل يقول فيه : « التاريخ ، قصة حكاية ودرس ، هو تصوير للحياة بواقعها ، بكلّ مافيها من خير وشر ... في تاريخ الدولة تجد تصوير حياتها في عزها وذلها ، وفي انتصارها وهزيمتها ، وتجد وصف أيام شبابها وكيف هوت وما هي أسباب كل ذلك » .

وبعد هذا المدخل ، يحدثك المؤلف في خطبة الكتاب : عن مروان كيف اعتلى عرش الخلافة ، ثم ما كان من الأحداث في عصره وكيف عالج ماعالج منها ، وكيف عجز عما عجز عنه ، إلى أن سقطت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية.

ومزايا مروان كثيرة ، وأخطاؤه قليلة قلّ أن يسلم من مثلها عظيم من العظماء .

والكتاب ، على ما فيه من اختصار وإيجاز ، يعطيك الصورة الصادقة عما كان ، وعما كان يمكن أن يكون .

وللدولة – على ما قال ابن خلدون – أعمار (فإذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون) .

عارف النكدي

غمائم الخريف

ديوان جديد للشاعر رياض معلوف

زحلة « لبنان » أيلول ١٩٧٤

الأستاذ شفيق جبري

في عصر مثل عصرنا الذي نعيش فيه ، في عصر شاعت في أكثره حضارة المادّة ، وغلبت الآلة على مظاهر هذه المادة ، أفما ينبغي لنا أن نرحب بالذين يشتد إيمانهم بسلطان الشعر ؟. والأستاذ رياض معلوف صاحب « غمائم الخريف » من المؤمنين بهذا السلطان ، وقد أيّد إيمانه باستشهاده ببعض أقوالٍ للمقدسي وابن خلكان : أيّ شرف أبقى من شرفٍ يبقى بالشعر ، وإن امرأ القيس كان من أبناء الملوك ، وكان من أهل بيتـه وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكاً ، فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكره إلى القيامة ، وإنما أمسك ذكرَه شعرُه ، وإن تحت العرش كنوزاً مفاتيحها ألسنة الشعراء .

لست أشك في أن شاعرية رياض معلوف أصيلة ، وأعتقد أن الإنسان إذا لم يخلقه الله تعالى شاعراً ، لن يبلغ من الشعر مبلغاً مهما تكن لغته وصوره فالشاعرية هي روح الشعر ، لم يبالغ صاحب « غمائم الخريف » لمّا قال في مقدمة ديوانه : وكلّ قطعة منها ، أي من قصائده ، هي فلذة اقتطعتها من حشاشتي وقلبي قبل تسطيرها ... فشعره ابن قلبه وروحه ، وما يشتمل عليه هذا الشعر من لغة وصورٍ وشعور إنما هو ابن طبعه ، خلقه الله فيه .

تتجلى شاعرية رياض معلوف في مواطن كثيرة من شعره ، تتجلى هذه الشاعرية في وصف الطبيعة ، ومحبة ولده ووالده ، ووصف جلائل الآثار ، مثل وصف قلعة بعلبك ومغارة جعيتا ، كما تتجلى في البكاء على

شبابه ، وفي إيمانه بالله تعالى ، وفي وصف وطنه زحلة ، ولست أرمي إلى الإتيان على هذه المواطن كلها ، لقد مررت عليها فلم أجد فيها مانجده من المعمّيات في بعض شعر هذا العصر ، مما لا نفهمه ولا نظن أن أصحابها يفهمونه . فلا يشتمل شعره على صورٍ غامضة ، ليس إلى فهمها من سبيل ولا على ألفاظ متنافرة ، تستوحش الواحدة من أختها ، وإنما خياله مصقول وذوقه مصفّى ولغته واضحة ، ولا يحتاج رياض معلوف إلى أكثر من ذلك ليكون شاعراً أصيلاً .

« شفيق جبري »

المعجـم الفلسـفي
تأليف الدكتور جميل صليبا

المجلد الأول ٧٦٥ صفحة + المجلد الثاني ٧١٦ صفحة
دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧١ – ١٩٧٣

الدكتور محمد كامل عياد

الزميل الصديق الدكتور جميل صليبا مازال ، منذ خمسين عاماً ، يشتغل بالفلسفة . فهو ، بعد أن نال شهادة الدكتوراه من جامعة الصوربون على أطروحته الأساسية عن « فلسفة ابن سينا فيما بعد الطبيعة » وعلى أطروحته المتممة عن « النظرية الاجتماعية في المعرفة » ، تولّى منذ سنة ١٩٢٧ تدريس الفلسفة في المدارس الثانوية ودور المعلمين أولاً ثم في الجامعة السورية وأخيراً في الجامعة اللبنانية . وقد نشر خلال هذه المدة الطويلة عـــدداً كبيراً من الكتب الفلسفية والتربوية والأدبية التي ألفهـا أو حققها أو ترجمها مثـل : « علم النفس » و « المنطق » و « من أفلاطون إلى ابن سينا » و « من الخيال إلى الحقيقة » و « الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث » و « مقالة الطريقة » لديكارت و « الرسالة الجامعة » للمجريطي و « المنقذ من الضلال » للغزالي و « حي بن يقظان » لابن طفيل و « منتخبات من ابن خلدون ومن ابن سينا » و « مستقبل التربية في الشرق العربي » و « الدراسات الفلسفية » و « اتجاهات النقد الحديث في سورية » و « تاريخ الفلسفة العربية » أضف إلى ذلك كثيراً من المقالات والمحاضرات والأحاديث في المجلات والأندية والإذاعة .

وهكذا كان له أكبر الفضل في تثقيف الأجيال المتعاقبة منذ نصف قرن وفي توجيه الحياة الفكرية وإشاعة الوعي الفلسفي بين المتعلمين .

ولاشك في أن تجاربه الطويلة في التعليم قد كشفت له عن أهمية المصطلحات العلمية والفلسفية وأثرها في الفهم والتفاهم . ذلك أن الطلاب الذين يقرأون النصوص الفلسفية من دون أن تشرح لهم ألفاظها يصعب عليهم فهم معانيها فيقتصرون على ترداد الألفاظ الفارغة كالببغاوات وبالتالي يجمد تفكيرهم وتتحجر عقولهم . كذلك في المجتمع لاسبيل إلى التفاهم بين الناس إذا هم لم يتكلموا « بلغة واحدة » أي : إذا لم تكن الألفاظ التي يستخدمونها دالة على معان واحدة ، محددة تحديداً واضحاً .

ومن المعروف أن لكل علم لغة فنية خاصة تعتمد على مصطلحات متفق عليها . ويشترط في هذه المصطلحات أن تكون ألفاظها مطابقة للمعاني المقصودة ، وأن لايستعمل اللفظ إلا فيما وضع له ، فلايعبر عن المعنى الواحد إلا بلفظ واحد . على أن في اللغة العربية ، كما في غيرها ، ألفاظاً كثيرة متباينة ومتفقة ومترادفة ، وربما وجدت فيها ألفاظ مختلفة دالة على معان متقاربة . وهذه المرونة في دلالة الألفاظ ، رغم فائدتها ، لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والإشكال .

وإذا كنا نفاخر بأن اللغة العربية قد استطاعت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية أن تستوعب الفلسفة اليونانية وأن تضع للمفاهيم الفلسفية مصطلحات عربية ، في حين عجزت اللغات الأوروبية الحديثة عن ذلك واضطرت إلى اقتباس المصطلحات اليونانية ، فلا ننس أن بعض المفاهيم القديمة قد تبدلت وأن هناك كثيراً من الموضوعات والمعاني الجديدة التي تحتاج إلى ألفاظ تعبر عنها .

وقد دأب الدكتور جميل صليبا ، منذ سني حداثته ، كما يقول ، على ترجمة المصطلحات الفلسفية من الفرنسية مستعيناً بالألفاظ التي يجدها في

مؤلفات الفلاسفة العرب . وهكذا نراه يلحق بكتابه « علم النفس » في طبعته الأولى (سنة ١٩٣٦) فهرساً للألفاظ الفلسفية يشتمل على مايقارب (٣٦٠) كلمة قد احتفظ الآن بمعظمها في معجمه .

ومن الطريف أنه في مقابل لفظة (Raisonnement) أي الاستدلال في المعجم كان ذكر في الفهرس لفظة (محاكمة) ، وذلك حسبما تعلمناها من أساتذتنا في سورية إذ ذاك الذين نقلوها عن اللغة التركية – العثمانية . وكان المؤلفون الأتراك – العثمانيون يعتمدون في وضع المصطلحات العلمية عامة والفلسفية خاصة على اللغة العربية ، ولكنهم كانوا في الغالب يتصرفون بالألفاظ وصيغ تكوينها ومعانيها . وقد أطلقوا لفظة (محاكمة) على العملية الفكرية التي تنظر في الأدلة وتصدر الحكم . كذلك اقتبسنا عنهم لفظة (فرضية) مقابل (Hypothèse) .

وقد تمسك الدكتور صليبا بهذه اللفظة في المعجم على الرغم من أن مجمع اللغة العربية في مصر وضع عوضاً عنها كلمة (فرض) التي يريد الدكتور صليبا إطلاقها على مفهوم (التجويز العقلي) بوجه عام مقابل كلمة (Supposition) بينما يخصص اصطلاح (فرضية) من جهة للأوليات والمسلّمات التي يستند إليها العالم الرياضي في البرهان . ومن جهة أخرى للتفسيرات المؤقتة لحوادث الطبيعة في العلوم التجريبية .

وهناك مصطلحات أخرى في الفهرس قد استبدل بها غيرها في المعجم مثل (الحتمية) عوضاً عن (مذهب التقيد) ، ولفظة (المثالية) محل (المذهب الخيالي) ، و (الماصدق) مكان (الشمول) = (Extension) .

وقد استمرّ الدكتور صليبا بعد إصدار كتابه (علم النفس) في التنقيب

عن المصطلحات الفلسفية ودراسة مدلولاتها ، كما شارك في وضع عدد كبير منها ؛ ثم أخذ ينشر تلك المصطلحات تباعاً في هذه المجلة فلقيت استحساناً عظيماً وظل القراء ينتظرون بفارغ الصبر إتمامها وإخراجها في شكل كتاب .

يشرح لنا الدكتور جميل صليبا في مقدمة كتابه القواعد الأربع التي يجب اتباعها عند وضع المصطلحات العلمية وهي :

أولاً : البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المقصود . مثال ذلك لفظ (جوهر) الذي يطلق على ماتدل عليه اليوم كلمة (Substance) ، أو لفظ (المقولات) مقابل (Categories) التي ترجمها العرب عن اليونانية ، في حين اقتبسها الأوروبيون كما هي . ويمكن أن نجد أمثال هذين المصطلحين في المعاجم القديمة الخاصة مثل (تعريفات الجرجاني) و (كليات أبي البقاء) و (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) بالاضافة إلى كتب الفلاسفة العرب .

ثانياً : إذا عثرنا على لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فإنه يمكننا إستخدامه بعد تبديل معناه قليلاً وتحديده تحديداً جديداً . ويذكر الدكتور صليبا مثالاً على ذلك لفظة (الحدس) مقابل (Intuition) .

ثالثاً : اشتقاق لفظ جديد لمعنى جديد مثل لفظة (استبطان) للدلالة على التأمل الباطني (Introspection) ، ولفظة « الموضوعية » مقابل (Objectivité) بمعنى مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه ، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص .

رابعاً : تعريب اللفظ الأجنبي مثل كلمة (ديموقراطية) ويمكن

أن نذكر أيضاً كلمة (ايديولوجية) التي لم ترد في معجم الدكتور صليبا الذي يبدو أنه لا يميل مبدئياً إلى التعريب ، ولذلك فضل مثلاً استخدام كلمة (العرفانية) عوضاً عن (الغنوصية) (Gnosticisme) المذكورة في معجم المصطلحات الفلسفية لمجمع اللغة العربية في مصر .

إن معجم الدكتور جميل صليبا الذي يقع في مجلدين كبيرين يمتاز على المعاجم الفلسفية القليلة الموجودة بين أيدي الناس بأنه ، من جهة ، يشتمل على عدد أكبر من المصطلحات ، وأنه ، من جهة ثانية ، لا يكتفي بوضع كلمات في تعريف المصطلح بل يتوسع في شرح كل لفظ فيرجع إلى أصله في اللغة ويثبت إلى جانبه مايقابله من الألفاظ الفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، ثم يستعرض المعاني الخاصة التي يدل عليها في الفلسفة القديمة أو في مختلف المذاهب من الفلسفة الحديثة ، ويورد نصوصاً فلسفية قديمة وحديثة تبين وجوه استعمال كل مصطلح .. وإذا لاحظنا أن اصطلاح (جدل) مثلاً أو (عقل) أو (وجود) أو (علة) أو (طبيعة) أو (اشتراكية) يختلف معناه اختلافاً كبيراً عند الفلاسفة القدماء وفلاسفة القرون الوسطى والمفكرين العرب وعند كل واحد من أصحاب المدارس الحديثة من (ديكارت) إلى (كنط) ومن (هيغل) إلى (سارتر) و (هايدغر) ، إذا لاحظنا ذلك ندرك السبب الذي دفع الدكتور صليبا إلى أن يخصص صفحات عديدة لتفسير هذه المصطلحات وبيان معانيها الكثيرة المختلفة . وهكذا جاء كتابه أقرب إلى الموسوعات الفلسفية منه إلى مجرد معجم ألفاظ .

وقد تقيد الدكتور جميل صليبا ، على وجه العموم ، بالتفسير الموضوعي لكل لفظ . إلا أنه لم يستطع أحياناً ، كما يعترف في المقدمة ، أن يمتنع عن إبداء بعض التفسيرات الذاتية المتفقة مع وجهة نظره الخاصة . وهذا

طبيعي في الموضوعات الفلسفية التي تتصل بأهم القضايا الكونية والمشاكل البشرية والتي يصعب إصدار أحكام نهائية مطلقة فيها. ومما يزيد في صعوبة المصطلحات الفلسفية أن المعاني التي يراد التعبير عنها تتصف بالإحاطة والشمول، وتتضمن فروقاً دقيقة، وفيها احتمالات كثيرة لكل قضية.

وفيما يتعلق بالمصطلحات الفلسفية في اللغة العربية فإن الحاجة مازالت ماسة إلى البحث والاجتهاد وإعادة النظر دوماً في النتائج التي نصل إليها والتي لا بد أن تكون مؤقتة قابلة للتعديل والتبديل. لذلك لم يتردد الدكتور جميل صليبا في مخالفة بعض المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية في مصر مثل ترجمة كلمة (emotion) بلفظ (الانفعال). وهو يقول: إن هذه الترجمة لا تخلو من الالتباس، لأن الانفعال لفظ عام يشمل الحساسية واللذة والألم والعاطفة والميل والهوى في حين أن كلمة (emotion) يقصد بها الحالات المفاجئة من غضب وخوف وخجل وما أشبه ذلك، ويفضل أن تترجم بلفظ (هيجان). ثم إن معجم مجمع اللغة العربية يستخدم لفظة (انفعال) أيضاً مقابل لفظة (passion) التي يترجمها الدكتور صليبا بكلمة (هوى). كذلك كلمة (axiome) التي وضع مجمع اللغة العربية مقابلها كلمة (مبدأ) قد استعمل الدكتور صليبا في ترجمتها لفظة (بديهية).

ومن الغريب أن نجد ترجمة لفظتي (deduction) و (inférence) بصورة معكوسة، فالأولى تقابل في مصطلحات مجمع اللغة العربية كلمة (استنباط)، والثانية كلمة (استنتاج)، بينما الأمر على عكس ذلك في معجم الدكتور صليبا. وفي الواقع فإن الألفاظ (استنباط) و (استنتاج) و (استدلال) و (قياس) متقاربة جميعاً في معانيها. لذلك لا بد من الاتفاق على تخصيص كل واحدة بمصطلح معين. كذلك يجب الاتفاق

على ترجمة كلمتي (essence) و (substance) اللتين تقابلان في المعاجم المتداولة لفظتي (جوهر) و (ذات) أو بالعكس .

ومهما يكن الأمر فإن معجم الدكتور جميل صليبا يعتبر إنجازاً قيماً وخطوة هامة في سبيل وضع المصطلحات العلمية التي تحتاج إليها اللغة العربية في الوقت الحاضر ، ونحن على يقين بأن هذا المعجم الفلسفي سوف يثير اهتمام الباحثين والدارسين ويساعدهم على متابعة جهودهم .

دمشق محمد كامل عياد

الشـاب الظريف

تأليف الدكتور زكي المحاسني
١٦٦ صفحة من القطع المتوسط ـ دمشق ١٩٧٢

الدكتور عدنان الخطيب

أديب دمشق الراحل الدكتور زكي المحاسني غني ، بأدبه الرفيع وشهرته الواسعة في مختلف الأقطار العربية ، عن أي تعريف . لقد دفع إلى النشر في أوائل سنة ١٩٧٢ كتاباً له عن « الشاب الظريف » وهو لا يعرف أن موعده مع القدر كان قريباً . لقد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل أن يشهد كتابه مطبوعاً ، وقبل أن يقدّمه لقرائه كما عوّدهم . لقد فاته تقديم الكتاب ، غير أنه كتب لمحة موجزة عن حياته فألحقها الناشر بما طبع .

عدد الدكتور المحاسني في ترجمته لنفسه الأعمال التي تولاها ، مشيراً إلى أن آخرها كان أستاذاً محاضراً للأدب بكليتي الآداب والتربية في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٦٦ إلى آخر عام ١٩٦٩ م .

وقال الدكتور المحاسني ، وهو يترجم لنفسه : نشرتُ من الآثار الأدبية المطبوعة ما يأتي :

. . . .

١٦ ـ « الشاب الظريف » بالدراسة والتاريخ الأدبي ـ محاضرات في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية ١٩٦٩ / ١٩٧٠ ـ إصدار المكتبة العباسية بدمشق لعام ١٩٧٣ .

وهكذا عرفنا أن كتاب « الشاب الظريف » يضم مجموعة محاضرات ألقيت في كلية الآداب اللبنانية عام ١٩٦٩ ، وكان مقدراً له الصدور في عام ١٩٧٣ ، غير أنه صدر في نهاية عام ١٩٧٢ بعد وفاة المؤلف رحمه الله .

لقد اشتهر الدكتور المحاسني بعربية مشرقة وبأسلوب رصين ، ينتقي ألفاظه انتقاءً يدل على سعة اطلاع وذوق جمالي عميق . وبهذا الأسلوب الذي تعودناه من المؤلف بدأ محاضراته عن عصر الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني الذي ولد – على حدّ تعبيره : « ودنيا العرب تعجّ بالأحداث الجسام ، في السياسة المروّعة والغلاب المستديم ، فقد كانت جراحات بغداد لا تزال دامية ، وقد وضع العفاء مياسمه السود عليها بعد أن غربت عنها شمس بني العباس . ولم تكن سائر البلاد العربية أحسن حالاً وبخاصة مصر إذ كثر فيها الظلم وعظم الجور ، إلى أن آل حكمها إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي كان يرعى الحرم ، ويبني المدارس ، ويشجع رجال العلم ، وكانت ولادة الشاب الظريف في عهده بمصر سنة ٦٦١ ، ثم مات في عنفوان شبابه وله من العمر سبعة وعشرون ربيعاً .

ويحدثنا المؤلف بعدئذ عن الحياة الفكرية في ذلك العصر ، والأسباب الداعية إلى وصف المؤرخين له مع عصور تلته بالانحطاط ، ويعقب على ذلك بالكلام عن الحياة الأدبية ، متمثلاً بما يعطي صورة واضحة عنها ، مشيراً إلى ما اعتور تلك الحيـــاة من أدواء مبيرة أفسدت حلاوة الشعر العربي بإدخال الألغاز والأحاجي فيه ، كما أفسدت رواء اللغة بالتزام السجع تارة وبالإكثار من المحسنات اللفظية تارة أخرى .

وخص المؤلف الفصل الثاني من كتابه بالكلام عن الشاب الظريف في عصره ، محدداً شخصيته ، مبيناً نشأته ، متحرياً عن ثقافته ومصادرها ، مخططاً للنهج الذي يجب أن يسلك لدراسة الشاعر من آثاره الباقية .

وفي الفصل الثالث درس المؤلف ما وصل إلينا من شعر الشاب الظريف وبين براعته في الصناعات البديعية في كل من غزله ومدحه ووصفه ، معدداً

ما تفرد به من ضروب الصور والتشبيهات ، متناولاً بالتحليل والنقد الفنون التي طرقها في شعره ، ثم أنهى الكتاب بفصل حوى منتخبات من هذا الشعر.

إن محاضرات الدكتور زكي المحاسني عن الشاب الظريف ، ليست موفقة في اختيار موضوعها وطريقة عرض مباحثها فحسب ، بل إنها لصورة رائعة تحمل طابع مؤلفها الفذ بلغته المتينة وألفاظه الجزلة ، وهي تمثل في أسلوبها حيويته وتدفقه في الحديث الممتع الدالّ على سعة ثقافته العربية والأجنبية ، وتطلعه الدائم إلى حمل سامعه على مشاركته في التمتع بلذة المقارنات الأدبية الرفيعة .

رحم الله الدكتور زكي المحاسني بما أسداه للعربية من خدمات جلّى ، وحفظ الله زوجته الكريمة الأديبة الكبيرة السيدة وداد السكاكيني ، ووفقها لإتمام ما شرعت به من نشر ما تركه فقيد الأدب الراحل من آثار أدركه الموت قبل أن يتمكن من دفعها للطبع .

عدنان الخطيب

كتب الرياضيات لطلاب

كلية العلوم الاقتصادية

الأستاذ وجيه السمان

أهدت جامعة حلب، مشكورة، بعض الكتب العلمية من مطبوعاتها إلى مجمع اللغـــة العربية، وهي تبحث في العـلوم الرياضية والفيزياء والهندسة الكهربائية.

فأما كتب الرياضيات فهي مجموعة مؤلفة من أربعة أجزاء يدرسها طلاب السنة الأولى في كلية العلوم الاقتصادية للدكتور عبد القادر الأفندي وكتاب في الجبر والتحليل للصف الإعدادي العام، للأستاذ أحمد علوظي.

وكتب العلوم الأخرى هي: كتاب في القياسات الكهربائية، وكتاب في الميكانيك الفيزيائي، وقد أفردنا لكل من هذين باباً خاصاً من الملاحظات.

أما كتب الرياضيات فقد لفت نظرنا عند تصفحها ما يلي:

في المجموعة الأولى:

١ — Fonction Hyperbolique: تابـع قطعي. ومن المعلوم أن المنحنيـات من الدرجة الثانيـة التي تنجم عن قطـع السـطح المخروطي الدائري بمستو يمكن أن تكون قطعاً زائداً، وهو المقصود هنا، أو قطعاً مكافئاً Parabole، أو قطعاً ناقصاً Ellipse، أو دائرة Cercle، أو أن تكون مجرد مستقيمين متقاطعين في ذروة المخروط.

فإذا اقتصرنا على الإشارة إلى المنحني الأول بكلمة قطع فقط نكون

قد أدخلنا التباساً أكيداً على تعريفنا . وإذا كان الدافع إلى ذلك هو التخلص من المصطلح المركب ، وهو القطع الزائد ، لعدم إمكان إضافته ، فالأولى أن نختصره بقولنا الزائد ، ويصبح التابع الذي نتكلم عنه هو التابع الزائدي لا التابع القطعي . وكذلك شأن الخطوط المثلثية القطعية التي وردت : جيب قطعي ، جيب تمام قطعي ، ظل قطعي ، يفضل أن تسمى بالجيب الزائدي ، تمام الجيب الزائدي ...

٢ — Fonction Implicite : ترجم بتابع مستتر ، والأولى أن يترجم بالتابع الضمني ، بعكس التابع الصريح الذي هو Fonction Explicite

٣ — Binôme de Newton : ترجم بثنائي نيوتن ، وقد درجت تسمية Binôme بذي الحدين لا بالثنائي .

٤ — Chaînette : ترجمت بالسلسلة ، والأفضل أن تسمى السليسلة على وجه التصغير ، لأن السلسلة هي Chaîne .

٥ — Nombre Opposé : ترجم بعدد متناظر ، ولا مجال هنا لتسميته بالمتناظر ، ولو قيل المناظر لكان له وجه من الصواب ، والأفضل أن يسمى بالعدد المقابل .

٦ — Différence : ترجم بالفضل ، والأفضل هو أن يترجم بالفرق .

٧ — Puissance : ترجمت بالقوة ، والأفضل أن تسمى: الأس ، لكيلا تختلط بكلمة Force .

٨ — Restriction : ترجمت بمقصور ، ويفضل أن تترجم بتقييد أو تقنين ، أو حصر ، أو تحديد .

في كتاب الجبر والتحليل :

١ — Implicite : ترجم بظاهري ، وقد ذكرنا أنه ترجم في كتب الدكتور عبد القادر الأفندي بمستتر ، واقترحنا أن يسمى : ضمني .

٢ — Module : ترجم بطويلة ، وأعلم أنها شائعة الاستعمال عند بعض الأساتذة ، وقد سميتها (شخصياً) الطول ، وأتمنى أن يجد لها أساتذة الرياضيات مقابلاً أحسن من هذا .

القياسات الكهربائية وأجهزتها

لطلاب السنة الثالثة من كلية الهندسة (فرع الكهرباء) بجامعة حلب

تأليف الأستاذ ميشيل منصور

يقع هذا الكتاب في ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير . وهو يعالج دراسة أجهزة القياس الكهربائية وطرائق استعمالها ومبادىء القياس فيها . وتشمل هذه الأبحاث القياسية شدة التيار الكهربائي وكمونه (توتره) وذبذبته ، وعلى التفريغ الكهربائي والتدفق المغناطيسي ، وعلى قياس المقاومة الكهربائية والاستطاعة الكهربائية في التيارات المستمرة والمتناوبة ، بما في ذلك الاستطاعة الفعلية والتفاعلية — الردية (ويسميها المؤلف بالرد فعلية) .

ثم يدرس الكتاب قياس المقاومة والطور والتواتر (ويسميه المؤلف بالتردد) والتواقت ، وعامل الاستطاعة ، ويدرس أجهزة القياس العائدة لكل ذلك .

ثم ينتقل إلى أجهزة قياس التحريض المغناطيسي والمقادير المغناطيسية والتضييع وأجهزة القياس ذات المغناطيسية الحديدية .

وفي الختام يتكلم المؤلف عن المحولات التي تستعمل في عمليات القياس المختلفة .

والكتاب محرر بلغة سهلة واضحة ومطبوع طبعاً جيداً ، وهو ثمرة جديدة تضاف إلى المكتبة العلمية العربية ، ويشاهد المطالع مابذله المؤلف من جهد في تأليفه .

والذي استرعى انتباهي في هذا الكتاب أن المصطلحات المستعملة فيه لم توضع على نظام واحد . فأسماء أجهزة القياس (وهي في أغلب الأحيان أسماء مركبة) جاءت أحياناً معربة كلها مثل :

الفولتمتر Voltmètre

الغلفانومتر Galvanomètre

البرميامتر Perméamètre

الميغومتر Megohmètre

الواطمتر Wattmètre

اللوغومتر Logomètre

الأمبيرمتر Amprèmètre ... الخ

وجاءت أحياناً في هيئة مصطلحات عربية على وزن مِفعال مثل :

مِصفاح : Phasemètre

مِرداد : Fréquencemètre

مِدفاق : Fluxmètre

وجاءت حيناً آخر على وزن مُفعِّل مثل :

موقِّت : Chronomètre

وفي رأيي أن بالإمكان اتباع قاعدة واحدة في تسمية أجهزة القياس . لقد كان المجمع اللغوي في القاهرة قد وضع قدماً قواعد لتسمية مثل هذه الأجهزة . فالتي تنتهي بالكاسعة Mètre تسمى على وزن مِفعل ، والتي تنتهي بالكاسعة Scope تسمى على وزن مِفعال ، والتي تنتهي بالكاسعة Graphe تسمى على وزن مِفعلة . وقد بينت في عدة مناسبات أن هذه القواعد لا تصلح للتطبيق العام لأنه ليس في هذه الأوزان ما يدل على وظيفة الجهاز كما هو وارد في الكاسعة الأجنبية ، ولأنها تؤدي أحياناً إلى استحالة ، إذا كان اسم الظاهرة التي يراد قياسها أو كشفها أو تسجيلها مركباً مثل : Electrodynamomètre

ويتعذر أحياناً تطويع أسماء الأعلام مثل أمبير وواط لكي تشتق منها أسماء آلات القياس ، فنقول مِمْبر من أجل Ampèremetre ومِوْط من أجل Wattmètre ومِفلط من أجل Voltmètre .

وفي رأيي أن أحسن طريقة لتسمية هذه الآلات هي التي جرينا عليها في جامعة دمشق واقترحتها في مؤتمر التعريب في الجزائر عام ١٩٧٣ وتتلخص كما يلي :

تكون أسماء الأجهزة مؤلفة من اسمين مضافين إلى بعضها . فأما المضاف :

١ — فهو كلمة مقياس من أجل أجهزة القياس ، وهي التي تنتهي بالكاسعة mètre ، فنقول مثلاً مقياس الأمبير لـ Ampèremètre .

٢ — كلمة مرسام أو راسم من أجل أجهزة الرسم أو التسجيل ، وهي التي تنتهي بالكاسعة Graphe ، فنقول مثلاً : مرسام الطيف أو راسم الطيف لكلمة Spectrographe

ﺟ ـ كلمة مكشاف أو كاشف من أجل أجهزة الكشف ، وهي تنتهي بالكاسعة Scope ، فنقول مثلاً : مكشاف الطيف أو كاشف الطيف لكلمة Spectroscope .

وبذلك نضمن التوحيد في تسمية الأجهزة التي تعمل لنوع واحد من الخدمات ، مع ضمان الدلالة على وظيفة هذه الأجهزة .

ويكون المضاف إليه هو الاسم العَلَم الذي سميت به واحدة القياس مثل مقياس الأمبير ، مقياس الفولت ... أو اسم الظاهرة كالتدفق أو التواتر أو شدة الضوء ، الخ ...

هذا وهنالك ملاحظات على بعض المصطلحات الأخرى ، فالمؤلف يسمي جهاز phasemètre بالصفاح على أساس تسميته Phase صفحة تارة ، وطوراً تارة أخرى ، وقد درج استعمال المصفاح للدلالة على الآلة التي تحيل المعادن إلى صفائح وهي Laminoir ، أما الجهاز الذي نحن بصدده فنسميه وفق القواعد السابقة بمقياس الطور .

وعرب المؤلف الجهاز الكاشف للتواقت فسماه سنكرونوسكوب ، ولا حاجة لنا بهذا التعريب لأننا وفقاً للقاعدة نسميه كاشف التواقت ، كذلك نسمي الروتور Rotor بالدوّار .

وأما تسميته لـ Bande passante بالشريط الساري ، فأفضل أن يستعمل لها كلمة النافذ بدلاً من الساري .

وفي جامعة دمشق ، وفي كتب التعليم الثانوي المقررة ، يسمى التردد بالتواتر ، تجنباً لما في كلمة التردد من تردد ، وإن كان هذا المصطلح شائعاً بسبب تفضيل القطر المصري له .

وكذلك نجد أن أسماء عدة أجهزة يمكن أن يستبدل بها أحسن منها ، وهي :

موقت : Chronomètre : مقياس الزمن

مدفاق : Fluxmètre : مقياس التدفق

غوصمتر : Gaussmètre : مقياس الغوص

فارمتر : Varmètre : مقياس الفار (مقياس فولت امبير الردي)

واطمتر : Wattmètre : مقياس الواط

ونرى أن المؤلف قد ترجم Wattheuremètre بعداد الطاقة الفعلية ولم يعربه تعريباً .

أما ميغومتر وقد وردت Mègohmètre فينبغي أن تكتب بـ m مضاعفة ونترجمها بمقياس المقاومة العالية أو مقياس الميغوم .

وقد عرب برميامتر Perméamètre تعريباً وكان الأولى تسميته حسب القاعدة بمقياس النفوذية .

الميكانيك الفيزيائي

من منشورات كلية العلوم في جامعة حلب

تأليف الدكتور حسن سلمان

أعد هذا الكتاب لطلاب شهادة الميكانيك الفيزيائي والاهتزازات ، وهو يقع في ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير الذي تنشر فيه جامعة حلب كتبها الجامعية . ويعالج المواضيع التالية :

حركة النقطة المادية والجسم الصلب – القوانين السامة في تحريك النقطة المادية .

الحقل المركزي والنظريات العامة في تحريك الجمل المادية .

مجموعة النقط المقيدة ، عزم العطالة وتحريك الجسم الصلب .

حركة الكتل المتغيرة ، الاصطدام – المبادىء الأساسية للنظرية النسبية ، ميكانيك النظرية النسبية .

حركة جسم مشحون في حقل كهرطيسي – المرونة – المواد المرنة .

ميكانيك الموائع .

وفي ذيل الكتاب معجم صغير بالمصطلحات العلمية التي استعملت فيه .

وقد عرضت مواضيعه عرضاً واضحاً وطبع طبعاً جيداً ، وجاءت عناوين فصوله بالعربية والانكليزية ، وحتى عناوين بعض فقراته وبعض المصطلحات الواردة في داخل النص .

ومما يؤسف له أن الأخطاء المطبعية فيه كثيرة جداً ، ولا سيما في الدساتير ، وقد عزا المؤلف ذلك إلى أسباب قاهرة ، وأورد في آخر الكتاب جدولاً بتصحيح بعضها جاء في ٦ صفحات .

ومن دواعي المسرة أن يكون بين أيدي الطلاب كتب علمية ألفت بالعربية يرجعون إليها في مطالعة دروسهم ، ولاسيا إذا تذكرنا الأيام الخوالي التي كان الطلاب ينسخون فيها الأمالي التي كان يمدها لهم الأستاذ. فباركتْ هذا الجهد الذي إذا هو استمر بعناية أغنى المكتبة العلمية العربية بزاد قيم من المؤلفات .

وقد أجلت النظر ملياً في معجم المصطلحات الذي أورده المؤلف مرتباً على العربية ثم على الانكليزية فرأيت فيه مالاغنى عن التعليق عليه .

لقد أورد المؤلف في قائمة مراجعه منشورات مكتب تنسيق التعريب بالرباط ، ويبدو أنه قد استقى من معجم الفيزياء (الذي هو أحد هذه المنشورات) استقاءً غزيراً ، ولم يخطر بباله أن هذا المعجم موقت وأنه

ليس معجماً بالمعنى الصحيح ، بل هو مجموعة مصطلحات رتبها المكتب مما ورد عليه من مختلف الأقطار العربية ليقدمها إلى مؤتمر التعريب ليقوم بمناقشتها واختيار الأصلح منها ، وهذا هو السر في أن المؤلف أورد أكثر من مرادف للمصطلح الواحد .

ومهما يكن من أمر ، فإن الملاحظات التالية تستحق النظر :

١ — استعمل المؤلف مصطلحي : الذبذبة والاهتزاز بدون تفريق بينها ، فترجم Amplitude of Vibration بسعة الذبذبة وسعة الاهتزاز ثم ترجم Center of Oscillation بمركز التذبذب و Damped Vibrations بالاهتزازات المتخامدة ، ثم عاد فترجم Free Vibrations بالذبذبات الحرة والاهتزازات الحرة . وترجم Natural Vibration بالاهتزازة الطبيعية و Steady-State Oscillation بالذبذبة المستقرة .

فهو تارة يجعل الذبذبة والاهتزاز مترادفين ، وتارة يخصص الذبذبة لـ Oscillation والاهتزاز لـ Vibration .

ولما كان ينبغي التفريق بين هذين المصطلحين وتخصيص كل منها بمعنى واحد ، فان كلمة Vibration تفيد الاهتزاز السريع مثل ذبذبة الأوتار والصفائح ، فإن من المعقول ترجمتها بالذبذبة وترك الاهتزاز لـ Oscillation مثل اهتزازات النواس .

٢ — استعمل المؤلف كلمة جهد لترجمة potential في مصطلح سطوح تساوي الجهد ، مع العلم بأنها تسمى في سورية بسطوح تساوي الكمون ، وهو قد استعمل كلمة الكمون لنفس المصطلح في مكان آخر حيث سمى potential Energy بالطاقة الكامنة .

ومن أمثلة التشويش الذي تقع فيه المصطلحات عندما يعتمد الإنسان

على مجموعة كمجموعة مكتب التعريب ، أنه وضع مقابل كلمة Flux : فيض ، تدفق ، سيل . والمصطلح المتفق عليه في سورية هو التدفق . وكذلك استعماله لمصطلحي : القوة المركزية الطاردة والقوة المركزية الجاذبة لـ Centrifugal force و Centripetal force ، وهما تسميان عندنا بالقوة النابذة والقوة الجابذة .

واستعمل التردد بدلاً من التواتر ، والقصور بدلاً من العطالة ، وترجم Coupling بصلة بدلاً من التزويج .

وترجم Interstellar space بفضاء النجوم و Interplanetary space بفضاء الكواكب ، وكان ينبغي أن يقول : الكواكب السيارة ، وإلا فإن الكواكب معناها كمعنى النجوم .

وترجم Normal Line بالخط العمودي ، وتعلمنا الهندسة أن الخط العمودي ليس مطلقاً وإنما هو عمود على خط آخر ، وربما كان يقصد الناظمي .

وترجم Rest Mass بكتلة السكون على وجه الإضافة والأفضل أن يأتي السكون صفة فيقال : الكتلة السكونية لئلا يظن أن للسكون بحد ذاته كتلة .

وترجم Pendulum ببندول ونواس (وهذه أتت ولا ريب من معجم مكتب التعريب) ولدينا في العربية بدلاً من البندول : النواس والرقاص والخطار .

وكذلك Vector بتجه وشعاع ومتجهة . ولا تعني كثرة المصطلحات المترادفة غنىً وإنما هي تسبب الفوضى .

وترجم Fluid بالمائع و Liquid بالسائل ، ثم عاد فترجم Fluid بالسائل في بداية الفصل ١٣ .

هذه ملاحظات خطرت لي من تصفح سريع للكتاب ، وقد زادتني تحمساً للسعي في توحيد المصطلحات لنخرج من هذا الاضطراب الذي نحن فيه .

وجيه السمان

آراء وأنبــاء

تصحيـح لفظة في « تهذيب اللغة »

(ناتق) لا (فاتق)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

قرأت ، في (ص ١٥٧ — ١٦٣) من المجلّد التاسع والأربعين من هذه المجلّة الخالدة الزهراء ، نقداً لتحقيق الجزء العاشر من « تاج العروس » الذي تصدره وزارة الإعـلام بإمارة « الكُوَيْت » ، وعلاقتي بما قرأت علاقة قارىء مستفيد ، فحمدت للنّاقد الفاضل إخلاصه للغة « الفُرْقان » العزيز ، وجدَّه في محاولة طلب الصِّحّة وارتياد الصَّواب ؛ واستحسنت منهجه « النّظَريّ » في دعوة المحقّق أن يحقق النّص اللغويّ بالعودة إلى الأصول ، لأنّهـا أدعى إلى التّوثيق في التّحقيق العلميّ ، وذلك حـقّ لا ريب فيه ولا يتنازع فيه اثنان .

وقد أخذ النّاقد على تحقيق هذا الجزء من « تاج العروس » خمسة عشر مأخذاً قريباً ، بعضُه — فيما أرى — غير وارد ، وبعض آخر منـــه متعجَّل فيـه ، يتطلب من الناقد فضـل أناة وصبراً على تمحيص ما كتب ومراجعته قبل إرساله عفو الخاطر . والحَيْطَةُ للشيء قبل الهجوم عليـه أدعى إلى السّلامة ، وأنأى بصاحبه عن مزالق الزّلل .

وأقف من هذا النّقد عند أظهر ما أنكرته منه ، وهو ما لاحظـه النّاقد في (ص ١٥٩) على نصٍّ في « تاج العروس » ، وردت فيـه لفظة لغوية خطّأها وهي صحيحة سليمة ، فأزال الحقيقة الثابتة لها عن نصابها المستقرّ ، وأحلّ غيرها فيه من غير حقّ ثابت لها .

والنّص هو : « قال ابن الكلبي : كانت « عاد » تسمّي المُحَرَّمَ مؤتمراً ، وصَفَرَ ناجراً ، ورمضانَ فاتقاً » .

فقال الناقد ، من غير تلبُّث : « والصُّواب : ورمضانَ فاتقاً ، بالفاء » .

وشاء أن يعضد تصويبه بنصٍّ من « تهذيب اللغة » ، فأضاف قائلاً : « ورد في تهذيب اللغـة ١٥/٢٦٩ : ابن السِّكّيت ، قال ابن الكلبيّ : كانت عاد تسمّي المُحَرَّم مؤتمراً .. ورمضان فاتقاً » .

وليس هذا سبيل تصحيح هذه اللفظة ؛ لأن هذا النص نص عارض بالنسبة إلى « ناتق » ، وليس أصلاً له . هذا إلى أن « فاتقاً » فيه ، مصحَّف ، ما في ذلك ريب . وقد جاز تصحيفه – مع الأسف – على محقّق « التهذيب » ، كما جاز على الناقد فانساق بحسن ظنّه فيه إلى ورطته ، فصيَّرَ به الصّواب خطأً والخطأ صواباً !

إنما سبيل تصحيحه أن يرجع إلى مادّته ، أي أصله اللغويّ ، وهو ما دعا إليه النّاقد نفسه ولكنه لم يعمل به . وأصله هو (ن/ت/ق) ، وليس (أ/م/ر) . فلو رجع إليه لوجد ما خطّأه هو الصّحيح ، وما توهّمه صحيحاً هو الخطأ بعينه .

وفي « تهذيب اللغة » الذي اعتمد عليه الناقد في نقله ذاك ، ٩/٦٢ : « وأَنْتَقَ : صام ناتِقاً ، وهو شهر رمضان » .

ولن يجد أحد في معاجم اللغة « فاتقاً » بالفاء اسماً قديماً لشهر رمضانَ في دهر « عاد » ، ولو نقّب عنه في الدّواوين دهراً سرمداً . ولا أثقل هذه الكلمة برواية نصوص المعاجم – وهي عشرات ، وفيها تفصيلٌ أمدّه ممّا في « تهذيب اللغة » – فإنّها من كل يد على طَرَفَ الثّمام .

وتحيّتي للسيد الأستاذ برهان صدقي ، وتقديري لحبّه وإخلاصه للغة « الفرقان » .

بغداد محمد بهجة الأثري

السمسرة والسمسار في اللغة والقانون

كان السيد وزير التموين والتجارة الداخلية بعث إلى مجمع اللغة العربية بكتاب مؤرخ في في ١٩٧٤/٨/٢٧ يطلب فيه بيان الرأي في عربية كلمتي « سمسرة وسمسار » وما إذا كان مفيداً استبدالهما في نصوص قانون التجارة تلبية لملتمس بعض التجار، أو غير مفيد.

وأحيل الكتاب إلى الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع، فأجاب عليه ببحث أبلغ الى السيد الوزير. وفيما يلي نص الجواب:

الأستاذ الرئيس

تضمن كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية عدداً من المسائل تمكن الإجابة عليها في البنود التالية:

أولاً: مدى صحة استعمال لفظتي سمسار وسمسرة لغويا

السمسار: كلمة معجمية (مؤنثها بهاء، وتجمع على سماسرة، الفعل منها: سمسر، والمصدر: السمسرة، ويطلق على الحرفة وعلى مقابل الأتعاب فيها)، وردت في الأمهات، ولم يغفلها إلا الصغير من المعجمات أو الملتزمت منها[1]، كما أثبتها « المعجم الوسيط » معجم مجمع اللغة العربية.

---

(١) أغفل كل من الجوهري في صحاحه وابن فارس في مقاييسه كلمة سمسار في مادتها، ولكن الأول ذكرها في مادة سفر.

إن الكلمة في أصلها معربة قديماً عن لفظة « سيب سار » الفارسية ، ويقول علماء في اللغات القديمة إنها موجودة في اللغة الآرامية ، وقد شاعت بين العرب ووردت في الشعر الجاهلي ، قال الأعشى :

فأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها

إن كلمة « سمسار » في معاجم اللغة تدلّ على : « ذلك الذي يتوسط بين البائع والمشتري لإمضاء البيع » ويطلق كثير من الناس على السمسار اسم « الدلاّل » وفي المعجم الوسيط : « سمسر فلان : توسط بين البائع والمشتري بجُعْل . والسمسار : الوسيط بين البائع والمشتري لتسهيل الصفقة » .

هذا وللفظة « سمسار » في المعجمات معان أخرى تدور حول معناها الأصلي نفسه ، وأهم هذه المعاني إطلاقها على من يبيع البرّ للناس ، يجلبه من بلاده ويبيعه لمن يحتاج إليه في الحضر أو البدو ، وجاء في حديث قيس بن أبي عروة : « كنا قوماً نسمى السماسرة بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ ، فسمانا التجار » كما جاء عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، أنه سئل عن معنى الحديث : « لا يبعْ حاضرٌ لبادٍ » فقال : « لا يكون له سمساراً » وعلق الفقهاء على هذا : أن المنهي عنه : أن يأتي البدوي البلدة ومعه قوت يبغي التسارع في بيعه ، فيقول له الحضريُّ : اتركه عندي لأغالي لك في ثمنه .

ومن معاني كلمة « سمسار » معنى مجازي ، أشارت إليه المعجمات العربية ، وهو المعنى نفسه الذي أشار إليه كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية وإلى أن التجار إنما ينفرون من كلمتي « سمسار وسمسرة » بسببه ، مما حملهم على المطالبة بإيجاد كلمتين عربيتين تحلان محلهما على أن يتم ذلك بتعديل النصوص القانونية النافذة .

ثانياً : الكلمات العربية التي تؤدي معنى « السمسار »

إن انتشار كلمة سمسار وشيوعها في مختلف الأقطار العربية ، دليل على أن العرب أحبوا جرس ما عربوه ففضلوه على الكلمات الأخرى التي تؤدي المعنى نفسه ولو كانت عربيتها أصيلة ، ولهذا ضعف استعمالها أو غلبت عليها معان أخرى ، ومن هذه الكلمات :

١ ــ الدلاّل . وهي كلمة عربية أصيلة أطلقها العرب على من يجمع بين البَيِّعَيْن ، يدل المشتري على السلع ويدل البائع على الأثمان ، والكلمة منتشرة وشائعة ذكرها عنترة العبسي فقال :

حصاني كان دلاّل المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا

والاسم من اللفظة الدّلالة بالفتح وتطلق على حرفة الدلاّل ، وبالكسر على الجعْل المعين له .

وفي العصور الحديثة أي منذ الزمن الذي عرفت فيه البلاد العربية ما يسمى بالقوانين التجارية ، اكتسبت كلمة « الدلال » معنى مولداً لم يرد في المعجمات القديمة ، ذكره المعجم الوسيط في معاني الكلمة فقال : « الدلاّل : من ينادي على السلعة لتباع بالممارسة (مو) » وهو معنى شائع ومعروف في القطر العربي السوري وغيره من الأقطار العربية .

٢ ــ السفير بالكسر : كلمة معجمية وردت في أمهات المعاجم بمعنى « الدلاّل » قال الأزهري إنها معربة عن الفارسية ، وادعى بعضهم أنها معربة عن كلمة (سيب سار) نفسها التي عربت بصيغة « سمسار » وقال صاحب الألفاظ الفارسية : « يحتمل أن يكون أصل الكلمة آراميا ، مأخوذاً من فعل له معني قتل

ودار » أما صاحب الألفاظ السريانية فيقول : إن الكلمة سريانية وهي فيها sapsiro ومعناها سمسار وأصلها من فعل بمعنى ساوم .

إن للكلمة عدة معان على ما ذكر في المعجمات أهمها أنها ترادف كلمة « سمسار » وبه فسر الأصمعي قول النابغة :

وقارفتْ وهي لم تجربْ وباع لها من الفصافص بالنُمّيّ سفسير

قال : باع لها واشترى لها سفسير يعني السمسار ، كذا في التهذيب والصحاح ، وعزا ابن سيده هذا البيت إلى أوس ابن حجر .

٣ – الوسيط : وهي كلمة عامة ففي مادة « وسط » : وسط الشيء وتوسطه صار في وسطه ، ووسط الشيء : ما بين طرفيه ، ويقال : هو وسيط فيهم ، والوسيط : الأوسط والمتوسط بين أي طرفين متناظرين أو متناقضين ، وبين المتخاصمين : الساعي لمصالحتهما ، وبين البيعين : العامل على إمضاء البيع .

ثالثاً : ما تردده المعجمات الثنائية اللغة

إن جميع المعاجم الثنائية اللغة ، العربية مع الفرنسية أو الإنكليزية ، تردد في مقابل كلمتي courtage الفرنسية و broking الإنكليزية كلمات : السمسرة والوساطة والدلالة ، وبعضها يضيف : « العمولة أو عمولة السمسار » وكذلك تردد في مقابل كلمتي courtier الفرنسية و broker الإنكليزية كلمات : سمسار ووسيط ودلاّل .

رابعاً : شيوع كلمتي سمسار وسمسرة في كثير من الأقطار العربية

عرفت الأقطــــار العثمانية كلمتي « سمسار وسمسرة » مصطلحين من

مصطلحات القانون التجاري مذ وضع العثمانيون سنة ١٢٦٦ هجرية « قانون التجارة العثماني » مقتبساً من نصوص تجارية أجنبية ، وشاعت اللفظتان في كتب القانون وفي قرارات المحاكم ولا سيما بعد أن صدر في ٢٦ أيلول سنة ١٣٠٤ رومية « نظام الدلالين والسماسرة » وترجم إلى العربية وأخذت محاكم الأقطار العربية تطبقه في المنازعات التي تدور حول أحكامه .

خامساً : اختلاف مفهوم كلمتي سمسرة وسمسار عن الأعمال الأخرى في النصوص القانونية

لقد تكفلت نصوص القانون التجاري بتنظيم الشؤون القانونية لكل من يتعاطى أعمالاً ملحقة بالأعمال التجارية ، كمن يقوم بأعمال البيع والشراء لحسابه الشخصي ، أو كالموظف الذي يقوم باجتذاب العملاء والتفتيش عنهم ، أو كمن يعمل في التوسط بين طرفين لحساب أحدهما ، اوكالوكيل بجعل ؛ مما يؤيد رأي وزير التموين والتجارة الداخلية بعدم صحة استبدال أي اسم قانوني لأحد هؤلاء العاملين في الحقل التجاري بكلمة سمسار أو دلال .

سادساً : إعلان السماسرة عن أنفسهم

إن أكثر من يشتغل بالسمسرة يعلن عن نفسه بأنه « وسيط تجاري أو عقاري » مبتعداً عن لفظة « سمسار » ومثل هذا الإعلان لا يجافي القانون ما دامت نفوس السماسرة والتجار تطمئن إليه لأن النصوص القانونية النافذة تقره ، فقد نصت المادة الأولى من نظام الدلالين والسماسرة العثماني على أن كلمة « دلال أو سمسار » إنما تطلق على الواسطة فيما يجري بين البائع والمشتري من الأخذ والعطاء ، بينما عرفت المادة ٣٨٦ من قانون التجارة السوري السمسار بـ « الذي يكون وسيطاً » كما قضت أحكام المادة ٣٩٠ من هذا القانون بأن « للسمسار أن يتوسط في أي بيع أو شراء » ، أما المادة ٣٩١ فقد أشارت إلى : « البيوع التي تتم بواسطة السمسار » وأخيراً

فإن المادة ٣٩٢ من القانون المذكور أطلقت على هذه البيوع اسم : « عمليات التوسط والسمسرة » .

سابعاً : خلاصة البحث

من هذا العرض الموجز لما في المعجمات العربية ، وللأحكام القانونية ، لا أرى مسوغاً لاستبدال أي كلمة بلفظة « سمسار » ولو كانت تؤدي المعنى نفسه لأن تعديل النصوص القانونية سوف لا يقضي على شيوع لفظتي « سمسار وسمسرة » من جهة ، ولأن مثل هذا التعديل يفرد القطر العربي السوري بمصطلح تجاري يبتعد به عن أشقائه في الأقطار الأخرى ؛ ولمن يأنف من استعمال كلمة « سمسار » أن يستعمل كلمة « وسيط » بترخيص من القانون على ما أشرت إليه آنفاً .

نائب رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور عدنان الخطيب

ندوة اتحاد المجامع العربية
لتوحيد مصطلحـــات النفط (البترول)

أقام اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في مدينة بغداد ثاني ندواته لتوحيد المصطلحات وذلك خلال المدة الواقعة بين ٢٦ـ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٤م.

واشترك في الندوة ممثلون وخبراء من المجامع العربية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد ، كما اشترك فيها ممثلون عن شركة نفط العراق وممثل عن جامعة الكويت .

وعقدت الندوة جلساتها في مبنى المجمع العلمي العراقي ، وكانت الجلسات متواصلة أنجزت خلالها دراسة المصطلحات التي كان اتحاد المجامع قد جمعها وعدلت الكثير منها وأقرت ما لم تعد له ، وسيعمد اتحاد المجامع إلى طبع المصطلحات التي أقرت في الندوة تمهيداً لتوزيعها على المهتمين والمختصين بشؤون النفط في مختلف الأقطار العربية .

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية بمناسبة ندوة بغداد لمصطلحات النفط (البترول) جلسة في بغداد بتاريخ ٢٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٤ تدارس خلالها شؤون الاتحاد وموضوع الندوة الجديدة التي يزمع عقدها في عام ١٩٧٥ ، وستخصص لبحث شؤون هامة تتصل بالدفاع عن اللغة العربية .

تقرير عن أعمال المجمع

خلال الدورة السابقة

١ – مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م خمس عشرة جلسة ، بحث المجمع فيها عدة شؤون مجمعية في طليعتها النظر في أعمال اللجان الفرعية التي ألفت لدراسة معاجم مكتب التعريب الستة (الحيوان والنبات والفيزياء والكيمياء والرياضيات والجيولوجية) إلى جانب ماأرسله مجمع اللغة العربية في القاهرة من مصطلحات النفط (البترول) (جيولوجيا البترول وكيمياء البترول) ، فأقر من ذلك كله ما أقر وعدل ما عدل .

٢ – اللجنة الإدارية :

انضم إلى هذه اللجنة الأستاذ المهندس وجيه السمان بعد أن تم انتخابه في جلسة مجلس المجمع بتاريخ ١٩٧٤/١/١٠ لمدة أربع سنوات .

٣ – لجنة المجلة والمطبوعات :

جدد المجلس انتخاب الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار لعضوية هذه اللجنة لمدة أربع سنوات وذلك في جلسته التي عقدها في ١٩٧٤/١/١٠

٤ – لجنة المخطوطات وإحياء التراث :

تم تأليف هذه اللجنة بقرار من رئيس المجمع بتاريخ ١٩٧٣/٩/١٨ من السادة الأساتذة : الدكتور شكري فيصل (المقرر) والدكتور كامل عياد والأستاذ عبد الهادي هاشم ، وبدأت اجتماعاتها في ١٩٧٤/١/٨ . وعقدت في الدورة الماضية عشرين اجتماعاً تدارست فيها أمر الكتب التالية :

١ - نضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني . تحقيق الدكتورة نُهى عارف الحسن .

٢ - الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات ، أو أدب القضاء ، لابن أبي الدم الحموي . تحقيق الدكتور محمد مصطفى الزحيلي .

٣ - مخطوطات الفقه الحنفي في دار الكتب الظاهرية . وضع السيد مطيع الحافظ .

٤ - تاريخ المنصوري . تحقيق الدكتور أبو العيد دودو .

٥ - مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق الأستاذ ياسين السواس .

٦ - تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للحافظ العلائي الشافعي . تحقيق الدكتور إبراهيم السلقيني .

٧ - الملمَّع للحسين بن علي النمري . تحقيق السيدة وجيهة السطل .

٨ - رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي . تحقيق الأستاذ أحمد محمد خراط .

واللجنة آخذة بتأصيل تقاليدها في العمل ، وقد أقرت من خلال الممارسة والتجربة مبادىء عامة تشترطها في نشر المحقق من تراثنا .

٥ - مطبوعات المجمع :

أ - المجلة : لقد أتمت المجلة بانتهاء عام ١٩٧٤ المجلد التاسع والأربعين ، وهي دائبة على التزام المنهج الذي تسير عليه من حرص على أصالة البحوث وتنوّع الموضوعات .

ب - الكتب التي نشرها المجمع :

١ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (اللغة) وضع السيدة أسماء الحمصي .

٢ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (النحو) وضع السيدة أسماء الحمصي .

٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ) الجزء الثاني وضعه الأستاذ خالد الريان .

٤ - شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثاني تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح

٥ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها الجزء الأول تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان .

٦ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها ، الجزء الثاني . تحقيق الدكتور محي الدين رمضان .

٧ - المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة . وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

٨ - ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي . جمع وتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي

٩ - الأمثال لأبي عكرمة الضبي . تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب .

١٠ - شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثالث تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح

أما الكتب التي تم طبعها وتوشك على الصدور فهي :

١ - الاختيارين للأخفش الأصغر . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة .

٢ - مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الجزء الأول والثاني. تحقيق الأستاذ ياسين السواس .

٣ - ديوان الأبيوردي الجزء الأول . تحقيق الدكتور عمر الأسعد .

ومن المتوقع أن ينتهي خلال الأشهر الثلاثة التالية الكتابان التاليان :

١ - المحمدون من الشعراء للقفطي . تحقيق الأستاذ رياض مراد .

٢ - ديوان طرفة بن العبد تحقيق الأستاذ لطفي الصقال والسيدة درية الخطيب.

جـ ـ الكتب المتوقع نشرها في العام المقبل :

ومن بين الكتب التي ينتظر أن تصدر خلال العام المقبل ما أنجزت لجنة التراث النظر فيه مما ألمعنا إليه في الحديث عن عمل اللجنة ومنها ما لم تفرغ اللجنة من النظر فيه . ومن ذلك :

١ ـ الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري . تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي

٢ ـ شرح أبيات كتاب سيبويه لابن السيرافي ت ٣٨٥ هـ . تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني .

٣ ـ التعازي والمراثي للمبرد . تحقيق الأستاذ محمد الديباجي (أستاذ في كلية الآداب ـ فاس ـ المغرب) .

٤ ـ إعراب الحديث لأبي البقاء العكبري . تحقيق الأستاذ عبدالإله نبهان .

٦ ــ العمل الاداري في المجمع :

صدرت خلال الدورة المنصرمة طائفة من المراسيم عن رئاسة الجمهورية وقرارات عن السيد وزير التعليم العالي ورئيس المجمع تتناول بعض الوظائف والموظفين وتستهدف دعم العمل الاداري وسد الحاجة إلى الموظفين .

٧ ــ مشاركات المجمع العلمية داخل القطر :

١ ـ شارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح والأستاذ الزميل ميشيل الخوري في اللجنة المؤلفة للاحتفال بالذكرى الألفيـة لمولد البيروني الذي أقامه المجلس الأعلى للعلوم خلال اسبوع العلم الرابع عشر (تشرين الثاني ١٩٧٤) وقد قدم الدكتور الخوري لهذا الاحتفال ترجمة عن الانكليزية لمقال ا . س كندي عن « البيروني في قاموس العلماء » ونشر في الكتاب التمهيدي الذي أصدره المجلس عن البيروني .

٢ - شارك الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ممثلاً للمجمع ، في اللجنة التي شكلت في المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، للاحتفال الذي أقيم بمناسبة ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة أبي الفداء صاحب حماة . وقد أبدى المجمع استعداده لطبع كل ما ترى اللجنة طبعه من آثار أبي الفداء . ويتولى الأستاذ الدكتور كامل عياد الاهتمام بذلك ومتابعته .

٨ - نشاط المجمع خارج القطر :

١ - صدر عن اتحاد المجامع مجموعة من مصطلحات النفط (البترول) تحت عنوان « مصطلحات بترولية - جيولوجيا وكيمياء » . وقد بحث مجمعنا في هذه المصطلحات التي شكل من أجلها لجنتين نظرتا فيها وعرضتا ما أنجزتاه على المجلس ، واشترك في ندوة بغداد من أجل مصطلحات النفط رئيس المجمع ونائب الرئيس والأستاذ المهندس وجيه السمان بالإضافة إلى بعض الخبراء في اللجنتين المذكورتين .

٢ - شارك الأستاذ الرئيس في حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين الذي أقامه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مساء ٢٦/ ١٢/ ١٩٧٣) وألقى كلمة المجمع التي نشرت في المجلة (ج ١ م ٤٩ ص ١٩٥) .

٣ - شارك الأستاذ الرئيس كذلك في اجتماع لجنة توحيد المصطلحات الطبية بدعوة من أمانة اتحاد الأطباء العرب مرتين الأولى في بغداد خمسة أيام (١٩٧٣/١٢/٧) ، والثانية في الكويت بين (٨/٣ — ١٩٧٤/٣/١٤) وقد أنجزت اللجنة المعجم الطبي الموحد الذي صدر في بغداد .

٤ - شارك الأستاذان الدكتور حسني سبح والدكتور عدنان الخطيب

في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الأربعين في الأيام بين ٢٥ شباط و ١١ آذار ١٩٧٤ وقد نشر تقريرهما في مجلة المجمع (ج ٢ م ٤٩ ص ٤٤٤) .

٥ – شارك الزميلان الأستاذ المهندس وجيه السمان والدكتور شكري فيصل في الوفد السوري إلى مؤتمر التعريب في الجزائر في الأيام (١٢ – ١٩٧٣/١٢/٢٠) وهو المؤتمر الذي تم فيه إقرار المعاجم الستة للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام في مواد الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات والرياضيات والجيولوجيا .

وقد نشرت المجلة (ج ١ م ٤٩) أخبار المؤتمر ووثائقه .

٩ – أعضاء المجمع :

١ – انتخاب نائب رئيس المجمع .

انتخب المجمع في جلسته السادسة (٩٧٣/١٢/٦) الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك قرار السيد وزير التعليم العالي ذو الرقم ٧٥٩ تاريخ ١٩٧٣/١٢/٣٠ .

٢ الأعضاء العاملون :

انتخب المجمع في جلسته السابعة (١٩٧٤/١/١٠) الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة ، أستاذ كرسي الفيزياء النووية ورئيس جامعة دمشق ، عضواً عاملاً .

٣ – الأعضاء المراسلون :

تدارس المجمع في جلسات متفرقات اختيار بعض الأعضاء المراسلين من أقطار مختلفة وسيوالي في هذه الدورة دراسة الموضوع .

٤ – الأعضاء الراحلون :

فقدت العربية أبرز كتابها المعاصرين ، عميد الأدب العربي عضو مجمع دمشق ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ورئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين .

وكذلك فقد المجمع في دمشق من أعضائه المراسلين الأساتذة الطيبي الذكر : محمد الطاهر بن عاشور « تونس » ، وعلال الفاسي « المغرب » وكمال إبراهيم « العراق » .

١٠ – مكتبة المجمع :

يتابع المجمع تغذية مكتبته بالكتب الجديدة شراءً واستهداءً .

ومضى العمل في مكتبة المجمع في اتجاهين : الكتب والمجلات :

١ – أما عن الكتب ، فقد تمّ جرد المكتبة ، وإعداد قوائم بنواقصها . ولا بدّ من تغذية المكتبة بالكتب الجديدة التي هي مظنة حاجة المجمعين ، ولا بد من الحرص على الأجزاء التي يتتابع صدورها ، من كتب كانت طبعت من قبل .

وقد بلغ عدد الكتب التي دخلت في الدورة الماضية مكتبة المجمع /٧٨٠/ كتاباً . وانصرف القائمون على المكتبة بعد الجرد إلى عمل فهرسين اثنين أحدهما بأسماء الكتب والآخر بأسماء المؤلفين .

وقد تم اعداد فهرس أسماء الكتب على البطاقات . ويبدأ العمل في فهرس أسماء المؤلفين .

٢ – وأما عن المجلات فقد كان قدر طيب من الاهتمام منصباً على تنظيم هذه الأكداس الكثيرة منها . وقد أنجز بعض التنظيم لها – بقدر ما أتاحت الوسائل وتيسر من الوقت .

١١ – دار الكتب الظاهرية :

١ – دائرة المطبوعات :

عدد مقتنيات دار الكتب الظاهرية من الكتب المطبوعة هذا العام ١٦٣٠ كتاب : العربية منها ١٢٨٧ كتاب ، أكثرها إهداء ، والمشترى منها ٤٤٨ ، والأجنبية ٣٤٣ كتاب .

أما المجلات والدوريات فقد اقتنت الظاهرية منها ٥١٣ عدد منها ٣٣٢ للمجلات العربية و ١٨١ للمجلات الأجنبية .

٢ – دائرة المخطوطات :

تم شراء ٣٢٦ مخطوط قيم و ٧٩ رسالة ، كانت كلها في مكتبة المرحوم الأستاذ الشيخ عبد المحسن الاسطواني .

ولا نزال نتابع مع وزارة التعليم العالي تحقيق المشروع الذي يهدف إلى استكمال حاجة الظاهرية من الأجهزة الفنية والمنح التدريبية .

٣ – الرواد :

بلغ عدد رواد الظاهرية خلال هذه الفترة ١٨٩١٣

٤ – الدوام :

طبق الدوام الكامل منذ أشهر ، فأصبح دوام الظاهرية يمتد بين الثامنة صباحاً والثامنة مساء ، ويتولى موظفون من الظاهرية والمجمع التعاون على ذلك لقاء تعويضات إضافية .

٥ – البناء في الظاهرية :

في التقرير السابق إشارة إلى المبلغ الذي أضيف إلى الموازنة – وهو ستون ألفاً – لمتابعة إصلاح البناء في الظاهرية ، وإلى تحويل هذا المبلغ للهيئة العامة للأبنية المدرسية كي تتولى التنفيذ والإشراف والإنفاق .

وقد أنجزت الهيئة تجديد الجناح الشمالي الغربي من بناء الظاهرية .

وفي الجناح الشمالي قاعتان واسعتان : العليا منها أعدت للباحثـــين وزودت بالمصادر والمراجع الأساسية وأطلق عليها اسم المرحوم الشيخ طاهر الجزائري مؤسس دار الكتب الظاهرية . ويرتادها اليوم عدد من العلمـاء والباحثين وطلاب الدراسات العليا ، ونرجو أن يوضع نظام خاص لارتيادها وشروط لروادها ، تحقيقاً للغاية الأساسية من إنشائها .

وتتتابع أعمال الإصلاح في الظاهرية ، وقد وكل الى المديرية العامة للآثار والمتاحف ترميم قاعة الملك الظاهر وقبته وإصلاح السـاحات الأثرية وإعادة صقلها وتبليط باحة الدار ومدخلها الرئيسي . وقد بدأ العمـل في ذلك في الشهر الثامن من هذا العام ويتوقع أن ينتهي بعضه مع نهاية العام الحالي ، وأن يرجأ بعضه (التبليط وإصلاح المدخل) الى العام المقبل .

هذا ومن المأمول أن تتم تدفئة الظاهرية تدفئة مركزية في السنة المقبلة .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م

الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
١ – الدكتور حسني سبح (رئيس المجمع)	١٩٤٦	٩ – الدكتور عدنان الخطيب (نائب الرئيس)	١٩٦٠
٢ – » أسعد الحكيم	١٩٢٣	١٠ – » أمجد طرابلسي	١٩٦١
٣ – الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٢٣	١١ – » شكري فيصل (أمين المجمع)	١٩٦١
٤ – الأستاذ عارف النكدي	١٩٢٣	١٢ – الأستاذ محمد المبارك	١٩٦١
٥ – الأستاذ شفيق جبري	١٩٢٦	١٣ – الأستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
٦ – الدكتور جميل صليبا	١٩٤٢	١٤ – الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
٧ – » حكمة هاشم	١٩٥٢	١٥ – الدكتور ميشيل خوري	١٩٧١
٨ – » محمد كامل عياد	١٩٥٨	١٦ – » شاكر الفحام	١٩٧١

الأعضاء المراسلون في الأقطار العربية (١)

المملكة الأردنية الهاشمية		**المملكة العربية السعوديه :**	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩	الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٣٠
جمهورية تونس :		الأستاذ حمد الجاسر	١٩٥١
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٦٧	**الجمهورية العربية السورية :**	
الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية		الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٤٥
الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٢	» عمر أبو ريشة	١٩٤٨
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢	الدكتور قسطنطين زريق	١٩٥٤

---

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي ، والأسماء حسب الترتيب الزمني .

الجمهورية العراقية :

الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٣١
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٤٨
« كوركيس عواد	١٩٤٨
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٦٦
الأستاذ ناجي معروف	١٩٦٩
« محمود شيت خطاب	١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٦٩

فلسطين :

الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية :

الأستاذ أنيس المقدسي	١٩٤٥
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٤٨
الدكتور عمر فروخ	١٩٤٨
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٦٦
« أمين نخلة	١٩٦٦
الدكتور فريد الحداد	١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية :

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٥٧

جمهورية مصر العربية :

الدكتور أحمد زكي	١٩٤٨
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٧٢
« محمد عبد الغني حسن	١٩٧٢

المملكة المغربية :

الأستاذ عبد الله كنون	١٩٥٦

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

اسبانية :

الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)	١٩٤٨

إيران :

الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٥٧

ايطالية :

الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو)	١٩٤٨

باكستان :

الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	١٩٢٨
الأستاذ يوسف البنوري	١٩٥٥
« محمد صغير حسن معصومي	١٩٦٦

البرازيل :

الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٥٧

الدانيمرك :

الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٢١

السويد :

الأستاذ ديدرنغ (س)	١٩٥٦

فرنسة :

الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١

الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٤٢

فنلاندة :

الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن) ١٩٢٣

المجر :

الدكتور عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦

النمسة :

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨

الدكتور اشتولز (كارل) ١٩٥٤

الهند :

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦

" أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧

الولايات المتحدة الأمريكية :

الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضـــاء العاملون

	تاريخ الوفاة
١ ـ الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
٢ ـ الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
٣ ـ الشيخ سليم البخاري	١٩٢٨
٤ ـ الشيخ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
٥ ـ الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
٦ ـ 〃 سليم عنحوري	١٩٣٣
٧ ـ 〃 متري قندلفت	١٩٣٤
٨ ـ الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
٩ ـ الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
١٠ ـ الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
١١ ـ الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
١٢ ـ الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
١٣ ـ الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
١٤ ـ الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
١٥ ـ 〃 معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
١٦ ـ الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
١٧ ـ السيد محسن الأمين	١٩٥٢

	(تاريخ الوفاة)
١٨ ـ الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع)	١٩٥٣
١٩ ـ الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
٢٠ ـ 〃 محمد البزم	١٩٥٥
٢١ ـ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	١٩٥٦
٢٢ ـ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
٢٣ ـ 〃 خليل مردم بك (رئيس المجمع)	١٩٥٩
٢٤ ـ الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
٢٥ ـ الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
٢٦ ـ 〃 عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)	١٩٦٦
٢٧ ـ الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي (رئيس المجمع)	١٩٦٨
٢٨ ـ الأستاذ الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)	١٩٧٠
٢٩ ـ الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
٣٠ 〃 محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢

* * *

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الاقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية :

الأستاذ محمد الشريقي

الجمهورية التونسية :

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

« محمد الفاضل بن عاشور

« محمد الطاهر بن عاشور

الجمهورية الجزائرية :

الشيخ محمد بن أبي شنب

الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي

جمهورية السودان :

الشيخ محمد نور الحسن

الجمهورية العربية السورية :

الأستاذ جميل العظم

الأب جرجس شلحت

الأب جرجس منش

الأستاذ قسطاكي الحمصي

الشيخ كامل الغزي

الأستاذ ميخائيل الصقال

الشيخ بدر الدين النعساني

« راغب الطباخ

« عبد الحميد الجابري

« عبد الحميد الكيالي

« محمد زين العابدين

الدكتور صالح قنباز

الشيخ سليمان الاحمد

الأستاذ ادوار مرقص

الشيخ سعيد العرفي

البطريرك ماراغناطيوس أفرام

الأستاذ نظير زيتون

الدكتور عبد الرحمن الكيالي

الجمهورية العراقية :

الأستاذ محمود شكري الآلوسي

« جميل صدقي الزهاوي

« معروف الرصافي

« طه الراوي

الأب أنستاس ماري الكرملي

الدكتور داود الجلبي

الأستاذ طه الهاشمي

« محمدرضا الشبيبي

« ساطع الحصري

« منير القاضي

الدكتور مصطفى جواد

الأستاذ عباس العزاوي

الشيخ كاظم الدجيلي

فلسطين :

الاستاذ نخلة زريق

الشيخ خليل الخالدي

الأستاذ عبد الله مخلص
» محمد إسعاف النشاشيبي
» عادل زعيتر
الأب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
الأستاذ قدري حافظ طوقان

لبنان :

الأستاذ حسن بيهم
الأب لويس شيخو
الشيخ عبد الله البستاني
الأستاذ جبر ضومط
» عبد الباسط فتح الله
الشيخ مصطفى الغلاييني
الأستاذ عمر الفاخوري
» بولص الخولي
» أمين الريحاني
الأمير شكيب أرسلان
الشيخ إبراهيم المنذر
الأستاذ جرجي بني
الشيخ أحمد رضا
الأستاذ فيليب طرازي
الشيخ فؤاد الخطيب
الدكتور نقولا فياض
الشيخ سليمان ظاهر
الأستاذ مارون عبود
بشارة الخوري (الاخطل الصغير)

جمهورية مصر العربية :

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
» رفيق العظم
» أحمد كمال
» أحمد تيمور
» أحمد زكي باشا
الدكتور يعقوب صروف
السيد محمد رشيد رضا
الأستاذ حافظ إبراهيم
الأستاذ أحمد شوقي
الشيخ أحمد الإسكندري
الأستاذ أسعد خليل داغر
» داود بركات
الدكتور أمين المعلوف
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
الشيخ عبد العزيز البشري
الدكتور أحمد عيسى
الأمير عمر طوسون
الشيخ مصطفى عبد الرازق
الأستاذ أنطون الجميل
» خليل مطران
» إبراهيم عبد القادر المازني
» محمد لطفي جمعة
الدكتور أحمد أمين
الأستاذ عبد الحميد العبادي

الشيخ محمد الخضر حسين
الدكتور عبد الوهاب عزام
« منصور فهمي
الأستاذ أحمد لطفي السيد
« عباس محمود العقاد
« خليل ثابت
الأمير يوسف كمال
الأستاذ أحمد حسن الزيات
الدكتور طه حسين

المملكة المغربية :

الأستاذ محمد الحجري
الأستاذ عبد الحي الكتاني
الأستاذ علال الفاسي

ج – الاعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الاخرى

الاتحاد السوفييتي :

الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
« برتلز (ايفيكين)

اسبانية :

الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

ألمانية :

الأستاذ هومل
« ساخاو (ادوارد)
« هوروفيتز (يوسف)
« هارتمان (مارتين)
« ميتفوخ (أوجين)
« بروكلمن (كارل)
« هارتمان (ريشارد)
الدكتور ريتر (هلموت)

إيران :

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
الأستاذ عباس إقبال

ايطالية :

الأستاذ جويدي (اغنازيو)
« نالينو (كارلو)
« غربفيني (اوجينيو)

البرازيل :

الأستاذ سعيد أبو جمرة

البرتغال :

الأستاذ لويس (دافيد)

بريطانية :

الأستاذ مرجليوث (د . س .)
« بفن
« براون (ادوارد)
« كرينكو (فريتز)
« غليوم (الفريد)
« أربري (أ . ج .)

الأستاذ جيب (هاملتون ا . ر .)

بولونية :

الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تركية :

الأستاذ زكي مغامز

« أحمد أتش

تشيكوسلوفاكية :

الأستاذ موزل (ألوا)

الدنيمرك :

الاستاذ بوهل (ف . م.ب .)

« استروب (ج .)

السويد :

الأستاذ سترستين (ك . ف .)

سويسرة :

الأستاذ مونته (ادوارد)

« هس (ج . ج .)

فرنسة :

الأستاذ فران (جبرائيل)

« هوار (كليمان)

« بوفا (لوسيان)

« مالنجو

« كي (ارتور)

الأستاذ باسه (رينه)

« ميشو (بليّر)

« مارسيه (وليم)

« دوسو (رينه)

« ماسينيون (لويس)

« ماسيه (هنري)

الدكتور بلاشير (ريجيس)

المجر :

الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)

« ماهلر (ادوارد)

الهند :

الحكيم محمد أجمل خان

هولندة :

الأستاذ هورغرينه (سنوك)

« اوراندوك (ك .)

« هوتسما (م . ت .)

الدكتور شخت (يوسف)

الولايات المتحدة الأميركية :

الأستاذ ماكدونالد (د.ب .)

« هرزفلد (ارنست)

= سارطون (جورج)

الدكتور بيارد (ضودج)

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٤

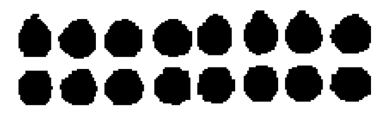
اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ابن درستويه	عبد الله الجبوري	بغداد ١٩٧٤
أرجوزة السيد خليل البصير	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٥
أشعار الترقيص عند العرب	» » »	» ١٩٧٠
البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن	عبد الواحد الزملكاني . تحقيق د. خديجة الحديثي و د . أحمد مطلوب	» ١٩٧٤
جلجامش في العالم السفلي	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٣
جوامع الموصل في مختلف العصور	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٣
الحكاية والإنسان	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٠
حنين بن إسحاق العبادي	سعيد الديوه جي	» ١٩٧٤
فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج (الجزء الأول)	عبد العزيز الرحبي. تحقيق د . أحمد عبيد الكبيسي	» ١٩٧٤
رقصات الخريف	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٤
السري الرفاء	» » »	» ١٩٥٦

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الشروط الصغير (١ ـ ٢)	أبو جعفر أحمد الطحاوي. تحقيق روحي اوزجان	بغداد ١٩٧٤
على هامش كتاب العروة الوثقى	محمد حسن آل ياسين	« ١٩٧٤
فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (١ ـ ٤)	عبد الله الجبوري	« ٩٧٣-١٩٧٤
مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل	سعيد الديوه جي	« ١٩٦٧
مدارس الموصل في العهد العثماني	« « «	« ١٩٦٤
ملحمة الموصل	فتح الله القادري الموصلي. تحقيق سعيد الديوه جي	« ١٩٦٥
الموصل أم الربيعين	سعيد الديوه جي	« ١٩٦٥
نحو الفعل	أحمد عبد الستار الجواري	« ١٩٧٤
نحو القرآن	« « « «	« ١٩٧٤
الحجاج بن يوسف (حياته وآراؤه السياسية)	إحسان صدقي العمد	بيروت ١٩٧٣
الشخصية الصهيونيـــة في الرواية الانكليزية	هاني الراهب	« ١٩٧٤
الصلح سيد الأحكام	حسن حمام	« ١٩٧١
مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية	سعدي أبو جيب	« ١٩٧٢
معجم الأخطاء الشائعة	محمد العدناني	« ١٩٧٣
نصوص الردة في تاريخ الطبري (نقد وتحليل)	محمد حسن آل ياسين	« ١٩٧٣

اسـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
بلوغ الأمل في فن الزجل	ابن حجة الحموي. تحقيق رضا محسن القريشي	دمشق ١٩٧٤
تاريخ الأدب العربي (الجزء الثالث)	ر. بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني	» ١٩٧٤
تقرير عن حالة الأمن العام	قيادة قوى الأمن الداخلي	» ١٩٧٢
» » » » »	» » » »	» ١٩٧٣
الحمامة البيضاء	دلال حاتم	» ١٩٧٤
فلسفة نيتشه	اويغن فنك ترجمة إلياس بديوي	» ١٩٧٤
القبلة من شفة السيف	خالد محيي الدين البرادعي	» ١٩٧٤
القطـــار	صلاح حافظ	» ١٩٧٤
الكليات (الجزء الأول)	أبو البقـــاء الكفوي . تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري	» ١٩٧٤
لويس دوبرويل والميكانيك التموجي	ماري انطوانيت تونيلا ترجمة محمد وائل الأتاسي	» ١٩٧٤
معارك تشرين	الإدارة السياسية	» ١٩٧٤
معجم العلوم الطبية (الجزء الأول)	الدكتور مرشد خاطر الدكتور أحمد حمدي الخياط نقحه وأتمه الدكتور محمد هيثم الخياط	» ١٩٧٤

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
نقد برنامجي غوطة وايرفورت	ماركس انجلز ترجمة صلاح مزهر	دمشق ١٩٧٤
وجوه آخر الليل	محسن يوسف	» ١٩٧٤
مسند الإمام الرضا (١-٢)	الإمام الرضا . تحقيق عبد العزيز العطاردي الخبوشاني	طهران ١٣٩٢
القاموس التشريحي لاتيني (ألماني) - عـربي	انطون شاللر،عصام حسن قلا	فيينا ١٩٦٤
الزخارف الرخامية في الموصل	سعيد الديوه جي	القاهرة ١٩٦٣
مخطوطات خزانة سعيد الديوه جي	» » »	» ١٩٦٣
مصادر تاريخ اليمن في العصـــر الإسلامي	أيمن فؤاد السيد	» ١٩٧٤
النبـــات (القسم الثاني)	أبوحنيفة الدينوري	» ١٩٧٣
تجارة الموصل في اختلاف العصور	سعيد الديوه جي	الموصل ١٩٧٤
ترجمة الأوليـاء في الموصل الحدباء	أحمد بن الخياط . تحقيق سعيد الديوه جي	» ١٩٦٦
الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام	سعيد الديوه جي	» ١٩٥٥
دور العلاج والرعاية في الإسلام	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٦
صدى الأعاصير	يوسف أمين القصير	» ١٩٥٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
عامر وأسمـــاء	يوسف أمين القصير	الموصل ١٩٥٤
عقائل قريش	سعيد الديوه جي	« ١٩٥٥
الفتوة في الإسلام	« « «	« ١٩٤٠
تراث كربلاء	سلمان هادي الطعمة	النجف ١٩٦٤



فهرس الجزء الأول من المجلد الخمسين

الجزء الثاني		المجلد الخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ربيع الأول ١٣٩٥ هـ

نيسان « أبريل » ١٩٧٥ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي:
في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري
أو ما يعادلها جنيه وعشرة شلنات
« « ثلاثة دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

شَقاوةُ الألفاظ وسَعادتُها

الأستاذ شفيق جبري

أرجع إلى أيام الصبا، أيام المدرسة، أذكر أن الطلاب كلهم كانوا يجلسون في قاعة عامة يهيئون مايفرض عليهم، وكان رئيس المدرسة ينظر إليهم من نوافذ القاعة، وهو يتجول في المشى، بعضهم كان يكتب، وبعضهم كان يقرأ، وبعضهم كان يلهو بمعجم «لاروس» وتصاويره، فكان الرئيس يدوّن في خاطره مايعنّ له من الآراء في مراقبة الطلاب ثم يأتي في يوم من أيام الأسبوع ويلقي علينا في ربع ساعة نتائج مراقبته وأكثرها نصائح، من جملة ماقاله مرة: إني رأيت بعض الطلاب يفتحون معجم «لاروس» ويطيلون النظر فيه، فإذا كان همهم اللهو بالتصاوير، ففي ذلك ضياع الوقت، وإذا كان همهم النظر في مفردات اللغة والتدقيق في معانيها ففي ذلك فائدة كبيرة.

من ذلك الوقت نشأ لي ميل إلى مطالعة معجم من معجمات اللغة من حين إلى آخر، ثم اشتد بي هذا الميل لما قرأت مقالاً «لأناتول فرانس» في محتويات المعجمات، وأظن أني قد أشرت إلى هذه المحتويات في مواطن كثيرة، وهل عليّ من حرج إن لخّصت بعض هذه المحتويات في سطر واحد: إن معجمات اللغة فيها كل شيء، فيها أفراحنا وآلامنا وآمالنا، وفيها أفراح آبائنا وآلامهم وآمالهم. ليس هذا كل ماجاء في مقال «أناتول

فرانس » وقد قرأت لكاتب آخر مقالاً لخص فيه محتويات المعجمات في كلمة فقال : إن فيها تاريخ الأمة كلها .

إن كلام هذين الكاتبين واضح لايحتاج إلى تفسير ، فإن المفردات التي يشتمل عليها المعجم تصور لنا أخلاق الأمة ، وفلسفتها وعلمها وأدبها وفنونها ، فكل لفظة تدل على شيء يتعلق بناحية من نواحي الأمة ، لأن الألفاظ لاتوضع إلا للدلالة على الأشياء ، فقد نستطيع أن نعرف مابلغت إليه الأمة من الحضارة من مفردات المعجمات ، فالأمة التي تفقد شيئاً من كل ما تقدمت الإشارة إليه لانجد في معجمات لغتها اللفظ الدالّ على هذا الشيء ، وقد نقل الجاحظ في كتاب البخلاء حديثاًلطاهر الأسير الذي قال : ومما يدل على أن الروم أبخل الأمم أنك لاتجد للجود في لغتهم اسماً ، وإنما سمّى الناس مايحتاجون إلى استعماله .

فإذا كنت مولعاً بمطالعة معجمات اللغة من وقت إلى آخر فبعض هذا الولع ناشىء عما أظفر به في هذه المطالعة من معرفة مايتصل بشعور الأمة وذوقها ، بعلمها وأدبها ، بفلسفتها وأخلاقها ، بكل أفق من آفاقها .

إلا أن معجمات اللغة تدلنا على أشياء ثانية غير التي ذكرتها ، فقد خطرت ببالي في أثناء مروري ببعض ألفاظ اللغة خواطر يسيرة أحببت الإلماح إليها ، من هذه الخواطر شقاوة الألفاظ وسعادتها ، وهذا عنوان يبدو في صدر الأمر غريباً ، كيف تشقى الألفاظ وكيف تسعد ، ولكن لاغــرابة في ذلك ، فإذا كانت اللغة كائناً حياً يجري عليها ما يجري على الأحياء فلماذا لاتشقى ولا تسعد ، فقد يكون أحد الناس غنياً في زمن من الأزمان ثم يصير إلى الفقر ، أو قد يكون فقيراً ثم يصير إلى الغنى ، وقد نجد في اللغة مثل ذلك ، ولعل ضرب الأمثال أشفى ، فمن الألفاظ

التي كانت شقية في زمنها ثم سعدت في زمننا هذا لفظة : الفنان ، ماذا نجد في اللغة ؟ نجد أن الفنان هو الحمار الوحشي له فنون في العدو .. ولسنا ندري متى ولدت هذه اللفظة لأننا لانملك معجماً يدوّن تاريخ الألفاظ ، ولكن الذي نعلمه أن هذه اللفظة عاشت أحقاباً طويلة في لغتنا ولكنها عاشت في شقاوة ، فمن الذي كان يرضى أن يطلق عليه اسم الفنان ، أي الحمار الوحشي ، إنّ في هذا الإطلاق غاية التحقير ، أما في عصرنا فقد ذهبت عن لفظة الفنان شقاوتها وكتبت لها السعادة ، فلم يعد الفنان في عصرنا الحمار الوحشي له فنون في العدو ، ولكن الفنان في هذا اليوم صاحب غناء وتصوير ونحت فالفنانون جماعة معظّمون ، مكرّمون ، يكرمهم الناس وتكرمهم الحكومات وبعضهم يقلدون الأوسمة الرفيعة اعترافاً بعلوّ منزلتهم في فنهم ، فلا يتذمم أحد منهم من أن يقال له إنه فنان ، إنه يرى في هذا القول غاية التكريم . أفرأينا كيف أن هذه اللفظة شقيت في عصور طويلة ثم سعدت في عصرنا ، أفلا يحق لنا أن نؤمن بشقاوة الألفاظ وسعادتها .

وعلى العكس فإنا نجد أن بعض الألفاظ كانت سعيدة في أيامها ثم شقيت بعض الشيء في هذا الزمن ، من هذه الألفاظ : الجرثومة ، نجد في اللغة أن جرثومة الشيء أصله ، وقد يكون هذا الأصل شريفاً وقد يكون غير شريف ، فيقال : جرثومة الخير كما يقال جرثومة الشر ، إلا أنها غلب عليها في الماضي معنى الشرف ، ولم يغلب عليها في اللغة نفسها وإنما غلب عليها في الاستعمال ، فقد جاءت في بعض الشعر القديم على ما أذكر وإن كان لا يحضرني الآن هذا الشعر ، كما أنها جاءت في بعض النثر ، وفي كل المواطن كانت تدل على شيء من أصل العز والشرف ، أما اليوم فقد انحدرت عن منزلتها الرفيعة ، وإذا استثنينا علم الجراثيم في الطب

وقلنا في فلان إنه جرثومة فقد أردنا بقولنا إنه أصل كل أذى وفساد وشر ، وما أظن أن أحداً من الناس يسره أن يقولوا فيه إنه جرثومة ، فإذا كانت لفظة الفنان قد سعدت في عصرنا فإن لفظة الجرثومة قد شقيت بعض الشقاوة ، ولا ندري كم تدوم سعادة الأولى ، وكم تدوم شقاوة الثانية ، فإن اللغة لا تثبت على وجه من الوجوه .

وإذا لم تكن لفظة الجرثومة تدل على الشرف في أصل معناها اللغوي وإنما جاءها هذا الشرف من استعمال بعض الشعراء والكتّاب لها في القديم وضاع شرفها في الحديث ، فإن لفظة « العلق » كريمة في أصل اللغة ، فالعلق بالكسر إنما هو النفيس من كل شيء ، ولكن ماذا بقي من هذه النفاسة يومنا هذا ، ولا سيما في لغة العامة ، فإن العامة إذا قالت في فلان إنه علق فقد أرادت بهذا القول أسوأ الإهانة ، فالعلق في لغتها مجرد من كل شيء يتصل بالرجولة ، فهو كالمخنّث ، فما في إطلاق هذه اللفظة على رجل من الناس شيء من المدح ، وإنما فيه كل الذمّ . وهكذا نجد أن هذه اللفظة كتبت لها الشقاوة بعد تقلّبها في السعادة عصوراً مديدة .

وما تمرّ به بعض الألفاظ من الشقاوة والسعادة في عصورها تمرّ به بعض المصادر أيضاً ، وأعني بقولي هذا أن الفعل قد يكون له كثير من المصادر ، ولكن قد يغلب على هذه المصادر مصدر واحد أو مصدران فيشيع استعمال الغالب ويهمل المغلوب ، فقد مررت عرضاً في خلال مطالعتي للقاموس المحيط بمادة : كال ، يقال : كال الطعام كيلاً ومَكيلاً ومَكالاً ، أفلا نرى أن مصدر الكيل غلب على أخويه : المكيل والمكال ، فشاع استعماله في لغتنا حتى كاد المصدران الآخران يختفيان ، ولا أعني

بقولي أنها غير صالحين ، وإنما أعني به أن استعمال الكيل غلب عليها .

فالذي يستنبط من كل ما تقدم أن مثل اللغة كمثل الأحياء في عالم الطبيعة ، فقد يجري عليها ما يجري على هذه الأحياء من مختلف القوانين مثل قانون تنازع البقاء ، والانتخاب الطبيعي ، وبقاء الأصلح و « التطور » ، وهي اللفظة التي ولّدها عصرنا .

« شفيق جبري »

- ٢٧ -

الدكتور حسني سبح

وأرجح غُضرُوف [1] الأذن أو قنُوفها [2] كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وأُذَيْن ، وأرى أن لفظة صِوان أو صِوان كلمة فارسية ترجمة لـ (pavillon) ولم أطلع على دلالتها هذه في المعاجم الموثوق بها ولا في كتب الطب . أما كِفاف فهو أحد أجزاء القنُوف أو الغُضروف [3] ، وأفضل أذين ترجمة لـ (auricule) بعد أن سبق للجنة أن ترجمت لفظة (oreillette) بأُذَينَة (اللفظة ٩٥٠٤) .

---

(١) في لسان العرب: الغُضْروف والغُرْضوف كل عظم ليّن رخص يؤكل . وفي المخصص : وفي الأذن الغُضْروف أو الغُرْضوف وهو فروعها ومعلّق الشَّنَف منها، والرانِفة طَرَف غضروف الأذن وقيل هو ما لانَ عن شدّة الغُرْضوف وفيها الشَحْمة ، وهي مالان من أسفلها وفيها مُعَلّق القُرْط .

(٢) الصفحة ٤٨٦ من المجلد التاسع والعشرين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب :والكِفاف من الثوب مَوْضع الكَف إلى أن قال:وكلُّ مَضَم شيء كِفافه ومنه كِفاف الأذن والظِفر والدُبُر .

9936 Peau; tégument externe , revêtement cutané

٩٩٣٦ جِلْد ، لِحاف خَارجي ، غِطاء جِلْدي

وأرجح جِلْد ، غِشاء (خارجي) ، لِباس جِلْدي .

9937 peau épaisse , couenne

٩٩٣٧ جِلْدٌ كَثيف

وأرجح جِلدٌ ثَخِين ، خَشِن

9938 peau lisse , glossy skin

٩٩٣٨ جِلْدٌ أمْلَسُ ، جِلْدٌ لمَّاع

وأرجح جِلْدٌ أملسُ ، جِلْدٌ لامِعٌ أوناعم

9940 Peccant, te

٩٩٤٠ فاسِد (خِلْط)

وغير صحي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١) .

9945 Pédéraste , homosexuel , uraniste , inverti

٩٩٤٥ لائِطٌ ، لُوطي ، أوراني

9946 Pédérastie, uranisne

٩٩٤٦ لِواطة ، أورانِيَّة

والصحيح في اللفظة الأولى لُوطي(٢) ولِّواط وسَتِه وسُتْهان(٣) ومشتهي المماثل ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة . فقد جاء في ترجمة (homosexuality) اشتهاء المماثل ، وجاء في الشرح : اشتهاء الجنس نفسه وهو على نوعين : اللواط والمساحقة

---

(١) (unhealthy) .

(٢) في لسان العرب: لاطَ الرجلُ لِواطاً ولاوط أي عَمِل عَمَلَ قوم لوط ، ولاَطَ الحوضَ بالطين لوطاً طيَّنه .

(٣) في لسان العرب : ورجلٌ سَتِه ملازم للأستاه . وفي تاج العروس: وسُتْهان كعُثْمان طالبها (أي الأست) أو اللازم لها كالسَّتِه كَكَتِف .

(أقول والأخيرة لا تستعمل إلا في femal homosexuality).
وفي الثانية لواط ولواطة وأورانية .

٩٩٥٠ مُعَنَّق ، مُسَوَّق — 9950 Pédiculé , ée , pédiculisé , ée
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : عُنُقي ، وجاء في الشرح : صارَ ذا ساق .

٩٩٥١ عُنُق ، سُوَيْقة ، ساق — 9951 Pédicule pédoncule , tige
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظتين الأوليين بعُنُق وعُنَيْق .

٩٩٥٢ سُوَيْقة رئوية — 9952 pédicule pulmonaire
والأفضل جَذْر الرئة (١) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي .

٩٩٥٣ سُوَيْقة بَطْنيَّة (مُضْغَة) — 9953 pédicule abdominale
والجِسْم البطني والجِذْع البطني (أو الحَشَوى) وسُوَيقة اللفائفي(٢) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣) .

٩٩٥٤ عَنَّقَ — 9954 Pédiculiser
وأفضل جَعَله أو صيَّره ذا عُنُق أو سُوَيْقة ، لأن اعَنَّقَ معنى خاصاً (٤) .

(١) (root of the lung) .
(٢) الصفحة ٣١٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٣) (abdominal body belly stalk, pedicle of the allantois) .
(٤) في لسان العرب : والعَنَق : طُول العُنُق وغِلَظُه، عَنِق عَنَقاً فهو أعنق والأنثى عَنْقاء بيِّنة العَنَق .

٩٩٥٥ عِنايَةٌ بالأقدام ، أقدامي 9955 Pédicure

والصحيح مُعالِجُ القَدَم أو الأقْدام، لأن اللفظة تعني مَنْ مِهْنَتُه معالجة الأقدام والعناية بها .

٩٩٥٧ سُوَيْقي 9957 Pédonculaire

وعُنُقي أيضاً .

٩٩٥٨ سُوَيْقات مُخَيْخِيَّة 6058 Pédoncules cérébelleux

والسُوَيْقات الرَّنحية كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٩٩٥٩ سُوَيقاتٌ مُخِّيَّة أو دماغية 9959 pédoncules cérébreux

السُّوَيقات المُخية كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٩٩٦٠ مُؤْذٍ ، مُحِطٌّ ، مُحَقِّر 9960 Péjoratif , ve

وأفضل مُسِيء ، وقَذِع

٩٩٦١ حاصَّة ، سَعْفَة ، بُقْعَة سلزية 9661 Pelade , area Celsi

سبق للجنة أن استعملت لفظة حاصّة ترجمة لـ (و alopécie)[1]

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مؤخراً ترجمة اللفظة الأخيرة بالمَعَط[2] (ثَعْلَبَة) .

---

(١) الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لقد جاء تعريف المَعَط في الجزء الخامس عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية في دورته الثامنة والثلاثين سنة ١٩٧١ إذ قال في ترجمة alopecia مَعَط (ثَعْلَبَة) قصور في تكوين الشعر إما خلقي وإما مرضي .

وفي لسان العرب : ومَعَط السيفَ وامتَعَطَه سلّه وامتعَطَ رُمْحَه انتزعه ومعط شعرُه وجلدُه معطاً فهو أمعَط يقال رجل أمعَط أمرَط.

وأرى لفظة سَعفة(١) تدل دلالة قاطعة على ما يقابل لفظــــة (alopécie) لذا أرى أن تخصص سَعْفة ترجمة لـ(alopécie) وأن تكون ترجمة (pelade) بالحاصّة أو المَرط(٢) أو المَعَط .

٩٩٦٧ دُوايَة ، طُهاوَة ، هِبْرِيَة 9967 Pellicule

وأرجح دُوايَة ، طُهاوة ، غِشاء رَقيق ، قِلْم ، كما جاء في الترجمة الانكليزيـة من المعجـم الأصلي (٣) تاركاً الهِبْرِيَة ترجمـة للفظة التالية

9968 pellicules , furfures , écailles épidermiques de la peau,

٩٩٦٨ دُوايات ، نُخَالِيّات ، حَرَاشِف الجلد البَشَرِية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (dandruff) التي وردت في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة في المعجم الأصلي، مع الألفاظ الأخرى(٤) أقر ترجمتها بالنُبَاغة(٥) وجاء في الشرح :

---

(١) والسَعفة والسَّعَفَة قروح في رأس الصبي وقيل هي قروح تخرج بالرأس ولم يخص به رأس صبي ولا غيره ، وقال كراع هو داء يخرج بالرأس ولم يُعينه وقد سُعِف فهو مَسْعوف، وقال أبو حاتم السَّعفه يقال لها داء الثعلب تورث القَرَع ، والثعالب يصيبها هذا الداء لذلك نسب اليها .

(٢) براجع الهامش في الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (pellicle , film , thin membrane) .

(٤) dandruff, dander, branny desquamation, scruf, furfur ; cutaneous scales) .

(٥) في لسان العرب : تَبَغ الدقيقُ من خِصاص المُنخُل يَنْبُغ خرج ، الى أن قال ويقال لِهِبْرِية الرأس نُباغة ونُباغَته .

القِشْر المتكون على جلد الرأس ، وترجمة (bran) بالنُخالة
وجاء في الشرح : قشور من البشرة تشبه النخالة .
وأفضّل أن تكون ترجمة اللفظة : نُخاليات (furfures) قُشُور
بَشَرة الجِلْد ، النُّباغَة والهِبْرية [1] وقِشر الجلد أو الرأس .

٩٧٦٩ الكُبَّة (بشكل) 9969 Pelote (en forme de)
وكُبَيْبي كما جاء في ترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [2] .

٩٩٧٢ فُقَّاع 9972 Pemphigus
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الفُقَّاعى وأراها أفضل .

٩٩٧٣ فُقَّاع الوَلِيد الحاد 9973 pemphigus aigu du uouveau - né

٩٩٧٣ فُقَاع الوَليد 9973 pemphigus du nouveau - né
وأرجح فُقَّاعي الوليد أو داء الفُقَّاع الحاد في الوليد في
الأولى ، وفُقَّاعي الوليد أو داء الفُقَّاع في الوليد
في الثانية .

٩٩٧٤ فُقَّاع مُتَحَسِّف 9974 pemphigus foliacé
وأرجح فُقَّاعي أوراقي الشكل (نسبة الى وَرَق الشجر ،
وتمييزاً من ورق الكتابة) وسبق للجنة أن ترجمت (foliacé)
بورَقي الشكل أو مُورِق (اللفظة ٥٨٦٩) .

---

(١) في لسان العرب : والهِبْرِيَة والهُبارِيَة ماطار من الزِيش ونحوه والهِبْرية والابْرية والهُبارِية ما تعلق بأسفل الشعر مثل النُخالة من وَسَخ الرأس .

(٢) (glomerular) .

9975 Penchant , ante , enclin , ine , porté, ée

٩٩٧٥ مَيْــل ، إتّجاه

وأرجح مَيْل ، إنحناء

9977 Penché en arrière

٩٩٧٧ مائل الى الوراء

وأفضل مُنْحَنٍ الى الوَراء أو الخَلْف

9978 Pendaison

٩٩٧٨ صَلْب

9979 Pendre (se)

٩٩٧٩ صَلَبَ نَفْسَه

وأرجح في اللفظة الأولى شَنْق وفي الثانية شَنَق نَفْسَه أو إنتحر شَنْقاً .

9980 Pendulaire

٩٩٨٠ نَوّاسي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (pendule) بالبندول بين مصطلحات علم الرياضة والهندسة ، وجاء في التعريف : جسم متحرك حركة تذبذبية حول محور أفقي ثابت .

وأرجح مافعلته اللجنة بترجمة (pendule) أو (pendulum) بالنّواس (١) .

9981 Pénétrant, ante

٩٩٨١ نافِذ ، خارِق

9982 Pénétration

٩٩٨٢ نُفوذ ، خَرْق

وأرجح داخِل ، خارِق ، ووالِج في اللفظة الأولى ، ودخول وخرق وولوج في اللفظة الثانية ، تاركاً نافذ ونفوذ

---

(١) في لسان العرب: والنَّوس تذبذب الشيء ، ناس يَنوس نوساً ونَوَساناً تحرك وتَذَبْذَب متدلياً ، وقيل لبعض ملوك حِمْيَر ذو نُواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه .

ونفوذية ترجمة لِـ (perméabilité, perméable)
شأن مافعلته اللجنة (اللفظتان ١٠١٠٦ و ١٠١٠٩) .

9983 pénétration affective compréhensivité , compréhensien affective .

٩٩٨٣ نُفُوذ نَفْسانيّ عاطِفي
وأفضل شُمول عاطِفي ، فَهْم عاطِفي

9984 Pénétrer (dans la chaire)

٩٩٨٤ نَفَذ (في اللحم)
وأرجح اخترق (اللحم)

9985 pénétrer dans un rétrécissement

٧٩٨٥ دَخَـلَ تضيّقاً ، حُشِر
وأرجح وَلَج في تضيُّق

9986 Pénible

٩٩٨٦ مُتْعِب، شاقّ
وصَعْب وبِصُعُوبَة(٢)

9987 Penicillé , ée

٩٩٨٧ مُخطَّط ، ذو ضفائر شعرية
سبق للجنـة أن استعملت (مُخَطَّط) ترجمة لِـ (strié)
(اللفظة ١٢٨١٠) ، وأرجح الريشيّة ، لأن ماتعنيه اللفظـة
صفة نهاية الشُرَيْنات وانتهائها بعروق دقيقة موزعة على هيئة
الرّيشة (ريشة الرسّام أو الدهّان) .

9988 Pénicillium

٩٩٨٨ مِكْنَسيّات
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (بنيسليوم)
وجاء في الشرح : وهو فُطر المَعَفّن .

---

(١) كقولنا تنفس بصعوبة (respirer péniblement)

9991 Pensée sauvage , herbe de la trinité

٩٩٩١ بَنَفْسَج برّي ، حَشِيشة الثالوث

وفي معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي : بَنَفْسَج مُثلث الألوان ، زهرة الثالوث ، بَنْصَة ، وجاء في التعريف : هَرْجاية بعامية الدماشقة والبَنْصَة تعريب الفرنسية في مصر . نوع من البَنَفسج جميل له ضروب عديدة .

9993 Pentavalent

٩٩٩٣ خُماسي اتقَيمة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة خماسي التكافؤ

9993 Pentol

٩٩٩٣ خُماسي الغول (بنتول)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بنتول ، وأرى أن يضاف إلى اللفظة كُحول خماسي .

9995 Peptiquc

٩٩٩٥ هَضْمي

ومِعَدي ، ببسيني كما جاء في معجم ستدمان(١)

9997 peptone de gélatine

٩٩٩٧ هَضْمون الهُلامين

9998 peptone de soie

٩٩٩٨ هَضْمون الحَرير

9999 pedtone de viande

٩٩٩٩ هَضْمون اللّحم

10000 peptene de Witte, de fibrine

١٠٠٠٠ هَضْمون وِيته ، هَضْمون الليفين

سبقت الملاحظة على لفظة هضمون(٢) وأفضل بَبْتون الهُلام وبَبْتون الحرير وبَبْتون اللّحم وبَبْتون وِيته وبَبْتون الليفين .

(١) لفظة (peptic) في معجم (Stedman's Medical Dictionary) .

(٢) الصفحة ٢٨٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10012 Percé de trous ١٠٠١٢ مُثَقَّب

وأفضل مَثْقوب ، وذو ثُقَب

10013 Perceptibilité ١٠٠١٣ قابليَّة التَّحَسُّس ، حَسوسيَّة

وأفضل قابليَّة الإدراك أو إمكانيَّة الإدراك . وسبق للجنة أن ترجمت اللفظة(sensibilité) بتحسس (اللفظة ١٢٣٠٠) .

10014 Perceptible ١٠٠١٤ مُدرَك ، مَحْسُوس

مُدرَك فقط واستعملت اللجنة مَحسُوس ترجمة لـ sensible (اللفظة ١٢٣٠٦) .

10015 perception ١٠٠١٥ تَحَسُّس ، إدراك

10016 perception des couleurs ١٠٠١٦ تَحَسُّس ، الألوان

10417 Perceptivité ١٠٠١٧ خاصَّة التَّحَسُّس

وأرجح في اللفظة الأولى إدراك (وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً) وفي الثانية تَمْييز الألوان ، وفي الثالثة خاصة الإدراك أو الادراك حِسِّياً .

10021 Perclus, use

١٠٠٢١ زَمِن ، مُقْعَد .

واهِن وأكسح وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) وللفظة زَمِن غير هذا المعنى(٢) .

10022 percolateur ١٠٠٢٢ مُحَلِّحِلة ، مِزْحَلة

---

(١) (cripped, impotent, lame)

(٢) في لسان العرب : والزَمِن ذو الزَّمانة والزَّمانة آفة في الحيوانات ورَجُل زَمِن أي مُبْتَلى بَيِّن الزَمانة والزَّمانة العاهَة .

10022 percolation

١٠٠٢٢ حَلْحَلَة ، تَرْحيل

وأفضل مُسْتَخلصة بالحل في اللفظة الأولى واستخلاص بالحل في اللفظة الثانية .

لأن ماتعنيه اللفظة الثانية هو استخراج أو استخلاص المكوّنات القابلة الانحلال بإمرار احدى الحالاّت من خلال مادة مَسْحوقة وُضعت في آنية مخروطية الشكل والتي تعرف بالمُستَخْلِصة بالحل (اللفظة الأولى)[1] .

10024 percussion auscultatoire, transsonnanee percutatoire

١٠٠٢٤ قَرْع اصغائي

10027 percussion immédiate.

١٠٠٢٧ قَرْعٌ بـــلا واسطة ، مَقْصود

وأرجح قَرع مُباشَر

10029 percnssion médiate

١٠٠٢٩ قَرْعٌ بواسطة ، مُعْتَنَف

وأرجح قرع غير مُباشر

10030 percussion très nuancée d'après Goldscheider

١٠٠٣٠ قَرْع فيه الكثير من التفاوت بحسب غُلْدشَيْدر .

وأرجح قَرْعٌ مُتفاوت (الشِّدة) على طريقة غُلْد شَيْدر وقرع عتَبوي وقَرع مُسْتَقيم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2] لأن مايقصد من القرع على هـــذه

(١) لفظتا (perculator) و (percolation) في معجم بلاكستون (Blakiston's New Gould Medical Dictianary) .

(٢) (threshold percussion , orthopercussion) .

الطريقة ما كان يعتمد عليه في رسم حدود القلب على جدار الصدر قبل زيوع الركون إلى الأشعة السينية .

١٠٠٣٤ خاتِل ، خادِع 19034 Perfide
وأفضل خادِع

١٠٠٣٦ مِثْقب كهرباوي 10036 Perforateur électrique
وأرجح مِثْقبٌ أو مِثْقاب كهربائي

١٠٠٤٢ إلتهاب ما حَوْلَ العُقدة 10042 Périadénite
وأفضل التهاب حَوْل العقدة

١٠٠٤٤ التهاب ما حَوْل القَنَوات الصَفْراوية 10044 Périangiocholite

١٠٠٤٥ التهاب ما حَوْل المَفْصِل 10045 Périarthrite
وأفضل التهاب حول القنوات الصفراوية في اللفظة الأولى والتهاب حول المفصل في اللفظة الثانية .

١٠٠٤٧ التأمور 10047 Péricarde
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : النِّخاب (التامور) وجاء في الشرح جِلْدة الفؤاد وترادف التامور ، ولا شك أن التأمور هو الشائع .

١٠٠٥١ غِلاف الثَّمَرَة ، حَوْل رُسُغ اليد 10052 Périchondre
أرى أن يقتصر على غِلاف الثَّمَرة ، إذ لم يرد مايشير الى حَوْل الرُّسُغ في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي[1] كما أني لم أجد مايدل على المعنى الثاني في أي من المعاجم الطبية وغيرها .

---

(١) في الترجمة الإنكليزية (pericarp) ، وفي الألمانية (Früchtschale) لاغير.

١٠٠٥٢ غِلافُ الغُضروف ، مُحيط الغُضْروف 10052 Périchondre
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سِمْحاق الغُضْروف

١٠٠٥٣ مِقْياس ساحة الصدر 10053 Périmètre thoracique
سبقت الملاحظة على هذه اللفظة(١) . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة بيريمِترية ، والأفضل مِقْياس مُحيط الصدر كما تقدم لا ساحته ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) .

١٠٠٥٦ دَوْر التَّقح ، دَوْر الحَمْل 19056 Période de conception
وأفضل دَوْر الحَمْل أو الحَبَل أو زمنها ، وأرى أن لفظة التَّقح لتلتبس بالإلقاح ، وقد استعملته اللجنة ترجمة لِ (fécondation)(اللفظة٥٠٨٢) وتَلْقيح لِ(vaccination) (اللفظة ١٤٠٢٤) .

10059 Période de mise en tension du myocarde (rétard essentiel) .
١٠٠٥٩ دَوْر تَوتير العَضَلة القَلْبية (تأخر ذاتي)
وأفضل دور تَوتّر عَضَلة القلب (التأخر الأساسي) وكذلك دَوْر ما قُبَيْل النبْض ، ودور إنقباض تكافؤ الجهد الكهربائي (الطور الأول للإنقباض البطني) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣) .

---

(١) الصفحة ٢٨٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) (thoracic perimeter , circumference of chest)
(٣) (presphygmic period, period of isoelectric contraction) (first phase of the ventricular contraction) .

١٠٠٦٠ دَوْر التَّمَرُّد — 10060 période réfractaire

وأفضل دور المقاومة أو الممانعة

١٠٠٦١ أدْوار (قِبالة) — 10061 périodes (obs.)

مراحل الولادة كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١] .

(١) دور التَّخَلُّص — (I) période de délivrance

دَوْر الولادة أو الوَضْع والمَرْحلة السُّخْدِيّة والمَرْحلة الثالثة من الولادة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢] .

(٢) دَوْر التَّوسُّع — (2) p. de dilatation

والمرحلة الأولى للولادة كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وكذلك مرحلة التوسع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٣] .

(٣) دَوْر الانقِذاف — (3) p.d' expulsion

وأرجح دور الإخراج أو مرحلة الإخراج ، والمرحلة الثانية للولادة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٤] .

١٠٠٧١ إلتِهاب ما حَوْل الوَرِيد — 10071 Périphlébite

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة التهاب حَوْل الوَرْيد

---

(١) (stage of labour)

(٢) (placental stage , third stage of labour)

(٣) (stage of dilatation , first stage of labour)

(٤) (stage of expulsion , second stage of labour)

10072 Péripneumonie des bovidés ou contagieuse (vét.)

١٠٠٧٢ ذات الرئة المحيطية في البقريات أو ذات الرئة المُعْدية (بيطرة) .

وذات الرئة المحيطية في الماشية ذات القرون ، والطاعون الرِئَوي، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١).

10073 Périsplénite

١٠٠٧٣ إلتهاب ماحَوْل الطِحال

وأفضل إلتهاب حَوْل الطِحال

10080 Péritoine pariétal

١٠٠٨٠ صِفاقٌ جِداري

10081 péritoine viscéral

١٠٠٨١ صِفاقٌ حَشَوي

10082 Péritonéal , ale

١٠٠٨٢ صِفاقي

سبقت الملاحظة على لفظة صِفاق(٢)، كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر تعريب اللفظة بريتون . لذا أرى أن تكون ترجمة الألفاظ الثلاثة :

بَريتون جداري ، وبريتون حَشَوي ، وبريتوني

10083 Péritonisme, pseudo-péritonite

١٠٠٨٣ صِفاقيّة ، إلتهاب صِفاقٍ مُوهِم

وأفضل ، الحالة البريتونية والتهاب البريتون الكاذب

وكذلك أرى استبدال لفظة بريتون بالصفاق في جميع الألفاظ الواردة بعدها .

---

(١) (peripneumonia of horned cattle ; lung plague)

(٢) الصفحة ٢٨٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

١٠١٠٠ إلتهاب ماحوْل اللّوزة 10100 Péritonsillite

وأفضل إلتهاب حوْل اللّوزة

10104 Perlèche, pourlèche, bridou

١٠١٠٤ تقيح الصّوارَيْن أو الصِماغَيْن

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (برليش) ، والصُّماغ ، وجاء في الشرح : التهاب الصامِغَيْن عند الأطفال .

١٠١٠٥ ثابت ، باقٍ 10105 Permanent, te

وأفضل مُسْتمِر ، دائم

١٠١١١ خُبْث 10111 Perniciosité

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (pernicious) بَوبيل ، وتكون ترجمة اللفظة وَبال وهي الأفضل بعد أن استعملت لفظة الخبث ترجمة لـ (malignité) (اللفظة ٨٢١١)

١٠١١٣ فوق أكسيد الهيدروجين 10113 Peroxyde d'hydrogène

ثاني أكسيد الهيدروجين bioxyde d' hydrogène

١٠١١٤ فوق الأكاسيد 10114 Peroxydes

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب لفظة (peroxyde) بير أكسيدمع فوْق أكسيد، وجاء في الشرح : مركب ثنائي يحوي المجموعة (– أ – أ –) ولا يسمى فوق أكسيد ، إلا إذا أعطى فوق أكسيد الايدروجين عند معالجته بالأحماض .

للبحث صلة



فقيد العروبة الكبير

الأستاذ عارف النكدي

عارف النكدي

١٨٨٧ - ١٩٧٥م

الدكتور عدنان الخطيب

كان عارف النكدي صبيحة يوم الخميس في الثالث عشر من شهر آذار المنصرم ، موعد الجلسة الشهرية لمجلس مجمع اللغة العربية بدمشق ، ملء السمع والبصر ، وافى زملاءه إلى دمشق ، كعادته في كل شهر ، حرصاً منه على القيام بواجب مشاركتهم في جلستهم العلمية ، غير عابىء بمتاعب السفر ولا وجل من نفحات الثلج الذي كان يجلل معظم مرتفعات الطريق المؤدية إلى دمشق من عبيه في جبل لبنان حيث يسكن .

وقعدنا ، في مكتب الأستاذ الرئيس ، نتجاذب أطراف الحديث ، واستجر بنا الحديث إلى شؤون مجمعية وعربية بالغة ، كان عارف النكدي في جميعها ، العالم الخبير والرائد الصادق والمعلم المهيب ، تحمل نبرات صوته صدق العزيمة ورجولة الحقة التي لم تضعف فيه يوماً مع كرّ السنين .

وافترقنا ونحن لا ندري أن آخر العهد بعارف النكدي كان تلك الدقائق المعدودات ، وأن آخر ما نسمعه منه تلك الأحاديث وفيها مالاينسى. لقد كانت أنواراً تكشف أساليب الشعوبية الحديثة في النيل من الفصحى، وتحوم حول واجب جمع كلمة محبي العربية للدفاع عنها بقوة وحزم ، كما عرج بنا الحديث على النشاط الذي تبديه في هذا المجال بعض الجماعات والفرق ، ووراءها يختفي الدققة وأعداء الإسلام .

ولم تمض أيام على تلك الجلسة حتى أفاقت دمشق صباح يوم الإثنين في الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٥ الموافق للرابع والعشرين من آذار «مارس» سنة ١٩٧٥ للميلاد ، على صوت الناعي من لبنان : لقد مات عارف النكدي في اليوم الذي فات الثالث والعشرين من آذار .

لقد تلقى مجمع اللغة العربية خبر الفاجعة بألم بالغ وحزن عميق ، إذ افتقد بموت عارف النكدي ، واحداً من أقدم أعضائه العاملين المشهود لهم بالكفاية وبالقوة في الدفاع عن العربية وحرماتها .

لقد كان عارف النكدي من أبرز المدافعين عن حرية وطنه يوم اشتغل بالسياسة ، كما كان في الطليعة من الروّاد الذين درّسوا في معهد الحقوق العربي بدمشق ، وغرسوا في طلابه الروح الوطنية الحقة ، روح الكفاح من أجل استعادة الاستقلال السليب عام ١٩٢٠ م .

ويوم تولى عارف النكدي إدارة القضاء السوري ، كان صاحب مدرسة تعتبر اليوم جزءاً من تاريخ سورية الوطني ، بتخريجها ألمع القضاة الذين ارتفعوا بالقضاء إلى مستوى يعتز به القطر العربي السوري ، فقد كان من مفاخره أيام إخضاعه إلى إنتداب أجنبي ، ويوم استعاد استقلاله ناجزاً .

إن خسارة الأمة العربية ومجامعها اللغوية ، بغياب رجل مثل عارف النكدي ، خسارة ليس من الهين تعويضها ، تغمده الله بواسع رحمته ، وعوض العربية عنه خيراً .

* *

فقيدنا الراحل

مولده وأسرته

ولد عارف النكدي في مدينة بيروت ضحى يوم السابع عشر من

ربيع الثاني سنة ١٣٠٤ [١] ، الموافق للثالث عشر من كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٨٧ الميلاد [٢] .

كان أمين بن سعيد والد عارف ، وجيهاً من وجهاء قومه ، وعميداً لأسرة درزية معروفة اشتهرت باسم آل نكد ، وهي من عشيرة ترجع بنسبها إلى قبيلة بني تغلب الشهيرة [٣] ، خرجت من شبه جزيرة العرب إلى مصر فالمغرب في جيوش الفتح الإسلامي ، ثم عاد جماعة منها إلى مصر في

(١) سجل لنا هذا التاريخ العلامة الشهير إبراهيم الحوراني ، بأبيات نظمها في تهنئة ساقها إلى والد المترجم له يوم ميلاده فقال :

رتعت وُرْق التهاني في الحمى ... وغصون الحيّ بالبشرى تميد
قيل لي من ذا الذي أطربها ... وغدا في عصرنا بيت القصيد
قلت متن البشر أرّخ : شارحاً ... عارف نجل الأمين ابن السعيد

١٣٠٤

(٢) أما هذا التاريخ فقد سجله لنا الشاعر اللبناني المعروف الشيخ خليل اليازجي بأبيات أعدها لتهنئة أمين النكدي بميلاد ابنه عارف ، قال له :

لأمينتا النكديّ نجل طيب ... وكذلك الأغصان تتبع أصلها
وافى عشيرته الكريمة عارفاً ... بالطبع عنصرها فينشأ مثلها
هي دوحة المجد القديمة والتي ... يوماً على لبنان ألقت ظلها
يا حبذا منها له أصل كما ... منه تؤرخ : حبذا غصن لها

١٨٨٧

انظر ص ١٦١ من ديوان « نسمات الأوراق » نظم الشيخ خليل اليازجي . طبع مطبعة المقتطف في القاهرة ١٨٨٨ .

(٣) يقول المترجم له عن انتساب عشيرته إلى بني تغلب : إنها « رواية متسلسلة منقولة عن الأجداد ، إلى الآباء فالأحفاد ، ومدونة بالمخطوطات العائلية التي وضعها بعض أفراد الأسرة . ويعزز هذه الرواية والمخطوطات هذه الأسماء التغلبية التي تسمى بها شيوخ هذه العائلة ثم أطلقوها على أبنائهم رجالاً ونساء إلى عهد قريب » .

جيش المعز الفاطمي ، ومن مصر انتقلت إلى جبل لبنان ، فأقامت في (برجا) ثم في (بعقلين) واستقرت بعدئذ في (دير القمر) حتى كانت سنة ١٨٤٥ للميلاد ، وفيها وبسبب حوادث وقعت في جبل لبنان ، أبعدت الدولة العثمانية الجماعة عن موطنها ، فانتشر أفرادها في قرى قضاء (الشوف) وكانت بلدة (عبيه) مستقراً للأسرة ، التي رزقت سنة ١٨٨٧ م[١] بطفل سماه أبوه عارفاً .

ويقول عارف النكدي في ترجمة له كتبها بيده : « لقد انتقل جدي لأمي سليم إلى بيروت لأسباب سياسية محلية ، فانتقل معه ابن أخيه وصهره والدي أمين بن سعيد وفيها ولدت »[٢] .

دراسته وشيوخه

عندما خضعت بلاد الشام في أوائل القرن السادس عشر للميلاد للحكم العثماني ، أصبح جبل لبنان جزءاً من الدولة العثمانية ، وأصبحت سلطة الحكم فيه موزعة بين حكامه المحليين ، وفيهم المعنيون والشهابيون ، وبين عاصمة الدولة ، وهي بينها في حالة مد وجزر تبعاً لمدى العلاقات بين الطرفين

(١) هذا هو تاريخ ميلاد المترجم له الحقيقي ، الثابت بما أوردناه من نظم ، ولا عبرة بما نقل عن السجلات الحكومية العثمانية منها أو السورية .

(٢) تشير السجلات الحكومية في لبنان إلى أن عارفاً النكدي مولود في قرية (كفر فاقود) من أعمال قضاء (الشوف) ، ويعلل المترجم له هذا الاختلاف بين الحقيقة والقيد الحكومي ، بأن أهالي جبل لبنان كانوا لا يسجلون من يلد لهم خارج حدود جبل لبنان ، إلا في إحدى قراه ، ليحتفظوا لأبنائهم بحق التمتع بالإمتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لأبناء الجبل ، بضغط من بعض الدول الأجنبية ، وكان من تلك الإمتيازات الإعفاء من الضرائب والتكاليف المفروضة على غير اللبنانيين من سائر العثمانيين .

ولما شعرت الدول الأوروبية بالوهن الذي قد دب في أوصال الدولة العثمانية ، اندفعت وراء مطامعها الإستعمارية في بلاد الشام ، وأخذت تدس الدسائس بين مختلف طوائفها الدينية . وبينما كانت فرنسة تدعي حقها في حماية الموارنة ، أقامت انكلترا نفسها حامية للدروز ، مما أدى سنة ١٨٦٠ م إلى اشتعال الفتنة وامتداد لهيبها ومذابحها إلى عديد من أنحاء البلاد ، واضطرت الدولة العثمانية ، بضغط من الدول الكبرى إلى منح جبل لبنان إمتيازات خاصة واستقلالاً إدارياً بموجب نظام مؤقت وقعته سنة ١٨٦١ م ، مع مندوبي كل من فرنسة وإنكلترة وروسيا والنمسا وبروسيا ، ثم أقرته بصيغة نهائية سنة ١٨٦٤ م ، واشتركت إيطاليا بالتوقيع عليه .

وأصبح لمتصرفية جبل لبنان ، وقد انفصلت من الناحية الإدارية عن ولاية بيروت وغيرها من الولايات العثمانية ، حاكم تختاره الدولة العثمانية بموافقة الدول الموقعة على ذلك النظام ، لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد . وفرضت طبيعة الجبل على حكومته أن تترك بلدة (بعبدا) المركز الذي اختارته مقراً لها ، خلال أشهر الصيف من كل سنة ، إلى بلدة (بيت الدين) ، ولهذا كان موظفو حكومة جبل لبنان ينتقلون سنوياً مرتين بين مصيف ومشتى.

وكان أمين نكد والد فقيدنا عارف ، قاضياً في محكمة استئناف جبل لبنان ، ينتقل بأسرته شأن سائر الموظفين بين (بعبدا) شتاءً و (بيت الدين) صيفاً ، فكان أولادهم الصغار يتناوبون في الدوام على مدرستي هذه وتلك الابتدائيتين تبعاً للحكومة نفسها .

وتعلم عارف النكدي في تينك المدرستين مبادىء العربية وشيئاً من الفرنسية ، فلما شب انتسب إلى المدرسة البطريركية في بيروت ، ومنها انتقل إلى المدرسة العثمانية الإسلامية فتزود من هذه بالعلوم الإسلامية ، ثم

تحول إلى المدرسة العلمانية الفرنسية ليتابع دراسة الفرنسية والعلوم العصرية .

وكان من أشهر الذين تلقى عارف النكدي عنهم علوم العربية المشايخ: عبد الله البستاني ومصطفى الغلاييني وإبراهيم المنذر ورشيد عطية ويوسف الفاخوري ، كما تلقى علوم الفقه والقانون على الأساتذة : أحمد عباس الأزهري ، وحسن المدور ، وعبد الباسط فاخوري ، وشارل دباس .

وقضت أنظمة الدولة العثمانية بالسماح لأقطارها التي لا تقوم فيها معاهد لدراسة الحقوق ، أن تعقد في مراكزها لجنة خاصة باسم (**أنجمن عدلية**) تتشكل من رئيسي محكمتي الحقوق والاستئناف ، ومن وكيل المدعي العمومي ، دورات زمنية محددة ، يتقدم إليها الراغبون في شغل وظيفة قضائية أو في الترافع أمام المحاكم ، فإذا اجتاز الواحد منهم الفحص ، منح الإجازة التي تخوله حق تولي القضاء أو ممارسة مهنة المحاماة . وفي سنة ١٩١١ م ، كان عارف النكدي بين المتقدمين إلى (أنجمن عدلية) لبنان ، فمنح الإجازة المطلوبة .

الوظائف التي تولاها في لبنان

بعد أن حصل الفقيد على الإجازة التي تخوله الانتساب إلى القضاء ، عين بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٣٢٨ مالية (توافق سنة ١٩١٢ م) كاتباً في محكمة استئناف جبل لبنان المدنية ، وبتاريخ ١٧ نيسان سنه ١٣٣٠ مالية (توافق سنة ١٩١٤ م) ولي القضاء وأسندت إليه وظيفة قاضي تحقيق بعبداء ، ثم نقل عضواً في المحكمة الابتدائية بجزين ، وبتاريخ ١٤ تموز سنة ١٣٣١ مالية (توافق سنة ١٩١٥ م) عين عضواً في محكمة الجنايات والاستئناف الجزائية ، فلما كانت نهاية الحرب العالمية الأولى واحتلت الجيوش الفرنسية لبنان سنة ١٩١٨ م ، انقسم اللبنانيون إلى فريقين أحدهما يوالي الاحتلال

الفرنسي ، والآخر يعارضه ويضم جميع الفئات الطامحة إلى نيل الاستقلال الراغبة في الالتحاق بالركب السوري ، بعد أن أعلن عن قيام دولة عربية مستقلة في دمشق .

وقامت اضطرابات سياسية نجمت عن اختلاف اللبنانيين في الرأي ، وكشف رجال الأمن خلالها عن محاولة لاغتيال أحد زعماء الموالين للفرنسيين(١) ، اشترك فيها أربعة شبان من العاملين في أملاك آل نكد في قرية (كفر فاقود) فعمدت السلطة إلى عزل فقيدنا عارف النكدي من ولاية القضاء ، تمهيداً لملاحقته أمام القضاء ، وكان ذلك بتاريخ ٣١ تشرين الأول سنة ١٣٣٥ مالية (الموافقة لسنة ١٩١٩ م) .

الوظائف التي تولاها في سورية

والتجأ عارف النكدي إلى سورية منضماً إلى طائفة كبيرة من رجالات لبنان وشبابه ، قصدوا دمشق للاشتراك في تأسيس الدولة العربية المنشودة ، وفيهم من كان عضواً في المؤتمر السوري الذي يضم ممثلين عن مختلف بلاد سورية بحدودها الطبيعية .

وفضل عارف النكدي تولي القضاء على الاشتغال بالسياسة ، يوم كانت سورية لا تفرق في تعاطي السياسة وتولي المناصب بين سوري وغيره من أبناء الأقطار العربية ، فتولى النكدي القضاء وأخذ يتدرج في الوظائف القضائية التالية :

١ ــ بتاريخ ٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠ م ، أسندت إليه وظيفة معاون المدعي العمومي لدى محكمة استئناف دمشق .

---

(١) هو حبيب باشا السعد ، وكان يومئذ رئيساً لمجلس إدارة جبل لبنان ، وبعد إعلان لبنان الكبير جمهورية من قبل السلطات الفرنسية ، عين رئيساً للجمهورية .

٢ - بتاريخ ٢٧ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ م ، أسندت إليه وظيفة مفتش في وزارة العدلية .

٣ - بتاريخ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٠ م ، أسندت إليه وظيفة المفتش العام للقضاء في سورية .

وخلال توليه هذا المنصب جرى انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية فيما بعد) ، كما كلف بتدريس علم الاجتماع السياسي في معهد الحقوق العربي بدمشق .

٤ - بتاريخ ١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨ م ، عين مديراً للأمور الحقوقية في وزارة العدلية ، وهو منصب يماثل المنصب الذي يطلق عليه اسم الأمين العام لوزارة العدل .

وظل عارف النكدي يشغل هذا المنصب حتى تاريخ ٢٢ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٠ م ، يوم اختلف بالرأي مع المستشار الفرنسي ورفض الموافقة على تولي منصب قضائي آخر ، فأصدرت السلطة نصاً تشريعياً تلغي بموجبه منصب مدير الأمور الحقوقية، واعتبر النكدي مصروفاً عن العمل الحكومي.

ولما قام بين الوطنيين السوريين والسلطة المنتدبة عام ١٩٣٦ ، نوع من التقارب في وجهات النظر ، جرى تكليف عارف النكدي بالوظائف التالية :

٥ - بتاريخ ٢٦ آذار (مارس) سنة ١٩٣٦ م ، أسندت إليه مهمة المديرية العامة للمعرض السوري ، فقام بالمهمة الموكولة إليه بما عهد فيه من إدارة وحزم ، حتى انتهت بنهاية أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٦ م .

٦ - بتاريخ ٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٧ م ، عاد عارف النكدي إلى تولي القضاء ، وأسند إليه منصب المدير العام لوزارة العدل ، وظل يمارس مهام هذا المنصب حتى تاريخ ٣١ تموز (يوليو) سنة ١٩٤٦ م.

وخلال شغل عارف النكدي للمنصب المذكور ، كلف بمهمتين إضافيتين ، استدعت تكليفه بالأولى الظروف الناجمة عن الحرب العالمية الثانية ، بينما دعت ضرورات الأمن تكليفه بالثانية ، وهاتان المهمتان هما :

أ : ـ **المديرية العامة للاعاشة** ، ومهمتها تأمين تموين البلاد والجيوش التي كانت فيها ، وكان تكليفه بها بتاريخ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٤٥ م .

ب : ـ **المديرية العامة للشرطة والأمن العام** ، وقد تولاها النكدي بتاريخ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٤٥ م ، فأعطاها من حزمه وشدته في تطبيق القانون ، ما كفل للبلاد عهداً من سيادة القانون والناس أمامه سواسية .

٧ ـ بتاريخ ١ آب (أغسطس) سنة ١٩٤٦ م ، أسندت إلى الفقيد رياسة مجلس شورى الدولة ، وظل رئيساً لهذا المجلس حتى ٢١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨ م .

٨ ـ بتاريخ ٢٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨ م ، عين **محافظاً لجبل العرب** (الدروز) ونائباً للحاكم العسكري فيه ، إلى أن بلغ السن القانونية فأحيل إلى المعاش بتاريخ ٢٠ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٩ م .

القضاء السوري في عهد الفقيد

كانت الدولة العربية التي أعلن عن قيامها في دمشق ، بعد جلاء الجيش التركي عنها في نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، حلم العرب الكبير الذي لمسوه بأيديهم وهو يتحقق ، ولكن فرحتهم بالوليد بعد طول مخاض ، لم تدم طويلاً ، فانهارت الدولة بعدوان بيته الدول الأوروبية المستعمرة ، مدعية بأن « عصبة الأمم » عهدت إلى كل منها بالانتداب على قطر من أقطار العروبة ، لتأخذ بيد أبنائه نحو الاستقلال الذي ينشدونه .

وتولى العسكريون زمام الدفاع عن الدولة الجديدة ، بعد أن أخفق السياسيون في الحفاظ عليها ، ولكن الجيش الفرنسي احتل سورية بعد معركة ميسلون في ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ م .

وأخذ الفرنسيون يسيطرون على مختلف أجهزة الدولة ، بعد أن جزأوا البلاد وأقاموا فيها حكومات موالية لهم ، ثم ألحقوا بكل وزارة أو مؤسسة عامة واحداً منهم باسم « مستشار » ، يقوم بالإرشاد وإعطاء الرأي لمن يفتقر إليه .

وقامت في سورية ، بعد أن خسرت معركتها العسكرية مع الجيش الفرنسي ، معارك إدارية ، في كل مؤسسة عامة أو مصلحة حكومية ، تحتدم بين موظفيها ، الذين كانوا يمارسون مهامهم قبل الاحتلال بجد ونشاط ، يحدوهم الأمل في تحقيق حلم الوطن في الاستقلال وإقامة دولة عربية عصرية ، وبين المستشار الفرنسي ومن يواليه من ذوي النفوس الضعيفة .

وكانت هذه المعارك الإدارية تختلف قوة وأثراً ، باختلاف طبيعة عمل المرفق العام ، والمزايا التي يتحلى بها القائمون عليه من جهة ، ومدى ما يتمتع به المستشار من حصافة وخلق ، وما يعتلج في نفسه من ميول استعمارية من جهة ثانية . فكان المرء يجد إدارات عامة المستشار فيها وزير ، بينما وجدت بعض الإدارات والمستشار الفرنسي فيها لا يتعدى المفهوم من اسمه .

وكان حظ وزارة العدل أن وجد على رأس إدارتها رجل مثل **عارف النكدي** استطاع بحزمه وحصافته ، أن يقف في وجه أي تدخل من قبل السلطات في سير العدالة ، كما استطاع أن يحمي كل قاض حر نزيه ، يقيم العدالة ، ولا ينحرف عن السبيل إليها بتأثير هوى أو سلطان .

على أنه من الإنصاف أن نسجل هنا بأن عارفاً النكدي لم يكن

ليستطيع الثبات في موقفه، لولا ما كان يلقاه من دعم بعض كرام الفرنسيين من القضاة الأحرار، الذين انتدبوا لتولي بعض المناصب في وزارة العدل السورية مستشارين أو قضاة حكم.

ولقد عثرنا على عدد من الوثائق التي تدعم ما سجلناه، ومن أهمها الكتاب الصادر عن حاكم دولة دمشق بتاريخ ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٢٢، موجهاً إلى وزارة العدل وكان وزيرها قد أعطي اسم مدير العدلية العام، وفيما يلي نصه:

« حضرة مدير العدلية العام المعظم:

علمت أن السيد عارف نكد مفتش العدلية الذي شخص إلى حمص بمهمة قد اتخذ حيال مستشار حمص موقفاً مغلوطاً وأنكر عليه حق الاشراف على الحاكم والادعاء العام، وزيادة عما ذكر استلم من السجن ثلاث إضبارات: اثنتين تتعلقان بقضايا البدو الأولى باسم راغب أو نجيب بن حسين من عشيرة رزق بشأن مقتل أحد العلويين ودفع الدية، والثانية باسم جاسم بن خالد الصبح من عشيرة بشاكم في سرقة فرس، والثالثة باسم علاء الدين السبع المتهم بمحاولة إتيان القتل.

فالمرجو أولاً موافاتي بالإيضاحات اللازمة عن سلوك الموما إليه حيال ممثل الدولة المنتدبة، ثانيا بيان الأسباب التي حملته على أخذ الإضبارات بدون إشعار المستشار. والإيعاز إليه بإعادة الإضبارات فوراً، وإعلامي بسرعة عن بياناته فيما ذكر، وعن التاريخ الذي أعاد فيه الإضبارات، والسلام عليكم مولاي.

١٤ تشرين الأول سنة ٩٢٢ — حاكم دولة دمشق

حقي العظم

صورة الكتاب السري الصادر عن حاكم دولة دمشق سنة ١٩٢٢
متضمناً حكاية الفقيد مع كل مستشار أيام الاحتلال الفرنسي

ولم تجد السلطة الفرنسية حيال موقف عارف النكدي ووقوف مستشار العدلية ، القاضي الفرنسي الكبير إلى جانبه ، بداً من الرضوخ إلى الحق وقبول الأمر الواقع ، ومن ثم الاعتماد على القضاء المختلط حيناً ، وعلى القضاء الاستثنائي أحياناً كثيرة ، في إعطاء هذا أو ذاك ولاية الفصل في القضايا والجرائم التي تتصل بالسياسة أو المصالح الأجنبية أو تمس الأمن العام مباشرة .

صفات الفقيد وأخلاقه

كان عارف النكدي من أبرز رجالات بلاد الشام في الإدارة والقانون ، تمثلت فيه طبيعة القاضي العادل والإداري الحازم ، تولى القضاء فكان عنواناً للعدالة في إحكامه ، وتولى الإدارة فكان فيها قاضياً مرهف الحس ، يفرق بين الحق والباطل في ضوء مصباح ، القانون فتيله ، والوجدان النقي زيته .

كانت سيرته في جميع المناصب التي تولاها ناصعة واضحة ، يلتزم الجادة ولا ينحرف عنها ، لا يحب الانحراف ، ولا يستطيع التعاون مع من يجد في سيرته أو خلقه انحرافاً .

كان عادلاً ، لا يخشى في قولة الحق لومة لائم ، ولا يحمله شنآن شخص على أن لا ينصفه .

كان إنساناً يحمل قلباً كبيراً يكره الظلم والإجحاف ، ولكن لا تأخذه بجرم شفقة لا يقرها القانون . قال لي مرة ، وقد أطلقتُ سراح بعض المتهمين بالاشتراك في محاولة اعتداء وقعت على شخصه ، وقد خاف أكثر زملائي من التسرع في ذلك : « إني فخور بقاض كره أن يجامل مثلي على حساب حرية الأبرياء » .

كان عارف النكدي شديداً ، يحب ربط الأمور والحزم فيها ، صلباً يكره الليونة ، إذا مشى كره أن يقف فيرمى بالتخاذل .

كان صادقاً يكره التمثيل ويبغض المواربة ، صريحاً يمقت المجاملة في غير محلها . قال لقاضٍ كبير جاء يبدي أسفه ويبكي خسارة القضاء له ، يوم أعلن استقالته ، لخلاف وقع بينه وبين الحكومة بشأن نقل بعض القضاة : « اقتصد في مجاملتك ، إذ لو لم أترك منصبي لما وجدت في نفسك أي دافع لمثل هذه الزيارة » .

كان عارف النكدي عالماً ، يشيد بفضل العلم ، ويثني على العلماء من رجال القضاء والإدارة ، غير أنه كان شديد الكره للتعالم .

كان جريئاً يعترف بالخطأ إذا وقع فيه ، ولا يكره من مظلوم أن يجهر بصوته ، سهل الإذعان للحق . إذا وثق بإنسان استشاره فيما يعلمه ، ولا يتردد في إمضاء الرأي إذا اقتنع به ، وكثيراً ما سمع معاونوه ، من أهل الثقة ، صوته يرن في الهاتف : « أبلغْ المعنيين بالأمر ما اقترحته عليّ باسمي ، وفي البريد توقيعي » .

كان عارف النكدي سريع الغضب للحق ، شديد العنف على الباطل ، ولكنه لم يخرج يوماً في غضبه عن حدود التهذيب ، وكان يتجنب قولة السوء وحتى سماعها . لقي من قومه ، في أخريات حياته المديدة ، إيذاء شديداً ، ولكنه كان يبتسم كلما جاء الحديث عليه ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

كان عارف النكدي يلتزم بما ينص القانون عليه ، دون أن يكون عبداً لحروف النص ، فمنافذ التأويل المنطقي والمقارنة الواعية ، كانت دوماً مفتوحة لديه ، يعمل فكره فيها ليصل إلى النتيجة المقبولة التي تتفق والمصلحة العامة . حتى أنه كان يلتزم بالقواعد التي يضعها بنفسه ، ويرفض التحلل منها في غير علانية أو في غير تعميم ، وكثيراً ما كان يبذل جهوداً مضنية ، عندما

تتجمع لديه الأدلة على صلاح فرد لتولي القضاء ، في إقناعه بقبول الولاية ، ولكنه كان يسرع إلى رفض أي شرط يتناقض مع قواعد التعين التي يعتمدها . سد عليّ يوماً منافذ الاعتذار عن قبول القضاء ، ثم دخلت عليه مستنكراً مطالبتي بتوقيع طلب للولاية ، محتجاً بأن « طالب الولاية لا يولى » فابتسم مسروراً وقال : لا عليك إذهب واستعد للسفر . ولم ينس عارف النكدي هذه الحادثة ، فكان يذكرها وهو يفتخر بمخالفته يومئذ تطبيق شرط نص عليه القانون .

الفقير والسياسة

لم يخلق عارف النكدي ليكون من رجال السياسة ، لأن من أساليب السياسة مالا يأتلف وما جبل عليه من خلق ، ومع هذا فإنه شبّ في عصر بدء النهضة العربية الحديثة ، وعاش في خضم الظروف والملابسات التي مرّت بها البلاد العربية، خلال الحرب العالمية الأولى وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ، فلا عجب أن رأينا عارفاً النكدي شديد الصلة بالرعيل الأول من بناة النهضة والمشتغلين بالسياسة العربية والدولية .

لقد كان عارف النكدي موضع ثقة جميع السياسيين العرب ، ورجال الأحزاب الوطنية المنافحة عن الاستقلال والثائرة ضد الاحتلال الأجنبي ، فكانوا دائمي الاتصال به ، والإسترشاد برأيه فيما يحزبهم من أمر يمت إلى القانون بصلة .

وعندما اضطر عارف النكدي لترك الوظيفة في سنة ١٩٣٠ ، بسبب اختلافه في الرأي مع الحكومة ، عرض عليه رجال الكتلة الوطنية ، الذين كانوا يقومون على معارضة السياسة التي ينتهجها الفرنسيون في إدارة البلاد ، الاشتراك في إصدار جريدة سياسية فقبل ، وكانت « الأيام » جريدة يومية ،



الأيام

صورة الصفحة الأولى من العدد الأول من جريدة « الأيام » وقد توجتها أسماء أصحابها زعماء الكتلة الوطنية : هاشم الأتاسي ، إبراهيم هنانو ، لطفي الحفار ، عارف النكدي ، سعدالله الجابري ، فخري البارودي . كما ظهر فيها اسم عارف النكدي مديراً لسياستها الجديدة واسم نجيب الأرمنازي مديراً مسؤولاً .

أقبل الناس عليها واتسع انتشارها للسياسة الوطنية الصريحة التي قامت عليها ، مما دفع السلطة إلى إغلاقها ، فأصدر النكدي جريدة باسم « اليوم » تابع فيها خط سير الجريدة الأولى ، فما كان من السلطة إلا أن اوقفتها عن الصدور أيضاً .

وكتب عارف النكدي في الجريدتين مقالات ودراسات وفصولاً من السياسة والأدب ، كان ينشر بعضها بتوقيعه الصريح وبعضها غفل من أي توقيع .

ولما ترك النكدي العمل الحكومي ، للمرة الثانية في أوائل سنة ١٩٣٩م ، عاد إليه أصدقاؤه من رجال السياسة ، وعندما احتلت جيوش الحلفاء سورية في عام ١٩٤١ م طاردة أنصار حكومة (فيشي) الفرنسية ، أسرعت السلطة العسكرية الإنكليزية إلى زج المئات من رجالات سورية ولبنان في المعتقلات ، بحجة الحفاظ على الأمن العسكري ، وكان عارف النكدي بين اولئك المعتقلين في سجن قرية « الميه والميه » في جنوبي لبنان . وظل معتقلاً حتى قيام الحكم الوطني في سورية ، وبعد الافراج عنه لم تجد الحكومة السورية أقوى منه : للإشراف على تموين البلاد وقطع دابر الرشوة والاستغلال ، فعهدت إليه ، في ٢٢ من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٤٤ ، بمنصب « المدير العام للإعاشة » .

أعماله الفكرية الاجتماعية

لم يدخر عارف النكدي وسعاً ، رغم الأعباء التي كان يحملها ، في سبيل النهوض بقومه ونشر العلم بينهم ، وكان يعنى بخاصة بالأيتام فيهم ، يعمل ليل نهار ليحميهم من الفقر والتشرد والجهل ، وقد اتخذ شعاراً له الحديث الشريف : « أحب البيوت إليَّ بيت فيه يتيمٌ يكرَّم »(١).

(١) وردت صيغة الحديث في الجامع الصغير للإمام السيوطي :« أحب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر ، انظر ج ١ ص ٣٢ رقم ٢١٩ .

وبذل عارف النكدي جهوداً جبارة لنشر العلم بين أفراد الطائفة الدرزية في كل من سورية ولبنان ، وسعى لفتح عدد كبير من المدارس في مختلف القرى الدرزية في لبنان ، بعد أن وُلي الإشراف على الأوقاف ، آخذاً على عاتقه تنظيم أموال الطائفة الوقفية وحسن استغلال العقارات منها .

وبلغ العمل على حماية اليتيم عند عارف النكدي ، حدّ الهوس — على حد تعبيره عن نفسه — فقد أنشأ في بيروت سنة ١٩٤١ م « بيت اليتيم » ثم أنشأ « بيت اليتيم » في السويداء ، وعندما ترك الإقامة في سورية تخلى للحكومة السورية عن هذه المؤسسة .

ولما عاد النكدي للإقامة في لبنان ، عمل على نقل بيت اليتيم في بيروت إلى بلدة « عيه » ، بعد أن أقام بناء حديثاً خاصاً ، حشد له جهود عدد كبير من المهندسين ، وجمع الأموال اللازمة ، من أهل الخير من أغنياء الدروز في الوطن ومختلف المهاجر .

وإثر خلافات طائفية جسيمة ، تخلى عارف النكدي عن كل ما كان يشرف عليه أو يقوم على إدارته ، ماخلا « بيت اليتيم » في عبيه ، المؤسسة التي كانت حلماً له حققه ، فغدا عزيزاً عليه ، يخاف أن يتركه فيتبدد وهو على قيد الحياة .

لقد كتب عارف النكدي قبل بضع سنوات ، بخط يده ، والألم يعتصر قلبه :

« .. وإلى جانب هذا ، أردت أن أنهض بقومي بني معروف وأسلك بهم السنة الصحيحة ، فجددت لهم مدرسة قديمة كان أنشأها داود باشا أول متصرفي لبنان ونسبت إليه (الداودية) ، فوسعت بناءها وأحدثت لها دوائر عديدة وجعلتها مدرسة ثانوية ربطت بها ، في وقت من الأوقات ، ثلاثاً وثلاثين مدرسة ابتدائية في مختلف القرى اللبنانية . ذلك لما كنا نراه

من معاكسة السلطة الفرنسية في نشر العلم بين أبنائنا . وسعيت لدى الحكومة المصرية لمساعدتنا في نهضتنا ، فأرسلت إلينا بعثة مؤلفة من ثمانية معلمين ، كما أرسل إلينا الجامع الأزهر ، شيخاً من شيوخه لتدريس القرآن والعلوم الاسلامية .

وأنشأت مدرسة للبنات في عبيه ، أطلقت عليها اسم المدرسة التنوخية ، كما أنشأت في بيروت مدرسة مختلطة للبنين والبنات، أطلقت عليها اسم المدرسة المعنية ، إحياء لذكرى هاتين الأمارتين العربيتين ، اللتين حكمتا لبنان حكماً صالحاً فاضلاً مئتين من السنوات .

على أني لم أوفق ، فأصل إلى الغرض الذي أرمي إليه ، فظل القوم وأبناؤهم ، على ما قال الله تعالى في كتابه العزيز :

« إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ »[1]

وقد تخليت للمجلس المذهبي عن الأوقاف وعن مدارسها ، كما تخليت من قبل للحكومة السورية عن بيت اليتيم الذي أنشأته في السويداء ، مكتفياً اليوم، بالإشراف على بيت اليتيم في عبيه ، وهو مؤسسة خيرية تضم مايزيد على أربع مئة يتيم ويتيمة ، والذي كنت قد أنشأته في بيروت سنة ١٩٤١، ومن الحق أن نقول إنها مؤسسة من خيرة المؤسسات التي يمكن أن تقام في وطننا ، من حيث البناء وهندسته والنظام والترتيب وما يتعلق بهما . هذا ما شهد به جميع من زار هذه المؤسسة من وطنيين وأجانب » .

(١) الآية ٢٣ من سورة الزخرف .

غيرة الفقيد على الفصحى ونموذج من بعض كتاباته

عُرف الفقيد بغيرته الشديدة على العربية وسلامتهـــا ، وباستنكاره القوى لمختلف المحاولات ، التي تقوم في جوانب الوطن العربي ، للنيل من مكانة الفصحى أو لتوسيع انتشار العامية ، ولقد كتب كثيراً وناضل طويلاً وهو يقف في وجه تلك المحاولات مبنياً مقاتل أصحابها بما أوتيه من قوة وجلد ، وليس أدل على موقفه هذا ، من مقال كتبه تحت عنوان « العربية بين الفصحى والعامية (١) » استهله بقوله :

« .. وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويغارون عليها ، أن يدافعوا عنها في كل مناسبة تعرض ، بعد أن استشرى داء بعض المستشرقـــين الاستعماريين في العمل على إفساد لغتنا ، بالدعوة إلى العامية ، وتفضيلها على الفصحى تمزيقاً للوحدتين : القوميـة واللغويـة ، وبعد أن كثر بين العرب من ينزعون نزعتهم ، عن سوء نية ، أو سلامة طوية .

وقد عدّدوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها إلى حرم العربية فيدنسوا مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويغيروا أشكالها ، فإذا سُدَّ عليهم باب ، وأعيتهم فيه حيلة ، عمدوا إلى باب آخر لعلهم يجدون فيه الثغرة التي أعوزتهم في محاولتهم تلك . ومن المؤلم : أن عدد هؤلاء الهدامـــين يزداد يوماً بعد يوم ، ويقبل الناس على الاستماع إليهم ، ومن يدري إذا تمادى بهم الأمر وظلّ رجال العربية ساكتين عنهم ـ سواء أكان سكوت ازدراء أو اعراض ـ أن يبلغوا في يوم من الأيام ما يريدون أو بعضه (٢) ، ومتى وجد الخرق فمن يضمن أن لا يتسع على الراقع .

---

(١) انظر ص ٢١ من المجلد ٣٥ من مجلة المجمع بدمشق الصادر سنة ١٩٦٠ .

(٢) كثرت في الفترة الأخيرة الكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشعر إلى دركة ساوى فيها الزجل بل انحط عنه .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد ـ على زعمها ـ اصلاح الإملاء العربي . كأن هذا الإملاء السهل الواضح الصريح المبنى على أسس راسخة ، وقواعد ثابتة ، يحتاج إلى من يصلحه ، وأوجع ما كان من هذا ، أن نقرأ من يوثق بعربيتهم وبعروبتهم ، لا يتهمون بعجز في اللغة ، وهم من أقطابها ، ولا تطالهم تهمة في غيرتهم على العربية واخلاصهم لها ، قد ذهبوا .. هذا المذهب ، وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الإنسان في فهمه ، ولا يعرف كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمله ، وإذا كانت العربية يطعنها أعرف الناس بأسرارها ، ومن كان عليه أن يكون من أشد القوم حفاظاً على آثارها ، **فما ظنك بالجاهلين والهدامين ...** » .

وصية عارف النكدي الاخيرة

يوم فوجئنا بنعي عارف النكدي ، فوجئنا بأنه ترك وصية يقول فيها بأن لا يندب ولا ينعى ، ثم اطلعنا على ما أوصى به فإذا هو ما يلي :

كتب عارف النكدي في مجلة « **الميثاق** (١) » كلمة ، تحت عنوان « **وصية شيخ** » قال فيها :

---

(١) في الجزء الرابع من مجلد سنة ١٩٧٤ . ونقلنا الكلمة عن مجلة العرفان وقد نشرتها في الصفحة ٥٣٢ من المجلد ٦٣ في الجزء الرابع الصادر في نيسان سنة ١٩٧٥ ، ذيلاً لمقال رئيس تحريرها بعنوان « الكبير الكبير الذي فقدناه » وقدم لها بكلمة قال فيها : « هذه الوصية ، غداة انتقال النكدي الى ربه ، تبين أن الكاتب الفقيد اعتبرها له وشاء من أهله أن يتقيدو بها » .



وداع الشيخ عارف النكدي في أمواج بشرية منطلقة من بلدة « عبيه »

عاش ببساطة ومات ببساطة

« لا اريد نعيا ، ولا تعبيسا ، ولا لية بصيرة حزن . كل ما اريده هو الانتقال من فراشي الى لحدي بكل صمت ، حتى بدون نعش . وتكاليف ذلك كله وزعوه على الفقراء ... وخصوا به بيت اليتيم الدرزي » .

هكذا كانت وصية الشيخ عارف النكدي قبل أن تصعد روحه الى باريها « موقع محبيه ، واصدقائه ، وتلاميذه ، وبناته (نسبة الى بيت اليتيم الدرزي) في حيرة لا يعرفون كيف يخرجون منها . فالوصية من جهة لا يجوز كسرها ، والرجل ، من جهة ثانية ، ليس مجرد رجل عادي . منذ ان كان واحدا من رجال الادارة في سوريا ولبنان ، الى أن خلفي غبار السياسة ، ومك عن زمنها ، وهو رجل الملمات . وكان هنالك حل وسط . يكون النعش بسيطا ، والوداع صامتا ، ولكن تتشكل جنازة ، ويكون وداع . وقد اشترك في الوداع وهو ينطلق من بلدة « عبيه » آلاف المشيعين بينهم الأستاذ [illegible] وطلبوس سلبا . وجدها الدولة [illegible] التشييع

مجلة الحوادث العدد ٩٦١ بيروت في ٢٨ آذار سنة ١٩٧٥

تشييع الفقيد إلى مثواه الأخير في بلدة « عبيه »

[قلنا لرجل تقدمت به السن : هل كتبت وصيتك ؟

قال : أيجوز للمؤمن أن يبيت ليلته إلا ووصيته تحت وسادته .

لقد أوصيت وأنا في شرخ الشباب ، أي في الحادية والعشرين ، فكيف بي وقد خنقت الثمانين وأشرفت على التسعين .

قلنا : وكيف أوصيت ، إننا لا نسألك عما أوصيت من مال ، فهذا شأنك ، ولكن نريد أن نعرف ما يتعلق بالمراسم الاجتماعية والدينية وملابساتها ، فلعله يكون إسوة لنا ؟

قال : هذا شيء خاص ارتضيته لنفسي وما أحسبكم تطيقونه .

قلنا : هات ونحن نسمع ونرى .

قال : رأيت الناس تزعجهم هذه المناحات وأكثرها لا موجب له . ينعى بشخص لا علاقة لهم به ، وقد يكونون لايعرفونه ، يجيء من يجيء متكلفاً مكرهاً ، ويعود متذمراً متزعجاً . هذا شيء لا أريده . فلا أريد أن أنعى فأزعج الناس . فمن جاء من ذات نفسه فله أجره .

قلنا له : هذا صعب .

قال : كل نفس وما اختارت .

قلنا : وبعد ؟

قال : وهذا الندب والصياح لا أحبها فلا أريدهما ، فجلال الموت بالصمت . وهذه التوابيت الضخمة الفخمة التي تراد للأبهة والعظمة ، ولم يكن لنا فيها عهد من قبل ، إنها مظاهر فارغة لا تعجبني ، حسبي كفن ألف به ، أو تابوت عادي يصنعه نجار على ما كان يقع من قبل هذه السنوات الأخيرة .



أعضاء المجمع سنة ١٩٢٤ م وظهر الفقيد بينهم في أول الصف الثالث من يسار الصورة

قلنا : هذا قد يكون له وجه .

قال : وهذه « الترجومة » التي يسمونها صلاة ، وليست صلاة ، بل هي تأبين ، تقوم على غير أساس من أسس المذهب ، وفيها من المبالغات التي لا يستسيغها عقل ولا منطق ، لا تعجبني بل أنا أمقتها ، وكان لها زمن وانقضى .

قلنا : وبعد ؟

قال : يجمع ما كان ممكناً أن يصرف من مال ، ويضاف إليه مثله ، وينفق في سبيل من سبل الخير .

هذه وصيتي وهذا ما أريد ، وأشدد عليه ، راجياً العمل به تنفيذاً لرغبتي . ووصية المرء مقدسة واجبة التنفيذ والتحقيق .

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفي

عارف النكدي]

ولكن رغم هذه الوصية ، ورغم الخلافات الطائفية ، فقد تقاطر الدروز من مختلف البلاد والقرى ، في الرابع والعشرين من آذار ، بعد أن سمعوا الناعي ، والحزن والألم باديان على وجوههم وقد فقدوا رجلاً قلّ أن تحمل النساء بمثله ، ومشى الجميع مع وفود من مختلف الطوائف بمسيرة مشهودة ، يوارون فقيدهم ، فقيد العروبة ، الثرى في بلدة عبيه من جبل لبنان .

عارف النكدي المجمعي

في الجلسة التي عقدها أعضاء المجمع العلمي العربي المؤسسون ، بتاريخ

٢٠ من آذار (مارس) سنة ١٩٢٣ م [١] ، برياسة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وبترشيح منه ، أجمع الأعضاء على انتخاب **الأستاذ عارف النكدي** زميلاً لهم ، وكان يومئذ ، يتولى منصب المفتش العام للقضاء السوري ويدرّس علم الاجتماع في معهد الحقوق العربي بدمشق .

وأخذ عارف النكدي ، بعد أن اعتمد انتخابه ، يشارك زملاءه المجمعين في خدمة العربية ، والدفاع عن سلامتها ، ودعم الفصحى حيث يستطيع ، كما أخذ يشاركهم في القاء المحاضرات التي اعتاد المجمع اقامتها أسبوعياً في ردهته الكبرى [٢] ، كما كان يقوم بتزويد مجلة المجمع ، كلما سنحت له الفرصة ، بفصول وكلمات ممتعة في التاريخ والنقد، وفي والتعريف بما يطلع عليه من مؤلفات أو مترجمات .

ولما أقصي عارف النكدي عن منصبه سنة ١٩٣٠ م ، واضطر بعد ذلك إلى ترك الإقامة بدمشق ، أعتبر عضواً مراسلاً للمجمع ، حتى إذا ماعاد إلى اقامة بها سنة ١٩٤٤ ، أعيد انتخابه عضواً عاملاً ، واحتل الكرمي الذي كان قد شغر بوفاة الأستاذ رشيد بقدونس ، وقال الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وهو يشير إلى هذا الانتخاب ، إن الأستاذ النكدي **« من خيرة العلماء المشهود لهم بسعة الاطلاع ومواصلة العمل[٣] »** ، وصدر المرسوم الجمهوري الذي يعتمد هذا الانتخاب ، بتاريخ ٣١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٤٤ م .

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ص ٩٦ ج٣ مج ٣ سنة ١٩٢٣ م .

(٢) يطلق عليها اليوم اسم « قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي » تخليداً لذكراه .

(٣) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ص ٤٧١ من الجزء ٩/-١٠ من المجلد ١٩ الصادر في تشرين الأول ١٩٤٤ م .

وعندما اتحدت سورية ومصر ، واندمج مجمعاهما باسم « مجمع اللغة العربية» شارك عارف النكدي في أول مؤتمر عقده المجمعان في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٦١ م بالقاهرة ، وألقى في المؤتمر بحثاً قيما عنوانه : « **الوحدة العربية** »(١) .

وتم انتخاب عارف النكدي عضواً في لجنة المطبوعات والمجلة ، بتاريخ ٦/١٠/١٩٦٦ ، فقام خلال أربع سنوات بهذا التكليف بما عهد فيه من جد ونشاط .

وبتاريخ ١ من كانون الأول سنة ١٩٦٩ انتخب مجلس المجمع العلمي العراقي في بغداد عارفاً النكدي **عضواً مؤازراً** له .

وظل عارف النكدي ، طوال حياته يحضر جلسات مجلس مجمع دمشق الشهرية ، مشاركاً في الأعمال المجمعية ، غير متوان أو متغيب إلا لعذر ، وكان آخر عهدنا به يوم الخميس في الثالث عشر من شهر آذار (مارس) المنصرم ، أي قبل وفاته بعشرة أيام .

كما ظلّ يشارك في تحرير مجلة المجمع حتى العدد الماضي منها ، ومن غرائب المصادفات أن آخر جملة كتبها في تعريفه بكتاب « مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية » كانت : [**وللدولة ـ على ما قال ابن خلدون ـ أعمار (فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون)**(٢)].

---

(١) انظر ص ١٠١ من مجموعة « البحوث والمحاضرات » لمؤتمر مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ بالقاهرة .

(٢) انظر ص ١٧٤ من المجلد ٥٠ من المجلة الصادر في سنة ١٩٧٥ .



أعضاء مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦١ في زيارة لقصر عابدين في القاهرة وظهر الفقيد في الصف الأول وعن يسراه الشيخ رضا الشبيبي والأستاذ الرئيس حسني سبح

آثار عارف النكدي العلمية

عني عارف النكدي باللغة العربية وبالتاريخ الإسلامي ، ودرس علم الاجتماع ، واشتغل بالصحافة السياسية فأصدر جريدة « الإيام » ، كما أصدر مجلة شهرية باسم « الميثاق[1] » تبحث في الاجتماع والأدب والتاريخ والثقافة والعلم وكل ما يهم الطائفة الدرزية ، وإذا كنا لم نستطع الاطلاع على كامل مجموعة هذه المجلة ، ونحن نكتب هذه ترجمة ، ولا العودة إلى مجموعة جريدتي « الإيام » ، و « اليوم » التي صدرت بدلاً عنها ، لمعرفة مانشره الفقيد فيها ، فإننا نستطيع تصنيف آثاره العلمية المعروفة لدينا ، بما يلي :

أولاً : الكتب المطبوعة

١ ـ الموجز في علم الاجتماع

مجموعة المحاضرات التي ألقاها في معهد الحقوق العربي ، طبعت في مطبعة المفيد بدمشق سنة ١٩٢٥ م .

٢ ـ القضاء في الاسلام

أصله محاضرة ألقاها في بهو المجمع العلمي العربي ، ثم وسعها ، وأصدرتها المكتبة العربية بدمشق كتاباً مستقلاً سنة ١٩٢٢ م .

٣ ـ معضلة الشرق ـ الأقطار العربية المحررة : سورية ـ العراق ـ لبنان

كتاب وضعه بالفرنسية خير الله خير الله وطبع في بيروت . وهو يتناول لمحات تاريخية عن هذه الأقطار الثلاثة ، وفيه الوثائق الرسمية التي وضعها الحلفاء لاستقلال الشعوب ، وقد ترجمه الفقيد بموافقة مؤلفه كما ذكر لنا في ترجمته لنفسه ، ولم أطلع عليه لنفاده وعدم وجود نسخة منه في المكتبة الظاهرية .

---

(١) ابتدأت المجلة بالصدور سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٥٤م، باسم السيد شكيب النكدي في عبيه لبنان .

ثانياً : المحاضرات المنشورة

١ ـ القضاء في الإسلام

محاضرة ألقاها في بهو المجمع العلمي العربي في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢١ ، ونشرت في الصفحة ٧٥ من الجزء الأول من مجموعة « محاضرات المجمع العلمي العربي » دمشق ١٩٢٥ م .

٢ ـ الأندلس « عبرة وذكرى »

محاضرتان ألقاهما في بهو المجمع العلمي العربي في شهري آذار ونيسان (مارس وأبريل) سنة ١٩٢٩ م ، ونشرتا في الصفحة ٣٦٣ من الجزء الثالث من مجموعة « محاضرات المجمع العلمي العربي » دمشق ١٩٥٤ م .

٣ ـ العنصر العربي ـ القضاء اللبناني ـ الوضع الاجتماعي

محاضرة ألقاها في المؤتمر الأول للمحامين العرب المنعقد في دمشق ١٩٤٤م ، ونشرت في كتاب المؤتمر وفي المجلدين العشرين والحادي والعشرين من مجلة المجمع .

٤ ـ اللغة العربية بين الفصحى والعامية

محاضرة ألقاها في مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد بدمشق ، ونشرت في مجلة المجمع بدمشق سنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٦٩ م .

٥ ـ الوحدة العربية

بحث ألقاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٦١ م ، ونشر في مجموعة البحوث والمحاضرات للمؤتمر .

ثالثاً : المؤلفات والمحاضرات المخطوطة

ذكر عارف النكدي في الترجمة لنفسه ، أن له مؤلفات لم تزل مخطوطة وهي :

١ ـ عمر بن عبد العزيز

كتاب يقع في قرابة مئتي صفحة من القطع المتوسط ، وفيها ترجمة تثبت أن الحاكم الصالح يستطيع أن يصلح أمور الدولة مهما استشرى فيها الفساد، إذا هو عفّ عن أموال الأمة ، وقطع اليد التى تمتد إلى جهاز الدولة ، سواء أكانت هذه اليد قريبة أو بعيدة .

٢ ـ الولايات الأوروبية المتحدة

بحث سياسي في هذه الوحدة التي نادى بها المسيو بريان ، وكان سبقه إليها بيار دوبوا في كتاب ألفه سنة ١٣٠٥ - ١٣٠٦م بعنوان (استرداد الأرض المقدسة) ، وجاء بعد بيار دوبوا أميريك كرو وكان من دعاة التفاهم الشرقي والغربي الزمني والديني ، ثم جاء كروسيوس مؤلف كتاب (حقوق الحرب والسلم) ثم سوللي وزير هنري الرابع ، وبعد هؤلاء الأب سان بيار ، وكلهم بحث فيها .

٣ ـ الحركات اللبنانية الثلاث في سنوات (١٨٤١ و ١٨٤٥ و١٨٦٠م)

كتاب يؤرخ للحركات الثلاث ، وهي حركات طبقية بين قلة حاكمة وكثرة محكومة ، كان لابد من وقوعها ، كما وقعت في كثير من بلاد العالم . وهي حركات سياسية واجتماعية ألبست لباس الدين .

٤ ـ تاريخ الأمير السيد عبد الله التنوخي

كتاب يترجم للأمير المذكور ويبين أعماله ويدرس مبادئه الدينية والوطنية.

٥ ـ بنو معروف في لبنان

كتاب يؤرخ لدروز لبنان وحروبهم ومنازعاتهم واقطاعهم .

٦ ـ حياة محمد

كتاب مترجم عن مؤلف أميل درمانغام ، الذي سبق أن عرف النكدي به في المجلد التاسع من مجلة المجمع .

٧ ـ الحياة الاقتصادية

ترجمة لكتاب فريدريك ياقي .

كما أشار الفقيد ، فيما كتبه عن نفسه ، إلى أنه كان ألقى بعض محاضرات لم تزل مخطوطة لديه ، وأردف قائلاً : « وقد فكرت في توسيع هذه الموضوعات فحال دون ذلك الانصراف الى أعمال أخرى ، وزهد في اخراج الكتب وعجز عن تصريفها » .

رابعاً : ماتشر في مجلة المجمع

كادت مجلدات مجلة المجمع العلمي العربي ، مجمع اللغة العربية بدمشق المحسون ، لاتخلو من اسم فقيدنا عارف النكدي ، باحثاً محققاً ومؤرخاً ناقداً ، وفيما يلي ثبت بما نشرته المجلة للفقيد في مجموعتها كاملة :

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٢٤	٤/٣٣٩ – ٣٤٨	نقد وتعريف بديوان (الوأوآء الدمشقي) تحقيق المستشرق الروسي (أغناطيوس كراتشكوفسكي).
١٩٢٥	٥/٢٠٠	نقد وتعريف بكتاب (أصول استماع الدعوى الحقوقية) تأليف علي حيدر ، نقله إلى العربية فائز الخوري .
	٥/٢٣٥ – ٢٣٧	نقد وتعريف بكتاب (مقابلة بين الحقوق الرومانية والحقوق الإسلامية والإفرنسية والإنكليزية) تأليف فائز الخوري .
	٥/٤٣٨ – ٤٤٢	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج١) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
	٥/٥٣١ – ٥٣٣	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج٢) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
١٩٢٦	٦/٣٢٦ – ٣٢٨	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج ٣) تأليف الرئيس محمد كرد علي .

١٩٢٧	٦/٢٢٨ - ٢٣٠	نقد وتعريف بكتاب (المرأة في شرع الإسلام) تأليف عبد الله الباقي .
	٧/٥١٠ - ٥١٨	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج ٤) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
١٩٢٨	٨/٥٠٨	نقد وتعريف بكتاب (الصكوك الحقوقية) تأليف محمد مصباح محرم .
١٩٢٩	٩/١٢١ - ١٢٢	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج ٥) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
	٩/١٨٢	نقد وتعريف بكتاب (التربية الوطنية) تأليف عبد العزيز البشرى .
	٩/٢٥٧ - ٢٦٨	(الأندلس - عبرة وذكرى) محاضرتان القاهما عارف التكدي في بهو المجمع في شهري آذار ونيسان ١٩٢٩ .
	٩/٣٢٩ - ٣٤٠	(الأندلس عبرة وذكرى - ٢) تتمة .
	٩/٤٤٣ - ٤٤٨	نقد وتعريف بكتاب (حياة محمد) تأليف أميل درمانغام .
	٩/٥٤٥ - ٥٥٧	(الاندلس - عبرة وذكرى - ٣) تتمة .
	٩/٥٧٠	تعريف بكتاب (ذيل الصكوك الحقوقية) لمحمد مصباح محرم .
	٩/٦٥٧ - ٦٦٠	تعريف ونقد (مشروع بكتابة الحركات بحروف عربية) لزهير الشهابي .

١٩٣٠	١٠/٥٩ - ٦١	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج٦) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
	١٠/٥٠٧	نقد وتعريف بكتاب (الإمتيازات الأجنبية) تأليف محمد عبد الباري .
	١٠/٥٠٨	نقد وتعريف بكتاب(نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر) تأليف محمد بن يحي زبارة الصنعاني .
	١٠/٥٠٩	تعريف بكتاب (السوريون بمصر) للخوري بولس قرألي .
	١٠/٧٧٦	تعريف بكتاب (موجز في الصكوك الجزائية) تأليف فارس الخوري ومحمود النحاس .
١٩٣١	١١/١٨٣-١٨٧	نقد وتعريف بمعجم (البستان) تأليف عبد الله البستاني .
	١١/٢٥٢-٢٥٣	نقد وتعريف بكتاب (الشرع الدولي في الاسلام) تأليف نجيب الأرمنازي .
	١٩/٣٦٠	تعريف بكتاب (نظام عقد المعاهدات) تأليف محمد عبد المنعم مصطفى .
١٩٤٤	١٩/٤٧٣-٤٧٦	على ذكر « الفند » تحقيق لغوي، وانظر التصويب ص٩٥ من المجلد ٢٠.
١٩٤٥	٢٠/٢٦٠-٢٦٣	نقد وتعريف بكتاب « أصول القانون » تأليف عبد الرزاق السنهوري وأحمد حشمة أبو ستيت .

١٩٤٥	٢٠/٢٠٥-٣٠٩	« العنصر العربي » - ١ - ملخص محاضرة ألقيت في المؤتمر الأول للمحامين العرب المنعقد في دمشق سنة ١٩٤٤ .
	٢٠/٣٦٢ - ٣٦٣	نقد وتعريف بكتاب «النظرية العامة للإلتزامات» تأليف عبد الرزاق السنهوري .
	٢٠/٣٦٤	نقد وتعريف بكتاب « الموجز في النظرية العامة للإلتزامات » تأليف عبد الرزاق السنهوري .
	٢٠/٤٩٧ - ٥٠٢	« القضاء اللبناني » - ٢ - تتمة ملخص المحاضرة التي ألقيت في المؤتمر الأول للمحامين العرب .
	٢٠/٥٠٠ - ٥٥٣	نقد وتعريف بكتاب « شرح ديوان زهير بن أبي سلمى » صنعة ثعلب تحقيق أحمد زكي العدوي .
	٢٠/٥٥٣ - ٥٥٥	نقد وتعريف بكتاب « ديوان الهذليين » شرح السكري - نشر أحمد الزين وأحمد زكي العدوي .
	٢٠/٥٥٥ - ٥٥٦	نقد وتعريف بكتاب « الوجيز في الحقوق الرومانية » تأليف منير العجلاني .
١٩٤٦	٢١/١٦ - ٢٢	« القضاء اللبناني - الوضع الاجتماعي » - ٣ - تتمة ملخص المحاضرة التي ألقيت في المؤتمر الأول للمحامين العرب .
	٢١/١٦٣	نقد وتعريف بكتاب (نظام جديد وحياة جديدة - الأداة الحكومية) تأليف إبراهيم مدكور ومريت غالي .

١٩٤٦	١٦٧/٢١	نقد وتعريف بكتاب (العمل لمصر - بعث دولة وإحياء مجد) تأليف محمود كامل .
	١٧١/٢١	نقد وتعريف بكتاب (سياسة الغد) تأليف مريت بطرس غالي .
	١٧٣/٢١	تعريف بكتاب (تاريخ المشايخ اليازجيين وأصهارهم) تأليف عيسى إسكندر المعلوف .
	٣٥٢/٢١	نقد وتعريف بكتاب (موجز الإقتصاد السياسي) تأليف أحمد السمان .
	٣٥٤/٢١	نقد وتعريف بكتاب (الوقائع والنظريات الإقتصادية في العصر الحديث) تأليف أحمد السمان .
	٣٥٦/٢١	تعريف بكتاب (إلياذة هوميروس) تأليف ألفرد تشرشل ترجمة عنبرة سلام الخالدي .
	٣٥٧/٢١	تعريف بكتاب (المؤتمر الأول للمحامين العرب) إصدار نقابة المحامين بدمشق .
	٣٧٦-٣٧٣/٢١	(الدكتور حسني سبح) خطاب استقبال عضو جديد في المجمع .
	٥٥٤/٢١	نقد وتعريف بكتاب (ديوان ابن عنين) تحقيق الرئيس خليل مردم بك .
	٥٥٧/٢١	تعريف بكتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) تأليف الشيزري - تحقيق الباز العريني .
	٥٦٠/٢١	تعريف ونقد بكتاب (الجهاد السياسي) تأليف عبد الرحمن الكيالي .

١٩٤٦	٢١/٥٦١	تعريف بكتاب (محاضرات نقابة المحامين) أصدرته نقابة المحامين بحلب .
١٩٤٧	٢٢/٨٦ - ٩٥	الأمير شكيب أرسلان بمناسبة وفاته .
	٢٢/١٥٤-١٥٦	نقد وتعريف بكتاب (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس لابن دحية) تحقيق عباس العزاوي .
	٢٢/١٥٥	تعريف بكتاب (آراء وأحاديث في الوطنية والقومية) تأليف ساطع الحصري .
	٢٢/١٨٦	استدراك على ترجمة الأمير شكيب أرسلان .
	٢٢/٢٦١-٢٦٧	نقد وتعريف بكتاب (فلسفة التشريع في الإسلام) تأليف صبحي المحمصاني .
	٢٢/٢٦٧-٢٧٠	نقد وتعريف بكتاب (السلام الاجتماعي) تأليف عبد المجيد نافع .
	٢٢/٢٧٠-٢٧٢	نقد وتعريف بكتاب (ما لإنسان) تأليف مارك توين ترجمة أنور عمر .
	٢٢/٣٥٢-٣٥٤	نقد وتعريف بكتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي) تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال .
	٢٢/٣٥٤-٣٥٦	نقد وتعريف بكتاب (نحل عبر النحل للمقريزي) تحقيق جمال الدين الشيال .
	٢٢/٣٥٦-٣٥٨	نقد وتعريف بكتاب (العناصر النفسية في سياسة العرب) تأليف شفيق جبري .
	٢٢/٣٥٨-٣٥٩	تعريف بكتاب (رفاعة الطهاوي) تأليف جمال الدين الشيال .

١٩٤٧	٣٦٠/٢٢	تعريف بكتاب (حسنات الاضطهاد) تأليف أديب الطيار .
	٤٤٣-٤٤١/٢٢	تعريف بكتاب(درس في الدولة اللبنانية ـ دفاعاً عن الوطن ـ الفوضى السياسية والإدارية في الجمهورية اللبنانية) تأليف عمر فروخ .
	٤٤٥-٤٤٣/٢٢	نقد وتعريف بكتاب (نحو التعاون العربي)تأليف عمر فروخ .
	٤٤٦-٤٤٥/٢٢	نقد وتعريف بكتاب (مجلس الدولة) الكتاب التذكاري بافتتاح دار مجلس الدولة في مصر .
	٤٤٧/٢٢	تعريف بكتاب (الناطقون بالضاد في أميركة) ترجمة يعقوب العودات .
	٥٥١-٥٤٩/٢٢	تعريف بكتاب (أحكام الأوقاف) تأليف مصطفى الزرقا .
	٥٥١/٢٢	تعريف بكتاب (القانون الدبلوماسي) تأليف محمد حسني عمر .
	٥٥٢/٢٢	تعريف بكتاب (موجز عن أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة) تأليف محمد حسين هيكل .
	٥٥٣/٢٢	تعريف بكتاب (جمال الدين الأفغاني) تأليف قدري القلعجي .
	٥٥٣/٢٢	تعريف بمحاضرة قدري حافظ طوقان عن(الأفغاني).
	٥٧١/٢٢	تصويب أخطاء طباعية .
١٩٤٨	١٢١/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (عشائر الشام) تأليف وصفي زكريا .

١٩٤٨	١٢٢/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (القضايا الإقتصادية الكبرى في سورية ولبنان) تأليف منير الشريف .
	٢٧١/٢٣-٢٧٥	نقد وتعريف بكتاب (يقظة العرب) تأليف جورج أنطونيوس ترجمة علي حيدر الركابي .
	٢٧٥/٢٣-٢٧٧	نقد وتعريف بكتاب (رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة لابن الفراء) تحقيق صلاح الدين المنجد .
	٤٥٠/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (قضية العرب) تأليف علي ناصر الدين .
	٤٥١/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (نظام الحكم في العراق) تأليف مجيد خدوري .
	٥٩٣/٢٣-٥٩٩	نقد وتعريف بكتاب (ظهر الإسلام) تأليف أحمد أمين .
١٩٤٩	١٠٣/٢٤-١٠٨	نقد وتعريف بكتاب (عبقرية الإسلام في أصول الحكم) تأليف منير العجلاني .
	١٠٨/٢٤-١١٢	نقد وتعريف بكتاب (عائشة والسياسة) تأليف سعيد الأفغاني .
	٢٨٨/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (خزائن الكتب القديمة في العراق) تأليف كوركيس عواد .
	٢٩٠/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (المآصر في بلاد الروم والإسلام) تأليف ميخائيل عواد .
	٢٩٣/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابيء) تحقيق ميخائيل عواد .

١٩٤٩	٢٩٥/٢٤	تعريف بكتاب (معنى النكبة) تأليف قسطنطين زريق .
	٩٥٥/٢٤	تعريف بكتاب (محاضرات نقابة المحامين في حلب — ٣) .
	٢٩٧/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (الاجتهاد في الشريعة الإسلامية) تأليف محمد معروف الدواليبي .
	٢٩٨/٢٤	تعريف بكتاب (المدخل إلى الحقوق الرومانية) تأليف محمد معروف الدواليبي .
١٩٥٠	١٢٢/٢٥	تعريف بكتاب (ولاة دمشق في العهد العثماني لابن جمعه ولابن القاري) جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد.
	١٢٣/٢٥	نقد وتعريف بكتاب (العالم العربي) إصدار الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
	١٢٤/٢٥	تعريف بكتاب (مقدمة في تاريخ صدر الإسلام) تأليف عبد العزيز الدوري .
	٤٥٠/٢٥-٤٥٤	نقد وتعريف بكتاب (الدبلوماسية) تأليف مأمون الحموي .
	٤٥٥/٢٥	نقد وتعريف بكتاب (عثرات اللسان) تأليف عبد القادر المغربي .
	٤٥٧/٢٥	تعريف بكتاب (محاضرات نقابة المحامين في حلب — ٤) .
	٤٥٨/٢٥	تعريف بكتاب (الروض الأزهر في تراجم آل جعفر) تأليف مصطفي الواعظ .

١٩٥٠	٤٥٩/٢٥	تعريف بكتاب (المساجلات الموصلية في الندوة العمرية) تأليف مصطفى الواعظ .
	٤٥٩/٢٥	تعريف بكتاب (خريجو مدرسة محمد) تأليف إبراهيم الواعظ .
	٥٧٧/٢٥	نقد وتعريف بكتاب (الرسالة الجامعة للحكيم المجريطي) تحقيق جميل صليبا .
	٥٨٢-٥٧٨/٢٥	نقد وتعريف بكتاب (ديوان الوأواء الدمشقي) تحقيق سامي الدهان .
	٥٨٣/٢٥	نقد وتعريف بكتاب (المشاكل الحقوقية في إدارة الجماعات الواقعة تحت الإنتداب) ألفه بالفرنسية مصطفى البارودى .
	٥٨٥/٢٥	تعريف بكتاب(الإدارة) تأليف منير الشريف.
١٩٥١	١٤٠/٢٦	تعريف بمجلة المجمع العلمي العراقي في سنتها الأولى.
	١٤٢/٢٦	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ العراق السياسي الحديث) تأليف عبد الرزاق الحسني .
	١٤٤/٢٦	تعريف بكتاب (العمدة في الفقه الحنبلي لابن قدامة) ترجمه إلى الفرنسية هنري لاوست .
	١٤٥/٢٦	تعريف بكتاب (زبدة كشف الممالك لابن شاهين) ترجمه إلى الفرنسية فانتور دوبارادي .
	٣٠٠/٢٦	نقد وتعريف بكتاب (أحمد شوقي) تأليف عمر فروخ .
	٣٠٢/٢٦	تعريف بكتاب (من أضواء الماضي) تأليف سامي الكيالي .

١٩٥١	٣٠٣/٢٦	تعريف بمجلة (ثقافة الهند) .
	٤٣٣/٢٦	نقد وتعريف بكتاب (في أصول النحو) تأليف سعيد الأفغاني .
	٤٣٤/٢٦	نقد وتعريف بكتاب (الوسائل إلى مسامرة الأوائل للسيوطي) تحقيق أسعد طلس .
	٤٣٦/٢٦	تعريف بكتاب (اليزيديون في حاضرهم وماضيهم) تأليف عبد الرزاق الحسني .
	٦٠٦/٢٦	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ الأزمنة للبطريك الدويهي) نشر افردينان توتل .
	٦٠٩/٢٦	نقد وتعريف بكتاب (مفهوم الدولة) تأليف مصطفى البارودي .
	٦١١/٢٦	نقد وتعريف بكتاب (شرح قانون العقوبات) تأليف عدنان الخطيب .
١٩٥٢	١٠٤/٢٧	نقد وتعريف بكتب (آراء وأحاديث في القومية العربية) ،(آراء وأحاديث في التاريخ والإجتماع)، (محاضرات في نشوء الفكرة القومية) تأليف ساطع الحصري .
	١٠٦/٢٧	نقد وتعريف بكتاب(الوجيز في الحقوق الإدارية) تأليف مصطفى البارودي .
	١١١/٢٧	تعريف بمجموعة (المحاضرات العامة) لجامعة دمشق في السنة الجامعية ١٩٤٩ - ١٩٥٠.
	١١٣/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (عبد الله بن المعتز ـ أدبه وعلمه) تأليف عبد العزيز سيد الأهل .

١٩٥٢	١١٥/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (هداية القرآن لبني الإنسان) تأليف يحيى الدرديري .
	١٥٧/٢٧	استدراك على ماسبق نشره .
	٢٦٤/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين) تأليف محمد المنوني .
	٢٦٧/٢٧	تعريف بكتاب (محنة في الفردوس كشمير) تأليف نور الدين داود .
	٢٧٠/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين) تأليف فيليب الطرازي .
	٢٧١/٢٧	تعريف بمجلة (ثقافة الهند) .
	٢٧٣/٢٧	تعريف بـ (مباحث في فن الطبخ عند العرب) وضعه بالفرنسية م . رودنسون .
	٢٧٤/٢٧	تعريف بكتاب (أمواج الروح) لرفائيل بابو إسحق .
	٤٤٠/٢٧	نقد وتعريف بـ (الأسرة في الشرع الإسلامي) تأليف عمر فروخ .
	٤٤٢/٢٧	نقد وتعريف بـ (كتاب تاريخ إفرنج) ألفه بالفارسية رشيد الدين فضل الله ونقله إلى الفرنسية كارل يان .
	٤٤٤/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (أدب الإملاء والإستملاء تأليف السمعاني) نقله إلى الألمانية مكس ويسويلر.
١٩٥٤	٢٩/٤٣٢-٤٣٦	الشاعر القروي — في ديوانه الجديد .
١٩٥٥	٣٠/١١٤-١١٨	نقد وتعريف بكتب :

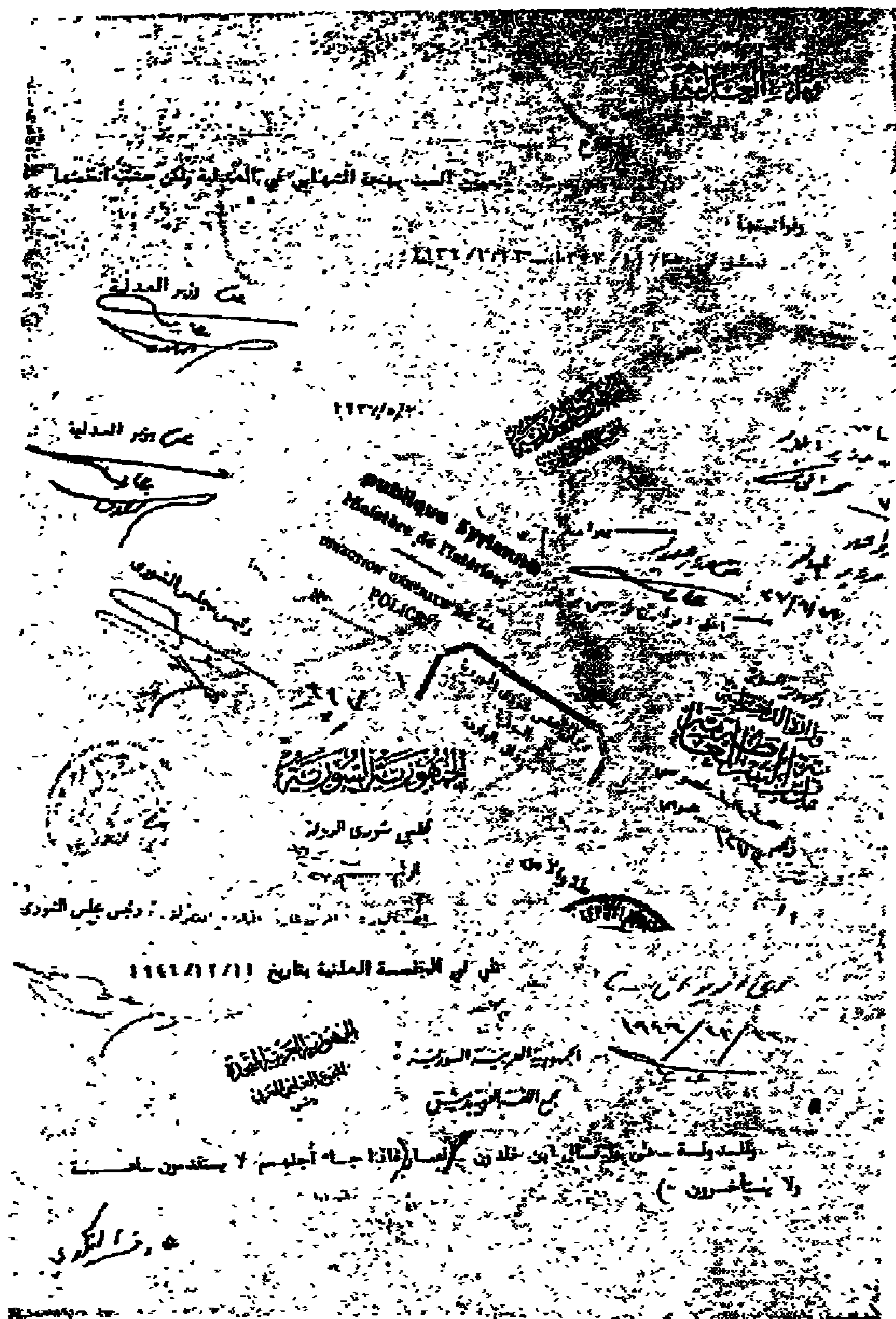
		١ ـ عمر بن عبد العزيز : الخليفة الزاهد . ٢ ـ أبو طالب : شيخ هاشم . ٣ ـ جعفر بن محمد : الإمام الصادق . تأليف عبد العزيز سيد الأهل .
	١٢١-١١٩/٣٠	نقد وتعريف بكتاب (التبشير والاستعمار) تأليف مصطفى الخالدي وعمر فروخ .
١٩٥٧	٢٠٣-١٨٩/٣٢	**اللغة العربية بين الفصحى والعامية** ، محاضرة النكدي في مؤتمر المجامع اللغوية العلمية .
	٦٨٠-٦٧٢/٣٢	نقد وتعريف بكتاب (مقدمة ابن خلدون) طبعة بيروت ١٩٥٦ .
١٩٥٨	١٣٩-١٣٥/٣٣	نقد طبعة (مقدمة ابن خلدون ـ ٢) .
١٩٦٠	١٢/٣٥ - ١٩	**العربية بين الفصحى والعامية** وكتاب رد العامي إلى الفصيح لأحمد رضا .
	١٥٩-١٥٤/٣٥	(ديوان ابن عنين) تحقيق خليل مردم بك تعليق على استدراك ـ ١ ـ
	٣٣١-٣٢٨/٣٥	(ديوان ابن عنين) تحقيق خليل مردم بك تعليق على استدراك ـ ٢ ـ
	٣٣٢/٢٥	ملاحظة على مقال عبد الله كنون .
١٩٦١	٤٣/٣٦ - ٤٦	**الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام** تقديم مخطوطة الكتاب .
	١٧٥-١٦٦/٣٦	**استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس** تعليق على كتاب نحل عبر النحل للمقريزي تحقيق الشيال .

١٩٦١	٣٦/٢٩٩-٣٠٢	نقد وتعريف بكتاب (الإسلام في نظر الغرب) نقلها إلى العربية إسحاق موسى الحسيني .
	٣٦/٣١٦-٣٢٥	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٢ —
	٣٦/٥٠٦-٥١٥	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٣ —
	٣٥/٥٣٩-٥٣٦	كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام —٢—
	٣٦/٦٩٦-٧٠٢	حول وسم الهمزة
١٩٦٢	٣٧/١٧٠-٢٧٦	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٤ —
	٣٧/٢٩٥-٣٠٢	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٥ —
	٣٧/٣٨٩-٤٠٠	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٦ —
	٣٧/٤٩٠-٤٩١	نقد وتعريف بكتاب (جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار) تحقيق محمود محمد شاكر.
	٣٧/٥٢٤-٥٢٦	تصويبات لما نشر في الجزء الأول من المجلد .
	٣٧/٥٧١-٥٨٤	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٧ —
١٩٦٣	٣٨/٥٣ - ٦٨	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٨ —

١٩٦٣	٣٨/٢١١-٢٢٠	إستدراك وتعليق ونظـــرة إلى تاريـخ بني العباس – ٩ –
	٣٨/٣٤٠-٣٤٣	غير ـ الغير ـ المعاجم أم المعجمات تحقيق لغوي .
	٣٨/٣٨٢-٣٩٢	استدراك وتعليق ونظـــرة إلى تاريـخ بني العباس – ١٠ –
	٣٨/٥٠٥	تعريف بكتاب (قضايانا في الأمم المتحدة) تأليف خيري حماد .
	٣٨/٥٠٧	تعريف بكتاب (تحقيقات بلدانية – تاريخيـة أثرية) تأليف كوركيس عواد .
	٣٨/٧١١-٧٢١	تسهيل الاملاء تعليق على قرار لمجمع اللغة العربية في القاهرة .
١٩٦٥	٤٠/١٠٩-١١٦	مفعول ـ مفاعيل تحقيق لغوي .
	٤٠/٤١٦-٤٢١	استدراكات ومقترحات على المجامع اللغوية .
	٤٠/٧٩٧-٨٠٦	تعليق على مقال نشر في مجلة اللسان العربي لعبد العزيز بن عبد الله .
	٤٠/٨٦٩-٨٧٤	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ الأدب العربي) تأليف عمر فروخ .
١٩٦٦	٤١/١٦٢-١٦٦	نقد وتعريف بكتاب(رسوم دار الخلافة للصابىء) تحقيق ميخائيل عواد .
	٤١/١٦٧	تعريف بكتاب (الوزراء والكتاب – نصوص ضائعة) حققه ميخائيل عواد .

١٩٦٧	٤٢/١٤٩-١٥٢	نقد وتعريف بكتاب (التفاحة في النحو للنحاس) تحقيق كوركيس عواد .
	٤٢/١٥٢-١٥٣	تعريف بكتاب (لماذا أنا مسلم) تأليف راغب العثماني .
	٤٢/٣٤٢-٣٤٤	نقد وتعريف بكتاب (غادة أفاميا) تأليف عدنان مردم بك .
	٤٢/٣٤٥-٣٤٩	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون) تأليف عمر فروخ .
	٤٢/٥٧٠-٥٧٤	نقد وتعريف بكتاب (دمشق تحت القنابل) تأليف أليس بوللو ترجمة إحسان هندي .
	٤٢/٦٢٤-٦٢٧	ملاك - ملاكات ، بحث لغوي .
	٤٢/٨٤١-٨٤٥	الدعاية والدعاوة ، بحث لغوي .
	٤٢/٨٤٦-٨٥٢	وصف كتاب (تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء) تأليف بيشوف الجرماني ، طبع بيروت سنة ١٨٨٠ م .
١٩٦٨	٤٣/٢٠٩-٢١١	المعرَض أم المعرِض ، بحث لغوي .
	٤٣/٤٢٩-٤٣٤	نقد وتعريف بكتاب (عبد الرحمن الأوزاعي) تأليف طه الولي .
	٤٣/٤٣٤-٤٣٨	نقد وتعريف بكتاب (عشر سنوات في الدبلوماسية) تأليف نجيب الأرمنازي .
	٤٣/٥٤٤-٥٥٢	اللغة اللبنانية ، رد على دعاتها .
	٤٣/٩٢٥	عبد الغني النابلسي ترجمة ووصف مخطوطة عن رحلة الحجاز .

١٩٦٩	٤٤/٤٥ - ٦٠	**العربية بين الفصحى والعامية — ٢ —**
	٤٤/٦١٩-٦٢٣	نقد وتعريف بكتاب (مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين) تأليف صلاح الدين المنجد .
	٤٤/٦٢٣-٦٢٤	نقد وتعريف بمسرحية (الملكة زنوبيا) شعر عدنان مردم بك .
١٩٧٠	٤٥/١٦١-١٦٥	نقد وتعريف بكتاب (نور الدين زنكي) وضعه بالفرنسية نيكيتا إليسيف .
	٤٥/٦٤٩-٦٥٧	نقد وتعريف بكتاب (عروبة لبنان - تطورها في القديم والحديث) تأليف محمد جميل بيهم .
١٩٧١	٤٦/٣٨٠-٣٨٣	نقد وتعريف بكتاب (مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الصلت) تحقيق سامي حداد .
١٩٧٢	٤٧/٦٦٥-٦٧٠	نقد وتعريف بكتاب (**الشيخ طاهر الجزائري**) تأليف عدنان الخطيب .
١٩٧٣	٤٨/١٧٧-١٨١	نقد وتعريف بكتاب (معجم بني أمية) تأليف صلاح الدين المنجد .
	٤٨/٢٤٠-٢٤٣	**خمس كلمات** ، تحقيق لغوي .
	٤٨/٦٧٤-٦٨٢	نقد وتعريف بمسرحية (مصرع غرناطة) شعر عدنان مردم بك .
١٩٧٥	٦٠/١٧٣-١٧٤	نقد وتعريف بكتاب (مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية) تأليف سعدي أبو جيب .



نماذج من توقيعات الفقيد في مختلف المناصب التي تقلدها ، وفي الأسفل ظهرت آخر جملة نشرت له في هذه المجلة مع توقيعه الصريح

مصادر ترجمة الفقيد

إن المصادر التي اطلعت عليها قبل الترجمة للفقيد هي :

١ – الإضبارة المجمعية ذات الرقم ٨٩ / ٩ ، وفيها ترجمة ذاتية بقلمه .

٢ – كتاب « من هو » إصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية في سورية دمشق سنة ١٩٤٩ ص ٤٥٤ .

٣ – كتاب « من هم في العالم العربي » إصدار مكتب الدراسات السورية والعربية بدمشق سنة ١٩٥٧ ص ٦٢٨ .

٤ – « المجمعيون » لعدنان الخطيب الملف رقم ٢١ .

٥ – السجل العام لموظفي الدولة في سورية .

٦ – الملف الشخصي للمترجم له في مجلس الدولة .

هذا وتوجد للفقيد ملفات شخصية في كل من وزارة العدل والمديرية العامة للشرطة والأمن العام ، ولكني لم أتمكن من الإطلاع عليها .

رحم الله الفقيد جزاء بما أسداه من خير للعربية وللوطن .

عدنان الخطيب

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

٦

ولكن الصورة الجديدة التي ظهر بها كتابا أبي عبيد وابن قتيبة لم تستطع أن تحجب أنماطاً أخرى في التأليف عرفها القرن الثالث نفسه .

أولها : النمط الذي اختطه ابراهيم الحربي :

١ — ولد أبو اسحاق [١] ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الحربي ببغداد في سنة ١٩٨ هـ ، وكان أصله من مدينة مرو ، واستقبل الحياة في مفتتح عهد الخليفة العالم المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) وأتاحت له نشأته ببغداد ، موئل الحضارة ، وأم البلدان ، ومثابة العلماء ، أن يتلقى علومه على أيدي الصفوة من الأئمة الذين كانت تعج بهم بغداد . وفطر الحربيّ على حب العلم ، بدأ القراءة والسماع على الشيوخ صغيراً ، واتسع في الرواية ، وقويت صلته بالامام الكبير أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ) اتصل به وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، وصحبه عشرين سنة صيفاً وشتاء ، وحراً وبرداً ، وليلاً ونهاراً ، وكان قدوته في الحياة : اهتدى بهديه واتبع طريقته حتى صار يقاس به في زهده وعلمه وورعه .

---

(١) انظر أبرز مصادر ترجمة الحربي في إنباه الرواة ١ : ١٥٥ (الحاشية) والأعلام ١ : ٢٤ — ٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١ : ١٢ ، وقد ترجم له الأستاذ حمد الجاسر ترجمة واسعة ضافية في مقدمة كتاب المناسك : ٧ — ٢٥٦

ـ وتلقى الحربي العربية عن أئمة اللغة في عصره ، روى عن أبي نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي فأكثر الرواية عنه ، وروى عن أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم صاحب أبي عبيدة ، وعن ابن نجدة صاحب أبي زيد الأنصاري ، وعن سلمة بن عاصم النحوي صاحب الفراء ، وعن العباس بن الفرج الرياشي ، وسعدان بن نصر ، وابي عدنان ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ، ومحمد بن الجهم السمري(٢٧٧هـ)(١) ، وابن الأعرابي ، وأبي الهيثم الرازي ، والمبرد ، وثعلب .

ـ كان الحربي مكباً على الدرس والتحصيل ، لايعنيه من أمر الدنيا غير العلم والمطالعة ، أنفق في طلب الحديث ثروته ، وكان كثير التقييد لما سمع ، كتب بخطه اثني عشر ألف جزء في اللغة والغريب ، يقول أستاذه ثعلب : « مافقدت ابراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو ، خمسين سنة » ويقول الحربي نفسه : « بقيت على سور الرهينة عشرين سنة أكتب » حتى جمع كتباً كثيرة ؛ ولما سئل : كيف قويت على جمع هذه الكتب قال : « بلحمي ودمي » . وغدا الحربي « اماماً في العلم ، رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله ، قيّما بالأدب ، جماعا للغة » . روى عنه كثيرون نعدد منهم من أئمة اللغة أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٧ هـ) وأبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب (٣٤٥ هـ) . ومات الحربي ببغداد في سنة ٢٨٥ هـ(٢) .

---

(١) السمري : بكسر السين وتشديد الميم المفتوحة وفي آخرها الراء (اللباب ٢ : ١٣٨)

(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٢٧ ـ ٤٠ ، إنباه الرواة ١ : ١٥٥ ـ ١٥٨ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٤٩ ـ ٥٠ ، ٦١ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٨٦ـ٩٣ =

٢ — صنف أبو اسحاق الحربي كتباً كثيرة ، أشهرها كتابه في غريب الحديث ، وهو يعدّ من أجل كتبه ومن أكبر ماصنف في هذا الفن ، جمع فيه وبسط القول وشرح ، واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدها ، وأطاله بذكر متونها وألفاظها ، وإن لم يكن فيها الا كلمة واحدة غريبة ، فطال لذلك كتابه .

— وضع الحربي كتابه على أساس ترتيب الصحابة ، كان يورد من أحاديث الصحابي مافيه كلمة غريبة ، يعقد لها باباً ، ويورد في أعقاب الحديث أحاديث أخرى وآيات وأشعاراً ، تدور فيها الكلمة أو اخوات لها في الاشتقاق لينتقل من بعد الى شرحها جميعاً شرحاً وافياً مؤيداً قوله بالشواهد من الشعر ، ثم يقلب الكلمة الى صور أخرى لم ترد في شيء من الأحاديث التي سبقت ، فيعقد لها أبواباً ويسوق ما وردت فيه من الأحاديث والآي والشعر ، ليعود فيفسرها ويذكر معانيها . فإذا انتهى من ذلك كله انتقل الى حديث آخر من أحاديث الصحابي فيه كلمة غريبة يعقد لها باباً ثم يمضي على طريقته التي أخذ بها نفسه في الشرح والتفسير . فاذا أنهى غريب ماجاء عن ذاك الصحابي انتقل إلى غيره ، وهكذا . ويتخلل الكتاب استطرادات تتصل باللغة والأدب والفقه والقرآن والدين والتاريخ والبلدان .

وخرج من كتابه ، طبقاً لما ذكر ابن النديم في الفهرست ، مسند أبي بكر ، مسند عمر ، مسند عثمان ، مسند علي ، مسند الزبير ، مسند طلحة ، مسند سعد بن أبي وقاص ، مسند عبد الرحمن بن عوف ، مسند العباس ، مسند شيبة بن عثمان ، مسند عبد الله بن جعفر ، مسند المسور بن مخرمة الزهري ، مسند المطلب بن ربيعة ، مسند السائب المخزومي ،

=و٢ : ٦٧ ، ٦٩ ، فوات الوفيات ١ : ٥ - ٧ ، البداية والنهاية ١٠ : ٣٢٦ ، المناسك : ١٧٢ — ١٨٠

مسند خالد بن الوليد ، مسند أبي عبيدة بن الجراح ، مسند معاوية وغيره ، مسند عمرو بن العاص ، مسند عبد الله بن العباس ، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ، مسند الموالي ، وهو آخر ما عمل .

وذكر أبو بكر محمد بن خير الأشبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) أن أبا اسحاق الحربي مات ولم يتم الديوان ، ثم حدّ الموضع الذي انتهى اليه بالتأليف حسب نسخة الكتاب التي وقعت الى الأندلس ، وهو حديث ابن عمر : « ليت [شعري ، من] هذا الأشج من ولد عمر ، الذي في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلا » وفسره وذكر الشجاج . وبها تم الديوان . وهي تقل عن النسخة التي عرفها المشارقة والتي تنتهي بمسند الموالي .

وقد حفظت لنا المكتبة الظاهرية بدمشق المجلدة الخامسة من كتاب الحربي وهي آخر المجلدات الخمس من الكتاب ، وتشمل من مسند عبد الله بن عمر ختام الشروح المتصلة بالحديث التاسع والثلاثين ، والأحاديث الخمسة التي تليه ، وينتهي مسند ابن عمر بالحديث الرابع والأربعين ، ليعقبه غريب حديث عبد الله بن عباس ، فيورد من أحاديثه ثمانية وسبعين حديثاً ، وتختم المجلدة بغريب أحاديث الموالي : زيد بن حارثة وأسامة بن زيد وثوبان وعمار وخباب وصهيب وأبي رافع وسفينة وعامر بن ربيعة وسلمان وعتبة بن غزوان والمقداد .

— اختار الحربي لكتابه هذا الترتيب ، فعرض لغريب الحديث مرتباً على الكلمات ، فكان بذلك أول من قام بهذا النوع من التصنيف في كتب غريب الحديث ، لم يسبقه إليه سابق . ونعم كتاب

الحربي بالقبول ، ذكره ابن خير في فهرسته ، والرعيني في برنامج شيوخه، وعده الصاغاني في التكملة من مصادره ، ونقل عنه البكري في معجم ما استعجم ، والجواليقي في المعرب ، وكان مصدراً هاماً لجميع من جاء بعد الحربيّ من المؤلفين في غريب الحديث واللغة ، سواء انقلوا عنه أم نقدوه وتعقبوه . وكان للكتاب الفضل الأول في أن عُـدَّ الحربيّ من علماء اللغة ، فترجم له غير واحد ممن ألفوا في رجالها .

– ولكن طريقة الحربي في سوق الأحاديث بأسانيدهـــا ، وفي تقليب الكلمات شارحاً ومفسراً ، وفي استطراداته المختلفة يستمدهـــا من ثقافته الواسعة – وهو الامام الحافظ المتقن العارف بالفقه والحديث واللغة والأدب – قد أطالت الكتاب وشتت فوائده ، وصعب ترتيبه وعسر ، فلا يوجد الحديث فيه إلا بعد كلفة وعناء ، حتى إن الامام مجد الدين أبا السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) صاحب النهايـــة سمح لنفسه أن يقول في كتاب الحربي : « وبسبب طوله ترك وهجر ، وإن كان كثير الفوائد ، جمّ المنافع » (١) .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٥٥ – ١٥٨ ، النهاية (ح . الطناحي) ١ : ٦ ، ٨ و ٥ : ٣٧٧ ، فهرست ابن خير : ١٩٤ ، الفهرست لابن النديم (ط . إيران) ٢٨٧ ، معجم الأدباء ١ : ١٢٨ – ١٢٩ ، مقدمة كتاب المناسك : ١٨١ – ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، برنامج شيوخ الرعيني : ٤٤ ، التكملة للصاغاني ، المقدمة ١ : ٧ ، المعرب للجواليقي : ٤٠٩ ، وانظر من أجل نسخة الحربي في الظاهرية ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : (١) المنتخب من مخطوطات الحديث : ٢٥٤

(٢) علوم اللغة العربية : ١٠٦ – ١٠٧ ، وقد وصف الأستاذ حمد الجاسر هذه النسخة فأحسن وصفها في مقدمته التي حبرها لكتاب المناسك : ٢٣٢ – ٢٣٧

٧

١ ـ وكان النمط الثاني من أنماط التأليف في غريب الحديث التي عرفها القرن الثالث ، انما هو ذلك النمط الذي اتبع فيه أصحابه الطريقة الاولى التي نشأت على أيدي أئمة اللغة في أواخر القرن الثاني ، واستمر التأليف وفقها في النصف الأول من القرن الثالث ، والتي كانت تمثل النموذج الاول للتأليف في غريب الحديث ، وتداخلت من حيث الزمن ، مع المرحلة التي بدأها أبو عبيد في كتابه ، كما بينا سابقاً (١) .

ـ لقد بقي لهذا النمط من التأليف أنصاره والمتمسكون به ، مضوا على سنن أسلافهم ، يختلفون في مؤلفاتهم اطالة وايجازاً ، وتتلون أساليبهم في الشرح والتفسير بما تستمده من ألوان الثقافة التي لقفها كل مؤلف ، وقد ينظر بعضها الى شيء يسير من الطريقة التي أبدعها أبو عبيد ، وقفا فيما أثره ابن قتيبة ، ولكنها جميعـاً تمضي في الطريق الأولى التي اختطها أئمة اللغة الأولون ، تتجاهل هذا الجديد الذي بدأه أبو عبيد ، أو لا تعرج عليه إلا قليلا .

كان هؤلاء المؤلفون أو أكثرهم من أئمة اللغة المنقطعين لهـا ؛ القائمين في محاريبها ، قد وقفوا أنفسهم على مدارستهـا ، والتعرف إلى دقائقها ؛ يرون أنهم وحدهم القادرون على التأليف في غريب الحديث ، ويتشككون أن يقوى على الغريب غير المتبحرين في اللغة أمثالهم ، أما المتطوفون الذين يلمون من كل علم بطرف ، ويشاركون في الفقـه والحديث والتفسير واللغة والأدب من أمثال الحربيّ وابن قتيبة فهم أعجز من أن يبلغوا الغاية في ذلك ، حكى الامام الذهبيّ أنـه لما صنّف

(١) انظر الفقرة الثالثة ، ص : ٨٠ (مجلة المجمع ـ الجزء السابق) .

الحربي كتابه في (غريب الحديث) قال أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب امام الكوفيين في اللغة والنحو في عصره : « ما لابراهيم [الحربيّ] وغريب الحديث ؟ ! رجل محدّث »(١) .

٢ — أعلى من عرفناه من مؤلفي هذا النمط من رجال القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الرابع : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (٢٩٩ هـ أو ٣٢٠ هـ) وكتابه في غريب الحديث نحو أربعمائة ورقة ، وأبو محمدَ القاسم بن محمد الأنباري (٣٠٥ هـ) وأبو موسى سليمان بن محمد الحامض (٣٠٥ هـ) وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١ هـ) وأبو عبد الله أحمد ابن الحسن بن اسماعيل السكوني(٢) الكندي النسابة ، أخذ عن ثعلب الأدب ، وكان له اختصاص بالخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) ثم بالخليفة من بعده المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧ هـ) ولم يتم كتابه في غريب الحديث(٣) .

— اننا ونحن نسلك هؤلاء العلماء في نسق واحد ، نرجح ذلك ترجيحاً ، بما عرفناه من مذاهبهم وكتبهم الأخرى ، وبما ذكره كتاب

(١) كتاب المناسك : ١٧٣ نقلاً عن سير أعلام النبلاء

(٢) في اللباب ٢ : ١٢٤ - ١٢٥ ، السكوني ، بفتح السين المهملة وضم الكاف وسكون الواو وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى السكون وهو بطن من كندة

(٣) الفهرست (ط مصر) : ١٠٠ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٥ - ١٣٦ ، و (ط إيران) : ٩٦ ، إنباه الرواة : ٢ : ١١٣ - ١١٤ و ٣ : ٢٨ ، ٥٧ - ٥٩ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ١٥٢ ، ١٥٣ ، معجم الأدباء ٣ : ٨-٩ ، و١٧ : ١٣٧ - ١٤١ ، مفتاح السعادة ١ : ١٣٨ ، بغية الوعاة : ٨ ، الوافي بالوفيات ٦ : ٣٠٩ ، لسان الميزان ١ : ١٥٣ - ١٥٤ ، ابن درستويه لعبد الله الجبوري : ٦٥

التراجم من دراساتهم وصلاتهم بعضهم ببعض تعلماً وتعليماً ، ومناظرة وردوداً ، وبالنقول القليلة التي تروى عنهم في كتب الغريب . إننا نرجح ذلك ولا نقطع به ، ذلك بأنه لم يصل إلينا ما ألفوه من كتبٍ في غريب الحديث .

٣ - ويذكر أصحاب التراجم أن أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد (٣٤٥ هـ) غلام ثعلب ، له كتاب في غريب الحديث ، صنفه على مسند الامام أحمد بن حنبل . وهو ، فيما يبدو ، لون جديد في التصنيف يلتزم فيه مؤلفه تفسير كتاب واحد شهير من كتب الحديث ، وقد فتح الزاهد الباب لهذا اللون من التصنيف ، فاقتدى بـه آخرون ألفوا في غريب الموطأ ، وغريب البخاري ، وغريب مسلم[١] .

- وذكر ابن النديم صاحب الفهرست أن أبا عمر الزاهد ألف كتاب غريب الحديث ، على الكلمات ، عمله للحصري ونحله إياه ، وترجم الكتاب : كتاب الحصري [في غريب الحديث] . وعاد ابن النديم فذكر مرة أخرى : كتاب غريب الحديث للحصري ، ألفه عن أبي عمر الزاهد ، ثم ذكر في موضع ثالث : أن ابن أبي أويس أحد الرواة للغة والأنساب والمآثر ، لقي فصحاء الأعراب ، وروى عن أبي سهل سعد بن سعيد ، ويعقب على ذلك بأنه استمدّ هذا الخبر من كتاب الحصري في الغريب[٢] .

(١) إنباه الرواة ٣ : ١٧٤ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢ : ٦٨

(٢) الفهرست (ط إيران) : ٨٣ ، ٩٦ ، ١٢٠ ؛ وفي طبعة الفهرست المصرية جاء الاسم مرة : الحصري (ص : ١٢٠) ، ومرتين : الحضرمي (ص: ١٣٥، ١٦٢) وفي معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ ، ورد : (والكتاب الحضري في الكلمات !) وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٧٧

٤ - ويذكر المترجمون في عداد مؤلفي الغريب أبا العباس محمد بن علي بن الفضل الحافظ (٢٨٩ هـ) الملقب بفستقة، صاحب الحسين بن علي الكرابيسي الفقيه (٢٤٥ هـ)، وكان لفستقة كتاب غريب الحديث وتصحيح الآثار، وهو كتاب كبير، لم يتمه. ويذكرون أبا بكر محمد بن عثمان الشيباني المعروف بالجعد (بعد ٣٢٠ هـ)، وأبا الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف القاضي الأزدي (٣٢٨ هـ)، وله كتاب كبير في غريب الحديث، لم يتمه [1]. ولا نملك ما نستطيع أن نصف به مؤلفاتهم.

٥ - ويتفرد أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ هـ). كان ابن الأنباري من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً، وقد ذكرنا قبلُ ما قالوه في قوة حافظته [2]، وقد أملى أبو بكر كتاب (غريب الحديث) ، قيل: إنه خمس وأربعون ألف ورقة. ويقول الخطابي في صفته: «ولابن الانباري من وراء هذه الكتب مذهب حسن في تخريج الحديث وتفسيره، وقد تكلم على أحاديث معدودة، وقع إليَّ بعضها، وعامتها مفسرة من قبل إلا أنه قد زاد عليها وأفاد، وله استدراكات على ابن قتيبة في مواضع من الحديث» [3].

٦ - كل هذه المؤلفات التي عددناها في أعقاب كتاب الحربي، لم يصل الينا منها شيء، غير نقول قليلة نجدها موزعة في كتب غريب الحديث التى بين أيدينا، ولعل في كلمة الامام الخطابي التي عرض بها

---

(١) الفهرست (ط مصر): ١٢٧ - ١٢٨، ١٣٥، ١٧٢، ٢٧١، تاريخ بغداد ٣: ٦٤ - ٦٥، الوافي بالوفيات ٤: ١٠٧، بغية الوعاة: ٣٦٤ - ٣٦٥، معجم الأدباء ١٦: ٦٩ و ١٨: ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) مجلة المجمع، الجزء السابق ص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) إنباه الرواة ٣: ٢٠١ - ٢٠٨، غريب الحديث لأبي عبيد، مقدمة المصحح، ص (و)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢: ٧٠، ٧١

لهذه الكتب مايقفنا على أظهر سماتها، قال: «إلا أن هذه الكتب ، على كثرة عددها، إذا حصلت كان ما لها كالكتاب الواحد، إذ كان مصنفوها إنما سبيلهم فيها أن يتوالوا على الحديث الواحد ، فيعتوروه فيما بينهم، ثم يتباروا في تفسيره ، ويدخل بعضهم على بعض . ولم يكن من شرط المسبوق أن يفرج للسابق عما أحرزه ، وأن يقتضب الكلام في شيء لم يفسر قبله ، على شاكلة ابن قتيبة ، وصنيعه في كتابه الذي عقب به على كتاب أبي عبيد . ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على منهاج أبي عبيد.. ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة.. إنما هي أو عامتها إذا تقسمت وقعت بين مقصر لايورد في كتابه إلا أطرافاً وسواقط من الحديث ، ثم لا يوفيها حقها من إشباع التفسير ، وإيضاح المعنى ، وبين مطيل يسرد الأحاديث المشهورة التي لا يكاد يشكل منها شيء ، ثم يتكلف تفسيرها ويطنب فيها ، وفي بعض هذه الكتب خلل من جهة التفسير ، وفي بعضها أحاديث منكرة لا تدخل في شرط ما أنشئت له هذه الكتب »[1] .

هذه جملة الكتب التي ألفت في غريب الحديث في مشرق الأرض العربية حتى منتصف القرن الرابع الهجري .

(١) النهاية (ح . الطناحي) ١ : ٧ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ص (هـ-و) .

ب ـ طلائع كتب الغريب في الأندلس وكتاب الدلائل

١

كان أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي [١] أول أندلسي ألّف في غريب الحديث وشرحه .

١ ـ ولد ابن حبيب في كورة إلبيرة [٢] موطن آبائه ، وانتقل من بعد إلى مدينة قرطبة دار الإمارة فسكنها [٣] .

وينتمي ابن حبيب إلى قبيلة سُليم بن منصور احدى قبائل قيس عيلان الشهيرة [٤] ، وكان جده الأعلى عباس بن مرداس السلمي أحد سادات قبيلة سليم وفرسانها ، وله صحبة [٥] .

واختلف الرواة في سنة ولادته ، فمنهم من يجعلها في احدى سنوات

---

(١) انظر مصادر ترجمته في إنباه الرواة ٢ : ٢٠٦ (الحاشية) ، ونفح الطيب (ح ـ الدكتور إحسان عباس) ١ : ٤٦ (الحاشية) ، والأعلام ٤ : ٣٠٢ ، المستدرك الثاني : ١٣٥ ، معجم المؤلفين ٦ : ١٨١-١٨٢ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمن (الترجمة العربية) ٣ : ٨٦-٨٧

(٢) إلبيرة : والألف فيه ألف قطع مكسورة ، بوزن إخريطة وكبريتة ، كورة كبيرة من كور الأندلس ، نزلها جند دمشق من العرب ، حاضرتها مدينة إلبيرة ، وكانت من قواعد الأندلس الجليلة فخربت في الفتنة سنة ٤٠٠ هـ فما بعدها ، وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فصارت حاضرة الصقع (معجم البلدان ـ رسم إلبيرة ، الروض المعطار : ٢٩-٣٠ ، الإحاطة ١ : ١١-١٣) .

(٣) ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، البيان المغرب ٢ : ١١٠ ، معجم البلدان (إلبيرة)

(٤) جمهرة ابن حزم : ٢٦٣ ، ابن الفرضي ١ : ٣١٢-٣١٣

(٥) انظر ترجمة العباس وأخباره في مقدمة ديوانه الذي جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري (بغداد ١٩٦٨)

(١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ هـ) [1] ، ومنهم من يرجع بها إلى سنة (١٧٤ او ١٧٥ هـ) [2] .

٢ ـ تفقه ابن حبيب بالأندلس ، وسمع على شيوخ قرطبة : أبي عبد الله صعصعة بن سلام الشامي (١٨٠ هـ أو ١٩٢ هـ) وأبي محمد الغازي ابن قيس (١٩٩ هـ) وأبي عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي المعروف بزياد شبطون (٢٠٤ هـ) [3] . ثم رحل للحج وطلب العلم سنة سبع أو ثمان ومائتين ، في أوائل أيام الأمير عبـــد الرحمن الأوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ) فلقي أصحاب مالك وغيرهم وأخذ عنهم . سمع من أبي مروان عبد الملك بن الماجشون (٢١٤ هـ) ، ومن ابني اختي امام أهل المدينة مالك بن أنس وهما أبو مصعب مطرف بن عبد الله اليســـاري (٢٢٠ هـ) وأبو عبد الله اسماعيل بن أبي أويس (٢٢٦ هـ) ومن ابراهيم ابن المنذر الحزامي (٢٣٦ هـ) وأصبغ بن الفرج ، وأسد بن موسى (٢١٢ هـ) وعبد الله بن عبد الحكم ، وعبد الله بن موسى الكوفي ،

---

(١) لسان الميزان ٤ : ٦٢ ، نفح الطيب ٢ : ٧ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، مطمح الأنفس : ٣٦

(٢) ابن الفرضي ١ : ٣١٥ ، البيان المغرب ٢ : ١١٠ ـ ١١١ ، معجم البلدان (إلبيرة) ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩١ ، وفي كتاب العـــبر للذهبي (١ : ٤٢٨) ما يشير إلى أن ولادته في عام ١٦٤ هـ ، فقد ذكر أنه توفي في عـام ٢٣٨ هـ وله أربع وسبعون سنة ، ويبدو أنه سبق قلم أو خطأ مطبعي صحته : أربع وستون سنة ، على ما جاء في المصادر الأخرى .

(٣) ابن الفرضي ١ : ١٨٢ ـ ١٨٣ ، ٢٤٠ ، ٣١٣ ، ٣٨٧ ، جذوة المقتبس: ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، ٢٢٧ ، ٢٦٤ ، ٣٠٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، لسان الميزان ٤ : ٦٠ ـ ٦١ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، الديباج المذهب : ١٥٤

وعلي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (٢١٠ هـ) وجماعة سواهم كثيرة من أهل الحجاز وأهل مصر ، ولا يصحّ ما رووه بصيغة التمريض من أنه لقي الامام مالكاً في آخر عمره ، لأن الامام مالكاً قد توفي سنة ١٧٩ هـ . ورجع ابن حبيب الى الأندلس سنة ست عشرة ومائتين وقد وعى علماً عظيماً ، كان قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغه والتصرف في فنون الآداب ، كان نحوياً عروضياً شاعراً حافظاً للاخبار والأنساب والأشعار ، طويل اللسان ، متصرفاً في فنون العلوم ، فكثر طلابه وانتشرت الرواية عنه ، حتى إنه كان يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلثمائة طالب [1] .

– ألّف ابن حبيب في الفقه والتاريخ والآداب كتباً حساناً كثيرة وذكروا أنه حين سئل : كم كتبك التي ألّفت ؟! قال : ألف كتاب وخمسون كتاباً . وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء عدة منها [2] .

٣ – كان عبد الملك بن حبيب حافظاً للفقه على مذهب المدنيين (مذهب الامام مالك) ، نبيلاً فيه ، ذاباً عنه ، وله في كتب المالكية مذهب مسطور . وقد بلغ منزلة عالية لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وأصبح مشاوراً مع الامامين العالمين ، يحيى بن يحيى الليثي وسعيد بن

---

(١) ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، ٣١٥ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٦٠ ، مطمح الأنفس : ٣٦ ، المغرب ٢ : ٩٦ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، لسان الميزان ٤ : ٥٩ ، ٦١ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠–٣٩١ ، بغية الوعاة : ٣١٢ ، البلغة : ١٢٧ ، الديباج المذهب : ١٥٤ ١٥٥

(٢) ابن الفرضي ١ : ٢٤٠ ، ٣١٣ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٠ ، مطمح الأنفس : ٣٦ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٠٦ ، لسان الميزان ٤ : ٦١ . بغية الوعاة : ٣١٢ ، البلغة : ١٢٧ ، نفح الطيب ٢ : ٥–٦ ، الديباج المذهب : ١٥٥ ١٥٦ ، فهرست ابن خير : ٢٠٢ ، ٢٦٥ ، ٢٩٠

حسان . وكان الأمير يثق به ويركن إليه ، قبل قوله حين رفع إليه عن يحيى بن يحيى أنه غير مأمون الجانب ، وأنه عزم على خلعه ، وأخذ برأيه حين أشار عليه ببناء سور إشبيلية حماية لها من هجمات الأردمانيين المجوس (النورمان) . وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس ، ويحيى بن يحيى عاقلها (أو راويها ومحدثها) وعيسى بن دينار فقيهها . وتوفي عبد الملك سنة ٢٣٨ أو سنة ٢٣٩ هـ بعلة الحصا (١).

٤ ـ رزق عبد الملك رواة علماء أخذوا عنه ورووا كتبه ، أبرزهم: بقي بن مخلد ، وأبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي ويوسف بن سلمة وعبد الرحمن بن أبي مريم ومحمد بن سعيد بن حسان ، ومحمد بن عبد الله ويوسف بن يحيي المغامي . وكان المغامي آخر الباقين من رواته (٢).

٥ ـ وقد ألف عبد الملك بن حبيب في شرح الحديث وغريبه كتاباً جعله عشرة أجزاء ، الأول منها : شرح الموطأ ، والثاني : شرح جامع الموطأ ، والجزء الثالث : ابتدأ فيه شرح حديث النبي عليه السلام . وأخذ كتب أبي عبيد القاسم بن سلام إلا أنه خلطها بتقديم وتأخير وانتحلها ، ورد على أبي عبيد في أشياء أكثرها تحامل فيها عليه .

ثم ذكر على هذا النحو أحاديث الصحابة والتابعين ، وختم كتب الشرح وهو العاشر منها بكتاب سماه : كتاب طبقات العلماء وشرح من

---

(١) قضاة قرطبة : ٨٠ ، ٨١ ، المغرب ١ : ٤٩ ، ١٤٨ و ٢ : ٩٦ ، ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، ٣١٥ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، مطمح الأنفس : ٣٦ تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، نفح الطيب ٢ : ٦ ، ٧ ، ٩ ، الديباج المذهب : ١٥٤ لسان الميزان ٤ : ٦١ ـ ٦٢ ، معجم البلدان (إلبيرة ، طليطلة) البيان المغرب ٢ : ١١٠ .

(٢) ابن الفرضي ١ : ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، ٣١٥ و ٢ : ١٧ ـ ١٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، لسان الميزان ٤ : ٦١ ، نفح الطيب ٢ : ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٥٢٠ .

زَنَّ منهم بالأهواء ، وهو كتاب صغير . وأخذ عليه فيه تصحيف قبيح . وهو أضعف كتبه [1] . لذلك لم ينل الكتاب منزلة عالية بين أهل الأندلس ، وإن كانوا قد قرؤوه وتداولوه بينهم . فابن الفرضي يقرأ شرح غريب الموطأ لابن حبيب على مجاهد بن أصبغ (٣٠٥-٣٨٢هـ) ، وأبو بكر محمد بن خير (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) يذكره في مروياته ، وينتهي بسنده إلى سعيد بن فحلون عن يوسف بن يحيى المغامي عن عبد الملك بن حبيب [2] .

٢

١ - وجاء في أعقاب عبد الملك بن حبيب أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني [3] (بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين) . وكان الخشني من أهل كورة جيان [4] وانتقل الى قرطبة فسكنها الى أن توفي بها . ينتهي

---

(١) فهرست ابن خير : ٢٠٢ ، الديباج المذهب : ١٥٥

(٢) ابن الفرضي ٢ : ١٤٨ ، فهرست ابن خير : ٢٠٢

(٣) انظر ترجمته وأخباره في : طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٨ ، وابن الفرضي ٢ : ١٦-١٧ ، وقضاة قرطبة : ١٨ ، وجذوة المقتبس : ٦٣ - ٦٥ وبغية الملتمس : ٩٢ - ٩٤ ، والمطمح : ٥٦ - ٥٧ ، والمغرب ٢ : ٥٤ ، وفهرست ابن خير : ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٦٤٩ ، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة : ١٦٧ ، وبغية الوعاة : ٥٢ ، ٦٧ ، والبلغة: ٢٢٦ ، وترجمته فيها مضطربة ، إذ اختلطت بترجمة ابن كناسة ، ونفح الطيب ٢ : ٢٣٦

وذكرت أكثر المصادر أن اسم أبيه عبد السلام إلا المطمح والمغرب فقد سماه عبد الله ، ومن أجل ذلك ترجم له السيوطي في البغية في موضعين .

(٤) جيان : بالفتح ثم تشديد الياء وآخره نون ، كورة واسعة بالأندلس تجمع قرى كثيرة وبلدانا ، حاضرتها مدينة جيان . وهي من أشرف كور الأندلس في طيب بقعتها ، ووفور غلتها وكثرة خيرها ، تتصل بكورة إلبيرة، ومن أمثال العامة « يذكر البلدان ، ويسكن جيان » (معجم البلدان - جيان، الروض المعطار : ٧٠ - ٧٢) .

ينسبه الى أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله ، وخشين (بالتصغير) التي ينتمي إليها قبيلة من قضاعة كانت دارها بالأندلس جيّان وأعمال إلبيرة ، وقطن عدد منهم بكورة لبلة (١) .

- رحل الخشني الى المشرق قبل الأربعين ومائتين فحج ، ودخل البصرة وبغداد ومكة ومصر ، ولا وكد له إلا لقاء العلماء والأخذ عنهم ، ولقي من أئمة اللغة أبا عثمان المازني وأبا حاتم سهل بن محمد السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي وأبا اسحاق الزيادي ، فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية الأصمعي . وكتب ببغداد كتب أبي عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن وهب المسعري راوية أبي عبيد ، ويذكر أبو بكر محمد ابن الحسن الزبيدي الأندلسي أن سماع الخشني من المسعري كان في سنة سبع وأربعين ومائتين (٢) ، وأقام الخشني في رحلته ، طبقاً لرواية الحميدي ، خمساً وعشرين سنة ، متجولاً في طلب الحديث والعلم ، ولما رجع أدخل الأندلس كثيراً من حديث الأئمة وكثيراً من اللغة والشعر الجاهلي رواية (٣).

٢ - وكان الخشني فصيح اللسان ، جزل المنطق ، بصيراً بكلام العرب ، عالماً ، حافظاً ، وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والأدب ورواية الحديث . وكان ثقة مأموناً ، خيراً ديناً ، قد رزق محبة الناس

(١) جمهرة ابن حزم : ٤٥٥ ، اللباب ١ : ٤٤٦ - ٤٤٧ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٩ - ٥٠ ، تاج العروس (خشن) ، وفي كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٣١١ : « خشينة : بطن من قضاعة » .

(٢) وهم المقري حين قال إن الخشني سمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام (نفح الطيب ٢ : ٢٣٦) .

(٣) ابن الفرضي ٢ : ١٦ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٨ ، جذوة المقتبس : ٦٣ - ٦٤ ، المزهر ١ : ٨٣

وتقديرهم . وكان إلى ذلك ، صارماً أنوفاً ، منقبضاً عن السلطان ، لم يتشبث بدنيا ، ولم يتطلع إلى جاه أو مال . ولما دعاه الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) لولاية القضاء أبى وقال : « أبيت كما أبت السماوات والأرض إباية اشفاق لا إباية عصيان . لي ولد وأنا أحبه ، لي ولد وأنا أحبه » فأعفاه الأمير . وتوفي الخشني في سنة ٢٨٤ هـ وهو ابن ثمان وستين سنة ، وانفرد الذهبي إذ قال : توفي وهو في عشر الثمانين (١) .

٣ - أخذ عن الخشني بالأندلس جماعة جمة نبلاء حدثوا عنه ورووا له ، منهم أسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن خالد ، ومحمد بن قاسم ، وقاسم بن أصبغ البياني وكان من المكثرين عنه ، وابنه محمد بن محمد بن عبد السلام (٣٣٣هـ) ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد بن عبد الملك ، وعفير بن مسعود ، وأبو عثمان سعيد الأعناقي ، وطاهر بن عبد العزيز (٢) .

٤ - لم يكن الخشني أول من اطلع على كتب أبي عبيد القاسم بن سلام ونقلها إلى الأندلس ، فالصلة الوثيقة التي كانت تربط الأندلسيين بالمشرق ، وخب الرحلة في طلب العلم أتاحا للاندلسيين أن يطلعوا على كتب أبي عبيد في وقت مبكر . وقد ذكر من قبل مارواه محمد بن خير في فهرسته ، وابن فرحون في ديباجه من أن عبد الملك بن حبيب السلمي قد انتحل في تأليفه كتاب أبي عبيد في غريب الحديث . ومهما يكن من شيء

---

(١) قضاة قرطبة : ١٨ ، ابن الفرضي ٢ : ١٦ - ١٧ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٨ ، مطمح الأنفس : ٥٦ - ٥٧ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٤٩ ، نفح الطيب ٢ : ٢٣٦ و ٣ : ٥٥٧

(٢) ابن الفرضي ١ : ٢٤٣ ، جذوة المقتبس : ٣٦ ، ٦٤ ، طبقات الزبيدي (ط٢): ٢٧٥ ، نفح الطيب ٢ : ٥٢ ، ٢٣٧ ، ٦٣٣

فإن في البقية الباقية من النصوص التي بأيدينا ما يقطع بأن أبا عبد الملك عثمان بن المثنى (١٧٤ - ٢٧٣ هـ) كان يقرىء شرح الحديث لأبي عبيد القاسم ابن سلام بأرض الأندلس ، وأن وهب بن نافع الأسدي (٢٧٣ هـ) قد أخذ كتب أبي عبيد عن راويه : علي بن ثابت وأبي جعفر محمد بن وهب المعري ، وأنه أول من أدخلها الأندلس وأول من أخذت عنه . ثم أدخلها الامام الخشنيّ . ورحل طاهر بن عبد العزيز (٣٠٥هـ) فروى كتب أبي عبيد عن علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد ، وعاد الى الأندلس ليقرىء الناس بها كتب أبي عبيد وليحمل إليهم علمه وروايته ، والخشني حيّ باق [١] .

- ولئن دل هذا على شيء ، إنه يدل على شدة تعلق الناس بأبي عبيد ، وتقديرهم له ، وعنايتهم بكتبه ، حتى جعل الأندلسيون كتبه اللغوية مقياساً لهم يحتكمون إليها ويوازنون بها ما يؤلفونه من أشباهها ، فهم يقولون : كان لحصيب الكلبي مصنف في اللغة نحو مصنف أبي عبيد ، وعندما أخطأ العجلي احتكم عفير إلى كتاب أبي عبيد : الغريب المصنف ، في تقويه وتصحيح ماغلط فيه . وكان أبو عمر موسى بن أزهر الإستجيّ(٣٠٦ هـ) يقرأ عليه شرح الحديث والغريب المصنف لأبي عبيد ظاهراً [٢].

---

(١) ابن الفرضي ١ : ٢٤٣ ، ٣٤٦ و ٢ : ١٦٠ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٧٣ .

(٢) ابن الفرضي ٢:١٤٦ ،طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

وقد هيأت هذه المكانة الرفيعة التي نزلها أبو عبيد من نفوس الأندلسين لمثل الامام الخشني ، وهو المتمكن من اللغة ، المتضلع بدقائقها وأسرارها أن يتصدى لتأليف كتاب في غريب الحديث يباري به كتاب أبي عبيد، ويأخذ إخذه ، فألف كتابه (غريب الحديث) ، جعله اثنين وعشرين جزءاً . شرح حديث النبي عليه السلام في أحد عشر جزءاً ، وحديث الصحابة في ستة أجزاء ، وحديث التابعين في خمسة أجزاء . وقد تداوله الأندلسيون وقال الزبيدي في طبقاته يصفه : « فيه من الغريب علم كثير » وكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير ، انتهى بسنده إلى محمد بن محمد ابن عبد السلام الخشني عن أبيه الخشني المؤلف(١) .

- للبحث صلة -

---

(١) فهرست ابن خير : ١٩٥ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٨ ، وشهر بالخشني عدة علماء ، ومن هنا التبس على بعض المؤلفين أمرهم فذكروا واحداً بدل الآخر . من ذلك ما أشار إليه الحميدي في جذوة المقتبس ، من وهم أبي محمد عبد الغني بن سعيد حين نسب إلى محمد بن عبد السلام الخشني كتاب « تاريخ الأندلس » ، والحق أنه لمحمد بن الحارث الخشني (٣٦١ هـ) ، ومن ذلك ماوقع فيه المقري صاحب نفح الطيب حين ذكر أن الحكم المستنصر سمع من محمد بن عبد السلام الخشني ، وإنما سمع المستنصر من محمد بن الحارث الخشني (جذوة المقتبس : ٦٤ - ٦٥ ، نفح الطيب ١ : ٣٩٥) .

عبد الرزّاق بن حمّادوش الجزائريّ
ورحلته «لسان المقال»

الدكتور أبو القاسم سعد الله

من المخطوطات النادرة عن الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة (لسان المقال ، في النبأ عن الحسب والنسب والآل) . وقد رأيت من المناسب أن أقدم عنها وعن مؤلفها خلاصة لهذا المؤتمر الذي خصص لتاريخ المغرب العربي وحضارته (*) . وأقول « خلاصة » لأنني في الواقع قد أنجزت دراسة مطوّلة عن حياة ابن حمادوش ورحلته وأعماله الأخرى قد أنشرها قريباً . ولنبدأ بحياة المؤلف .

١ — حياة ابن حمادوش :

والظاهر أن أول من اكتشف ابن حمادوش هو الدكتور لوسيان ليكليرك الذي ترجم له كتابه (كشف الرموز) إلى الفرنسية [١] . كما

(*) ألقي هذا البحث في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته الذي انعقد بتونس بين ٢٤ — ٢٩ ديسمبر ١٩٧٤

(١) باريس ، ١٨٧٤ . والكتاب غير كامل ، وبعد اكتشاف الرحلة يظهر أنه القسم الرابع من كتاب (الجوهر المكنون في بحر القانون) الذي ألفه ابن حمادوش . والمراد بالقانون هو كتاب القانون لابن سينا . وقد طبع (كشف الرموز) ناقصاً بالعربية أيضاً عدة طبعات على يد رودسي قدور ، أولها بالجزائر سنة ١٩٠٣ . وقد أشرف على هذه الطبعة السيد عبد الرزاق الأشرف .

أشار في نهاية الترجمة إلى كتاب آخر لابن حمادوش وهو (تعديل المزاج)[١] ولكن الدكتور ليكليرك لم يطلع على رحلة ابن حمادوش التي نحن بصدد التعريف بها، ولذلك كان حديثه عن حياة المؤلف مختصراً مبنياً على الظن لا على اليقين.

وفي سنة ١٨٨٦ ذكر المؤلف الاسباني قونزاليز في كتابه (مشاهير مسلمي مدينة الجزائر)[٢] حوالي ثلاثة أسطر عن ابن حمادوش، ضمنها تاريخ ميلاده الصحيح؛ وهو تاريخ لم يهتد إليه ليكليرك ولم يرد إلا في (لسان المقال) مما جعلنا نرجح أن قونزاليز قد اطلع على الرحلة[٣]. أما الدكتور غبريال كولان[٤] فقد اعتمد في كتابه على ليكليرك ولم يأت بجديد عن حياة المؤلف. وعندما أصدر أبو القاسم الحفناوي كتابه أورد كلام قونزاليز عن حياة ابن حمادوش دون ذكر اسمه مشيراً إليه فقط

(١) كتيب في كراسة أو نحوها وصفه الدكتور ليكليرك وصفاً قصيراً في آخر ترجمته (لكشف الرموز) ص ٣٨٠. والظاهر أن ابن حمادوش قد ألفه بمدينة رشيد بمصر، لأن الكتاب يحمل هذه الإشارة، وكان ذلك سنة ١١٦١ هـ ١٧٤٨ م.

(٢) الجزائر، ١٨٨٦. والكتاب عبارة عن رسالة صغيرة ضمنها النص العربي مع ترجمته بالفرنسية. وقد قدمه له بالعربية مفتي الحنفية بالجزائر عندئذ الشيخ أحمد بوقندورة.

(٣) ذكر السيد قونزاليز في بداية كتابه أن ابن حمادوش من مصادره الأساسية، وأشار إليه باسم «عبد الرزاق» فقط ودون ذكر اسم الكتاب، ويغلب على الظن أنه نقل من (لسان المقال). وقد نقل عنه أيضاً أسماء ولاة الجزائر وبعض علمائها.

(٤) كتب رسالة دكتوراه في الطب عن «الطبيب العربي عبد الرزاق الجزائري» وطبعها بالجزائر سنة ١٩٠٥

باسم « مؤلف اورو باوي » [١] . وهكذا يتضح أن حياة ابن حمادوش ظلت مجهولة ، لأن جزءاً كبيراً من ترجمته الشخصية يوجد في رحلته التي لم يطلع عليها – حسبما نعتقد – سوى السيد قونز اليز . أمّا المتأخرون فقد اعتمدوا على هذا مثل السيد نور الدين عبد القادر [٢] ، أو نقلوا عن الرحلة مباشرة دون ترجمة لمؤلفها مثل السيد محمد داود [٣] .

ولد عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش سنة ١١٠٧ هـ ١٦٩٥ م في مدينة الجزائر على الأرجح ومن ثمة نسبته إليها « الجزائري » ، وكانت أسرته من طبقة الحرفيين التي كانت تمارس التجارة ولا تهتم بالسياسة والرياسة إلا قليلاً . وكانت حرفة أسرته هي الدباغة حسبما فهمنا من رحلته ، لأنه ذكر والده وعمّه في بعض العقود موصوفين بكلمة « الدباغ » . وعند زواجه الأول صاهر ابن حمادوش عمّه الذي زوجه ابنته البكر وأسكنه في داره. أما في زواجه الثاني فقد تزوج ثيّباً هي ابنة أمين الصفارين (النحاسين) . وكان لابن حمادوش ولدان على الأقل من زوجه الثانية مات أحدهما صغيراً . ولا ندري ما إذا كان له أطفال من زواجه الأول . ولم يكن ابن حمادوش سعيداً مع زوجه الثانية ولا مع أسرته الباقية كأمه وأخته لانشغاله بالكتب والعلم من جهة ولفقره من جهة أخرى . ولا ندري إلى الآن

---

(١) (تعريف الخلف برجال السلف) ، الجزء ٢ – الجزائر ، ١٩٠٧ ، ص ٤٧١

(٢) (صفحات من تاريخ مدينة الجزائر) ، الجزائر ، ١٩٦٤ ، ص ١٩٤ ، وقد نقل عبارة قونز اليز حرفياً دون ذكر اسمه .

(٣) (تاريخ تطوان) ، القسم الأول ، المجلد ٣ ، تطوان ، ١٩٦٢ ، ص ١٤٨ – ١٥٢ ، وقد لخص ما كتبه ابن حمادوش عن المغرب وخصوصاً مدينة تطوان وعلمائها .

متى ولا أين توفي ابن حمادوش ، لكن بعض المراجع تشير ظنياً إلى أنه قد تجاوز التسعين سنة (١).

عاصر ابن حمادوش أحداثاً وتطورات سياسية واجتماعية وثقافية . فقد دون في رحلته أنه عاصر عهد الباشوات الذين استبدوا بالحكم في الجزائر عن السلطان العثماني ، وكان ما يزال طفلاً عندما استعاد الجزائريون مدينة وهران من يد الاسبان (٢) ، ولكنه كان واعياً لاحتلال اسبانيا لها من جديد (٣) . وذكر في رحلته بعض الثورات الداخلية مثل ثورة أهل زواوة على قائد سباو ، وتحدث عن توقيع الصلح بين الجزائر والدنمارك ، كما سجل فيها حادثة فرار ابن أحمد الريفي المغربي ومحمد باي التونسي إلى الجزائر في وقت واحد واجتماعهما مع داي الجزائر عندئذ ، إبراهيم باشا . أما في المغرب فقد شاهد عياناً ثورة أحمد الريفي ، حاكم إقليم تطوان ، على السلطان مولاي عبد الله ، وروى أحداثها بشيء من التفصيل والتأثر ، ووصف آثار هذه الثورة على الحياة المغربية سياسياً واقتصادياً (٤) . ولا شك أن ابن

---

(١) كولان ، ص ٣٥ ، ضبط هو اسمه (حمادوش) دون أن نعرف ما إذا كانت الميم مخففة أو مشددة .

(٢) كان ذلك على يد الباشا محمد بقطاش (بكداش) ، سنة ١١١٩ هـ ١٧٠٨ م ، وهو الباشا الذي ألف فيه محمد بن ميمون ، أستاذ ابن حمادوش ، كتابه (التحفة المرضية في الدولة البكداشية) تمجيداً له . وقد نشر هذا الكتاب السيد محمد بن عبد الكريم ، الجزائر ١٩٧٢ .

(٣) احتلوها من جديد سنة ١١٤٥ هـ — ١٧٣٢ م ، وظلوا فيها إلى سنة ١٢٠٥ هـ ١٧٩١ م حينما افتتحها الباي محمد الكبير وأعادها للدولة الجزائرية .

(٤) سنفصل القول في هذه المسائل ، وكذلك المسائل الاجتماعية والثقافية في نهاية البحث .

حمادوش قد عاصر أحداثاً أخرى في تونس ومصر وبلدان الشرق الأخرى التي زارها أو أقام فيها أثناء حجه وأسفاره ، ولكنه على كل حال لم يذكرها في الجزء الذي بين أيدينا من الرحلة .

كما عاصر ابن حمادوش تطورات اجتماعية وثقافية لا شك أنها أثرت على مجرى حياته . فحديثه عن عقود الزواج في وقته (وهي عقود كانت تختلف مهورها من طبقة إلى أخرى) ومعاناته في البحث عن موارد للرزق سواء في الجزائر أو في المغرب ، واحتماؤه بالشرف والعلم بدل الجاه والسياسة والمال ، وكثرة تعرضه للأسعار في أسواق الجزائر والمغرب ، كلها تعكس الجو الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يعيشه . ومما لا ريب فيه أن أسفاره الأخرى قد أمدته بتجارب أخرى في هذا الميدان ، ولكننا على كل حال لا نملك الآن دليلاً عليها .

وتثقف ابن حمادوش على شيوخ بلاده وعلماء المغرب وتونس والمشرق ، كما قرأ عدداً كبيراً من الكتب في مختلف العلوم والفنون [1] . وئن كنا لا نجد أثراً لشيوخه الأولين . لفقدان الجزء الأول من رحلته في الوقت الحاضر ، فإننا نعرف من الجزء الثاني منها أنه قرأ في الجزائر على الشيخ محمد بن ميمون [2] ، كما عاصر فيها علماء وأدباء ما تزال أسماؤهم وبعض أعمالهم تشهد لهم بالحذق والمكانة في مجتمع عصرهم ، أمثال أحمد بن عمار صاحب (نحلة اللبيب) ، والمفتي الشاعر ابن علي ، وعبد الرحمن الشارف ،

---

(١) ذكر المؤلف في الجزء الذي ندرسه من الرحلة الكتب التي قرأها واقتناها ، وجميعها تعكس اتجاهه العلمي أكثر من غيره .

(٢) نحيل إلى المقدمة التي كتبناها للقصيدة السياسية - الأدبية التي عثرنا عليها والتي هي من نظم ابن ميمون ، في (الثقافة) الجزائرية ، عدد ١٥ سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٧ - ٤٢ .

وأحمد الزروق البوني ، وعدد آخر من المفتين وأصحاب الجاه كمحمد بن حسين ، والحاج محيي الدين الزروق ، وعبد الرزاق المرتضى ، ومحمد الميسي . وممن قرأ عليهم ابن حمادوش في المغرب وأجازوه محمد بن عبد السلام البناني الفاسي، وأحمد الورززي التيطواني ، وأحمد السرائري ، وأحمد ابن المبارك (١) . أما من تونس فلم يذكر فيما بين أيدينا من وثائق سوى الشيخ محمد زيتونة (٢) الذي يسميه « شيخنا » ، والشيخ محمد الشافعي الذي التقى به في الجزائر يوم جاء هارباً من حاشية محمد باي المذكور.

ورغم أن ابن حمادوش قد درس على طريقة عصره فإن اهتمامه كان منصباً خاصة على الكتب العلمية . ولذلك نجده قد درس ابن سينا ، واقليدس ، والقلصادي ، والانطاكي ، وابن البيطار ، وغيرهم من علماء المسلمين واليونان . وكان لا يقرأ نظرياً بل يحاول أن يطبق ما قرأه ويؤلف فيه ، ويجري التجارب الشخصية عليه . وهكذا وجدناه يجري تجارب على النباتات ويركب المعاجين الطبية ، ويختبر موازين المياه ، ويرسم الرخامة الظلية ، ويضع دائرة لبيان اتجاه الرياح ، وغير ذلك من التجارب التي لم تكن محل اهتمام من علماء عصره عامة ، وعلماء بلاده خاصة . وقد لخص هو اهتمامه عندما قال في رحلته إنه أصبح عشابا وصيدلياً وطبيباً في بعض الأمراض (٣) .

* * *

(١) سنذكر بعض التفاصيل عن علاقته بعلماء المغرب .

(٢) الظاهر أنه قرأ عليه في تونس أو في المشرق . ولعل ذلك كان أثناء حجته الأولى سنة ١١٣٠ هـ — ١٧١٨ م . وقد توفي الشيخ زيتونة بتونس سنة ١١٣٨ هـ — ١٧٢٥ م .

(٣) التجارب المشار إليها مفصلة في الرحلة . ولعل هذا الاهتمام بالتجارب العلمية ، والطب خاصة ، هو الذي جعل الدكتور لبكليرك ينعته بآخر ممثل للطب

وهذا الاهتمام هو الذي جعل مؤلفات ابن حمادوش يغلب عليها الطابع العلمي أكثر من الطابع الفقهي أو الأدبي الذي شاع لدى علماء عصره . ولنذكر الآن بعض مؤلفاته في هذا الميدان (١) :

١ — شرح على قصيدة الربع على كردفو .
٢ — تأليف على الروزنامه .
٣ — تأليف في الأعشاب (لعله هو كشف الرموز المطبوع) .
٤ — تأليف في علم الفلك (ذكر فيه سبعة تواريخ تعلمها جميعاً) .
٥ — تأليف في الاسطرلاب والربع المقنطر .
٦ — تأليف في القوس لرصد الشمس .
٧ — تأليف عن الرخامة الظلية بالحساب .
٨ — تأليف في صورة الكرة الأرضية .
٩ — تأليف في علم البلوط (معرفة الطرق البحرية) .
١٠— الجوهر المكنون (في الطب) .
١١— بغية الأديب من علم التكعيب (واسمه أيضاً فتح المجيب في علم التكعيب) .
١٢ — تأليف في علم البونبة .
١٣ -- تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج .
١٤ — تأليف في الطاعون .

العربي . انظر كتابه (تاريخ الطب العربي) ج ٢ ، باريس ، ١٨٧٦ ص ٣١٠ وقد اعتبره الدكتور كولان صاحب عقلية بعيدة عن الخرافات في عصر سادت فيه الشعوذة وضعف استخدام العقل ، انظر كولان ، ص ٣٩

(١) هذه الكتب مذكورة كلها في الرحلة ، ما عدا الثالث عشر والرابع عشر . وقد ذكر عناوين بعضها ، ولكنه أهمل عناوين الباقي مشيراً إلى موضوعه فقط ، فيقول مثلاً بعد ذكر الفرع العلمي المقصود « ولي تآليف فيه » .

ولابن حمادوش تآليف أخرى في المنطق مثل (الدرر على المختصر) الذي تحدث فيه على مختصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي ، وهو الكتاب الذي وافقه عليه وأطراه كل من الشيخ أحمد الورززي المغربي (١) والشيخ أحمد بن عمار الجزائري ، وفي النحو مثل (السانح) وهو شرح على ألفية ابن مالك ، وفي الأدب (ديوان) شعر ، قال إنه بناه على الغزل والنسيب والمراثي ومدح الرسول ﷺ . كما ترك ابن حمادوش بعض المقامات الأدبية (٢) . وهو في أشعاره وأدبه لا يرقى إلى مصاف أدباء بلاده المعاصرين له كابن ميمون وابن عمار وابن علي . وقد أشرنا إلى أن الجزء الذي ستتحدث عنه من الرحلة هو الجزء الثاني ، ومعنى هذا أن له جزءاً أول لهذه الرحلة التي قد يكون لها جزء ثالث أو أكثر . ونحن لا نشك في أن تآليف ابن حمادوش أغلبها ضائع ، وأن معظمها صغير الحجم، بالإضافة إلى أنها في جملتها كتب علمية . وليس معنى هذا أنه لم يؤلف في الفقه ونحوه ، ولكن غلب عليه الاتجاه الأول كما لاحظنا .

وقد تجول ابن حمادوش في العالم الإسلامي من تطوان إلى الحجاز . وإذا كنا نعرف من الرحلة بعض التفاصيل عن تجواله في المغرب فإننا لا نعرف عن تجواله في الأقطار الأخرى سوى إشارات طفيفة . فقد جاء

---

(١) كان الشيخ الورززي يتردد على الجزائر . وقد صحح عليه ابن حمادوش الكتاب المذكور أثناء زيارته للجزائر سنة ١١٥٩ هـ — ١٧٤٦ م ، ويبدو أنه زارها مرة أخرى على الأقل سنة ١١٦٢ هـ — ١٧٤٩ م ، وخلالها مدحه المفتي الشاعر ابن علي بقصيدة ؛ انظر محمد داود (تاريخ تطوان) القسم الأول ، المجلد ٣ ، تطوان ١٩٦٢ ، ص ٩٠ ، وقد ترجم محمد داود ترجمة وافية للشيخ الورززي في المصدر نفسه ، ص ٨٥ — ٩٢ ، وذكر أنه توفي سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م .

(٢) ذكر منها ثلاثاً في الرحلة ؛ اثنتان منها عن أفكار عرضت له في المغرب أما الثالثة فالظاهر أنه ألفها في الجزائر .

في رحلته أنه كان بتونس حاجاً عام ١١٣٠ هـ - ١٧١٨ م . ووجد بعض الباحثين أن ابن حمادوش كان في مدينة رشيد بمصر سنة ١١٦١ هـ - ١٧٤٨ وأخبر هو في رحلته أيضاً أنه زار بلاد العرب والعجم والترك بدون تحديد. ومما وصل إلينا من آثاره رحلته التي نحن بصدد التعريف بها .

ب ـــ الرحلة :

ويغلب على الظن ، كما أشرنا ، أن أول من نقل عن رحلة ابن حمادوش دون ذكر اسمها هو السيد قونز اليز . فهو أول من أرخ لميلاد المؤلف بالتاريخ الذي ورد في الرحلة ، ونقل عنه قائمة ولاة الجزائر . وفي سنة ١٩٣٥ كتب الشيخ عبد الحي الكتاني عن الرحلات المغربيـــة (١) وذكر اسم رحلة ابن حمادوش ، ثم جاء السيد محمد داود ونقل عنها بعض الفقرات في وصف ثورة الريفي التي كان ابن حمادوش شاهد عيان لها (٢) . وأكد الشيخ الكتاني أهمية رحلة ابن حمادوش في رسالة بعث فيها إلى السيد الحاج صادق أثناء كتابة هذا بحثاً عن المولد النبوي في (نحلة اللبيب) لابن عمار (٣) . ومنذئذ بدأ اهتمامي بهذه الرحلة . فقد كنت أعدّ مادة كتابي (تاريخ الجزائر الثقافي) وأصبحت هذه الرحلة تشكل إحدى المخطوطات الأساسية التي كان عليّ أن أطّلع عليها لمعرفة أحوال القرن الثامن عشر في

(١) انظر تقريظه لكتاب (دليل الحج والسياحة) تأليف أحمد بن محمد الهواري ، الرباط ، ١٩٣٥ ص ٢٩٥

(٢) (تاريخ تطوان) القسم الثاني ، المجلد الثاني ، تطوان ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦

(٣) (المولد النبوي عند ابن عمار مفتي مدينة الجزائر وشاعرها) مقتطف من (الأبحاث المقدمة إلى لويس ماسينيون) نشر المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٧٠ - ٢٩٢ ، والدراسة بالفرنسية .

الجزائر . وسعيت للحصول على نسخة منها فأسعفني صديق مغربي كريم (١) . بصورة منها . وخلال رحلتي إلى المغرب في صيف ١٩٧٣ اطلعت بنفسي على الأصل في الخزانة العامة بالرباط ، وهي ضمن مكتبة الشيخ الكتاني رقم ٤٦٣ (٢) .

وتقع مخطوطة الرحلة في ٣٨٧ صفحة من الحجم المتوسط(٣)، ومسطرتها ١٢ × ١٦,٠ وتحتوي كل صفحة على حوالي ٢٣ سطراً . ويبدو لي بعد البحث أن عبارة ابن حمادوش فيها تنتهي عند الصفحة ٢٢٦ ، أما الباقي فلا نقطع الآن بنسبته إليه . وتدل افتتاحية الصفحة الأولى على أن المخطوطة تمثل بداية الجزء الثاني . فهي تبدأ بعد الحمدلة والبسملة والتصلية وذكر اسم المؤلف هكذا : « الجزء الثاني من رحلته ... » ولم يرد اسم الرحلة في المتن وإنما أضيف في الحاشية وكتب هكذا : « لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل»(٤) . وبداية تاريخ هذا الجزء هو غرة عام ١١٥٦هـ الموافق ١٤ فبراير سنة ١٧٤٣ م ، ويمثل التاريخ المذكور بداية رحلته إلى

---

(١) هو الدكتور عباس الجراري الذي يجب علي أن أسجل هنا اعترافي له بالجميل .

(٢) رغم حرصنا فإننا لم نهتد إلى وجود نسخة أخرى من رحلة ابن حمادوش. وإذا ثبت أن السيد فونتز البز قد استعمل الرحلة كما أشرنا فمن المحتمل أن يكون قد اطلع على نسخة أخرى منها .

(٣) أرقام الصفحات مضافة بقلم الرصاص ، وهي المعروفة بالأرقام العربية .

(٤) الكلمة الأخيرة غير واضحة في الرسم ، وقد أثبتناها « الآل » لمناسبة معناها إلى ما قبلها . ومن الممكن قراءة رسمها « المال » وبه أخذ محمد داود ، (تاريخ تطوان) القسم الأول ، المجلد ٣ ، تطوان ١٩٦٢ ، ص ١٤٨ ، وقد رأى محمد داود ، كما رأى الكتاني من قبل ، بأن الرحلة مكتوبة بخط مؤلفها الذي وصفه هكذا « الفقيه المدرس المؤلف المشارك التاجر المتجول » . ويمكن قراءة الكلمة أيضاً « الحال » .

المغرب . وآخر تاريخ مذكور فيها (على فرض صحة القسم الذي لم نقطع بنسبته إليه) هو سنة ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م ، ذلك أننا نجده في السنة الموالية بمصر . وعلى أية حال فإن الرحلة مبتورة الآخر ، ومن ثمة لا نعرف بالتدقيق اسم كاتبها أو ناسخها ولا مكان ذلك .

و (لسان المقال) مكتوبة بخط واضح وحبر أسود باستثناء بعض العناوين والأسماء فإنها كتبت بالحبر الأحمر ، وهي مكتوبة بأسلوب بسيط غير مسجوع ، ماعدا المقامات المشار إليها . وقد رتبها المؤلف على السنوات والشهور والأيام . ومن الطبيعي أن تظل بعض الأيام والشهور أحياناً غير واردة في الرحلة ؛ وهي في شكل مذكرات أو يوميات كان المؤلف يسجل فيها الأحداث والمشاهدات بصيغة الماضي في غالب الأحيان . وقد أكثر فيها الحشو والاستطراد والنقول من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين . والغالب على الظن أن الرحلة ماتزال بخط مؤلفها[1] وأنها كذلك ما تزال في شكل مسوّدة . ولا ندري إلى الآن متى ولا أين كتب ابن حمادوش هذا الجزء . وتوجد تعاليق على المخطوطة يعود بعضها إلى منتصف القرن الماضي[2] ، ويدل بعض هذه التعاليق على أن المخطوطة كانت عندئذ في في الجزائر قبل انتقالها إلى المغرب . كما يوجد على صفحتها الأولى اسم مالكها الأول ، على مايظهر لنا ، وهو السيد « الحاج علي بن الحاج سعيد » الذي لانعرف الآن من أمره شيئاً .

(١) بذلك قطع عبد الحي الكتاني ، انظر (دليل الحج والسياحة) ، ص ٢٩٥

(٢) آخر تاريخ مذكور في التعاليق بالنسبة للجزائر هو سنة ١٢٣٣ هـ ١٨١٧ — ١٨١٨ م عن وفاة الداي علي باشا ، وبالنسبة للدولة العثمانية عند وفاة السلطان محمود الثاني سنة ١٢٥٥ هـ — ١٨٣٩ م ، وتولية ابنه عبد المجيد في العام نفسه ، أما بالنسبة لروسيا فقد ذكر المعلق أن نقولا الأول (سماه نكول راى الموسك) قد توفي سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٥ م .

ويمكن تقسيم المحتوى العام للرحلة إلى ثلاثة أقسام هي :

١ – قسم المغرب وهو من صفحة ٢ – ٧٥ ، وهذا القسم هو الذي يصح أن نسميه « رحلة » .

٢ – قسم عن المؤلف نفسه في الجزائر ، وهذا القسم ترد أخباره مفرقة ضمن قصص واستطرادات ، وهو عبارة عن مذكرات وحوادث يومية عن قراءاته وملاحظاته ونشاطه .

٣ – قسم يتضمن نقـــولاً كثيرة من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين : مثل الاكتفاء لابن الكردبوس ، وكتاب تاريخ الدول للملطي وأنس الجليل للعليمي ، بالإضافة إلى مجموعة من عقود الزواج على عـادة أهل مدينة الجزائر ، وكذلك مجموعة من الأسانيد والإجازات والقصص العامة كقصة الفيل وقصة العنقاء .

والمنهج الذي سار عليه ابن حمادوش يجعل عمـله غير منسجم وغـير متماسك . ذلك أنه لايكاد يربط بين أجزاء الرحلة سوى الترتيب الزمني . وقد لاحظنا أنه قد اتبع طريقة السنوات . وإذا أخذنا بالنص الموجـود عندنا فالرحلة لاتكاد تتجاوز خمس أو ست سنوات من عمر المؤلف الطويل الذي تجاوز بحسب بعض الآراء ، تسعين سنة . وعلى كل حال فإنه كان يحشو كل سنة بأخبار ووقائع تتعلق بشخصه في الغالب ، وإذا ما أفاض في الحديث عن قضايا أخرى فإنه يفعل ذلك إما عن طريق المصادفة كما فعل بذكره أسماء ولاة الجزائر وأسماء سلاطين آل عثمان ، وإما لعلاقتها بشخصه كحديثه عن ثورة أحمد الريفي التي كانت لها عواقب على سير رحلته ، فالمحور إذن هو شخص المؤلف .

وقد اعتاد ابن حمادوش أن يؤرخ بالتاريخين الهجري الذي يسميه العربي ، والميلادي (الشرقي أو الفلاحي) . وكان يؤرخ نادراً بالتاريخ

الاسكندري . ولكن سنوات الانتقال التي تشكل في الواقع أبواب الرحلة أو فصولها ، كانت بالتاريخ العربي . ويجهد المؤلف نفسه في الأمانة والدقة ، وإذا أعوزه ذلك يذكره دون تحرّج ، فإذا نسي حادثة أو تاريخاً عاد إلى كناشه ويكتب بعد ذلك هكذا « وجدته مقيداً » ، وإذا نقل ونسي العبارات المنقولة قال « هذا ماتعلق بذهني وإن كان عبرت بعبارة غير عبارة المؤلف » ، وإذا كان غير متأكد من خبر سمعه عن فلان سجل ذلك بأمانة قائلاً : « ولم أدر كيف كتب ولا ماصنع إنما بلغني » . وحين عجز عن أن يأتي بجواب لإحدى المسائل ترك بياضاً في النص مضيفاً « فمن وجده « يعني الجواب » فليلحقه هنا في هذا البياض ، وما تركته بياضاً إلا لأجله » ومع ذلك فإن ابن حمادوش كان يفتخر أحياناً بمعارفه وشرفه على معاصريه . فكثيراً ماكان يذكر النوازل التي شارك فيها برأيه ، وينتهي فيها بتسجيل انتصاره على مخالفه بشيء من الزهو ، واصفاً مخالفه بادعاء العلم وضعف العارضة وقصر النظر ، وكان يذكر مناظرته ومناقشته لشيوخ عصره حتى الذين أجازوه منهم . وقد بالغ في الافتخار بشرفه أمام المفتي الحنفي ابن علي ، مخاطباً له بشعر ركيك لايرقى أبداً إلى مكانة شعر خصمه البليغ .

ومصادر ابن حمادوش نوعان : التجربة الشخصية والنقل ، وقد غلب عليه الأول . ذلك أن أكثر ماروى من أحداث في رحلته قد شاهده عياناً أو عاشه . فالتطورات الاجتماعية والسياسية والعلمية التي تحدث عنها في المغرب والجزائر كان مصدرها بالدرجة الأولى التجربة الشخصية . أما النقل فإن ابن حمادوش كان يأخذ بالمشافهة والسماع أو بالاعتماد على الوثائق المكتوبة . فهو كثيراً ما يقول عن أخباره إنها بلغته أو سمعها . وقد أكثر من النقل عن صحيح البخاري ، وتاريخ ابن الكردبوس ، وتاريخ العليمي ، والقانون لابن سينا ، وتاريخ الملطي ، ومقالات اقليدس ، ومنطق السنوسي وغيرها .

كما نقل كثيراً من فهرس البناني المغربي ، ومن أسانيد الصباغ الاسكندري (إذا صحت نسبتها إلى الرحلة) ، ومن عقود النكاح التي كتبها علماء الجزائر .

* * *

وبالإضافة إلى الأضواء التي تلقيها الرحلة على حياة المؤلف فإن الجزائر والمغرب تحتلان فيها مكاناً بارزاً . وقد سبق لنا أن ذكرنا شيئاً منها بخصوص النقطة الأولى (حياة المؤلف) ، وبقي علينا أن نفصل الحديث قليلاً عن النقطة الثانية . ولنبدأ بالجزائر .

أورد ابن حمادوش مجموعة من الأخبار الهامة عنها ، تساعد الباحثين في في أوضاعها السياسية والاجتماعية والثقافية خلال القرن الثامن عشر . من ذلك ما أورده من أن النصارى (دون تحديد ، ولعله يقصد الاسبان) رفضوا قبول فدية المسلمين الذين كانوا أسرى عندهم ، ولا سيما مشاهير الرياس مثل ابن الحاج موسى ، وأدّى هذا الموقف إلى غضب الباشا الذي قرّر غلق كنيستهم وهدّد بهدمها إن لم يقبلوا بالصلح . ولم يخبر ابن حمادوش بما وقع بعد ذلك ، واكتفى بالقول : « وهانحن منتظرون مايقع » . ومما رواه بشأن علاقة باشوات الجزائر بالسلطان العثماني أنّ الأخير قد أرسل مندوباً عنه إلى الجزائر ، فلم يرحب به المسؤولون ولم يستقبلوه فبات ليلته في المرسى ثم دخل المدينة وحده . ورغم أن الباشوات قد استبدوا بالحكم ، كما ذكر ابن حمادوش ، فإنهم ظلوا يهادون السلطان ويسترضونه . وآخر من فعل ذلك هو إبراهيم باشا المعاصر للمؤلف ، فهو الذي أرسل سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٥) إلى السلطان أربعين نصرانياً وثمانية مكاحل وأشياء أخرى ثمينة انتظاراً أن يرسل له السلطان بالفرمان .

وإبراهيم باشا هو آخر سبعين باشا من الولاة العثمانيين بالجزائر الذين أورد ابن حمادوش قائمة بأسمائهم ، مبتدئاً بإسحاق باشا سنة ٩١٥ هـ

١٥٠٩ م ومروراً بعبد الله بيلك باش الذي قال عنه إنه أول من استبد بالملك سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣). ومن أخبار هؤلاء الباشوات في الرحلة: رفع الأعلام الخضر على الصوامع عند تولية أحدهم، وحمل جثمان الميت منهم إلى الجامع الكبير للصلاة عليه وقراءة القرآن، وشيوع الفساد بينهم حتى إن إبراهيم باشا المذكور كان مع أهله على سفاح قبل التولية، وبعده نصحه مستشاروه بافشائه مخافة إشاعة الفسوق بين الناس، واتباعهم قاعدة الحجر الصحي على الحجاج، وتوقيعهم الصلح مع الداغارك سنة ١١٥٩ (١٧٤٦) ووقوع ثورة ضدهم في بلاد زواوة سنة ١١٥٨ (١٧٤٥)، وفرار باي معسكر إلى الإسبان بوهران سنة ١١٥٩ (١٧٤٦) بتوريط من أحد أثرياء اليهود بمدينة الجزائر، ولجوء ابن الثائر أحمد الريفي ومحمد باي ومحمود باي التونسيين إلى الداي إبراهيم باشا.

ويمكن للباحث الاجتماعي أن يجد في الرحلة مادة ثرية أيضاً. فقد ذكر المؤلف صيغة صلوات وأدعية معهودة عند أهل الجزائر عند ختم صحيح البخاري، يرش أثناءها الخدم ماء الورد على الحاضرين بالجامع الكبير، كما ذكر عاداتهم ليلة القدر وليلة المولد النبوي. فقد كان متولي الجامع الكبير يفرغ ليلة القدر قنطاراً أو أكثر من الشمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضراء، ثم يطاف بهذه الشموع في اتجاه دار المفتي أو الوكيل، ومنها إلى دار الإمارة عبر الشوارع المزينة، وهم يرفعون أصواتهم بالأناشيد الدينية، ثم يعودون إلى الجامع من طريق أخرى. وكان يقام مثل ذلك في ضريح عبد الرحمن الثعالبي أيضاً. وعقد المؤلف مقارنة بين عادات المولد النبوي في الجزائر والمغرب. ومن العقود التي أوردها نعرف نوع العملة السائدة عندئذ، ونوع الصداق، وإمكانيات كل طبقة في ذلك. ويجد دارسو الحياة النسوية والمنزلية ضالتهم في القفاطين الملفية أو الأطلسية وأنواع الجواهر، وإماء السودان، وقناطر الصوف، وغيرها مما كان

يقدم صداقاً الزوج حسب حالها الاجتماعي ، وحسب سنها أيضاً بكراً أو ثيباً . وهذه الجوانب من الحياة الاجتماعية هي التي ما يزال يفتقدها الباحثون في تاريخ الجزائر .

وقد تكون أخبار ابن حمادوش الثقافية أكثر أهميـــة من أخباره السياسية والاجتماعية . ومن حسن الحظ أن المؤلف قد أورد طائفة منها حول هذا الموضوع تعتبر نادرة في بابها لأنه المصدر الوحيد الذي يكشف عنها . ومن العلماء الذين أطال ابن حمادوش الجلوس إليهم وأكثر من القراءة عليهم محمد بن ميمون قاضي المواريث في وقته ، وهو الذي كان ، حسب رأي تلميذه ، يتقرب إلى السلطة الحاكمة ، ويجعل من داره منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء (١) .

وقد أشرنا إلى الخصومـــة التي وقعت بين ابن حمادوش والمفتي ابن علي . ولم نذكر أن الأول قد يكون افتخر بشرفه عليه لأن ابن علي كان من أصل كرغلي . وسبب الخصومـــة على ما يذكر ابن حمادوش غضب ابن علي من عدم قيام ابن حمادوش احتراماً له .

وبينما كانت علاقة ابن حمادوش بابن علي غير حسنة كانت علاقته بالأديب الشاعر أحمد بن عمار جيدة . فهذا هو الذي كتب له تقريظاً ، نثراً وشعراً ، لكتابه (الدرر على المختصر) ؛ كما كانت علاقـــة ابن حمادوش حسنـــة مع العالم عبد الرحمن الشارف الذي كتب له (لابن حمادوش) شهادة على تصحيحه الكتاب المذكور على الشيخ أحمد الورززي

(١) ابن ميمون هو الذي أشهر زواج الباشا إبراهيم بعد أن كان سرياً ، وكان عندئذ قاضي المواريث ، فكان الأمر لا يعنيه لأنه ليس من اختصاصه بل من اختصاص قاضي القضاة . وقد أعلن ابن حمادوش بعد هذه القصة بأن شيخه ابن ميمون أراد بذلك التقرب من الباشا . وكانت دار ابن ميمون هي التي وقعت فيها الخصومة بين ابن حمادوش والمفتي ابن علي .

المغربي (١) . ولا نريد هنا أن نطيل في أخبار علماء عصره الذين وردت أسماؤهم في الرحلة ، وحسبنا ذكر بعضهم سريعاً ، فمنهم : المفتي محمد ابن حسين (٢) ، وقاضي قسنطينة محمد الحنفي (٣) ، والمفتي عبد الرحمن المرتضى (٤) ، والمفتي الحاج محيي الدين الزروق (٥) ، (وهو آخر المفتين المالكية الذين يرد اسمهم في الرحلة) ، والقاضي ابن المسيسني ، وهناك بالإضافة إلى ذلك عدد آخر من القراء والأدباء الذين لم يكونوا عندئذ أصحاب مناصب ، ولكن كانوا من رجال العلم ، نذكر منهم : أحمد العمالي ، ومحمد بن سيدي الهادي ، وأحمد البوني ، وابنه أحمد الزروق ، ومحمد بن المسيسني (أخو القاضي المذكور) وأبو القاسم بن يوسف الحني ، وعبد الملك بن إبراهيم ، والحاج أحمد بن مسعود . وكان ابن حمادوش يقرأ مع بعض هؤلاء ، ويتراسل مع آخرين منهم ، وكانوا جميعاً يكونون في الواقع نوعاً من الطبقة المثقفة التي تتعايش وتتصاهر وتتنافس طموحاً إلى السلطة والجاه .

* * *

واحتل المغرب كذلك مكاناً بارزاً في رحلة ابن حمادوش . فقد

---

(١) صححه عليه أثناء زيارة الورززي الأولى لمدينة الجزائر سنة ١١٥٩ انظر التعليق في هامش ١ ص ٣٢٩ .

(٢) هو الذي كتب لابن حمادوش رسالة تعزية في ولده ، وقد أوردها ابن حمادوش حرفياً في الرحلة ، وهي من جيد الرسائل في بابها .

(٣) جاء مدينة الجزائر وقرأ على ابن حمادوش شرح المبارك في الاسطرلاب للسنوسي .

(٤) كان صهراً للمفتي سعيد قدورة ، وقد أورد ابن حمادوش نص عقد زواجه كنموذج للكاتب الشيخ العالم الأديب محمد بن عبد المؤمن سنة ١٠٨٧هـ - ١٦٧٦م

(٥) من الذين سمعوا (بتشديد الميم) ابن حمادوش صحيح البخاري بالجامع الكبير .

سجل فيها بعض نواحيه السياسية والاجتماعية والثقافية . والظاهر أن المؤلف كان يتردد على المغرب للتجارة وطلب العلم . فقد أشار في رحلته الحالية التي بدأها سنة ١١٥٦ هـ ١٧٤٣ م إلى أنه كان في المغرب سنة ١١٤٥ هـ(١) ـ ١٧٣٢ م . ونحن هنا تهمنا الرحلة الثانية لأنها هي التي ترك لنا فيها وصفاً حياً لأحوال المغرب . والظاهر أن إقامته هناك لم تكن رغدة هنية ، فقد سجل بعد عودته إلى الجزائر مايلي : « وكنت تعبت ... في المغرب من مرض وخسارة وضيق ، ولم أر قط ما رأيت فيه من ضيق العيش والخسارة ، والعياذ بالله ، حتى أيقنت الهلاك »(٢) . ولعل من أسباب ضيقه وخسران تجارته انتظاره أكثر من أربعة أشهر لإحدى السفن التي تقله إلى الجزائر(٣) .

وأهم حادث سياسي طغى على قلم ابن حمادوش في المغرب هو ثورة أحمد الريفي ، باشا تطوان ، على مولاي عبد الله سنة ١١٥٦ هـ ١٧٤٣م ويعود اهتمامه بهذه الثورة إلى سوء معاملة رجال الريفي له عند نزوله بمرسى تطوان . فقد اشتطوا ، في نظره ، في طلب المكوس منه على سلعته التي جاء بها من الجزائر . كما يعود اهتمامه بها إلى أنه عانى من آثارها أثناء مروره في الطريق من تطوان إلى مكناس ، ثم من هذه إلى فاس والعودة . وهناك سبب آخر يعود إلى أن الريفي قد ادعى الشرف ،

---

(١) أشار إلى ذلك أثناء حديثه عن سوء معاملة حرس السلطان مولاي عبد الله له (في ولايته الأولى) عندما أراد أن يتقدم بين يديه بقصيدة مدح ، فعدل عن ذلك .

(٢) الرحلة ٧٦

(٣) في كل مرة تصل السفينة التي ستقلهم تتحطم . وقد ذكر أن ميناء تطوان عندئذ مشهور بحوادث تحطم السفن . ومما يذكر أن ابن حمادوش قد ذهب إلى المغرب وعاد منه في سفينة فرنسية كان قد اكتراها التجار الجزائريون.

وثار على شريف أصيل ، في نظر ابن حمادوش ، وهو السلطان الشرعي ؛ بينما هو (ابن حمادوش) كان يتمسك كثيراً بالشرف ، كما مرّ بنا . ولما كان ابن حمادوش شاهد عيان لأحداث ثورة الريفي (أسبابها ، ومراحلها ، ونتائجها ، وآثارها) فقد وصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً ، وكانت عواطفه في أحكامه ضد أحمد الريفي . فقد وصفه « بالنطفة الفاجرة المفسدة في الأرض » ، واعتبر هزيمتـه ومقتله من الألطاف (التى حلّت) بهذه البلاد . وقد تضمن وصفه أيضاً الحديث عن جيش مولاي عبـد الله وأنصار الفريقين ، والغنائم التي حصل عليها السلطان بعد مقتل الثائر الريفي .

وتحـدث ابن حمادوش عن بعض العادات والتقاليد التي شاهدها بالمغرب . من ذلك عادة المكس بميناء تطوان التي اعتبرها عادة قبيحة ، وتحدث عن زيارته لقبر سيدي علي الريفي وأخذه العهد من خادم الضريح ، ووصف الطريق من تطوان إلى فاس عبر مكناس ، وشاهد هناك الطيور التي لا تلد إلا فوق الماء ، وحصاد الشعير في شهر ابريل ، واستعمال قوارب البردي للنقل النهري ، وسجّل إعجابه بنظام توزيع مياه مدينة فاس وجمال بساتينها ودورهـا ، وقارن بين عادات الفاسيين وعادات الجزائريين في الاحتفال بالمولد النبوي كاستعمال قباب الشمع ، وتحدث عن عادة أهل فاس يوم العنصرة بأكلهم ألية الضأن بالقرفة والكسكي ، وعن لباس النساء والرجال هناك أثناء الاحتفال ، كما وصف لباس السلطان الذي قال إنه كلباس أهل مكة . ولم يخل حديثه من نقد لاذع لبعض العادات التي كانت في نظره غير مستحسنة .

وتضم الرحلة أسماء وأعمال مجموعة من علماء المغرب ، بعضهم التقى بهم وقرأ عليهم وأجازوه ، وبعضهم سمع بهم أو أخـذ عنهم بطريق غير مباشر . وفي طليعة هؤلاء محمد بن عبد السلام البناني . فقد حمل إليه

ابن حمادوش أمانة (لم يكشف عنها) من الجزائر وحضـــر دروسه وخاطبه بقصيدة ، وحصل منه على إجازة . ودرس كذلك على الشيخ أحمد الورززي في تطوان والجزائر وأجـــازه هذا في المدينة الأولى . والظاهر أن الشيخ الورززي كان يتردّد على الجزائر ، كما كان ابن حمادوش يتردد على المغرب ، وقد أثبت ابن حمادوش أن الورززي كان معتزلياً ، تقليداً لرأي البناني في مواطنه . وقد تدخل الشيخ الورززي لصالح ابن حمادوش لدى سلطات الميناء عند مغادرته تطوان (١) .

وممن أجازوه أيضاً أحمد السرائري (٢) الذي نزل ابن حمادوش بفندقه . وأقرأ ابن حمادوش في تطوان الشيخ عبد الله جنان . أمـــا في مكناس فقد التقى بالشيخ عبد السلام القباب والشيخ عبد القادر الفاسي ، لكن خاب ظنه في علم الاثنين فلم يحصل منهما ، حسب رأيه ، على طائل ، غير أنه قد أعجب ببعض علماء فاس ومن هؤلاء الحكيم عبد الوهاب أدراق (٣) ، طبيب مولاي إسماعيل وأولاده . وأثنى على الشيخ أحمد المبارك واستجازه ففعل . وعندما توفي ابن المبـــارك رثاه ابن حمادوش بقصيدة ضعيفة لكن صادقة ، وقد اعتبر نفسه أول من رثاه . وشهد له على إجازة ابن المبارك له الشيخ القاضي عبد القادر بن العربي بوخريص . ولا شك في أن ابن حمادوش قد التقى بعلماء آخرين من المغرب واستفاد منهم سواء في رحلته التي نحن بصدد الحديث عنها أو رحلاته الأخرى .

* * *

(١) بفضل تدخل الورززي أعفيت سلعة ابن حمادوش من الضرائب .

(٢) وجده ابن حمادوش قد توفي إثر عودته من فاس إلى تطوان .

(٣) حضر ابن حمادوش مجلسه الذي قال عنه إنه يشبه مجالس الملوك ، وقدم له قصيدتين من سخيف الشعر .

وإذا كانت أخبار الرحلة تكاد تقتصر على الجزائر والمغرب وشخص المؤلف فإنها لا تخلو من معلومات أخرى عامة . ومن ذلك نقولـــه عن المتقدمين في تاريخ الإسلام وتاريخ القدس وتاريخ الأطبـــاء والقصص الطريفة التي جاء بها عرضاً . ومنه أيضاً ماجاء في الرحلة عن فرار محمد باي من ابن عمه صاحب تونس ، وحديثه عن إمام أحد مساجد سوسة وهو يشرح لصاحبه أصل اختراع العود والنغمات الموسيقية (١) . واستطرد أثناء الحديث عن ولاة الجزائر فذكر أيضاً « ملوك آل عثمان » مبتدئاً بعثمان خان سنة ٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م ، ومنتهياً بمحمود خان عام ١١٤٣ هـ - ١٧٣٠م مشيراً إلى أنه « باق إلى الآن » ، وهو يعني بذلك سنة ١١٥٨ هـ - ١٧٤٥م .

* * *

إن أهمية رحلة ابن حمادوش لا تحتاج إلى طول نظر . فهي أولاً جزء هام من تراث الجزائر العربي الإسلامي الذي طالما نفاه الدارسون الأجانب أو شككوا في قيمته . وهناك علماء جزائريون آخرون عاصروا ابن حمادوش قد تركوا رحلات ، مثل ابن عمار صاحب (نحلة اللبيب) (٢) والورثلاني صاحب (نزهة الأنظار) (٣) ، ولكن رحلة ابن حمادوش تمتاز بأنها رحلة مغربية لامشرقية ، وهي خالية من الصنعة الأدبية التي لجأ إليها ابن عمار والخرافة والكرامات التي امتلأت بها رحلة الورثلاني . كما أن ابن حمادوش كتب بأسلوب سهل بسيط يكاد يقترب من أسلوبنا اليوم ، وقلما

(١) بناء عليه أن أصله يعود إلى أن ساقاً لشخص آدمي قد توفي وظل بالعراء ، فيبست الساق وتلاشى اللحم منها لكن بقيت العروق فهبت نسمة فحركت العروق فأحدثت نغمات موسيقية .

(٢) طبع في الجزائر ، سنة ١٩٠٤

(٣) حققها ونشرها محمد بن أبي شنب ، الجزائر ١٩٠٨

التجأ إلى التصنع ، ومع ذلك فهو لم يسف إسفـــاف ابن المفتي في (تقييداته)[1] ، ولم يبالغ مبالغة ابن سحنون في الثغر الجماني[2] ولم يتأنق تأنق ابن ميمون في (تحفته) . وكل هؤلاء كانوا معاصرين له .

ورغم ضعف المنهج الذي اتبعه ابن حمادوش وكثرة الحشو والاستطراد في الرحلة ، فإن عمله سيظل مصدراً لاغنى عنه لدراسة الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية في مجتمع الجزائر والمغرب خلال القرن الثامن عشر . وقد تعرضنا إلى نماذج من هذه النواحي في الرحلة . وتزداد قيمة الرحلة عند الباحثين باعتبارها أيضاً مصدراً من مصادر حياة المؤلف ، بل لعلها المصدر الوحيد المعروف عنه إلى الآن وقد ظلت حياته مجهولة قبل اكتشاف هذه الرحلة . ولو أمكن الاطلاع على الأجزاء المفقودة منهـــا لعرفنا ، لا الجوانب المجهولة من حياة المؤلف فقط ، ولكن تفاصيل إضافية عن تطورات المغرب العربي والمشرق أيضاً خـــلال القرن الثامن عشر . وتضم الرحلة بالإضافه إلى ذلك مـادة كبيرة من أسماء الأماكن وبعض

---

(١) صاحب هـــذه التقييدات مجهـول الاسم ، ويعرف فقط بابن المفتي (وكان والده مفتياً وهو حسين بن رجب شاوش) . وهي مكتوبة بلغة هي إلى الدارجة أقرب منها إلى الفصحى حسب الذين اطلعوا على نصها . انظر نور الدين عبد القادر (صفحات) ، ص ٢٧٤ – ٢٨٦ وقد ترجمها إلى الفرنسية السيد ج . ديلفان ونشرها في (المجلة الآسيوية) المجلد ١٩ (أبريل – جوان ١٩٢٢) ، ص ١١٦ – ٢٣٣ . انظر أيضاً السيد ديفوكس (المجلة الأفريقية) (١٨٦٩) ص ٤٥٩ – ٤٦٠

(٢) نشرها الشيـخ المهدي البوعبدلي باشراف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، ١٩٧٣

التراكيب العامية ، كما تحفل بأخبار العلماء الذين لانجد عنهم في غيرها سوى النزر اليسير مثل ابن عمار وابن ميمون ، ولعل منهم بعض علماء المغرب أيضاً . وستظل النقول والإجازات والعقود والأسانيد التي أوردها ابن حمادوش في الرحلة مصدراً كبير الأهمية لدراسة الأدب والتاريخ وتراجم الرجال ، كما ستظل مادة للمقارنة والدرس .

وهذه الأهمية لرحلة ابن حمادوش هي التي جعلتنا نقدم على دراستها وتحقيقها ، كما جعلتنا نسهم بهذا المختصر عنها وعن حياة صاحبها في هذا المؤتمر .

غرة ذي القعدة ١٣٩٤
الجزائر في ١٥ نوفمبر ١٩٧٤

أبو القاسم سعد الله
كلية الآداب - جامعة الجزائر

ديوان الوفاء في مراثي النساء

الدكتورة عاتكة الخزرجي

« قال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟ قال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة »[1] .

« وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذي الرمّة :

لعل انحدار الدمع يُعقب راحة　　من الوجد أو يشفي نَجيّ البلابلِ

« وذكروا أن البكاء لا يكون إلا من فضل قوّة ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء »[2] .

والرثاء في الشعر من الأغراض ذات الصدارة ذلك لأنه من صميم الشعر ، فالرثاء الأصيل لا ينبعث إلا من عمق وجدان الشاعر وهو غرض باق ما بقيت إنسانية الإنسان فإن هو إلا ترجمان الوفاء وصلة الحي بالميت ، وقد خلف لنا الشعر العربي في هذا الباب كل مأثور ، وأظنك تذكر معي في هذا الباب عينيّة متمم بن نويرة في أخيه مالك ، وسينية الخنساء في أخيها

(١) انظر ابن عبد ربه العقد الفريد ٣/٢٢٨

(٢) المصدر نفسه ٣/٢٣٤ - ٢٣٥

صخر ، وبائية مالك بن الريب في نفسه (١) ، وتائية أبي الحسن الأنباري في الوزير المصلوب ، ورائية أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي ، ورائية البحتري في المتوكل على الله ، وميمية المتنبي في جدته ، وبائيته في أميرته خولة ، ونونية المعري في أبيه ، وهمزية الشريف الرضي في أمه ، وداليته في صديقه الصابي وداليّة ابن الرومي في ابنه الأوسط و . . .

ولا أريد أن أحدثك في تاريخ هذا الغرض أو فيمن جوّد فيه ، فليس هذا من طبيعة البحث الذي أود خوضه ، إنما أنا أجتزىء فأقول : إن الرثاء ركن أصيل من أركان الشعر العربي ، كان عمادَه في جميع عصوره وقد كان له شأن أي شأن في عهد بني أمية ، حتى إن المراثي كان يُناح بها على الموتى والقتلى نوحاً ، ولعل « الغريض » أشهر من عُرف بالنوح إذ ذاك ومن قبله « ابن سريج » المغني ، ثم عدلا متتابعين بعد ذلك عن النوح إلى الغناء . . ! وحسبك من دليل على تبوّىء هذا الغرض مكانته في عهد بني أمية أن الأمويين أنفسهم كانوا يشترطون في تقريب الرواية أن يكون أحفظ لمراثي العرب . . فتأمل . . ! ولعل شعراء الطالبيين ومن نبغ منهم بعد ذلك خير مَنْ عارض بني أمية في الولع بهذا الغرض من أغراض الشعر (٢).

---

(١) جاء في العقد الفريد : « يقول ابن قتيبة : أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره يزيد بن خذّاق في أبيات أولها :

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ ... أم هل له مِنْ حمام الموت من راق ؟

ووصف أبو ذؤيب الهذلي حفرته في أبيات

وناجى الطرماح بن حكيم ربه بأبيات حين دنت منيته ، وأوصى أبو العتاهية أن تكتب على قبره أبيات له أربعة ، صنعها وهو يحتضر . ولعل القائمة تطول .

(٢) انظر الرافعي : تاريخ آداب العرب ٣ : ١٠٨

وعناية الشعر العربي لم تقف بغرض الرثاء عند الأناسيّ إنما تجاوزتها إلى مدى أبعد ، فقد رثى الشعر العربي الدواب ، وربما رثى بعض المتاع وما يستعمل من أدوات ! وإخالني في غنى عن أن أشير إلى قصيدة ابن العلّاف الشهيرة أريد « الهرّيّة » التي رثى بها الشاعر هراً كان يأنس إليه رثاءً زخر بعواطف جياشة مما حدا ببعضهم أن يقول إنه إنما قيل في الخليفة القتيل عبد الله بن المعتز ويتستر بالهر دفعاً للحقيقة وطمساً لها خوف العقبى ! والقصيدة هذه طويلة وهي من نفائس الشعر وتقع في خمسة وستين بيتاً (١) .

وما إخالك ناسياً أمر الصاحب بن عباد وقد أوعز إلى بعض ندمائه المقربين أن يعزّوا أبا عيسى المنجم في برذونه وقد نفق ، وأن الندماء قال كلٌّ منهم في هذا البرذون قصيدة فريدة (٢) وأن هذا النوع من الشعر شاع بعد ذلك وافتن الناس فيه فنونهم . . !

المرأة تحتل الصدارة في الشعر العربي :

وأنت تعلم بعد ذلك أن المرأة كان لها مكان الصدارة في الشعر العربي من قديم ، وحسبنا من دليل هذا النسيب الذي يتصدر القصائد على اختلاف أغراضها ، فالمرأة إذن من العربي فاتحة قصيده ، وأول سطر في كتاب إلهامه ، ولا عجب فالمرأة كانت ـ وما تزال ـ من العربي موضعاً للنخوة والكرامة ، وعنواناً للعزة والشرف ، فهو يستمد منها وبها القوة ويستوحي من معانيها كل معاني حياته الكريمة ، وكما كان النسيب العربي دليل اعتزاز وتكريم كذلك كان رثاء المرأة دليل صدق على حب العربي لها وإبقائه عليها حية وميتة ، وقد كانت أفانين في الشعر في هذا المجال من قديم .

(١) انظر المختار من القصيدة في وفيات الأعيان وفي اليتيمة ٣ : ٢٣

(٢) انظر يتيمة الدهر ٣ : ٥٥

والحق أننا لا نرى في بكاء الأطلال منذ الجاهلية إلا بكاء للحبيبة :

وما حبُّ الديار ملكْنَ قلبي ولكنْ حبُّ مَنْ سكنَ الدّيارا

فهو عندنا رثاء عميق للحبائب سواء منهن الظاعنات أو اللاتي رحلن عن الحياة . وبكاء الأطلال يحمل معنى من معاني الوفاء يقصر عن تبيانه البيان . . .

ولله در الملك الضليل إذ يقول :

كأني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحيّ ناقف حنظلِ
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلك أسىً وتجمّلِ

وابن أبي سُلمى :

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

وأبي الطيب المتنبي إذ يقول :

بليتُ بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

ويقول :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نُلِمَّ به ركبا
نذم السّحاب الغُرّ من مغلها به ونُعرض عنها كلما طلعتْ عتبا

رثاء الحلائل

جــريـر :

ونحن إذا تخطينا هذا الرثاء الضمني أو البكاء الذي أدخلناه قسراً أو تجوزاً باب الرثاء ، فأبيات جرير لعلها أول ما تطالعنا وهي ، على قلتها ، عميقة مؤثرة تؤكد لنا أن حليلة الشاعر إنما هي حبيبة ومن يدري ! فلعل

خالدة هذه أو أمّ حزرة هي الملهمة لجرير ورقّق نسيبه ؟ وعمق العاطفة يبدو لنا خلل معاني الأبيات الحزينة المستمدة من قلب العاشق الأليم ...

لولا الحياءُ لعـادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولقد نظرتُ.. وما تمتّعُ نظرةٍ في اللّحد.. حيث تمكّن المحفارُ ؟!

ولك أن تتأمل معي بصمت خاشع البيت الثاني إذ ينقل لك بأمانة وصدق حال الشاعر الحزين وهو يودع حبيبته لآخـر مرة .. وصورة الحبيبة الزوجة ملازمة أبداً الشاعر لا تبرحه وهي تملي عليه قوله :

أرعى النجوم وقد مضت غورية عصب النجـوم كأنهن صوارُ
ولقد أراكِ كُسيت أجمل منظرٍ ومع الجمال سكينة ووقار
وإذا سريتُ رأيت نارك نوّرت وجهـاً أغرّ يزينه الإسفـار

ولعل الألم الرزين هو الذي أملى على الشاعر هذين البيتين اللذين تقرأ فيهما اللوعة الحزينة في قالب التأسي الحكيم . . .

كان الخليط هم الخليط فأصبحوا متبـدلـين وبالديار ديار
لا يلبث القرناء أن يتفرقـوا ليل يكرّ عليهم ونهـار

وتتألق رائيّة أبي صخر الهذلي(١) بعد أبيات جرير هذه . . .

أبو صخر الهذلي :

ورائية أبي صخر هذه فيما يبدو لنا مرثية من أفجع المراثي ، بل ومن أروعها وأعمقها أصالة وجدة ، وهي قوية الانفعال بالغة الأثر لذا سارت مسير الأمثال وتمثل بسائرها الزمن...

---

(١) عبد الله بن سلم الهذلي الشاعر الإسلامي الأموي ، كان متعصباً لبني مروان موالياً لهم ، وهو صاحب المدائح لعبد الملك وأخيه عبد العزيز ، وقد حبسه ابن الزبير إلى أن قتل . الأغاني ٢١ : ٩٤ – ١٠٠ ، الخزانة ١ : ٥٥٥

الأمالي ١ : ١٤٦ – ١٤٧ ، ديوان الحماسة ٣ : ١٢٣١

والذي يعزز رأينا في كونها مرثية خاتمتها :

فيا حبذا الأحياءُ مادمتِ فيهم ويا حبذا الأموات ما ضمّكِ القبر ..!

إذ لا يسوغ لشاعر أن يخاطب امرأة ، فضلاً عن حبيبة ، قيد الحياة بمثل هذا العجز الذي ختم به قصيدته (١) .

هذا إلى أن وقفته أول القصيدة ليست وقفة شاعر أمام أطلال الظاعنين ، إنما هي وقفة تشعر برحيل الأحباب ليس بعده رجعة ، كما أنها تشعر بوقفة كانت للشاعر بعد عهد عهيد بالأحباب . . !

وقفت برسميها فعيَّ جوابها فقلتُ وعيني دمعها سَرِبٌ هَمْرُ
ألا أيها الركب المخبُّون هل لكم بساكن أجزاع الحمى بعدنا خُبر
فقالوا طوينا ذاك ليلاً فان يكن به بعض من تهوى فما شعر السَّفْرُ

إن الشاعر في مرثيته هذه يسترجع عهداً بعيداً . . ألا تراه يحدثك وكأنما يقلب كتاباً طوي منذ زمن فيستعيد أيامه على ضوء الذكريات..؟

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت لا عرف لدي ولا نكر
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها كما قد تُنسّي لبَّ شاربها الخمر
وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

والشاعر في رائيته هذه حزين واله ، منكر لحاله ساخط عليه سخطاً فيه رزانة الإيمان .

---

(١) لانشارك السيدة صاحبة المقال في رأيها بأن هذه القصيدة مرثية، فهي لاتخرج عن كونها شكوى غرام ، وأنها تصف مايلاقي من عنت حبيبته وشدة قسوتها عليه ، وشدة حبه لها بالرغم من كل ذلك ، وأن مخاطبته لأطلالها لاتختلف عن مساءلة الأطلال التي قالها جميع الشعراء قبله (لجنة المجلة) .

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها　　فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

وما دام كذلك فالشاعر آلى على نفسه عهداً بالإبقاء على ذكراه إلى الحشر ...

ويا حُبَّها زدني جوىً كلَّ ليلةٍ　　ويا سلوةَ الأيام موعدكِ الحشرُ

إنّ هذه الرائية النفيسة تتربع عندنا على قمة رثاء الحبائب في الشعر العربي قديمه وحديثه لما تتمتع به من أصالة وعمق وسموّ بيان ..

محمد بن عبد الملك الزيات :

وتتألق بعد هذه الرائية الفذّة نونية محمد بن عبد الملك الزيات (١) تألقاً يرفعها إلى المرتبة الأولى في غرض الرثاء لما فيها من عواطف إنسانية وصور حقيقية ليس فيها زيف ولا إغراق .. ولك أن تقرأ أولها لترى إلى هذه اللوحة الإنسانية الدامعة التي يرسمها لك الشاعر من حال الصغير بعد أمه الميّتة :

ألا مَنْ رأى الطفلَ المفارقَ أمَّه　　بعيد الكرى عيناه تنسكبان

رأى كل أمٍّ وابنها غيرَ أمِّه　　يبيتان تحت الليل ينتجيان

وبات وحيداً في الفراش تُجِنُّه　　بلابل قلبٍ دائمِ الخفقان

ثم استمع بعد ذلك إلى نواحه على المرأة هذا النواح المقطع لنياط القلوب لأنه بقايا قلب مقطع النياط .. !

(١) محمد بن عبد الملك الزيات ، هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان ، كان أبوه تاجراً كبيراً من تجار الكرخ إلا أنه ـ أعني محمداً ـ سار في طريق الأدب وقرض الشعر ، ومدح الكبراء والوزراء كالحسن بن سهل ، ولمع نجمه فوزر ثلاث دفعات ، وخدم المعتصم والواثق إلا أنه حبس وقتل في عهد المتوكل على الله « انظر جميل سعيد ، مقدمة ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات .

ألا إنَّ سجلًا واحداً إن هرقته ... من الدمع أو سجلين قد شفياني
فلا تلحياني إن بكيت فإنما ... أداوي بهذا الدمع ما تريان
وإنَّ مكاناً في الثرى خُطَّ لحدُه ... لمن كان من قلبي بكل مكان
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى ... فهل أنتما إن عجت منتظران ؟

ويراوح الشاعر بين نواحه على المرأة وبين توجعه لليتيم الصغير :

فهبني عزمت الصبر عنها لأنني ... جليد فمن بالصبر لابن ثمان ؟
ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبة ... ولا يأتسي بالناس في الحدثان !

ويفتقد الشاعر في الراحلة الزوج الصالحة الرشيدة ، والقلب الحنون المخلص ، فيتبرم بالقدر ويعجب لصرفه .. !

ألا مَنْ أمنّيه المنى وأعدُّه ... لعثرةِ أيامي وصرف زماني
ألا مَنْ إذا ماجئت أكرم مجلسي ... وإن غبت عنه حاطني وكفاني
فلم أر كالأقدار كيف تُصيبني ... ولا مثلَ هذا الدهر كيف رماني !

الطغرائي :

وتحتل مراثي الطغرائي لزوجه القمة إلى جوار هذه النونية لما فيها من صدق العاطفة وحرارة اللوعة وبراعة الصور (١) ، والحق أن رائيته ونونيته أعجوبتان في الأعاجيب استكملتا أسباب الإجادة من جميع الأطـــراف وتكادان تكونان جميعاً من مختار القول .. وإلا ماتراك تقول في مثل هذا الدر النظيم .. ؟

أذمُّ جفوني أن تضنَّ بذخرها ... وأمقتُ قلبي وهو يهدأ في صدري
ألا ليتنا لم نصطحب عُمْرَ ليلة ... ولم نجتمع من قبل هذا على قدر
ويا موتُ ألحقني بها غير غادر ... فإنَّ بقائي بعدها غاية الغدر

(١) للزميل الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر مثل هذا الرأي . انظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ص ١١١

ويا صبر زل عني ذميماً وخلّني ... ولوعةَ وجدي والدموعَ التي تمري
ولا تعدني الأجر عنها فإنها ... ألذ وأحلى في فؤادي من الأجر
بنا أنتِ من مهجورة لم أرد لها ... فراقاً ولم تطو الضلوع على هجر
وقد كان ربعي آهلاً بك مدة ... أحن إليه حنة الطير للوكر
فمذ بنت عنه صار أوحشَ من لظًى ... وأضيقَ من قبرٍ وأجدب من قفر
برغمي خــلا ربعي وأسكنتِ خاطري
وغُيبتِ عن عيني وأُحضِرتِ في فكري (١)

أما القافية فحدث عنها ولا حرج فهي عروس هذا الباب، وهي دون أدنى ريب أحسن ما تهيأ للسابقين في هذا الباب، وقد لا يلحق بشأوها متأخر، وسآتيك بها كاملة لأنها من النفاسة بحيث يتعذر عليَّ أن آخذ منها أو أن أدع . . .

استمع إلى الطغرائي يرسم لنا بريشته الحبيبة الزوجة تحتضر :

ولم أنسَها والموت يقبض كفَّها ... ويبسطها والعين ترنو وتطرق
وقد دمعت أجفانها فوق خدها ... جنى نرجسٍ فيه النّدى يترقرق
وحلَّ من المقدور ما كنت أتقي ... وحُمَّ من المحذور ما كنت أفرق
وقيل فراقٌ لا تلاقيَ بعــده ... ولا زاد إلاّ حسرةٌ وتحـرّق
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها ... قضت حسراتٍ كانت الروح تزهق
هلال ثوى من قبل أن تمَّ نوره ... وغصن ذوى فينانه وهـو مورق
فواعجبا أنّي أتيح اجتماعنا ... ويا حسرتي من أين حُمَّ التفرّق
أحنّ إليها إن تراخى مزارها ... وأبكي عليها إن تدانى وأشهق

---

(١) يقول الشريف الرضي :

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري ... كأنك من عيني نقلت إلى قلبي

وأبلس حتى ما أبين كأنما تدور بيَ الأرض الفضاء وأصعق
وألصقها طوراً بصدري فأشتفي وأمسحها حيناً بكفّي فتعبق (١)
وما زرتها إلا توهمت أنها بثوبيَ من وجدي بها تتعلّق
وأحسبها والحجب بيني وبينها تعي من وراء الترب قولي فتنطق
وأشعر قلبي اليأس عنها تصبراً فيرجع مرتاباً به لا يصدق

ويورد زميلنا الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر في رسالته القيمة عن الشعر العربي في العراق وبلاد العجم إبان العصر السلجوقي بيتين هما الغاية في النفاسة والإحسان لعلي بن أبي الفوارس الرازي - وهو ممن عاصر الطغرائي - في رثاء زوجه :

وكانت حياةً لي فلما توفيت تمنيت ألقى الموت قبل مماتها
عجبت لعمري من بقائي بعدها وكيف بقاء النفس بعد حياتها! (٢)

ويروي لنا المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه الطريف : مدامع العشاق ، بيتين رائعين ينسبها « لأحد الفتيان في بكاء امرأته » :

أطأ التراب وأنت رهن حفيرة هالت يداي على صداك ترابها
إني لأعذر من مشى إن لم أطأ بجفون عيني ما حييت جنابها (٣)

رثاء الجواري

هناك أبيات ثلاثة في ديوان العباس بن الأحنف في رثاء هيلانة جارية

---

(١) يقول أبو صخر الهذلي في رائيته آنفة الذكر :
تكاد يدي تندى إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الورق النضر
(٢) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ٢ : ١١١
(٣) مدامع العشاق ٣٤٨

الرشيد وهي مكتوبة على لسان الرشيد إلا أن الأبيات يبدو عليها الافتعال ولا قيمة فنية لها على الإطلاق . (١) .

وليعقوب بن الربيع في وصف « مُلْك » جاريته وهي تحتضر أبيات ثلاثة فيها صورة وجيعة للاحتضار أرويها لك فيما يلي :

حتى إذا افترَّ اللسان وأصبحت | للموت قد ذبلتْ ذبولَ النرجس
وتسهلت منها محاسن وجهها | وعلا الأنين تحثّه بتنفس
رجع اليقين مطامعي يأساً كما | رجع اليقين مطامع المتلمس (٢)

ولعل الفائية التي رثى بها مُعَلّى الطائي جاريته « وصفاً » من عيون المراثي لأنها صدرت ومعينها الصدق ، وكتبت بدم قلب الشاعر ، وإلا ما تراك تقول في مثل هذه الزفرة :

يا موت كيف سلبتني وَصْفا | قدّمتها وتركتني خَلْفا
هلاّ ذهبت بنا معاً فلقد | ظفرت يداك فسمتني خسفا
يا موتُ ما أبقيت لي أحداً | لمّا زففت إلى البلى وصفا
خليتني فرداً وبنت بها | ما كنت قبلك حاملاً وكفا
فتركتها بالرغم في جدث | للريح تنسف تربه نسفا
أسكنتها في قعر مظلمة | بيتاً يصافح تربه السقفا
فكأنّها والنفس زاهقة | غصن من الريحان قد جفّا
يا قبر أبقِ على محاسنها | فلقد حويت النور والظرفا (٣)

ويروي لنا تاريخ الشعر العربي لأبي تمام الطائي أبياتاً في رثاء بعض الجواري ، أروي لك واحداً منها هو غاية في الجودة :

(١) انظر طبعتنا المحققة لديوان العباس بن الأحنف ص ٥٩ – ٦٠
(٢) انظر الكامل ٣ : ١٢٥٥ – ١٢٥٧
(٣) انظر العقد الفريد ٣ : ٢٧٩

لها منزل تحت الثرى وعهدتها لها منزل بين الجوانح والقلب

وله ، من قطعة أخرى في الغرض نفسه ، بيتان بلغ بهما القمة :

يقولون : هل يبكي الفتى لخريدة إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها
وهل يستعيض المرءمن خمس كفه ولو صاغ من حر اللجين بنانها ؟

ولعل ابن الرومي في رثائه « بستان » المغنية أقل هؤلاء جميعاً أثراً في النفس لما يبدو عليه من قلة التأثر ووضوح الافتعال . . وأنت تعلم علم اليقين أن الشاعر كالاسفنجة يعطي قدر ما فيه ، وربما زاد أو نقص قليلاً حسب قدرته على التصوير . إن ابن الرومي في رثائه « بستان » بارع الصنعة ولكنه بارد الانفعال ، والرثاء خاصة بل ، الشعر عامة ، قوامه العاطفة لا القدرة على افتعال المعاني أو العبث بالألفاظ .

استمع إلى ابن الرومي يرثي « بستان » بمثل هذا الكلام البارد :

يا غضة السن يا صغيرته أمسيت إحدى المصائب الكبر
أبعد ما كنت باب مبتهج للنفس أصبحت باب معتبر
كل ذنوب الزمان مغتفر وذنبه فيك غير مغتفر

أليس هذا افتعالاً للمعنى على حساب اللفظ أو افتعالاً للفظ على حساب المعنى ؟ ألا ترى إلى هذه المطابقات المفتعلة تلازم الشاعر في أبياته ملازمة تامة ، وتأبى إلا أن تترك آثارها عليه باردة باهتة ؟

وقد يبدو لنا الشاعر أبعد ما يكون عن روح الرثاء وهو يرثي - في زعمه - هذه الحسناء :

لله ما ضمنت حفيرتها من حسن رأي وطيب مختبر
أضحت من الساكني حفائرهم سكن الغوالي مداهن السرر
لو علم القبر من أتيح له لانحفر القبر غير محتفر

إن للمرحوم زكي مبارك رأياً في هذه الأبيات يخالف رأينا فهو يعجب بمعانيها[١] إلا أننا لا نرى فيها إلا أبياتاً تشكو انعدام اللوعة وافتعال الانفعال والبعد عن واقع الفجيعة . . [٢] .

وعلى أن ديك الجن « محمد عبد السلام بن رغبان الكلبي الحمصي » عاش أواسط القرن الثاني للهجرة « المولود سنة ١٦١ هـ »[٣] فقد رأينا أن نذيل به هذا الجزء من بحثنا متخطين الترتيب التاريخي ، ذلك لأن مراثيه الجارية الزوجة ـ نظراً للظروف الخاصة التي أحاطت بمقتلها ـ تحيلها شيئاً قائماً بذاته مميزاً عن سواه لأن ديك الجن هذا على ما نعلم ممن خبله العشق وأضلته الغيرة فقتل زوجه ثم أحرقها وصنع من رمادها كوزاً يمزج به الماء بالدموع . .

فمراثيه إذن نوع خاص قائم بنفسه تسيطر عليه حسرة الندم أكثر من لوعة الرثاء ، وهي خليط بين بين : ندم ورثاء وجريمة وتوبة ، ومهما يكن من شيء فهي قصائد في رثاء حبيبة فقدها محبها إلى الأبد ، ورثاها بشعره :

فقتلته وله علـيّ كرامة ... ملء الحشا وله الفؤاد بأسره
لو كان يدري الميْتُ ماذا بعده ... بالحيِّ حلَّ مكانه في قبره
غصص تكاد تفيض فيها نفسه ... وتكاد تخرج قلبه من صدره

ولك أن تلحظ الندم يأكل قلب الشاعر أكلاً في أبياته التالية يخاطب بها القتيلة :

---

(١) انظر مدامع العشاق .
(٢) لمحمود الوراق أبيات في هذا الغرض . انظر العقد الفريد حـ ٣
(٣) انظر الوزراء والكتاب ، ثم انظر ديوان ديك الجن صنع أحمد مطلوب والجبوري

أما والله لو عـاينت وجدي إذا استعبرتُ في الظلماء وحدي

وجدَّ تنفسي وعلا زفيري وفاضت عبرتي في صحن خدي

إذن لعلمت أني عن قـــريب ستحفر حفرتي ويشقُّ لحدي

وكلمة أخيرة ننهي بها هذا الجزء من البحث ، بوسعنا أن نقول : إنّ الشعر العربي القديم ضرب مثلاً عالياً في تكريم المرأة وإعطائها الصدارة من قلبه وحسّه ووجدانه حيّة وميتة : نسب بها حسناء ، وبكى ديارها ظاعنة وأطال البكاء ، ورثاها ميتة فأوجع الرثاء ، وترك لنا من وراء ذلك كلّه ثروة ثرة في أدب الوفاء . .

مراثي النساء في الشعر المعاصر :

أما وقد بلغنا في حديثنا هذا الموضع ، فما علينا إلا أن نحدثك فيما كتب الشعر المعاصر في هذا الباب .

للبارودي دالية عدّتها سبع وستون بيتاً في رثاء زوجه قالها وقد تأدّى إليه نعيها وهو منْفيٌّ بسرنديب « من جزر الهند » مطلعها :

أيَدَ المنونِ قدحتِ أيَّ زناد وأطرتِ أية شعلة بفـــؤادي

وهي على طولها لا نكاد نختار منها إلا بضعة أبيات ! ذلك لأن الشاعر أطال وحشا ولم يسلم من هنات ، بعضها ركة في التعبير ، وافتعال في المعاني ومحاكاة سقيمة للقديم ، وإقحام للحكم الباهتة ، وإدخال الألفاظ الحربيّة حرم الرثاء ، وإقحام التاريخ في صميم الموضوع العاطفي ، بالإضـافة إلى عيوب فنية كثيرة ، أهمها : قلق القوافي ، وبرودة الجو الشعري ، وفقدان روح الرثاء ، ولولا أبيات معدودات لأهملنا القصيدة ولما عددناها في شعـر الرثاء في شيء ! (١)

(١) ديوان البارودي ١٥٦ – ١٦٧

أمّا سينيّة علي الشرقي: «شمعة العرس» التي رثى بها عروسه وقد دهمتها المنون ليلة الزفاف، إن هذه القصيدة لا تكاد تمتّ إلى الشعر بسبب لأنها قصيدة باردة جامدة باهتة، ونحن إنما سميناها قصيدة تجوزاً إذ هي لا تمتّ إلى روح الشعر الأصيل بسبب، فهي تشكو فقدان الروح أعني الانفعال، وهي باردة المعاني باهتة السمت، ليس فيها ما يستوقف الباحث، وهذا غريب لأن الأستاذ الشرقي شاعر جليل القدر، له باع طويل في الحكم والفلسفة، فكيف يكبو في مثل هذا؟

شاعران وديوانان:

يبقى لنا بعد ذلك شاعران، نظما في الوفاء ديوانين كاملين، هما خير من صوّر الحليلة الحبيبة تصوير صدق، ليس فيه أدنى افتعال، ولا بعض صنعة، الشاعران هما عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقي.

بلدهما واحد «مصر» وبلواهما واحدة، فكلٌّ منهما فقد الحبيبة الزوجة إبان الشباب وكل منهما صور وأحسن ووفى وأجزل في الوفاء..

لقد خلّف - كما ذكرنا - كلٌّ منهما في صاحبته ديواناً كاملاً ليس فيه إلا ها، والحق أن هذين الديوانين بمثابة سجلين لحياة الرجل والمرأة بكل دقائقها وأسرارها وانفعالاتها، ولعمري فهذا فتح جديد في أدبنا المعاصر يُعتز به ويعتدّ.

وقوام هذين الديوانين الصدق والتلقائية فهما خير ميسم يوسم بها شعر الرجلين، ولا تسل عن شعرٍ ميسمُه الصدق وطابعه السماحة، وما نعرف قبلهما أحداً قصر شعره كله على واحدة اللهم إلا إذا استثنينا العباس بن الأحنف صاحب فوز، فقد كتب هو الآخر ديواناً كاملاً من وحي المرأة، والفارق بينهما يقوم في أنهما رثيا المرأة بهذا الديوان في حين أن العباس رثى قلبه بهذا الديوان!

وقد يكون من المؤسف أن يولي الشعراء العرب ، في نسيبهم ، أوصاف المرأة الجسدية عنايتهم أكثر بكثير من أوصافها المعنوية ، ويكاد يكون هيكل المرأة الجسدي في الشعر العربي واحداً على توالي العصور لا يلحظ عليه ولو أثارة من تغيير ، فهي أبداً وحفاء الشَّعر ، وضاحة الطلعة ، وضّاءة الجبين ، نجلاء العينين ، وطفاء الهدب ، زجّاء الحاجبين ، عذبة الثغر ، في شفتيها حوّة ، وبين أسنانها بريق ، وهي جيداء غيداء هيفاء لمّاء ، مسكيّة الروح ، رقيقة الخطو ، ساحرة الحديث ...

وجاء أباظة فعزّز المرأة وارتفع بها من دمية تلهي الرجل ساعة أو بعض ساعة إلى رفيق كريم ، ونصيح رشيد ، ومجير أمين .

ولم يبك أباظة في ديوانه الزوجة والأم ، إنما هو يبكي فيه الحب والحياة والأمل الذي أفلت ، ولمّا تزلْ بعد في يديه من خيوطه الواهية بقية ..!

ولكم بكى أباظة وأبكى ، وافتقد في بكائه الفكر النير والقلب الرحيم يلوذ بهما ساعة المحنة :

يا ملاذي إذا افتقدت ملاذي وصديقي إذا تجنّى صديقي
كيف خلّفتني ، وقد كنت روحاً وسلاماً ، أصلى عذاب الحريق
مَنْ يُسَرّي عني إذا شفّني الهمّ ويشفي نفسي ويهدي طريقي !

وزوج أباظة سيدة فضلى تعيش للإحسان والبر ، تسد حاجة المحتاج وترعى الضعيف وتغيث الملهوف ...

رعاك الله كم بيت كريم أصيب فكنت ملجأه الأمينا
أسوت جراحه ودفعت عنه وواسيت الحزينة والحزينا
وأقسم كنت تخفين العطايا وتولين الجميل وتكتمينا
وقد تهبين ممّا ليس فضلاً وتعطين الكثير وتؤثرينا !

ثم هو يبكي فيها البرّة التقيّة القانتة الطاهرة الورعة التوابة .. المرأة التي كانت تقوم الليل في مُصلاّها دامعة الطرف ، وسمّارها في الليل الصلاة والمصحف .. إن أباظة كان يبكي في ديوانه المرأة القديسة ...

وأقسم كانت لليتامى دريئـــة تذود الأسى عنهم وتأسو وتُنصف
وكانت تقوم الليل إلاّ أقلّــه وسمّارهــا فيه مُصلّى ومصحف
مدامعها من روعة الذكر ذُرَّفٌ وأوصالهـا من خشية الله رُجّف
تهجد أوّاب وتسبيح قانت فـلله ذاك القـانت المتخـوف

والشاعر عائش في ديوانه بذكرى المرأة ، ترجع به ذكرياته القهقرى فيتمثلها تارة طفلة غريرة ، وأخرى « كاعباً منضرة الحسن » ، ومرة عروساً « وضاءة السنى » ، فزوجاً وأماً رحيمة ، فمحمولة على الأيدي إلى غير عودة.. !

تمثَّلُ لي منضورة الحسن طفلة يُضيء الدجى منها جبينٌ ومبسمُ
وطاوية عهد الدراسة كاعباً تروعـك منهــا نضـرة تتوسم
ومجلوّة للعرس وضّـاءة السنى تأوّد في وشي الشباب وتنعـــم
وجامعة في بيتها شمـل بيتها توسطهم كالبدر حفتـه أنجـــم
فمحمولة منه إلى ساح منعم يثيب ويعفـو عن كثير ويرحـم

والمفجع الموجع للقلوب والمبدع الممتع في البيان أن نرى المرأة خلل الديوان حيّة في نفس شاعرها ، قائمة في قلبه ووجدانه ، لا تكاد تبرحه لحظة في الليل أو في النهار . ولعمري أية صورة هذه التي يعرضها أباظة في هذا البيان السمح الجميل ؟

إذا سكن الصباح فأنت همي وإن سكن المساء فأنــت أنسي
جمعت على الهوى طرفي نهاري كأني لم أُرَعْ بنـــواك أمس
رعاك الله ما فارقت روحي وإن فارقت بعض الوقت حسّي
أراك كما رأيتـــك يوم كنا على حرم الصبا نضحي ونمسي

نذوق رحيقه طفلين شبّا على ورد وأحلام وقدس

ثم انظر معي إلى هذه الصور الحيّة التي يجسدها الشاعر بيراعه هذا التجسيد الأليم :

تذكرني بك الصور التوالي فينشطر الفؤاد بها انشطارا
إذا قمنا لمائدة مساء وإن قمنا لمائدة نهارا
يطالعنا مكانك وهو خال فتبتدر الدموع له ابتدارا
نحيط به فنوسعه حنينا وتقديساً لذكرك وادكارا
نرى بصحافك الجِدّ العثارا وفي كرسيك الأمل القفارا
وما يفري فؤادَ أبٍ حزين كأطفال له نكبوا صغارا

ولعلّ أهول ذكرى وأفجعها وأقساها على قلب الشاعر تلك التي تطالعه فيشهد فيها زوجه في النزع .. ويحيطك الشاعر بجو من الهول والرهبة وجلال الموت وأنت تقرأ له هذه القطعة التي ما أراها إلا أنها قُدّت من صميم كبد الشاعر :

ثم قالت في أنة تتهاوى أزفت ساعة الفراق السحيق
ومضت تنزع الحياة وتلقي في زفير آصارها وشهيق
في سنىً لامح وعَرْف ذكيّ وابتسام عذب ووجه طليق
لو تراها تقول قد مسّها البهـ ... ـر فمالت إلى سبات رقيق
ووقفنا مُروعين نُجيل الطـ ـرف بين التكذيب والتصديق
ثم عدنا للحقّ عانين صرعى من مفيقٍ يهذي وغير مفيق

ترى .. أكان أباظة ينظر إلى قافية الطغرائي الآنفة الذكر حين كتب؟

ويقف أخيراً الشاعر بين يدي ربّه في البيت العتيق يذكر زوجه أحسن الذكر ويسأله سبحانه أن يُثيبها ويُجزل لها ...

وقفت أناجي الله عند المشاعر   وقد خشعت نفسي وجاشت خواطري
وقلت له يا رب أقسم صادقاً   وأنت عليم ربنا بالسرائر
فما برمت يوماً بداء ولا شكت   لغيرك ما قدّرته من مقادر
وما فترت من شكر نعماك عندها   ورب صحيح ناعم غير شاكر
فأجزل لها يا رب نعمة منعم   لديك وطالما بغفران غافر

إلى جوار كل ما تقدم يبدو لنا الشاعر في أناته الحائرة العاشقَ الغزل إلى جنب كونه الراثية المفجوع ، وهو في بعض معاني نسيبه متأثر بإمامة أمير الشعر العربي أحمد شوقي[١] حتى لكأنه ينقل عنه نقلاً وما به ذلك ، إنما هو إعجاب التلميذ بالأستاذ والمريد بالشيخ . . ولا عجب . . فشوقي شاعر الجيل ، وأباظة واحد ممن اقتفى الأثر وترسّم الخطى وما حاد عن النهج ...

وتأثر الشاعر بشوقي أظهر ما يكون في كافية له في ديوانه إخالها من نفائس هذا الديوان ، بل إن شئت فهي من نفائس الشعر العربي المعاصر . . إذ هو صورة بارعة ماتعة لحياة الزوجين السعيدين وفيها تحليل معجب للزوجة الحكيمة تغضي عن الهفوات وتدير الدفة بكياسة اللبق ...

وإذا هَفَتْ نفسي لغير كريمة   جرّدتِ حزمك طيّبة ونهاك
فكففتها في حكمة ولباقة   وبلغت بالمس الرفيق مناك
وإذا النفوس إلى توائمها اهتدت   سعدت وتلك مراتب الأملاك

---

(١) يقول أباظة : وحصرت في عطفيك عود أراك .
ويقول شوقي : وتأودت أعطاف بانك في يدي .
يقول أباظة : ويداي في ذهبي شعرك ضلتا .
ويقول شوقي : ودخلت في ليلين شعرك والدجى .
كما أن النفس والجو الشعريين إنما هما جو شوقي ، فلتراجع .

ورائعة أباظة هذه يجب أن أنقل إليك منها ما يعنيني أن تقرأه وتشاركني الإعجاب به ، والإيمان بأنه شيء نفيس فريد في أدبنا العربي المعاصر . . وإلا مَنْ مِن الشعراء قدامى ومحدثين ، باستثناء المرحوم عبد الرحمن صدقي خاطب زوجه الميتة بمثل هذا ؟

ولقد دخلت عليك في وشي الضحى روضاً تنفّس فيه طيب شذاك
أسعى إلى مثواك مشبوب الهوى وأكاد أومن أنني سأراك
وأفضت حتى جئت رفرف مضجع طهر كأركان البنيّة زاك
وكأنما انجاب الرخام عن الثرى فأهلّ من خلل الرخام ضياك
فشهدت في حَلْيِ العروس وعطرها نفسي التي ودعتُ يوم تواك
تلك الصباحة والطلاوة والصبّا أضفى عليهن الجلالُ كراك
والماء في قسمات وجهك لامح صاف وسحرك ساكب وسناك
ونهلت من عينيك سحراً لم يزل تحت التراب تُشعشهُ عيناك
وجلوت في فوديك بدر دجنّة وهصرت في عطفيك عود أراك
وبداي في ذهبيّ شعرك ضلتا وتنهنه الشوق الجموح يداك !

إن الحيبة تكاد تغالب الميتة في نفس أباظة فتنعكس في شعره نسيباً عالي الطبقة يباري نسيب الفحول من صاغة البيان ، ولك أن تلحظ من بعد كيف أن الشاعر « نضّد اللفظ وجوّد المعنى وروّض القافية ، وهي صفات لا تكتسب إلا بسعة الاطلاع وطول المعاناة وقوة الملكة » كما يقول الأستاذ أحمد حسن (١) الزيات طيب الله ثراه ، وأكرم مثواه .

وإخالك تتفق معي من بعد في أن هذا الديوان فردٌ في شعرنا العربي وهو شيء جليل في وقت معاً .

(١) أنات حائرة : ١٢١

ولنقف أخيراً أمام عبد الرحمن صدقي في ديوانه الرائع من وحي المرأة:

وعبد الرحمن هذا مسك الختام من بحثنا في شعر الوفاء . . .

وهو عندنا أحسن من بكى المرأة وجسّدها تجسيداً يعصمها عن الفناء . . . ! وإن شئت الموازنة بينه وبين أباظة فهو عندنا خيرٌ من صاحبه لأسباب: أهمها أنه أرقّ لغة وعاطفة وأقدر على تحليل الصور الحسّية والمعنويّة وتصويرها تصويراً بارعاً مؤثراً ، كما أنه أمعن في النفاذ إلى كل خلجة من خلجات حسه ووجدانه ، ويكاد ينقل إليك كل خاطرة من خواطر نفسه ، فكأنك منه أمام عدسة روحانية – إن جاز لنا التعبير – أو أشعة كاشفة تجلو لك الدفائن وتظهر لك الخفايا ، إنه أعمق وأدقّ وأرقّ من أباظة ، كما أنه أعلق من أباظة بكثير بتجسيد الحياة الزوجية ولا سيما الجانب الفكري والروحاني منها ، ثم هو بعد كل ذلك أقدر على استدرار الدموع من مآقيك وتقلك بالرغم منك إلى عالمه هو . . .

وإخالك تعلم أن زوج صدقي هذه سيّدة أجنبية عميقة الثقافة ، وهي شريكته في الفكر تعمل وإياه في مكتبه وتحثه على البحث والتتبع ، وربما تقرأ له وتُعينه في بعض ما يكتب ، فهي إذن تمتلك عليه كل جوانب حياته جسداً وفكراً ووجداناً « ومن هنا كانت مصيبته بها عظمى وكان الفراغ الذي أحدثه موتها هائلاً » فكانت من بعدُ ضيعــة الشاعر وكان من ثم موته المعنوي . . !

شريكةَ درسي ، تلك أسفار مكتبي   خرسن وكانت في جوارك تنطق
فما لي إلى الأسفار بعدك نهضة   ولا متعة فيما يشوق ويونــق
وكنت جعلت القفر حولي جنةً   وقام من الفوضى نظــام منسق

ولنتأمل معي بخشوع ضيعة العالم الفكرية في مكتبه وبين كتبه مصورة بريشته الحزينة أوجع تصوير وأصدقه :

وتمتد كفي نحو سفر أريده ... فترجع كالملدوغ مسّته عقرب
فهذا كتابي ، ربّ ، هذا كتابها ... قرأناه نستقصي معاً وننقّب
مجاميع أبحاث متون تفلسف ... بهن حواش وهي ذاك المنقّب

وضيعة الشاعر مبثوثة أثناء الديوان أوجع ما تكون ، ولك أن تقرأ لاميته « بعد أيام » :

جمعت لي الدنيا فأغنيت معدمي ... وأمتعت محرومي وزينت عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوى ... ولا منزل مثل الهوى والمنازل
وما منزلي إلا الذي أنت ملؤه ... وما من هوى إلاك بين القبائل
ويوحشني أني وحيد وأنني ... مع الناس أبغي الأنس في غير طائل!

أرأيت إلى هذا البيان المعجز وهذا التقسيم البارع في البيت الأول الذي تلحظ عليه أثراً من آثار القرآن ؟ : « ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى » .

ثم أرأيت إلى هذا الأسلوب السمح السهل المواتي الذي صدر عن القلب ثم استقر فيه ؟

وإلى جوار القرآن الكريم ، يبدو أثر العذريين في شعر الرجل ، فأنت إذ تقرأ له مثلاً قوله :

فقدتك يا إلفي وكنا كأنما ... عرفتك مذ خلقي ومن قبل تخلق

تذكر قول جميل :

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن قبل ما كنّا نطافاً وفي المهد

أو ربّما هيمنت على الشاعر بعض أجواء المتصوفة فيطالعنا « ابن عربي » خلل بعض قصائد الديوان مطالعة حقيقية ، ولك أن تقرأ « الله أكبر » وأن تقف منها عند هذا البيت :

تجمع فيهـــا كل جنس وملّة تفاريق أديان وأخلاط أوثان

أو ليس هذا رجع ابن عربي ؟ أو ليس هذا رُوحَه ونَفْحَته ؟

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن (١)

ولا عجب فحالٌ مثل حاله كفيلة بأن تحيطه بمثل هذا الجوّ القدسي الذي تختلط فيه العذرية بالتصوف ، وإن هي إلا النار المقدسة تصهر النفوس في بوتقتها لتعود بيضاء من غير سوء :

عكفت على التفكير يومي وليلتي وأشربت قلبي بالخشوع ووجداني
وطهرت نفسي بالبكاء عشيةً وطهرت جسمي بالوضوء وأرداني
كأني على عزم الوقوف على مِنىً وأنّ حمى البيت المحـــرّم ناداني

والخطرات الروحانيّة لا تني تطالعك بين ثنايا الديوان من هنّا وهنا :

شقيقة روحي قد ضحكت غيورة وأوعدت إمّا متّ كنت رقيبي
تؤوبين لي روحاً تقضّ مضاجعي وتزعـــج أحلامي فما لك أوّبي
ليشتد إيمـاني وتقوى عقيـدتي بأن تلتقي(٢) الروحان بعد شعوب !

وزوج الشاعر بعد ذلك صورة مجسّدة للكمال لأنها تمثّل جمع الحسن من أطرافه :

رأيت الغواني وهي لهو ومظهر وأنت مزاج من جميـل وكامل
ورقة إحساس وعفة لفظـة ولحظ وتفكير وحفل فضائل

أما براعته في تصوير دقائق « عالم الأنثى » فليشهد الشعر العربي أنه عالم انفرد به صدقي وحده بين شعرائنا قدامى ومحدثين :

---

(١) ابن عربي : ديوان ترجمان الأشواق ص ٤٣
(٢) الواجب أن ينتصب الفعل بعد أن إلا أن ضرورة الوزن تقتضي التسكين

هنا عالم الأنثى ثياب وزينة | يكظّ بها تختٌ وزدانُ مشجبُ
أرى المعطف الشاتي تريكاً وطالما | أفاض عليه الحسنَ عطف ومنكب
وألمح مرآة الجميلة عندهـــا | تفانين حَـلْي بَهْـرجٌ ومُذهّبُ
وثمّ قوارير تضوّع عرفها | قوارير كانت لي بهـا تتطيب
هنا الطيب والأبراد والحلي كلّه | فأين التي كانت بهـا تتحبّب؟

أما صورة الزوجة الميتة فلا أهول منها صورة ! وهي عين الصورة التي نقلها الكسندر دوماس الابن في روايته الشهيرة سيدة الكاميليا Dame aux Camélias من البطلة مرغريت ، وقد أخرجها البطل أرمان من حفيرة القبر ليراها للمرة الأخيرة ، استمع إلى الصورتين العربية ومن ثم الفرنسية :

خيالك في التابوت أثلج لي دمي | وأحرق أعصابي وهدّ مفاصلي
وغيّض دمعي أنْ رأيتك جثة | وجسمك معروق الذرى والأسافل
ووجهك شمع ذو شحوب وصفرة | كرسمٍ عتيقٍ في التصاوير حائل..!

ولك أن تقف أمام « ذكرى » الشاعر لتروعك هي الأخرى بحرارة عواطفها وبراعة الصور الإنسانية فيها . وإني على ثقة من أنك لن تملك نفسك من الإعجاب بها والبكاء لها ، ويكاد يكون الديوان كله على هذا النحو من الأصالة والواقعية وعمق التأثير . . .

« C'était horrible à voir , C'était horrible à raconter . Les yeux ne faisaient plus que deux trous , Les lèvres avaient disparu et les dents blanches etaient serrées les unes contre les autres . Les longs cheveux noirs et secs ètaient collés sur les tempes et voilaient un peu les cavités vertes des jours et cependant je reconnaissais dans ce visage le visage blanc , rose et joyeux que j'avais vu si souvent » . (1)

(1) **La Dame Aux Camélias Alexandre Dumas Fils, E. Athène, p.59.**

وبوسعي أن أقول لك بكلمة موجزة إن هذا الديوان تاريخ عمر كامل ، وتحليل بارع للزوجة الفضلى التى تشارك زوجها فكراً ووجداناً ، قبل أن تكون متعة جسد يلهو بها ساعة أو بعض ساعة ، إلى جوار أنه تحليل بارع لنفسية الرجل الوفي الذي يحسن معاشرة المرأة ويقدسها جسداً ووجداناً ، ويفي لها ويجزل الوفاء حيّة وميتة . .

والديوان مكتوب بلغة سمحة سهلة مواتية ، وهو صورة عالية للسهل الممتنع القريب البعيد المطمع المعجز ، لولا أنه يقع أحياناً بما يشبه النثرية والمباشرة ، وهي نتيجة طبيعية حتمية للتلقائية . . .

وككلمة ختامية ننهي بها هذا البحث الذي إن هو إلّا جمع نقدي لمراثي النساء في الشعر العربي قديمه وحديثه ، نرجو أن نكون بلغنا به بعض الغاية ، فإن لم نكن فحسبنا أننا سعينا لها مخلصين ، والله ـ عزّ شأنه ـ من وراء القصد .

الدكتورة عاتكة الخزرجي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

في ٣٠ / ١٢ / ٧٤

أهم مراجع البحث

ابن خلكان	وفيات الأعيان	القاهرة ١٩٤٩
أبو تمام	ديوان أبي تمام	القاهرة دار المعارف ١٩٧٢
	ديوان الحماسة (شرح المرزوقي)	القاهرة ١٩٥٣
ابن عبد ربّه	العقد الفريد ط ٢	القاهرة ١٩٥٢
ابن عربي	ديوان ترجمان الأشواق	بيروت دار صادر
أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري	ديوان ديك الجن	بيروت ٩٦٤

امرؤ القيس	ديوان امرىء القيس شرح حسن السندوبي	القاهرة ١٩٥٩
البارودي	ديوان البارودي	القاهرة ١٩٥٤
الثعالبي	يتيمة الدهر	القاهرة ١٩٣٧
جرير	ديوان جرير	بيروت (صادر) ١٩٦٤
جميل سعيد	ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات	مصر ١٩٤٩
الجهشياري	الوزراء والكتاب ط١	مصر ١٩٣٨
الرافعي (مصطفى صادق)	تاريخ آداب العرب	القاهرة ١٩٤٠
زكي مبارك	مدامع العشاق	مصر الجديدة ١٣٥٣هـ
الطغرائي	ديوان الطغرائي ط١ قسطنطينية ، الجوائب	١٣٠٠هـ
عاتكة الخزرجي	ديوان العباس بن الأحنف	القاهرة ١٩٥٣ دار الكتب المصرية
عبد الرحمن صدقي	ديوان من وحي المرأة	القاهرة ١٩٤٥
عزيز أباظة	ديوان أنات حائرة ط٣	القاهرة ١٩٤٣
علي جواد الطاهر	الشعر العربي في العراق وبلاد العجم	بغداد ١٩٦١
علي الشرقي	ديوان علي الشرقي عواطف وعواصف	بغداد ١٩٥٣
القالي (أبو علي)	الأمالي	القاهرة ١٣٤٤هـ
المبرد (أبو العباس)	الكامل	
المتنبي	ديوان المتنبي ط٢	١٩٣٨

نظرة إجمالية في
حركة التأليف باللغة العربية في الهند
وخاصة الإقليم الشمالي منها

الدكتور جميل أحمد

أقدمُ العوامل الرئيسية التي تمهّد بها السبيل للصلة اللسانية بين شبه القارة الهندية الباكستانية والعرب : الملاحةُ العربية في المياه الهندية ، قبل الإسلام بمئات عديدة نتج عنها التفاهم على تبادل البضائع والسلع . ثم خطت اللغة العربية خطوة أخرى نحو الانتشار في جنوب الهند في فجر الإسلام عندما اتخذ التجار العرب جاليات لهم بساحل ملبار (كيرالا) . ولكن الذي عمل نهائياً لانتشار اللغة العربية ورواج علومها في شبه القارة الهندية الباكستانية شيئاً فشيئاً هو الحركة الإسلامية التي قادها محمد بن القاسم . وبعدما توطدت قواعدها في السند كلّها من ديبل إلى تخوم كشمير تقدمت موجتها إلى دهلي ومنها إلى الإقليم الشمالي (يوبي) حتى عمت نواحي الهند ، فحدثت نهضة علمية وظهرت ثمارها التي سنقتطف بعضهـــا لنجعلها موادّ مقالتنا هذه .

بقي الحكم للعرب في السند قرنين ونصف قرن ، فظهرت جاليات العرب وقوي اختلاطهم بالوطنيين على مرّ الزمن . ولذلك الاختلاط سهمٌ كبير رائع في تمكين اللغة العربية وتشييد آدابها الإسلامية في البلاد المفتوحة .

أمّا تمكن اللغة العربية في السند وأدنى البنجاب فيشهد المقدسي أن

« ديبل بحرية قد أحاط بها نحو من مائة قرية أكثرهم كفار كلهم تجار ، وكلامهم سندي وعربي » (١) .

وهكذا يشهد الإصطخري أن لسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية (٢) .

وأما تاريخ الآداب العربية والعلوم اللسانية خلال هذه المدة فهو في ظلام دامس ، حتى لا نكاد نسمع عن حلقات الدرس لنشر علوم القرآن والحديث والفقه التي كان المسلمون يهتمون بها حينذاك في جميع الأراضي المفتوحة ، كما لا نسمع عن الكتب التي كانت تدرس فيها ، أو التي ألفت في تلك الحقبة من الزمن . مع ذلك تتوفر لدينا بعض الأدلة على نشاط العرب في هذا المضمار ومنها ما يلي :

من المعلوم أن المسلمين كلما استتب أمرهم في بلد أسسوا فيها مسجداً يجتمعون فيه في غير أوقات الفرائض ، للتشاور في أمور دينهم ودنياهم . يعقدون فيه حلقات درس القرآن والحديث والفقه والقضاء . وأول مسجد بني في السند كما ثبت في التاريخ هو المسجد الذي بناه محمد بن قاسم بالديبل بعدما فتحت عنوة . ففي البلاذري :

« واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً وأنزلها أربعة آلاف » .

وبجانب هذه الحقيقة نجد قوماً من العلماء وردوا أرض السند ، ونجد قوماً من الرواة نسبوا إلى ديبل ولكل منهم مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي وكذلك نقرأ عن مدينة المنصورة في معجم البلدان :

« مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج » (٣) .

---

(١) أحسن التقاسيم ٤٧٩

(٢) المسالك الممالك ١٠٥ . وانظر أيضاً ابن حوقل (ليدن) ٢٣٢

(٣) البلدان (ط. بيروت) ١٨ / ٢١١

وقد وجدها المقدسي عامرة بأهل العلم عندما زارها فقال :

« العلم وأهله كثير » (١) .

وقد سجّل التاريخ أيضاً أن محمداً لما فتح الرور صلحاً بنى بها مسجداً (٢) وولّى الفقيه موسى بن يعقوب الثقفي القضاء والخطابة بها وأن أولاده توارثوهما ، احدهم الفقيه الخطيب إسماعيل بن علي الثقفي اجتمع به صاحب « جج نامه » سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م .

ووجود هذه المساجد وهؤلاء الرواة والفقهاء يدلّ على أن حلقات الدرس كانت ولا بد تنتظم عند ذلك ، وكان الاهتمام فيها بالحديث والفقه أكثر من غيرهما ، ولكن من المؤسف أن التاريخ لم يحتفظ بأسماء الكتب التي كانت تدرس فيها ، بل أوضح الشواهد على ما نحن بصدده قول المقدسي :

« أكثرهم (أهل السند) أصحاب حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري . . . وله تدريس وتصانيف . . . ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة » (٣) .

وأما المؤلفات في عهد الحكم العربي فربما ألف بعض الرواة كتباً عديدة في الحديث ، و « سارت بمصنفاتهم الركبان إلى الآفاق » كما يقول

(١) أحسن التقاسيم ٤٧٩

(٢) البلاذري ٥٣٨

(٣) أحسن التقاسيم ٤٨١ . أما أبو محمد المنصوري فهو أحمد بن محمد القاضي الداودي المنصوري الذي ذكره ابن النديم وياقوت الحموي والذهبي « بأبي العباس » . فمن الممكن أن يكون له كنيتان أو وقع السهو من المقدسي . انظر الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦ ، و (الاستقامة) ٣٢٠ ، و البلدان (بيروت) ٢٦٧/١١ وميزان الاعتدال ٦٦/١ برقم ٥٣٨ و ٦٢/١ برقم ٥١٧ في ترجمة أحمد بن محمد أبي روق .

صاحب الثقافة (١) ولكننا مع الأسف لا نعرف عنهما شيئاً حتى لا نكاد نعثر على أسمائها غير أسماء مؤلفات أبي العباس أحمد بن محمد المنصوري قاضي المنصورة، وهي كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير (٢).

إن الكتاب العربي الوحيد الذي وصل إلينا في حلة اللغة الفارسية هو «جج نامه» أقدم مصدر ألف في تاريخ فتوح بلاد السند. كتبه آباء الفقيه إسماعيل بن علي الثقفي السندي القاضي بمدينة الرور، ورآه علي بن حامد الكوفي السندي عندما اجتمع به في عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م فنقله إلى اللغة الفارسية. لا نستطيع أن نضبط تاريخ تأليفه ولكن من الأغلب أنه ألف حوالي ٢٢٥ هـ إذ أكثر رواياته عن أبي الحسن علي المدائني. والمدائني توفي إما سنة ٢١٥ هـ أو سنة ٢٢٥ هـ.

---

(١) الثقافة الإسلامية في الهند ١٣٥. «اعلم أن محمد بن القاسم الثقفي فتح بلاد السند . . . . وتمكنت فيها دولة العرب كسائر البلدان ودخلها أتباع التابعين . . . وتتابع الناس بعد ذلك من أهل العلم . . . . وأخذوا الحديث ورووه بالحفظ والإتقان مدة أربعة قرون. وسارت بمصنفاتهم الركبان إلى الآفاق. أشهرهم إسرائيل بن موسى البصري نزيل الهند، ومنصور بن حاتم النحوي، وإبراهيم بن محمد الديبلي، وأحمد بن عبد الله الديبلي، وأحمد بن محمد المنصوري أبو العباس، كان قاضي المنصورة، وله مصنفات على مذهب الإمام داود بن علي الظاهري، وخلف بن محمد الديبلي، وشعيب بن محمد الديبلي، وأبو محمد عبد الله المنصوري، وعلي بن موسى الديبلي، وفتح بن عبد الله السندي، ومحمد بن إبراهيم الديبلي، وخلق آخرون».

وفي السمعاني ٢٣٦ أن شعيب بن محمد الديبلي «قدم مصر وحدث بها، وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه». وفي المصدر نفسه ٥٤٣ أن الخطيب البغدادي كتب عنه. فيظهر من هاتين العبارتين أن بعض الناس جمعوا روايات علماء السند في الدفاتر.

(٢) الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦، و (الاستقامة) ٣٢٠.

لقد فتح العرب السند وجانباً من الهند فلم تتعدّاها اللغة العربية ، ثمّ مدّ الفتحَ الإسلامي إلى أكثر بلاد الهند السلطانُ شهاب الدين محمد الغوري (٥٨٢ — ٦٠٢هـ/ ١١٨٦ — ١٢٠٥م في الهند) ، ومماليكه (٦٠٢ — ٦٨٨هـ/ ١٢٠٦ — ١٢٩٠م) ، وغيرهم من ملوك الأسرة الخلجية (٦٨٨ — ٧٢٠هـ/ ١٢٩٠ — ١٣٣٠م) والأسرة التغلقية (٧٢٠ — ٨١٧هـ/ ١٣٢٠ — ١٤١٤م) . فانتشرت اللغة العربية في بقية أنحاء الهند كلغة دين وعلم وثقافة في ظل الإسلام إذ لم تبق بعد الحكم الحربي كلغة الدولة الرسمية . في عهد الغوري وعهد مماليكه تأسست المدارس لأول مرة برعاية الدولة[١] ووفد إليها طائفة من العلماء الأعاجم البارعين في اللغة والنحو والفقه وأصول الفقه والكلام والتصوف ، فعكفوا في المدارس جادّين على ترقية هذه العلوم كما يظهر ذلك من منهاج الدراسة الذي رتبه صاحب الثقافة (السيد عبد الحي اللكنوي) بعد تصفح الكتب الكثيرة بشق النفس والجهد البليغ ، لم يزل متداولاً من أوائل القرن السابع إلى أوائل القرن التاسع أي من عهد المماليك إلى عهد التغلقيين[٢] .

ولم تزل المدارس تزداد بازدياد المتخرجين والمثقفين فإن مدينة دهلي وحدها كانت حافلة بألف مدرسة في أيام محمد بن تغلق (٧٢٥ — ٧٥٢هـ/ ١٣٢٤ — ١٣٥١م) [٣] .

وفي هذا العصر الذهبي (من القرن ٧ إلى القرن ٩) بدأت تأتي ثمرات علمية ناضجة من المتون والشروح . ناهيك بما يلي من أسماء بعض الكتب في الفنون المختلفة :

---

(١) طبقات ناصري ١٨٨ — ١٨٩ ؛ هندوستان كي درسكاهين ١٦ — ١٧

(٢) انظر الثقافة ١١ — ١٢ ؛ الندوة : فبراير ١٩٠٩ ص ٧ ؛ هندوستان كي درسكاهين ٩٠ - ٩٢

(٣) صبح الأعشى ٥/٦٩

اللغة : كتاب الأضداد . أسماء الأسد . أسماء الذئب . أسماء الفأر . العباب الزاخر واللباب الفاخر في ١٢ مجلداً . مجمع البحرين في ٢٠ مجلداً كلها للرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني اللاهوري (ف ٦٥٠هـ/ ١٢٦٢م)[١].

القرآن : تبصير الرحمن وتيسير المنان لعلي بن أحمد المهائمي (ف ٨٣٥هـ / ١٤٣٢م) وقد طبع مرتين [٢] .

الحديث : مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية (المطبوع مرارا) . مصباح الدجى من صحاح أحاديث المصطفى . الشمس المنيرة . الرسالة في الأحاديث الموضوعة (رامبور برقم ١٢٠) . وشرح صحيح البخاري وغير ذلك للصغاني اللاهوري [٣] .

الفقه : صوان القضاء لمحمد بن إسماعيل الخطيب نزيل دهلي (كان حياً في ٦٤٠هـ/ ١١٤٢م) [٤] . كتاب الحج والمناسك لأبي بكر إسحاق بن تاج الدين أبي الحسن المعروف بابن التاج (توفي بعد ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) [٥] . وخلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام لابن التاج المذكور [٦] . والبحار الزاخرة لحسام الدين الدهلوي (ف سنة ٧٧٠ هـ) [٧] .

---

(١) الثقافة ٣١ . زبيد India's ContriBution to Arabic hit: ٥٢؛٤

(٢) طبع بالمطبعة الجتبائية بدهلي أولا سنة ١٢٨٦/١٨٦٩ ، ثم طبع في بولاق بمصر سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨

(٣) الثقافة ١٤٢ . زبيد ٢٩٢ — ٢٩٣

(٤) آصفية ١٠٥٠/٢ برقم ١٠

(٥) برلين ٤٠٦٤ كما في زبيد ٣١٢

(٦) برلين ١٧٩٨ و ١٧٩٩ نقلا عن زبيد

(٧) آصفية ١٠٧٢/٢ برقم : ١٥٠

وشرح المغني ، وغيره من الكتب العديدة لأبي حفص سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي (ف ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) [١]. والفتاوي التتارخانية لعالم بن العلاء الحنفي الاندربتي (في عهد فيروز شاه تغلق). وشروح متعددة على الهداية ، منها شرح للقاضي حميد الدين مخلص الدهلوي (ف ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) [٢].

وفي عام ٨٠١ هـ/١٣٩٨ م شنّ تيمورلنك (الأعرج) غارة على ثغور الهند ، فلجأ بعض العلماء المدرسين إلى جونبور (بالإقليم الشمالي) عاصمة المملكة الشرقية المستقلة عن دهلي (٧٩٦ — ٨٨١هـ/ ١٣٩٤ — ١٤٧٦م) . وكرسوا حياتهم لنشر الفنون والعلوم فألفوا هم وتلاميذهم كتباً عديدةً فراجت اللغة العربية وآدابها في بلاد الإقليم الشمالي ولم تزل تزدهر بها حتى برزت مكانة الإقليم الشمالي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر / الثامن عشر والتاسع عشر .

وفي أوائل القرن العاشر/السادس عشر ازدادت رغبة علماء الهند إلى العلوم العقلية وذلك بعد ماخربت ملتان ، وغادرها عبد الله بن الهداد التلبني الملتاني (ف ٩٢٢هـ/ ١٥١٦ م) إلى دهلي مصحوباً بأخيه عزيز الله (ف ٩٣٢ هـ) وكلاهما كان راسخ القدم في العلوم العقلية . أما عبد الله فتقرب لدى السلطان سكندر اللودهي (٨٩٤ — ٩٢٣هـ / ١٤٨٨ — ١٥١٧م) وحظي عنده إلى حدّ أن السلطان كان نفسه يزوره ويسلم عليه [٣] . وأما أخوه فسار إلى سنبهل بالإقليم الشمالي وتهافت الناس على كل منها فانتشر المنطق والحكمة والكلام في الهند إلى مدى بعيد ، ولم يكن يدرس فيها من قبل

---

(١) انظر زبيد ٣١٣

(٢) الثقافة ١٠٥

(٣) مآثر الكرام ١٩١ ؛ النزهة ٤/٢٠٣ — ٢٠٥

غير شرح الشمسية في المنطق ، وشرح الصحائف في الكلام [١]. ثم ورد الهند بعض علماء فارس كالخطيب أبي الفضل الكازروني (ف ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) أستاذ الشيخ مبارك الناكوري [٢] . وأبي الفضل الحسيني الاستر آبادي [٣] ، وهما من تلاميذ المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني (ف ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) والعلامة فتح الشيرازي (ف ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م) الذي دخل آكره (بالإقليم الشمالي) سنة ٩٩١ هـ وتقرب إلى سلطان الهند أكبر التيموري وقرر مؤلفات المحقق جلال الدواني والصدرا الشيرازي وغيرهما من علماء فارس في الدروس حتى تلقاها علماء الهند بالقبول [٤] . فراجت الحكمة والمنطق في أكثر أنحاء الهند ، وبقي رواجها فيها إلى تغلب بريطانيا على الهند ولا سيما في بلاد الإقليم الشمالي ، فإن علماءها شغفوا بالحكمة والمنطق إلى حد الإضراب عن العلوم الدينية كما يظهر من منهاج الدراسة المتداولة في المدارس الغربية والمؤلفات العربية .

وفي العصر نفسه شاءت الحكمة الإلهية أن تمنّ على الهند بالحديث ، فورد إليها بعض العلماء بالحديث كأمثال محمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (ف ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) [٥] ، والشيخ رفيع الدين المحدّث الشيرازي

---

(١) في منتخب التواريخ ١/٣٢٣ — ٣٢٤ : « وازجملة علماء كبار درزمان سلطان سكندر شيخ عبد الله طلبني دردهلي وشيخ عزيز الله طلبني درسنبهل بودند وابن هردو عزيز هنكام خرابي ملتان بهندوستان آمده علم معقول رادر آن ديار رواج دادند وقبل ازين بغير از شرح شمسية وشرح صحائف از علم منطق وكلام در هند نبود » انظر أيضاً مآثر الكرام ١٩١ — ١٩٢

(٢) آئين أكبرى ٣/٢٠٣ ؛ النزهة ٤/١٢ — ١٣

(٣) ترجمته وردت في النزهة ٤/١٣

(٤) مآثر الكرام ٢٣٦ — ٢٣٨

(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٧/١٨٤ — ١٨٧

(ف ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) الذي كان أخذ المنطق والحكمة عن المحقق الدواني ، والحديث عن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري (ف ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) ، والذي قدم أكره بالإقليم الشمالي في أيام السلطان سكندر اللودهي ، والشيخ ضياء الدين الحسيني الذي درس صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث خمسة أعوام وأربعة أشهر في كاكوري بالإقليم الشمالي [١] ، ودفن هناك ، والسيد مير مرتضى الشريفي الشيرازي (ف ٩٧٢هـ/ ١٥٧٤م) أحد تلاميذ ابن حجر المكي (ف ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) [٢] ، والمحدث محمد سعيد الخراساني المشهور بمير كلان (ف ٩٨٣ هـ) [٣] أحد أساتذة الشيخ علي القادري الهروي (ف ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) فانتشر الحديث في بلدة أكره [٤] ، وتوفرت رغبة العلماء الهنديين في الحديث ، إلى أن رحل طائفة منهم إلى الحرمين الشريفين حيث أخذوه عن علمائها ثم رجعوا إلى الهند ونشروه إلى حد الإعجاب [٥]، فقد اعترف السيد محمـــد رشيد رضا منشيء مجلة « المنار » بخدماتهم بقوله :

« ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة » [٦] .

---

(١) النزهة ٤/١٦٢

(٢) ترجمة السيد وردت في النزهة ٤/٣٥٠ ؛ إسحاق ٩٩ (وفيه سنة وفاته ٩٧٤/١٥٦٦)

(٣) ترجمته في الأبجد ٩٠٤ ؛ النزهة ٤/ ٣٣١ — ٣٣٢ (وفيه سنة وفاته ٩٨١ هـ) .

(٤) انظر تفصيل تطور الحديث في هذا العصر في اسحاق India's Contribution to Hadith ٨٥ — ١٠٠

(٥) انظر التفصيل في إسحاق ١١٧ — ١٣٣

(٦) مفتاح كنوز السنة (مقدمة الكتاب) ص « ق »

واعترف بها الشيخ محمد زاهد الكوثري (ف ١٣٧١ هـ) بقوله :

« ثم بعد انقراض الدولة المصرية في أوائل القرن العاشر للهجرة توزعت الأقطارُ النشاطَ العلمي وكان حظ إقليم الهند من هذا الميراث — منذ منتصف القرن العاشر — هو النشاط في علوم الحديث ، فأقبل علماء الهند عليها إقبالاً كلياً ، بعد أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرد والعلوم النظرية . ولو استعرضنا ما لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث من ذاك الحين — مدة ركود سائر الأقاليم — لوقع ذلك موقع الإعجاب الكلي والشكر العميق . . . . . »[1] .

ولكن لم يعم الحديث الإقليم الشمالي إلى أن تصدى لهذا الهدف النبيل الشيخ حسن علي الصغير المحدّث اللكهنوي (ف ١٢٥٩هـ / ١٨٣٩م) الذي تتلمذ عليه بعض علماء فرنكى محل ، فتسرب الحديث إلى مدرسة فرنكى محل ؛ والشيخ محمد قاسم النانوتوي (ف ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م) مؤسس دار العلوم بديوبند ، والنواب صديق حسن خان (ف ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) الذي شمّر عن ساق الجد لنشره ، والشيخ عبد الحي الفرنكي محلي (ف ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م) الذي درس وألف فيه .

لنتوجه الآن إلى الإقليم الشمالي الهندي الذي كانت اللغة العربية به مزدهرة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر / الثامن عشر والتاسع عشر ، وكان لآدابها بهجة ونضارة بفضل العلماء المدرسين المؤلفين الذين أوقدوا مشاعل العلم التي تضاءلت في النواحي الأخرى في البلاد الهندية التي سبقت الإقليم الشمالي في مضمار اللغة والعلم والأدب . ومن الطريف أنها دخلت هذا الإقليم الشمالي الثاني عن موطنها وموطن الإسلام في زمن متأخر على أيدي الأعلام الذين لم تكن اللغة العربية لغتهم الأولى . ومع ذلك نالت مكانة مرموقة

(١) مقالات الكوثري ٧٣

فيه ، وفي المعاهد ومناهج الدراسة العليا وفي حقول التصنيف والتأليف، ومن الطريف أيضاً أن مستواها في التأليف لم يزل يتحسّن يوماً فيوماً ، فالآثار التي تركها العلماء الذين عاشوا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الذي أصبح فيه للاستعمار البريطاني النفوذ الكامل في الإقليم الشمالي تمتاز عما سبقها من التآليف بالمعرفة الواسعة في موادّ اللغة وسهولة الأسلوب وإرسال العبارة على الطبيعة . لنلفت أنظارنا مثلاً إلى عالمين كبيرين تركا في الفنون المختلفة آثاراً خالدة باللغة العربية ، أحدهما الشيخ عبد الحي الفرنكي محلي (ف ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) الذي خدم العلم وأضاف إلى المكتبة العربية دراسات وأبحاثاً قيمة ، وثانيهما السيد نواب صديق حسن خان الذي أنتج إنتاجاً ضخماً ، وقدم إلى شتى الأقطار الإسلامية مادة غزيرة في الأدب والشريعة .

ومما يدلّ على تقدم الثقافة العربية في الإقليم الشمالي أن روادها لم يتزعموا الحركة العلمية ، فحسب بل الثورة السياسية أيضاً . وبما أن الجانب السياسي خارج عن موضوعنا فإننا نكتفي بذكر أسماء مولانا محمد قاسم النانوتوي (ف ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م) الذي بنى دار العلوم بديوبند ، والسيد أحمد خان (ف ١٨٩٨ م) مؤسس جامعة علي كره ، ومولانا شبلي النعماني (١٩١٤ م) أحد المهتمين بأمور دار العلوم ندوة العلماء بلكهنو ، وشيخ الهند محمود حسن النانوتوي وغيرهم من رجال السياسة الذين لعبوا دوراً فعالاً في إنهاض العلم والأدب . فهذا دليل واضح على أن اللغة العربية استمرّت نهضتها وتنوّع نشاطها في مختلف حقول الثقافة والدراسة .

لنتكلم هنا بإيجاز عن أصناف المؤلفات التي ظهرت في العصر الذي حددناه لمقالنا هذا أي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر . أما القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ممتداً إلى الثورة الهندية (١٨٥٧ م) فقد عُني فيه علماؤنا بتأليف الكتب في المنطق والحكمة وتعليق الشروح والحواشي على الكتب التي اعتنوا بشأنها بالدرس والإقراء ، فمنها :

١ – مسلّم الثبوت في أصول الفقه للشيخ محب الله البهاري (ف ١١١٩هـ/١٧٠٧م) الملقّب بفاضل خان .

ومن أشهر الشارحين له الملا نظام الدين السهالوي (ف ١١٦١هـ/١٧٤٧-٨م)، والشيخ أحمد عبد الحق الفرنكي محلي (ف ١١٨٧ هـ/ ١٧٧٤م) ، والملا حسن الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م) ، وبحر العلوم عبد العلي (ف ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) ، والملا محمد مبين (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) ، والشيخ أمين الله الفرنكي محلي (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م) ، وولى الله اللكهنوي (ف ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م)، ومحمد بركة الإله آبادي (من رجال ١٨) .

٢ – شرح العقائد العضدية لجلال الدين محمد بن أسعد الدوّاني (ف ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) .

ومن الشروح والحواشي عليه شرح لأمان الله البنارسي (ف ١١٣٣هـ/ ٢١ – ١٧٢٢) وشرح لنظام الدين السهالوي ، وحاشية معروفة بالعروة الوثقى عليه لكمال الدين الفتح بوري (ف ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م) ، وحاشية لأبي الخير الفاروق الجونبورى (ف ١١٩٨هـ/١٧٨٣م) ، وحاشية لمحمد بركة الإله آبادي (من رجال ١٨) ، وحاشية للسيد محمد قائم الإله آبادي (من رجال ١٨) .

٣ – حاشية مير زاهد على الأمور العامة من شرح المواقف في الكلام :

ومن محشيها القاضي مبارك الفاروقي الكوباموي (ف ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م)، والشيخ أحمد عبد الحق الفرنكي محلي (ف ١١٨٧ هـ) ، ومحمد ولي بن غلام مصطفى السهالوي الفرنكي محلي (ف ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م) ، والملا محمد حسن (ف ١١٩٩ هـ) ، والشيخ أحمد علي السنديلي (ف ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م) ، وبحر العلوم عبد العلي اللكهنوي ، والملا محمد مبين اللكهنوي (ف ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) ، والشيخ حيدر علي السنديلي (ف ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) ، وأمين

الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٢م) ، والشيخ ظهور الله اللكهنوي (ف ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م) ، والشيخ ولي الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) ، وارتضاء علي خان الكوباموي (ف ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) ، ومحمد عظيم الكوباموي الملاوي (من رجال ١٨) ، ومحمد قائم الإله آبادي (من رجال ١٨) .

٤ - شرح هداية الحكمة المعروف بالصدرا :

ممن علقوا عليه الشروح والحواشي حمد الله السنديلي (ف ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م) والملا نظام الدين السهالوي ومحمد أعلم السنديلي (ف ١١٩٨هـ / ١٧٨٣ م ،) والملا محمد حسن الفرنكي محلي اللكهنوي ، وبحر العلوم عبد العلي ، والملا محمد مبين ، والسيد دلدار علي الشيعي اللكهنوي (ف ١٢٣٥هـ/ ٢ - ١٨١٩م) ، والشيخ محمد معين اللكهنوي (ف ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) وولي الله اللكهنوي ، ومحمد ارتضا علي خان الكوباموي ، ومحمد أحمد القنوجي ، (من رجال ١٨) ، ومحمد عظيم بن كفاية الله الفاروقي ، وعماد الدين العثماني اللبكني ، (من تلاميذ الملا حسن المتوفى ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م وبحر العلوم عبد العلي المتوفى ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) .

٥ - حاشية مير زاهد على شرح التهذيب لجلال الدين الدواني المعروفة في الهند بـ « مير زاهد ملا جلال » .

من مؤلفي الشروح والحواشي عليها القاضي مبارك ، ومحمد وارث رسول نما البنارسي (ف ١١٦٦هـ / ١٧٥٣م) ، والملا كمال الدين الفتحبوري (ف ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م) ، والشيخ محمد ولي بن القاضي غلام مصطفى اللكهنوي (ف ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م) ، ومحمد أعلم السنديلي (ف١١٩٨هـ/١٧٨٣م) والملا حسن الفرنكي محلي ، وأحمد علي السنديلي (ف ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، وبحر العلوم عبد العلي ، وحيدر علي السنديلي (ف ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) ، والملا محمد مبين ، والعلامة فضل إمام الخير آبادي (ف ١٢٤٣هـ/ ٨ -

١٨٣٧م) وأمين الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٣ ه / ١٨٣٧م) والمفتي ظهور الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٦ه / ١٨٤٠ م) والقاضي محمد ارتضا علي خان ، وولي الله الفرنكي محلي ، وفتح علي القنوجي (ف في أواخر القرن ١٨) ومحمد قائم الإله آبادي ، والشيخ محمد عظيم بن كفاية الله .

٦ — حاشية المير زاهد على الرسالة القطبية المعروف في الهند بـ « مير زاهد رسالة » .

ومن الذين علقوا الشروح والحواشي عليها الشيخ أحمد عبد الحق ومحمد ولي اللكهنوي ، والملا حسن ، وأحمد علي السنديلي ، وبحر العلوم ، والملا مبين ، وحيدر علي السنديلي ، ورستم علي الرامبوري (ف ١٢٤٠ه / ١٨٢٥ - ٦م) ، والعلامة فضل إمام الخير آبادي ، وأمين الله الفرنكي محلي ، والمفتي ظهور الله ، والقاضي محمد ارتضا علي خان ، والشيخ عماد الدين اللبكني ، ومحمد عظيم بن كفاية الله ، والشيخ محمد بركة الإله آبادي.

٧ — شرح ضابطة التهذيب :

من الشروح عليه شرح للعلامة بحر العلوم ، وشرح لعالم علي المراد آبادي (ف ١٢٩٥ه / ١٨٧٨م) ، وشرح للمفتي سلطان حسن البريلوي (ف ١٢٩٨ه / ١٨٨١م) ، وشرح لمحمد قائم الإله آبادي .

٨ — سلم العلوم للشيخ محب الله البهاري (ف ١١١٩ه / ١٧٠٧م) :

من الذين شرحوه العلامة حمد الله الشبعي السنديلي (ف ١١٦٠ه / ١٧٤٧م) ، والقاضي مبارك ، وأحمد عبد الحق الفرنكي محلي ، والشيخ محمد ولي اللكهنوي ، والملا حسن ، وأحمد علي السنديلي ، وبحر العلوم عبد العلي ، والملا محمد مبين ، وحيدر علي السنديلي ، والسيد دلدار علي

الشيعي (له حاشية على شرح السلم لحمد الله) ، والعلامة فضل حق الخير آبادي ، والمفتي شرف الدين الرامبوري (ف ١٢٦٨هـ / ٢ - ١٨٥١م) والقاضي ارتضاء علي خان ، ومحمد قائم الإله آبادي ، ومحمد عظيم بن كفاية الله ، والشيخ أحمد حسين بن محمد رضاء بن قطب الدين الشهيد السهالوي.

وفضلاً عن ذلك فإن للقرن الثامن عشر أربع ميزات على الأقل ينفرد بها الإقليم الشمالي وهي :

أ - تأليف أول كتاب مستقل كدائرة المعارف في المواد الفنية المستعملة في العلوم وهو : كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد أعلى الفاروقي التهانوي . وقد فرغ التهانوي من تأليفه سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م [١]) كفى تقديراً لمكانته أن المثقفين الافرنج والعرب اعتنوا بنشره .

ب - تأليف كتابين لم يسبقهما مثيل في أي إقليم من أقاليم الهند . أحدهما التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية مع تعريفات المسائل الفقهية ، للعلامة أحمد بن أبي سعيد الأميتهوي المعروف بملاجيون (ف ١١٣٠هـ / ١٧١٧م) وآخرهما نجوم الفرقان في استخراج الألفاظ والآيات من القرآن ، لمصطفى بن محمد سعيد الجونبوري ثم الأورنك آبادي (كان حياً في عهد أورنك زيب) .

ج - نبوغ أول شاعر في الهند تيسر له ديوان بالعربية وهو السيد غلام علي آزاد البلكرامي (ف ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م) . فله عشرة دواوين سوى « مظهر البركات » في البحر الفارسي على وزن المثنوي باللسان العربي

(١) ألف كتاب آخر في الموضوع نفسه بعده بأعوام في جنوب الهند وهو دستور العلماء للملا عبد النبي بن القاضي عبد الرسول الأحمد نكرى في سنة ١١٧٣ / ١٧٥٩ . انظر زبيدي ٤٦٥

وسوى « مرآة الجمال » في وصف أعضاء العشيقة من الرأس إلى القدم .

د — أهم ميزة يحق لهذا العصر أن يفتخر بها هي(١) منهاج الدراسة الذي وضعه الشيخ نظام الدين السهالوي الفرنكي محلي (ف ١١٦١هـ/٨ — ١٧٤٧م) فتلقاه علماء العصور التالية بالقبول وقرروه في معاهدهم ومدارسهم في جميع أنحاء شبه القارة الهندية الباكستانية باسم « درس نظامي » بعد شيء من التعديل والإضافة(٢) .

بعد الثورة الهندية اكفهرّ جوّ الإقليم الشمالي من جميع النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية ، بل جرفت الهند بأسرها حينذاك موجات الانحراف الديني والانحلال الثقافي . على الرغم من ذلك ومن تغلب الانجليزية والفنون الحديثة على اللغة العربية والعلوم اللسانية والدينية خطت حركة التأليف بالعربية خطوات واسعة نحو تعميم أصناف العلوم من الحديث والتفسير وما يتعلق بها ، والكلام واللغة والأدب خارجة من إطار تعليق الشروح والحواشي على الكتب في الحكمة والمنطق والفقه . ففي أثناء هذه الفترة القصيرة أي من الثورة الهندية إلى أواخر القرن التاسع عشر التي تستغرق حوالي أربعين سنة ارتفعت آداب اللغة العربية فظهرت مؤلفات مهمة في المواضيع المتعلقة بالتفسير والحديث وفي الكلام واللغة والأدب ، وألفت كتب في التحريض على العمل بالكتاب والسنة الذي كان مهملا قبل الثورة .

---

(١) راجع الثقافة ١٦ المنهاج Sufi : al - Minhaj , Lahore ٧٣ — ٧٥

(٢) انظر الصورة التي كان عليها الدرس النظامي في أيام دراسة سرسيد أحمد خان في المنهاج ١٢٠ — ١٢٤ نقلا عن تهذيب الأخلاق ٢/٤٠٨ — ٤٠٩ ومنهاج الدراسة الرائج في دار العلوم بديوبند والمدارس التي أنشئت على غرارها في المنهاج ١٨٢ — ١٣٢

فيما يلي نشير إلى بعض الكتب التي تمتاز عما تقدمها من المؤلفات بغزارة العلم الديني ووفرة الأدب العربي ، فتداولتها الأيدي في البـــلاد الإسلامية حتى عني بنشر بعضها علماء البلاد العربية . وهذه ميزة حرمت منها مؤلفات قبل الثورة .

المؤلفات في المواضيع الدينية :

١ - « فتح البيان في مقاصد القرآن » للنواب صديق حسن خان (ف ١٣٠٧ هـ/ ١٨٨٩م) . طبع أولاً في المطبعة الكبرى الميرية بالقاهرة في عشرة أجزاء خلال ١٣٠٠ - ١٣٠٢ هـ .

٢ - « نيل المرام من تفسير آيات الأحكام » للنواب المذكور . مطبعة المدني بمصر ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

٣ - « الدين الخالص » حث فيه النواب صديق حسن خان على العمل بالكتاب والسنة . مطبعة المدني بمصر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .

٤ - « حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة » هـــذا الكتاب للنواب المتقدم الذكر وحيد في نوعه في الإقليم الشمالي . الجوائب بالآستانة ١٣٠١ هـ

٥ - « الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد » . الجوائب ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م .

٦ - « الغنة ببشارة أهل الجنة » في التصوف . بولاق ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م

٧ - « الرفع والتكميل في الجرح والتعديل » للشيـــخ محمد عبد الحي الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٣٠٤هـ / ١٧٨٧م) . حققه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة (١) ونشره مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب سنة ١٣٨٣ هـ .

---

(١) يقول عبد الفتاح في « التقدمة » إن الإمام محمد زاهد الكوثري كان يوصي بكتب الإمام اللكهنوي ويحض عليها » . انظر ص ٩ . وذلك مما يدل على مكانة كتبه العالية في آداب اللغة العربية .

٨ - «الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للشيخ الفرنكي محلي لكهنو ١٣٢٤ هـ.

٩ - «النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير» يشتمل على ذكر طبقة مؤلف الجامع الصغير الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ف ١٨٩هـ / ٨٠٥م) وشيخه وطبقات الفقهاء، وطبقات تصانيفهم، وتفاوت مؤلفاتهم وتراجم شراحه، وغيره من الفقهاء. طبع مراراً في بهوبال ولكهنو.

١٠ - «الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة» قد نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب إعلاناً في آخر «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» أنه سيطبع قريباً وقال: «وهو كتاب جامع، نادر في بابه، يتمم موضوع هذا الكتاب، ويسد فراغ علوم الحديث، لم يقم بمثله أحد قبل الإمام اللكهنوي رحمه الله تعالى. وقد حققه وخرج نصوصه، وأتم مقاصده، وعلق عليه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة».

١١ - «الشريعة الغراء» للمفتي مير محمد عباس التستري اللكهنوي (ف ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م). طبع في جزئين ضخمين في مطبعة صبح صادق بعظيم آباد.

١٢ - «منابر الإسلام» للمفتي المذكور، في المواعظ والحث على الأخذ بالإسلام. طبع مرتين في جزئين في لكهنو.

١٣ - «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله العثماني الكيرانوي (ف ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م) في مباحث المسائل الخمس التي تعتبر بمثابة أمهات المسائل المتنازع فيها بين المسيحيين والمسلمين، أي النسخ، والتحريف، والتثليث، وحقيقة القرآن، ونبوة خاتم النبيين محمد ﷺ. هذا الكتاب الجليل من أهم الكتب التي ألفت في هذا الباب في العالم الإسلامي وعديم النظير

وفقيد المثيل في القارة الهندية الباكستانية كلها . لا أدل على ما يحمله هذا الكتاب من المعرفة الواسعة ، والبراهين الساطعة في إبطال المسيحية ، وعلى مكانته في الآداب العربية ، أنه طبع مراراً في الآستانة ومصر ، وأخيراً عنيت بنشره الحكومة المراكشية في سنة ١٣٨٤ هـ .

وقد أشار أولاً العلاّمه أحمد بن زيني دحلان على الشيخ الكرانوي أن يتجه إلى تأليفه ، ثم أمره السلطان عبد العزيز بذلك ، فألفه وعزاه إلى العلامة أحمد دحلان دون السلطان ، خوفاً من أن يخطر بباله الطمع في الدنيا فيحبط عمله الصالح هذا (١) .

اللغة والأدب وما يتعلق بهما :

١ ـ « القول المأنوس في صفات القاموس » المفتي سعد الله المراد آبادي (ف ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م) انتقد فيه المفتي القاموس لمجد الدين الفيروزآبادي . وقد أثنى عليه أحمد فارس في مقدمـــة الجاسوس على القاموس بقوله :

« وهو كتاب صغير الحجم لكنه جم الفوائد ، ولولا أنه وصلني بعد الفراغ من التأليف لأدرجته فيه بتمامه » .

٢ ـ « البلغة في أصول اللغة » يشتمل على بيان اللغة وحدهـــا ووضعها ومبدئها وغير ذلـــك ، لنواب صديق حسن خان : الجوائب (١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م) .

٣ ـ « خير الكلام في تصحيح كلام الملوك ملوك الكلام » في النحو للشيـخ عبد الحيّ الفرنكي محلي : مطبعة علوي خان بلكهنو .

---

(١) « بائبل سي قرآن تك » ص ١ — ٢

٤ - « إزالة الجمد عن إعراب الحمد لله أكمل الحمد » للشيخ عبد الحي الفرنكي محلي : مطبعة علوي خان بلكهنو .

٥ - « العَلَم الخفّاق من علم الاشتقاق » ، للنواب صدّيق حسن خان . الجوائب ١٢٩٦ هـ ، مصر ١٣٤٦ هـ .

٦ - « لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولّد والأغلاط » . بهوبال ١٢٩١ هـ و ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م .

٧ - « التحفة الوزيرية » للشيخ عبد الحق العمري الخير آبادي (ف ١٣١٦هـ/١٨٩٦م) لم يطبع إلى الآن . ولكني رأيت نسخة خطية منه عند محمود البركاتي الطبيب بكراتشي ووجدته على غرار الكافية في مسائل النحو وترتيبها ، ولكنه أسهل منه بياناً وتناولاً .

٨ - « غصن البان المورق بمحسنات البيان » ، في البيان والمعاني والبديع للنواب صديق حسن خان : الجوائب بآستانة .

٩ - « نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان » في الأدب للنواب المذكور : الجوائب ١٢٩٦ هـ .

١٠ - « روائع القرآن من مجاز » في الأدب ، للمفتي مير محمد عباس التستري : طبع مراراً في لكهنو .

١١ - « أجناس الجناس » منظوم المفتي مير محمد عباس التستري. يحتوي على حوالي ألفي بيت وكل بيت منه مرصع بنوع من التجنيس : مطبعة بستان مرتضوي بلكهنو ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م

١٢ - « ظلّ ممدود » في الأدب للمفتي المذكور آنفاً . طبع مرتين في لكهنو .

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى الشاعر الشيخ أوحد الدين البلكرامي الذي لم يكن مغرماً بالمحسنات اللفظية كغيره من الشعراء في البقـــاع الإسلامية ، فشعره يجمع بين الرقة والمتانة . وإلى فيض الحسن السهارنبوري « ف ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م » الذي امتلك ناصية اللغة وتفنن في قول الشعر . وقد طبع ديوانه في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٤ هـ .

فهذه إلمامة موجزة بتطور الثقافة العربية الإسلامية في الهند وامتدادها إلى الإقليم الشمالي الهندي .

الدكتور جميل أحمد

محاضر في اللغة العربية بجامعة كراتشي

آثار حُبَيْش التَّفْليسيّ (*)

الحكيم الطبيب اللغويّ المنسيّ

الدكتور حسين علي محفوظ

هو كمال الدين أبو الفضل حبيش بن إبراهيم بن محمـــد ، الكمالي التفليسي ، الحكيم ، المتطبب ، نزيل قونية ، المتوفى (ظ) سنة ٦٢٩ هـ (بها) .

كان من أعلام العلمـــاء في القرن السادس للهجرة ، ومن المتصلين بالبلاط السلجوقي ، ولا سيا قلج أرسلان من سلاجقة الروم (٥٥١ — ٥٨٨ هـ) فقد صنف له بعض الكتب مثل كتاب كامل التعبير في تفسير الأحلام وقانون الأدب في اللغة وكتاب القوافي .

كان حبيش لغوياً أديباً نحوياً عروضياً فلكياً حكيماً طبيباً صيدلانياً مصنفاً ، ألّف كتباً في الطب والأدوية والصحة والعلاج والأغذية والنجوم والتصريف والتعبير واللغة والحكمة والعروض والملاحم .

وقد ترك زهاء ثلاثين كتاباً في تلك العلوم والفنون والمعارف هي :

١ — اختصار فصول بقراط .

٢ — أصول الملاحم وهو ملحمة دانيال (ظ) .

٣ — أودية الأدوية ، في الأدوية المفردة ، وكيفية أخذها وصيغتها (كذا) .

(*) دراسة قدمت إخلاداً لذكرى العلامة اللغوي المحقق تيسير تيلي « ١٩٠٤ — ١٩٧٣ » من قدماء المهتمين بدراسة اللهجات العربية في آسيا الوسطى وتحقيقها وضبطها، وقد بلغت دراساته وأبحاثه ومقالاته الثمانين .

٤ – بيان التصريف ، بالعربية .

٥ – بيان الصناعات ، في الحيل والصنائع ، بالفارسية . وقد طبع بطهران سنة ١٣٣٦ ش .

٦ – بيان الصناعة في الطب ويشتمل على ١٢ فصلاً من كليــات الأدوية وخواصها .

٧ بيان الطب ، مختصر مفيد في علم الطب ، بالفارسية ، نقله من الكتب العربية .

٨ – بيان النجوم ، بالفارسية ، يحتوي ثلاثة مباحث في الهيئــة والنجوم والاسطرلاب ، في عشرة أبواب و ٢١٠ فصول .

٩ – تحصيل الصحة بالأسباب الستة .

١٠ – ترجمان قوافي ، بالفارسية ، وهو كتاب القوافي . ألفه بأمر عزالدين أبي شجاع قلج أرسلان الثاني ابن مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي سلطان بلاد الروم .

١١ – تقويم الأدوية في جداول المفردات . أهداه إلى نقيب النقباء الوزير الصاحب شرف الدين أبي القاسم علي بن طراد الزينبي .

١٢ – التلخيص في علل القرآن .

١٣ – جوامع البيان در ترجمان قرآن ، بالفارسية ، في غريب القرآن .

١٤ – رسالة فيما يتعلق بالأغذية المطلقة والأدوية .

١٥ – الرسالة المتعارفة بأسماء المترادفة .

١٦ – رموز المنهاج وكنوز العلاج .

١٧ – شرح بعض المسائل من الأسباب والعلامــات منتخبة من القانون في الطب لابن سينا .

١٨ - صحة الأبدان .

١٩ — قانون أدب ، أو قانون الأدب في ضبط كلمات العرب ، بالفارسية ، ألّفه سنة ٥٤٥ هـ . وهو مرتب على الحروف مبوّب على الأوزان وقد صنّفه في أربع سنين .

٢٠ — قانون اللباب ، في الحكمة (؟) .

٢١ — كامل التدبير .

٢٢ — كامل التعبير ، بالفارسية ، في تعبير الرؤيا ، صنفه لقلج أرسلان . وقد طبع مراراً في طهران سنة ١٢٦٥ هـ ، و ١٢٨٤ هـ ، و ١٣٠٢ هـ ، و ١٣٤٦ هـ ، و١٣٥٢ هـ ، و ١٣٥٥ هـ ، و ١٣٣٢ ش . وفي الهند أيضاً في مدينة بمبي سنة ١٣٠٢ هـ .

٢٣ — كتاب القوافي وهو ترجمان القوافي (ظ) .

٢٤ — كفاية الطب ، بالعربية ، ألفه لقطب الدين أبي الحارث ملكشاه بن قلج أرسلان ، سنة ٥٥٠ هـ .

٢٥ — لباب الأسباب .

٢٦ — مجموعة رسائل طبية .

٢٧ — المدخل إلى علم النجوم ، بالفارسية .

٢٨ — ملحمة دانيال ، بالفارسية ، جمعه وصنفه من الكتب والمصادر العربية ، وقد طبع في طهران باسم « ملهمة » سنة ١٣٤٠ هـ .

٣٠ — نظم السلوك .

٣١ — وجوه القرآن ألّفه بالفارسية سنة ٥٥٨ هـ في الوجوه والنظائر والمشترك في القرآن . وقد ذكر فيه معاني ٢٧٨ كلمة من الوجوه مرتبة على الحروف مع الأمثلة من الآيات وتعيين السور .

بيان الصناعات

صنف حبيش كتاب بيان الصناعات بالفارسية وقد نقل مادته من الكتب العربية ورتبه على عشرين باباً هي :

الباب الأول — في صناعة علم الكيمياء ، والتلويح والتركيب ،وعلم الأجساد والأرواح ، وعمل الأدوية كالسفيذاب ، والشنجرف ، والمرداسنج ، والسرنج ، والزنجار ، وملح القلية ، ودهن البيضة ،وطين الحكمة ، وتبييض الأدوية كالكبريت ، والمرقشيشا . والتحليلات كحل الذهب والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والقلعي ، والجواهر ، والطلق ، والزئبق ، وكلس البيضة ، والتنكار ، والبورق ، والشب ، وجلد البيضة ؛ والتكليسات مثل كلس جلد البيضة ، والنورة ؛ والتعقيدات ، عقد الزئبق ، وعقد المياه ؛ والتلويحات ، تلويح القمر ، وتلويح الشمس ، وتقوية الاكسير ، وتنعيم الذهب والفضة . والتركيبات كتركيب الشمس ، وتركيب القمر ، والتركيب السباعي (من الأجساد السبعة) ،وتعتيق الذهب الجديد ، وتفليذ الزماهن ، والكتابة على النحاس ، وتبييض النحاس ، وتبييض اللؤلؤ الأسود .

الباب الثاني — في صناعة الجواهر ، وعمل اللؤلؤ ، والفص الأحمر والأصفر ، واللاجوردي ، والفص شبيه الفيروزج .

الباب الثالث — في تلوين الجواهر ، تلوين الياقوت الأبيض ، وتصفير الياقوت الأبيض ، وتحمير الياقوت الأصفر ، وتخضير الزمرد الأبيض ، وتبيض اللؤلؤ الأسود ، وتصفية اللؤلؤ ، وتبييض العقيق ، وتصفية البجاذي ، وتحمير العقيق الأصفر ، والكتابة والنقش على العقيق .

الباب الثالث — في تلوين البلّور والمينا ، تلوين البلور من كل نوع

تحمير البلور ، صبغ البلور باللون الآسمانجوني ، تخضير البلّور ، تلوين المينا من كل نوع ، عمل كورة هذه الصناعة .

الباب الرابع — في تلوين الزجاج ، تصفير الزجاج ، تصفيره بلون الذهب ، تحمير الزجاج ، تخضير الزجاج ، تبييض الزجاج كالفضة ، صبغه بلون الآسمانجوني ، صبغه بلون اللاجورد ، تلوينه كمثل الياقوت ، والفستقي ، والعنابي .

الباب الخامس — في سقي الجواهر ، سقي الياقوت والعقيق ، والفيروزج ، والزمرد ، واللعل ، والكهرباء ، والبجاذي .

الباب السادس — في سقي الموسى وآلات السلاح ، سقي السيف ، سقي السيف حتى يحمر ، سقي السيف حتى يصفر ، سقي السيف حتى يخضر ، سقي الصمصام ، سقي السكين ، سقي الحربة ، سقي السنان ، سقي المقراض ، سقي الطبر والطبرزين ، سقي الموسى ، وسقي الموسى حتى لاينجر .

الباب السابع في الصناعات المختلفة . عمل الجلد المذهب البغدادي ، والجلد المذهب الخراساني ، وطبخ لون ينفع في دهن الجلد المذهب ، وعمل دهن للممطر ، وعمل القلم البغدادي ، وعمل وصل الزجاج والغضار والقدر من الحجارة ، وعمل تحمير الأديم ، وتبييض الأديم ، وتسويد الأديم ، وإزالة اللون من الأديم .

الباب الثامن — في مزج الألوان المختلفة ، الزنجاري ، والشنجرفي ، واللاجوردي ، والزرنيخي ، والاسفيذابي ، واللاجوردي الأبيض ، والأدمي ، والجلجون ، والأجوجون ، والزنجاري الأبيض ، ولون البنفسج ، وطريق المزج ، والنيلجون ، والتصوير ، والخضارب ، وتلوين القندس .

الباب التاسع - في مزج الحبر ، وحبر النشا والمداد ، والمداد الذهبي ، ومزج الأنفاس الفارسية وتلوين الكاغذ .

الباب العاشر — في الكتابات : إزالتها عن الكاغذ وإظهارها .

الباب الحادي عشر - في خاصية الحيوانات من كل جنس : منافع الطائر المتنوط ، والهدهد ، والطوطي ، وآكل السمك ، والبوم ، والجمل ، والباز ، والديك ، والحمام ، والطاووس ، والعصفور ، والعقعق ، والإنسان ، والظبي ، والأرنب ، والثعلب ، والقط ، والفار ، والقنفذ ، وابن عرس ، والفرانق ، والسنجاب ، والدلق ، والضفدع ، والذباب ، والسرطان ، والسلحفاة ، والنمل ، والحية ، والعقرب ، والكلب ، والذئب ، والدب ، والأسد ، والضبع ، والنمر ، والفهد ، والخزير ، والقرد ، والنعامة ، والفيل ، والخفاش ، والخطاف .

الباب الثاني عشر - في الأشياء التي تدفع بها الحيوانات وغيرها : ما يدفع الحية ، والعقرب ، والفار ، والنمل ، والذباب ، والزنبور ، والخنفسة ، والبعوض ، والسوس ، والبرغوث ، والسباع ، والكلب ، والقط ، والحصان ، والحمار ، والقمل ، والدود ، والطيور ، والكركي ، والسمك ، والجراد ، والضفدع ، والبقر ، والأسد ، والخنزير ، والدب ، والضبع ، والبَرد ، والبرْد .

الباب الثالث عشر - في خواص الجواهر والفواكه وغيرها : اللعل ، والبجاذي ، والفيروزج ، واللؤلؤ ، والزبرجد ، والألماس ، والزمرد ، والمرجان ، والعقيق ، والبلور ، والكهربا ، واليشم ، والذهب ، والفضة ، والارزيز ، والنحاس ، والرصاص ، والحديد ، والزجاج ، والشنجرف ، والاسرنج ، والزعفران ، والزرنيخ ، والزنجار ، واللاجورد ، والنيل ، والاسفيذاب ، والكحل ، والبورق ، والبنازج ، والعظام ، ودهن الآس ، والفرفخ .

الباب الرابع عشر ـ في استعمال المياه من كل جنس .

الباب الخامس عشر ـ في استعمال النار وعلوم النور .

الباب السادس عشر ـ في علوم الشراب ولعبه .

الباب السابع عشر ـ في علوم مختلفة .

الباب الثامن عشر ـ في غسل القصب وإزالة العلامات عن الثياب، غسل القصب ، غسل الديباج ، غسل الخز ، تبييض الثياب الملونة ، إزالة السواد عن الثياب إزالة الحبر عن الثياب ، إزالة السواد عن الثياب ، إزالة الوسخ عن الثياب ، بلا ماء ، إزالة النيل عن الثياب ، إزالة القير عن الثياب ، إزالة الانقاس عن الثياب ، إزالة القطران عن الثياب ، إزالة النفط عن الثياب ، إزالة الغالية عن الثياب ، إزالة الشمع عن الثياب ، إزالة الزعفران عن الثياب ، إزالة المعصفر عن الثياب ، إزالة ماء الاهليلج عن الثياب ، إزالة المني عن الثياب ، إزالة الدم عن الثياب ، إزالة ماء دهن الآس عن الثياب ، إزالة الدهون عن الثياب ، إزالة الدهون عن الكاغذ ، إزالة الدهن عن الأديم ، إزالة ألوان الفواكه عن الثياب ، إزالة الدهون عن الثياب التي ما ينبغي أن تغسل .

الباب التاسع عشر ـ في أسرار الجماع والحمل ، في تكبير القضيب ومنع الحمل ، والحمل ، في عسر الولادة ، في ألقاط الطفل ، في السقط أو المشيمة .

وجوه القرآن

ألّف حبيش التفليسي كتاب وجوه القرآن في اللغة والتفسير . والوجوه في مصطلح اللغة هي اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، أو اللفظ الواحد الدالّ على معنيين فأكثر ، وهو في علوم اللغة « ما اتفق لفظه واختلف معناه » و « ما اتفق لفظه وافترق معناه » و « ما اشتبه لفظه واختلف معناه » ، وكما يسمّى

« الأجناس » و « الوجوه والنظائر » و « المشترك » . والكتاب مرتب على الحروف ، وقد أحصى فيه ٢٧٨ كلمة من الوجوه فصّل معانيها المختلفة ، وأورد الأمثلة من الآيات وعيّن السور التي ذكرت فيها وهي : الآخرة ، الآل ، الآية ، الإثم ، أحد ، الأحزاب ، الأخ ، الأخت ، الأخذ ، الأدنى ، الأذان ، الأذن ، الإذن ، الأرض ، الاستضعاف ، الاستطاعة ، الاستغفار ، الاستواء ، الإسلام ، الاشتراء ، الإصباح ، الاطمئنان ، الإظهار ، الاعتداء ، الأعمى ، ألا ، إلى ، الإلقاء ، الامام ، الأمة ، الأمر ، أم ، الأم ، الإناث ، الإنشاء ، أنى ، أن ، أهل ، أو ، الأول ، الايمان ، البأس ، الباطل ، البرزخ ، البر ، برهان ، بشر ، البصير ، البطش ، البعل ، البغي ، البلاء ، البلد ، البوء ، التأويل ، التسبيح ، التفصيل ، التقطيع ، التقوى ، التلقي ، التوفي ، التولي ، الثقيل ، الثياب ، الجار ، الجبار ، الجدال ، الجعل ، الجنب ، الجنة ، الجهاد ، الحاجة ، الحبل ، الحجر ، الحديد ، الحوب ، الحرث ، الحرج ، الحساب ، الحسبان ، الحي ، حسنا ، الحسنة ، الحسنى ، الحشر ، الحفيظ ، الحق ، الحكيم ، الحياة ، حين ، الخبيث ، الخزي ، الخسران ، الخشوع ، الخطأ ، خلف ، الخلق ، الخوف ، الخيانة ، الخير ، دأب ، الدار ، الدعاء ، الدين ، الذرو ، الذكر ، الرأي ، الرجاء ، الرجز ، الرجس ، الرجم ، الرحمة ، الرقيب ، الرَّوح ، الرُّوح ، الرؤوس ، الرهق ، الريب ، الريح ، الزبر ، الزخرف ، الزكاة ، الزوج ، الساق ، سبحان ، السبب ، السبيل ، السعي ، السكون ، السلام ، السلطان ، السماء ، السمع ، سواء ، السوء ، السوى ، السيئة ، السيد ، الشاهد ، الشجرة ، الشرك ، الشقاق ، الشكر ، الشهيد ، الشيعة ، الشيء ، الصادقون ، الصاعقة ، الصدود ، الصراط ، الصرف ، الصف ، الصلاة ، الصلاح ، الصيحة ، الضحى ، الضراء ، الضرب ، الضر ، الضلال ، الطاغوت ، الطائر ، الطبق ، الطعام ، الطعم ، الطغيان ، الطهور ، الطيب ، الطيبات ،

ظل ، الظلم ، الظلمات ، ظن ، الظهور ، العالمين ، العبادة ، العدة ، العدل ، العدوان ، العرض ، العزة ، العفو ، العلم ، العهد ، العين ، الغاشية ، الغليظ ، الغمرة ، الفاحشة ، الفتح ، الفرار ، الفرح ، الفرض ، الفرقان ، الفريق ، الفساد ، الفسق ، الفضل ، فلولا ، فوق ، في ، قبل ، القدر ، القدم ، القذف ، القرآن ، القصد ، القضاء ، القلب ، قليل ، القنوت ، القوة ، كان ، الكبير ، الكتاب ، الكرة ، الكريم ، الكفر ، الكلام ، الكلمة ، اللباس ، اللسان ، اللغو ، لما ، لمّا ، اللهو ، لئلا ، الماء ، مما ، المتاع ، ، المثل ، المثوى ، المحصنات ، المد ، المدخل ، المرض ، المس ، المستقر والمستودع ، المشي ، المضاجع ، المعروف ، المقام ، المكان ، من ، الموت ، المودة ، المولى ، الميت ، الميزان ، الميل ، النار ، الناس ، النجم ، النسيء ، النشر ، النشور ، النشوز ، النصر ، النفس ، النور ، الهدى ، الهلاك ، هل ، هود ، الهوى ، الوجه ، الوحي ، وراء ، الوزر ، الوكيل ، الولي ، اليد ، اليسير ، اليقين ، اليمين ، اليوم .

وقد اعتمد حبيش كتاب مقاتل بن سليمان(١) ، في العربية بالوجوه ، وعول على تفسير الثعلبي(٢) ، وتفسير السورابادي(٣) ، وتفسير النقاش(٤) ، وتفسير شابور(٥) ، وتفسير واضح(٦) ، وكتاب مشكل القرآن لابن قتيبة(٧) ، وكتاب غريب القرآن للعزيري(٨) ، وزاد على وجوه القرآن لمقاتل كلّ الفائت مما فيها .

قانون أدب

ألف حبيش كتاب قانون الأدب في الألفاظ العربية ومعانيها بالفارسية في ٢٩ كتاباً(٩) ، مبوّبة على الأواخر ، بحسب حروف المعجم . وفي

كل باب ٩ أوزان وفق حركة ماقبل آخر الكلمة ونوعه ورتّب كل وزن على الثلاثيّ والرباعيّ والخماسيّ والسداسيّ ، ثم الكنى وما هو بزيادة الهاء .

وفي ختام الكتاب ثلاثة فصول : فصل أسماء الشعراء ، وأعلام العرب من الرجال والنساء ، وفصل الأوزان القياسية والسماعية والمصادر ، وفصل أوزان الجموع .

وقد صنفه في أربع سنين واعتمد أكثر من خمسين مصدراً من كتب اللغة والأدب هي :

أبنية الأسماء والأفعال(١٠) ، وأبواب الأدب ، وأدب الكاتب لابن قتيبة المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ ، والإرشاد في اللغة ، والاشتقاق(١١) ، والإصلاح ، وإصلاح المنطق لابن السكّيت المتوفّى سنة ٢٤٤ هـ ، وألفاظ(١٢) ابن السكيت ، وألفاظ عبد الرحمن(١٣)(١٤) ، وألفاظ مجموع (كذا) ، والبذلة ، والبلغة ، وبيان اللغة ، وترجمان القرآن للزوزني المتوفّى سنة ٤٨٦ هـ (ظ) ، وتسمية الأشياء ، والجمهرة لابن دريد المتوفّى سنة ٣٢١ هـ ، وحقائق اللغة ، والخلاص للنطنزي المتوفّى سنة ٤٩٧ هـ ، ودستور اللغة للنطنزي أيضاً ، وديوان الأدب للفارابي المتوفّى قرب سنة ٣٥٠ هـ ، والروضة (١٥) ، والسامي في الأسامي للميداني المتوفّى سنة ٥١٨ هـ ، والسلامة ، وشرح الحماسة (١٦) ، وشرح السبع الطوال(١٧) ، وشرح فصيح الكلام(١٨) ، وصحاح اللغة للجوهري المتوفّى سنة ٣٩٣ هـ ، والعين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ ، وغريب(١٩) أبي عبيدة (٢٠) ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، والغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني المتوفّى سنة ٢١٠ هـ ، والغنية لمحمد بن إبراهيم البيهقي (ظ) ، وفقه اللغة للثعالبي المتوفّى سنة ٤٢٨ هـ ،

ولبّ الأدب ، ومبادىء اللغة للخطيب الاسكافي المتوفّى سنة ٤٢١ هـ ، ومتخير الألفاظ لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، ومثلث قطرب (٢١) ، ومجمل اللغة لابن فارس ، ومجموع الآداب للثعالبي (ظ) ، والمداخل لأبي عمر الزاهد المطرز غلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ هـ ، والمدخل في اللغة (٢٢) ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ، ومشكل اللغات ، ومصادر القاضي الزوزني ، ومقامات الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، ومقدمة الأدب للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، والمقصور والممدود (٢٠) ، ونسيم السحر للثعالبي (ظ) ، والنهار ، والواسط .

التعليقات

١ ـ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي ، المتوفّى سنة ١٥٠هـ .

٢ ـ أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، النيسابوري المتوفّى في المحرم سنة ٤٢٧ هـ ، صاحب كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، والعرائس في قصص الأنبياء .

٣ ـ أبو بكر عتيق بن محمد السورابادي الهروي ، من المعاصرين لألب ارسلان (٤٥٥ ـ ٤٦٥ هـ) صاحب التفسير المعروف بتفسير الهروي والسورابادي .

٤ ـ أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، الموصلي ، البغدادي ، النقاش ، المقري ، المتوفى في شوال سنة ٣٥١هـ ، صاحب كتاب الإشارة في غريب القرآن ، وشفاء الصدور في التفسير ، والموضح في القرآن ومعانيه .

٥ ـ شهفور ، أبو المظفر ، طاهر بن محمد الاسفرايني المتوفّى سنة ٤٧١ هـ ، صاحب تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم .

٦ - الواضح في تفسير القرآن تأليف ابن محمد علي بن محمد بن مبارك الدينوري المتوفى سنة ٣٠٨هـ (ظ) .

٧ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى في شهر رجب سنة ٢٧٦ هـ ، صاحب كتاب « مشكل القرآن » و « المعارف » و « أدب الكاتب » و « عيون الأخبار » .

٨ - أبو بكر محمد بن عُزير السجستاني العُزيري المتوفى سنة ٣٣٠هـ أو مادونها ، صاحب كتاب غريب القرآن .

٩ - الكتاب - ههنا - هو القسم والباب .

١٠ - لأبي منصور محمد بن عمر الأصفهاني النحوي من أهل القرن الخامس كتاب اسمه أبنية الأفعال ربما كانه .

١١ - المعروف المتداول من كتب الاشتقاق كتاب ابن دريد المطبوع .

١٢ - هو الكتاب المطبوع المتداول المسمّى (تهذيب الألفاظ) .

١٣ - هو الكتاب المنشور المسمّى الألفاظ الكتابية .

١٤ - هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني الكاتب المتوفّى سنة ٣٢٠ هـ .

١٥ - أشار علي نقي المنزوي أن الروضة هي من مراجع تهذيب الأسماء للنووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، ومهذب الأسماء لمحمود بن عمر بن محمود بن منصور القاضي الرينجني السجزي .

١٦ - الحماسة لأبي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ . وقد شرحها المرزوقي المتوفّى سنة ٤٢١ هـ ، والخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، وآخرون .

١٧ - السبع الطوال هي القصائد المعلّقات السبع من أشعار الجاهليين ، وقد شرحها جمهرة من العلماء والأدباء واللغويين .

١٨ ـ فصيح الكلام تأليف ثعلب المتوفّى في سنة ٢٩١ هـ . وقد شرحه ونظمه وذيّله جماعة من أهل اللغة .

١٩ ـ هو أول كتاب في الغريب .

٢٠ ـ هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري العلامة اللغوي النحوي المتوفى سنة ٢١٠ هـ .

٢١ ـ هو محمد بن المستنير اللغوي النحوي المعروف المتوفى سنة ٢٠٦ هـ .

٢٢ ـ ظنه علي تقي المنزوي المدخل إلى كتاب العين للنضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، ولعله المدخل إلى سيبويه لأبي نصر إسحاق بن أحمد بن شيب الصفار البخاري المتوفى بعد سنة ٤٠٥ هـ .

٢٣ ـ المقصور والممدود لابن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ هـ . ولابن دريد منظومة في معرفة مايمد ويقصر عدتها ٥٧ بيتاً أيضاً .

المصادر

١ ـ الأبنية عن حقائق الأدوية ـ أبو منصور موفق بن علي الهروي / طهران ١٣٤٦ ش .

٢ ـ إنباه الرواة ـ القفطي / مصر ١٩٥٢

٢ ـ بغية الوعاة ـ السيوطي / مصر ١٣٢٦ هـ

٤ ـ برهان قاطع ـ محمد حسين بن خلف التبريزي ، برهان / إيران ١٣٣٦ ش .

٥ ـ بروكلمن .

٦ ـ تاريخ أدبيات در إيران ـ دكتر ذبيح الله صفا / طهران ١٣٣٦ ش .

٧ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي / مصر ١٩٣١

٨ ـ تاريخ نظم ونثر در إيران ودر زبان فارس تاپايان قرن دهم هجري ـ سعيد نفيس / طهران ١٣٤٤ ش

٩ ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ـ ابن البيطار / مصر ١٢٩١هـ

١٠ ـ الجماهر في معرفة الجواهر ـ البيروني / حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ .

١١ ـ ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي / مصر ١٩٤٦

١٢ ـ سبك شناسي ـ محمد تقي بهار ملك الشعراء / طهران

١٣ ـ طبقات المفسرين ـ السيوطي / ليدن ١٨٣٩

١٤ ـ فرهنك إيران زمين / طهران ١٣٣٦ ش

١٥ ـ فرهنكنامه هاي عربي بفارس ـ علي نقي منزوي / طهران ١٣٣٧ ش

١٦ ـ فرهنك نفيس ـ ناظم الأطباء / طهران ١٣٣٤ ش

١٧ ـ الفهرست ـ ابن النديم / مصر ١٣٤٨ ش

١٨ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي / مصر ١٣٣٢ هـ .

١٩ ـ كشف الظنون حاجي خليفة / استانبول ١٩٤٣

٢٠ ـ مؤلفين كتب چاپي فارس وعربي ـ خان بابا أمشار / طهران ١٢٤٠ ش .

٢١ ـ مختار الصحاح ـ الرازي / مصر ١٣٤٥ هـ.

٢٢ ـ المزهر ـ السيوطي / مصر ١٢٨٣ هـ

٢٣ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي / مصر ١٩٣٨

٢٤ - معجم المطبوعات العربية والمعربة - يوسف الياس سركيس / مصر ١٣٤٦ هـ

٢٥ - المعرب - الجواليقي / مصر ١٣٦١ هـ

٢٦ - مقدمة الأدب - الزمخشري / طهران ١٩٦١ هـ

٢٧ - هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا البغدادي / استانبول ١٩٥١

٢٨ - الوافي بالوفيات - الصفدي / طهران ١٩٦١

٢٩ - وجوه قرآن - حبيش التفليسي / طهران ١٣٤٠ ش

٣٠ - وفيات الأعيان - ابن خلكان / مصر ١٩٤٨

بغداد - العراق

الدكتور حسين علي محفوظ
عضو المجامع العلمية - رئيس قسم
الدرات الشرقية في كلية الآداب

التعريف والنقد

مختار من كتاب اللهو والملاهي

لابن خرداذبة

المطبعة الكاثوليكية – بيروت، نشره عن نسخة «يتيمة»

الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي

مدير مجلة « المشرق »

الدكتور إبراهيم السامرائي

هو كتيّب صغير يقع في ٦٦ صفحة تشتمل على مقدمة، من الصفحة ٧ إلى الصفحة ١١، ثم يبدأ نصّ الكتيّب من الصفحة ١٢ إلى الصفحة ٥٥، ثم تبدأ الفهارس من الصفحة ٥٦ إلى آخر الكتاب .

قرأت الكتاب فبدا لي أن محققه الأب مدير مجلة المشرق لم يُعْنَ العناية الواجبة ولم يرع النسخة «اليتيمة» رعاية هي مفتقرة إليها أشد الافتقار. ومن أجل ذلك كان عمل الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي بعيداً عن أن يقدم فائدة كبيرة .

إن نشر المخطوط وتحقيقه أمر جدّ صعب إذا كان وحيداً كنسخة الأب « اليتيمة » ، ذلك أن المحقق ممتحن مرزوء بما يعرض لهذه النسخة الوحيدة من آفات . ومن أجل ذلك يكون جهده كبيراً في التنقيب عن موادّ هذا الأصل الوحيد في جملةٍ من المصادر والمراجع ليرمّ بناءه ويصلح من شأنه ، ليجيء شيئاً مفيداً .

أقول: لم يفعل المحقق شيئاً كبيراً من ذلك . وقد خفي عليه وجه

الصواب ، في كثير من موادّ الكتاب ، وكان في طوقه أن يصلح النقص ويرأب الصدع . وكأني بالمحقق قد واجه هذا العمل وليس له من مادة الكتاب كبير علم . ومن البديهي أن يكون المحقق خبيراً بأي كتاب يتصدى إلى تحقيقه ، ومعنى هذا أن كتاباً في اللغة لابد أن ينهض به لغوي ضليع ، وكتاب في التاريخ محتاج إلى مؤرخ غزير العلم مكتمل الأدوات يخرج منه بزاد شهيّ ، وقل مثل ذلك في سائر كتبنا القديمة . وإلى القارىء الكريم ما وجدته في هذا الكتاب .

أقول : إن المقدمة لم تكن مستوفية لما يجب أن تشتمل عليه فلم يتحدث المحقق عن المؤلف حديثاً وافياً شافياً ، فقد كان ذلك نبذة قصيرة معوزة . ثم إن الكلام على الكتاب ومادته مقتضب غاية الاقتضاب ، وكان ضرورياً أن يكون هذا الجزء من المقدمة وافياً ، ذلك أن مادة اللهو والملاهي ، وهي مادة موسيقى ، من موضوعات أهل الجد والعلم والفلسفة ، فهي مستحقة أن تبحث بحثاً عميقاً جادّاً لا أن تكون المقدمة عن المؤلف والكتاب صفحتين ونصفاً من كتيّب من القطع المتوسط .

ثم ما معنى أن يعقب المحقق هذه النبذة الموجزة بسرد لمحتوى الكتاب وكأنه أعاد شيئاً من الفهارس التي أثبتها في آخر الكتيب !

قلت : إن الكتاب هو « مختار من كتاب اللهو والملاهي » فإذا كان هذا القدر من هذه المادة الغنائية الموسيقية « مختاراً » فهلاّ كان من واجب المحقق أن يتكلم على أصل الكتاب الذي اجتزىء منه هذا المختار ؟ وماذا قيل في أصل الكتاب في مطولات كتب التراث القديم ؟ . كل هذا قد أغفله المحقق وترك القارىء غير عارف ببعض المواد التي كان يحسن أن يعرفها .

● والآن أبدأ نصّ الكتاب فأقرأ في الصفحة ١٢

مختار من كتاب اللهو والملاهي

تصنيف ابن خرزادبه (كذا)

وكأن الأب المحقق أراد أن يكون دقيقاً فأثبت في الحاشية (١) :

يقرأ على الجبهة الشمالية من صفحة العنوان : من فضل الله الغني سنة ٩٤٣ من كتب الفقير إليه تعالى إبراهيم عيسى الشامي . غفر الله له سنة ١٠٨٥

أقول : ليس مكان هذه النبذة أن تثبت في الحاشية من الصفحة الأولى من النص ، وذلك لأن حقها أن تثبت عند الكلام على المخطوط في المقدمة ، ولكن المحقق لم يفعل ذلك فترك مقدمته فقيرة معوزة ولم يصف « يتيمته » وصفاً وافياً مفيداً .

ثم ما معنى التحقيق ؟ أليس هو إثبات حقيقة النص كما وضعه مصنفه ؟ فإذا كان الأمر على هذا فلم أثبت المحقق الخطأ المصحّف في النص كما حدث في « خرزادبه » ، وأشار إلى الصحيح « خرداذبة » في الحاشية ؟ والصحيح أن يثبت العكس فيعطي القارىء الكلمة الصحيحة ويشير في هامشه إلى الوجه المصحّف .

● وبعد البسملة والصلاة على النبي وآله أجمعين زاد المحقق بين معقوفتين [مقدمة المؤلف] .

أقول : ليس من حاجة إلى إثبات هذه الزيادة ، ذلك أن المادة التي وليت البسملة والصلاة هي مادة الكتاب وليست فاتحة له أو « مقدمة » كما توهم المحقق . إن هذه المادة تبدأ على النحو الآتي : « روي عن محمد بن حاطب أن رسول الله ﷺ قال : فصل ما بين الحلال والحرام الصوت وضرب

الدف . وعن عائشة قالت . . . . » . وهذا النص ليس مقدمة أو فاتحة بل هو مادة الكتاب .

● وقد تابع المحقق الناسخ الجاهل في رسمه للحروف وطريقة الكتابة ومن ذلك ما ورد في الصفحة ١٢ : « فقال النبي ﷺ : يا با بكر (كذا) » . وحذف همزة « أبا » دونما سبب أو وجه مقبول في الخط وطريقة الرسم. وجاء في الصفحة نفسها : « وعن الشعبي قال : مرَّ رسول الله ﷺ بأصحاب الدنكلة وهم يلعبون فقال : خذوا يا بني أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة » .

أقول : إن من واجب المحقق أن يعرف النص المراد تحقيقه ليثبت الصحيح ، لا أن يثبت الخطأ الذي يحجب المعنى . وقد أثبت المحقق النص المصحف ولم يسأل نفسه ما معنى « الدنكلة » ؟ وإذا كانت غير معروفة فهلاّ كان عليه أن يشير إلى صعوبتها وأنها من الكلام الذي استغلق عليه . ؟ ثم ألم يسأل نفسه من هم أصحاب « الدنكلة » ؟ ثم ما معنى « خذوا يا بني أرفدة » ؟ . فلم يعرف وجه الأمر وما هو « المأخوذ » .

أقول : الصواب : « أصحاب الدِّرَكْلَة » . جاء في « اللسان » مادة « دركل » : الدِّرَكْلَة لعبة يلعب بها الصبيان ، وقيل : هي لعبة للعجم معرب ، قال ابن دريد : أحسبها حبشية معربة ، وقال أبو عمرو : هو ضرب من الرقص . الأزهري : قرأت بخط شمر قال : قُرِىء على أبي عبيد وأنا شاهد في حديث النبي ﷺ أنه مرّ على أصحاب الدِّرَكْلَة فقال جِدّوا (لا خذوا) يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فُسْحة .

لقد صحف المحقق « جِدّوا » فأثبت « خذوا » ولم يفطن إلى أن المعنى انبهم .

وقد أثبت ابن الأثير في « النهـــاية » الحديث فقال في « الدِّرَكْلة » : هـــذا الحرف يروى بكسر الدال وفتـح الراء وسكون الكاف بوزن الزِّبِجْلة ، ويروى بكسر الدال وسكون الراء وكسر الكاف وفتحها ، ويُروى بالقاف عوض الكاف « الدِّرَقْلة » .

وقد أشار الخفاجي في « شفاء الغليل » إلى « الدِّرَكْلة » فقال : لعبة للحبشة معربة عن لغتهم .

● ثم إن في الحديث : « أصحاب الدركلة وهم يلعبون » .

أقول : كان من المفيد أن يشير المحقق إلى « يلعبون » ليدل على أن معناها « يرقصون » وهو معنى جدير بالإثبات ، ذلك أن هذا المعنى مما يصح أن يستدرك به على معجمات اللغة . ومما يقوي هـذا ما جاء في الصفحة نفسها : « وعن عكرمة قال : خَتَنَ عبدُ الله بن عباس بنيه فأمرني فاستأجرت له لعَّابين بأربعة دراهم » . إن « اللعابين » من غير شك الرقاصون ومن صنعتهم الرقص فهم يُستأجَرون على عملهم .

● وجاء في الصفحة نفسها . فأخذوا « يلعبون » ويقولون : « أبو القسم الطيب أبو القاسم الطيب » .

أقول : ما الحكمة أن المحقق أثبت طريقتين في رسم القاسم الأولى كخط المصحف بحذف الألف ، والثانية على الوجه المشهور ؟

لعله ظن أن « أبا القسم » الأولى غير « أبي القاسم » الثانية . ثم إذا كان الناسخ للمخطوط قد سلك هذا المسلك فهل يجوز ذلك للمحقق ؟ والقاعدة المشهورة تقول : « خطان لا يقـاس عليها : خط العروضيين وخط المصحف » .

● وجاء في الصفحة ١٣ : . . . . أنه سمع مالك بن أنس في عرس ابن حنظلة يغني :

سليمى أجمعت بينا فأين تقوله أينـــا

أقول : والخبر في الأغاني (دار الكتب ٢/٢٣٨) وقد رجع المحقق إلى « الأغاني » فوجد الوجه الصحيح ، ولكنه لم يعبأ به وترك النص على حاله وأشار إلى رواية « الأغاني » في حواشيه . نعم ، لا بد من الإشارة إلى « الأغاني » ولكن إذا ثبت أن النص مُصَحَّف أو عرض له من التشويه والخطأ ما عرض ، فينبغي إصلاحه بما هو مثبت في كتب الأدب ثم يشار إلى الوجه الذي جاء في المخطوط الرديء .

إن رواية « الأغاني » للبيت على النحو الآتي :

سُلَيمى أزمعت بينا فأين تقولها أينا

و « الإزماع » في البيت هو المناسب المراد لا « الإجماع » . و « تقول » بمعنى « تظن » . والبيت لعروة بن إذينة .

● وجاء في الصفحة نفسها :

« وعن عطاء قال : لا بأس بالغناء والحداء للمُحرم . وذكر الغنا فشدد فيه عمرو بن عبيد ... » .

أقول : ما الغرض أن يكون « الغناء » مرةً ممدوداً وأخرى مقصوراً « الغنا » ، والمعروف فيه المدّ لا القصر إلا في الشعر ، وذلك لأن المقصود هو « الغنى » المرسوم بالياء للدلالة على الثراء .

وأود أن أشير هنا أن عدم رسم الهمزة للممدود كثير في الكتاب ، وذلك لأن المحقق لم يهتم إلا بما رآه في نسخة المخطوط . ومن المعلوم أن النساخ كانوا لا يلتزمون بكثير من قواعد الرسم ، وقد أكثروا من إهمال رسم الهمزة للممدود ، فقصروا كثيراً كما سأشير إلى ذلك .

● وجاء في الصفحة نفسها :

« ... إن الله يقول : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

وقد أثبت المحقق في حاشيته اسم السورة فقال : سورة ق عدد ١٨

أقول : إن قوله : « عدد ١٨ » إشارة لرقم الآية غير معروف الدارسين ، وكان الأولى أن يقول : « الآية ١٨ » والآية والسورة من مصطلحات القرآن لدى المسلمين .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فأخبرني من يكتبه لصاحب اليمين أم صاحب الشمال » .

أقول : إن الصواب : « فأخبرني مَن يكتبه ، أصاحب اليمين أم صاحب الشمال ؟ » . إن وجود « أم » للمعادلة تقتضي الاستفهام قبلها ، لا اللام الجارة كما أثبت المحقق .

● وجاء في الصفحة نفسها : « ومعرفة الأغاني أحد الفلسفة الأربعة ، وهي : حدود المنطق ومعرفة الطب وعلم النجوم والموسيقى وهو الألحان » .

أقول : والصواب : « ومعرفة الأغاني أحد حدود الفلسفة الأربعة ، وهي : حدود .. » . لقد سقطت كلمة « حدود » من الناسخ أو المحقق فبان الخلل في العبارة .

● وجاء في الصفحة نفسها : وقال الاسكندر : « من فهم اللحون استغنا عن سائر اللذات » .

أقول : الوجه أن تكتب الألف المقصورة في « استغنى » برسم الياء لا الألف القائمة .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وقالت الفلاسفة : إن النغم والأغاني فضيلة شريفة كانت خفيت على المنطق ، ليست في قدرته فلم يقو على إخراجها » .

أقول : إن الشق الثاني من عبارة الكتاب مستغلقة ، ولم يشر المحقق إلى ذلك .

وأقول : والصواب الذي يتجلى به المعنى هو : « إن النغم والأغاني فضيلة شريفة كانت خفيت على المنطق لأنها ليست في قدرته فلم يقو على إخراجها »[1] .

(١) هل انجلى الغموض بهذا التعديل « لجنة المجلة » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فألوم الأمور للنفس سماع النغم الحسان المازج لأوتار العيدان » .

أقول : والصواب : « فألأم الأمور للنفس سماع النغم الحسن المازج لأوتار العيدان » ، وإلاّ كيف يكون النغم حساناً بصيغة الجمع ثم يوصف بـ « المازج » بصيغة المفرد ؟

● وجاء في الصفحة ١٤ : « [فضل الغناء] : فضل الغنا (كذا) على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرز على السقم » .

أقول : من غير شك أن « البرز » هو البرء ، و « علي » هو على ، وأظن أن هذا من خطأ الطبع ، ولكن المحقق لم يشر إلى أخطاء الطبع في آخر كتابه اعتماداً على معرفة القارىء .

● وجاء في الصفحة نفسها : « قال الحمدوي :

وناطق بلسان لا ضمير له كأنه فخذ نيطت إلى قدم

أقول : والذي في « مروج الذهب ٨/٨٨ - ٨٩ طبعة باريس » ، وكذلك في طبعة مصر ٤/١٥٧ : قال الحمدوني . ولم يكلف المحقق نفسه فيشير إلى الخلاف ، ولِمَ اختار « الحمدوي » وعدل عن « الحمدوني » ؟

● وجاء في الصفحة نفسها : وعمل توبل بن لمك الطبول والدفقة (كذا) وعملت صلا ابنة لمك المعازف ... ثم اتخذ الرعا (كذا) والأكراد أنواعاً يصفر به ... » . ثم رجع المحقق في حواشيه إلى « مروج الذهب » وحسناً فعل ، فقد نقل المسعودي عن ابن خرداذبة شيئاً كثيراً ، وأظنه قد نقل من كتابه الكبير لا المختار الذي بين أيدينا . وفيما أثبته المحقق من « المروج » في حواشيه يبدو ما تصحف فأثبته في « يتيمته » . ومن ذلك : الدفقة جمع دُف ، والذي في « المروج » : الدفوف وهو الصحيح المعروف ،

ولم يسمع الدفقة جمعاً لدف ، وليس في جموع التكسير قياس ، كأن يقال هي مثل دُبّ ودبة ، ولم يُنص على الدفقة إذن جمعاً لدف .

ثم قوله : « الرعا » ، والذي في « المروج » : الرعاة جمع راع ، ويصح أن يكون « الرعاء » أيضاً جمع راع كما في الآية : « حتى يصدر الرعاء » ، ولكن المحقق أهمل رسم الهمزة خطأً فانبهم المعنى .

ثم قوله : « واتخذ « الرعا » (كذا) أنواعاً يصفّر به » . والذي في « المروج » : .. نوعاً يصفر به . وهو الصحيح ويدل عليه الضمير المذكر في « به » فهو « نوع » لا « أنواع » .

● وجاء في الصفحة ١٥ : « ثم سوّت الفلاسفة العود » .

لم أجد هذه العبارة في « المروج » ، وأغلب الظن أن « سوّت » مصحفة عن شيء آخر لعله « صنعت » أو كلمة أخرى ، ولم يعلق على ذلك المحقق .

● وجاء في الصفحة نفسها : « جُعلت الأوتار الأربعة بإزاء الطبائع الأربعة » .

أقول : الصواب : بإزاء الطبائع الأربع . وهو أمر واجب معروف . أما في « المروج » فلم ترد « الأربع » وإنما كانت : « بإزاء الطبائع » ليس غير .

● وجاء في الصفحة نفسها : « .. والبمّ للسبابة ووزنه ثلثه (كذا) أضعاف وزن الزير » .

والصواب : ثلاثة . لقد نقل المحقق رسم الناسخ القديم فكتب « ثلاثة » بلا ألف على طريقة المصحف ، ثم أهمل إعجام التاء فأصبحت « ثلثه » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « واتخذت الفُرس النايَ للعود والزنامي للطنبور والسرناي للطبل والمستج للصنج » .

أقول : والذي في « المروج » : « واتخذت الفرس الناي للعود ... والسرياني للطبل والسنج للصنج » . ولا أستطيع أن أجزم فأقول : السرياني

هو الصحيح والسرناي مصحف عنه ، لأني لا أعلم ذلك ، ولكني أستطيع أن آخذ رواية « المروج » في « السنج » الذي عربه العرب بلفظة « الصنج » لا « المستج » كما أثبت المحقق .

● وجاء في الصفحة ١٦ : « وقال كسرى : العود أجلُّ الملاهي ، ووددت أني افتديت إصلاحه بماية ألف درهم » .

أقول : من المفيد أن يشار إلى أن المراد بـ« الملاهي » آلات الطرب وهذا شيء مهم . ثم إن المحقق أثبت بـ« ماية » بالياء ويريد بها « مئة » التي تكتب « مائة » ، ولما كان الناسخ لا يرسم الهمزة في خطه كما فعل في « غنا » ويريد بها « غناء » أثبت المحقق الياء في « مائة » فكانت « ماية » كما هي الحال في الاستعمال العامي الدارج . قلت : إن المحقق قد أهمل رسم الهمزة كثيراً ولا أرى فيَّ حاجة إلى التنبيه على ذلك باستيفاء تلك المواضع :

مثل هذا « فايقاً » ص ١٦ والصواب فائقاً ، « وإنهايه » في الصفحة نفسها وصوابها : وإنهائه ، والتهنية وصوابها : والتهنئة ، ومثل هذا كثير .

ومثل الخطأ في الهمزة ما عرض من رسم الألف المقصورة التي ترسم ياءً نحو : « عتسا » وصوابها عسّى ، و « غطّا » وصوابها « غطّى » ، وكلاهما في الصفحة ١٦ ، ومثل هذا كثير في سائر الكتاب .

● وجاء في الصفحة نفسها : « قال : أراه هبَّ من نومه فرأى ثوبي عليه فعرفه فأجله فنزعه ونزع قباه [أي قباءه] فبسطه ... » .

أقول : لا معنى لـ« أجله » ولعلها : أزاله أو فأجلاه .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وأقطعه برازالروز وقطائعاً بالريّ » . والصواب : وقطائعَ من غير تنوين .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فغنّى النّصب وتمنّ نساء العرب على موتاهن » . والصواب : وتحنّن نساء العرب على موتاهن » .

● وجاء في الصفحة ١٩ : « ثم غنى جذيمة الخزاعي ابن سعد ابن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ... وكان من أحسن الناس صوتاً ، فسمي المصطلق وهو الحسن الخلق في كلام العرب غناء النصب » .

أقول : ولعل الجملة تكون أفضل لو غيرنا في ترتيبها على النحو الآتي : « ثم غنّى جذيمة الخزاعي . . وكان من أحسن الناس صوتاً غناء النصب فسمي المصطلق ، وهو الحسن الخلق في كلام العرب » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « والغناء من أكبر اللذات ... ويزيد في العقل ، ويفتح في الرأي ، وله مع النبيذ تعاون على الحزن الماد للبدن » .

أقول : والصواب : « الهادم للبدن » ولا معنى « للمادّ » وهي كذلك عند المسعودي في « المروج » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « قال عبد الله بن جعفر : إن للطرب لأريحيّة لو لقيت عندها لأبليت ولو سألت لأعطيت » .

أقول : والصواب : ولو سُئلت (بالبناء للمجهول) .

● وجاء في الصفحة ٢٠ : « فلله درّ حكيم استنبطه [الكلام على الغناء] وفيلسوف استخرجه ، أيّ غامض ومكنون كشف ، وعلى أي دفين ومكتوم دلّ ، وإلى أيّ علم وفضيلة سبق ، فذاك نشيج وحده وقريع دهره » .

الكلام على « نشيج وحده » التي أشار إليها المحقق في الحاشية فقال : كذا في الأصل ، وعند المسعودي : ونسيج وحده .

قلت : وواضح أن هذا هو الصحيح ، ولا معنى للنشيج هنا .

● وجاء في الصفحة نفسها « ترى الشجعاء وأبناء الحروب قد احتالوا »

أقول : لا بدّ أن يكون الشجعانَ ، جمع شُجاع ، وما أظن أن المصنف أراد الشجعاء ، مثل رحماء ، جمع شجيع وهو صحيح أيضاً [1] .

---

(١) مادام صحيحاً، فلا ضرورة للتأكيد بلفظه «لا بدّ» في صدر الكلام. «لجنة المجلة»

● وجاء في الصفحة نفسها : « النبي عليه السلم (كذا) » .

ولا أدري لِمَ التزم المحقق هذه الطريقة القديمة مرات وتركها مرات أخرى . فهو يثبت أحياناً « عليه السلام » ، ثم يعود فيثبت « عليه السلم » ، كما أثبت في الصفحة نفسها « ثلثين » وأراد ثلاثين .

● وجاء في الصفحة نفسها : « ورووا أنه كان يزمر بزمارة » ، والكلام على النبي داود عليه السلام .

أقول : والصواب : بزماره بالهاء لا بالتاء .

● وجاء في الصفحة ٢١ :

اليـــوم يوم بكورِ على تمام السرورِ
ويوم عزف قيـــان مثل التماثيـل حور
ولا تـكاد جيـــاد تروا بغير صفـير

وأثبت المحقق هنا لأول مرة أنها من « المجتث » على حين لم يكن يذكر عروض الشعر في الأبيات التي سبقت هذه المقطوعة . ثم ما معنى « تروا بغير صفير » ؟ والصواب . « تنزو بغير صفير » من النزوان .

● ثم ذكر في الصفحة نفسها بيتين لأبي نواس :

وجـــدت ألذّ عارية الليالي قران النغم بالوتر الصحـيـح
ومسمعه (!) إذا ماشئت غنت متى كان الخيام بذي طلوح

أقول : كان الأولى أن يحصر عجز البيت الثاني بقوسين لأنه مأخوذ من قول جرير ، فقد ضمن أبو نواس بيته بقول جرير ، ومطلعه : « بسمعة » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فإنه خاصة يدنوا (كذا) من الضرب والزمر » .

أقول : ومثل هذا التجاوز في طريقة الرسم (الإملاء) كثير ، فإنه يضع الألف مع الفعل المضارع كما لو كان مسنداً لواو الجماعة .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وتُغنّيه المغنيّون » . فكان المفرد لدى المحقق « مغنيٌّ » ، ولذلك جمعها « مغنيّون » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « حتى ولي الوليد بن يزيد فرغب الناس في الغناء فرغب فيه الناس (فيه) فعلموه الحسان وأعرقوا فيه » .

أقول : إن من غير شك أن (فيه) المحصورة بين قوسين مكررة لا حاجة بها . ثم إن المعنى يقتضي أن يكون النص : فتعلموا اللحن ، لا « الحسان » ، وأغرقوا فيه لا « أعرقوا » ، فالتعلم والإغراق هما المرادان ليستقيم الكلام ، لأنه لا وجه أن يعلموا الوليد بن يزيد ، كما لا يوجد وجه للإعراق .

٥ وجاء في الصفحة ٢٥ في الكلام على سياط المغني : « وكان رواية يونس وهو علّم إبرهيم الموصلي » .

أقول : والصواب : وكان راوية يونس ، لا (رواية) ، وهو معلم إبراهيم الموصلي لا (علم) إبرهيم (كذا) . جاء في الأغاني (طبع الدار ١٥٢/٦) : « سياط أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي » .

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان :

وكأن من زهر الخزامى والندى ... والأقحوان عليه ريطة معرسِ
فإذا يريم ذبابة أصغى لهـا ... يومـاً بسمعٍ خائف متوجّس

أقول : لعل الصواب :

فإذا ترنُّ ذبابـة أصغى لها ... يوماً بسمعَيْ خائف متوجّسِ

● وجاء في الصفحة ٢٨ البيت :

وتمنّت سليمى أنهـا ... بنت عمر من هاميم العرب

أقول : الصواب بنت عمرو ، لأن بنت عمر لا يستقيم معها الوزن .

● وجاء في الصفحة ٣٠ البيت :

فلما بدا جرمانها الصيف لم يكن علي مناخ السوء ضربة لازب

أقول : والصواب « فلما بدا حيرمانُها الضَّيْف لم يكن »

● وجاء في الصفحة ٣١ : « فقال : الله انك أذهبت جمـــالي ، وقطعت نسلي ، وأفسدت دنياي ، لا والله إذا أفسد عليك آخرتك فخصي الدلال . . »

أقول : والصواب : فقال الله : إنك أذهبت جمالي . . وأفسدت دنياي ، والله إذاً أفسد عليك آخرتك . . » وهذا يعني أن « لا » زيدت ولا يستقيم معها المعنى .

● وجاء في الصفحة ٣٢ البيتان :

ولا الدلال ولا طـــويس ولا ابن الشوتري ولا الغريضُ

لاخت النخل خنث يجبي ولا حاضوا كما يجبى يحيض

أقول : البيتان غير مستقيمين وزناً ومعنى ولم يشر المحقق إلى ذلك

● وجاء في الصفحة ٣٣ البيت :

أقسمت ما أجبت حبكم لاثيباً خُلِقَت ولا بكرا

أقول : والصواب : ما أحببت .

● وجاء في الصفحة نفسها :

يا عمرو شيخك وهو ذو شرف يحمي الذمار ويُكرم الصِّهرا

وعلق المحقق في حاشيته بقوله : « ياعمرو هو ترخيم عمرو » .

أقول : لا معنى لتعليق المحقق فالكلمة منادى ، وهو غير مرخَّم .

● وجاء في الصفحة ٣٥ : « لهنّ أغاني منها » .

والصواب : « لهنّ أغانٍ منها » .

● وجاء في الصفحة ٣٧ البيت :

تكلم جميلة زين النساء إذا هي تردان للمخرج

أقول : والصواب : « وتلكم جميلة زين النساء » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فدخل عليهم فرحبوا به ، وقاموا إليه وقالوا له : جُعِلن فداك كيف دخلتَ بغير إذن » ؟

أقول : والصواب : « جُعِلنا فداك . . . » .

● وجاء في الصفحة ٣٨ : « حبّابة جارية يزيد بن الوليد بن عبد الملك كانت لابن مسا فأعطاه بها يزيد قبل خلافته خمسة ألف دينار » .

أقول : الصواب : خمسة آلاف دينار .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

لقد فتنت ريا وسلاّمة القسّا فلم تتركا للمقسي عقلاً ولا نفسا

أقول : البيت شهير لابن قيس الرقيات وقد ورد في الأغاني وفي ديوانه وهو :

. . . . فلم تتركا للقسِ عقلاً ولا نفسا

ولا أدري من أين جاء المحقق بـ « المقسي » وهو القس الذي عرفت به سلامة فقيل لها سلامة القس . ثم إن الوزن لا يستقيم بما أثبت المحقق وهو « المقسي » .

● وجاء في الصفحة ٣٩ : « . . . . قال : صدرت إلى ذي خشب فلما كنت بحيض إذا قبّة . . . » .

أقول : والصواب : محيص بالصاد المهملة ، وهو موضع بالمدينة .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

سلكوا بطن محيض ثم ولّوا أجمعونا

والصواب : بطن محيص بالصاد المهملة أيضاً .

● وجاء في الصفحة نفسها : « سعدة : أحد المحسنات القدما » .

أقول : والصواب : « إحدى المحسنات القُدْمَى » لأن « إحدى » صفة لمؤنث وهو (سعدة) والقُدمى مؤنث أقدم ، وحقها أن ترسم ألفها المقصورة بالياء .

● وجاء في الصفحة ٤٠ : « جارية امرأة ابن أبي عتيق مدنية . لها بشعر مولاتها عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية في ابن أبي عتيق » .

أقول : لا بد أن يكون الفعل « غنت » قد سقط قبل « لها » ليستقيم المعنى .

● وجاء في الصفحة نفسها : « يونس الكاتب : أبو سليمان بن سليمان ابن كود من ولد هرمز الجري » .

أقول : والصواب : ابن كرد بالراء المهملة . ولا معنى « للجري » المذكور بعد هرمز ، وليس من إشارة إلى هذا في الأغاني (٣٩٨/٤ ط . دار الكتب) .

● وجاء في الصفحة ٤١ : « وفيه (أي في يونس الكاتب) يقول أبو سعود بن خلد (كذا) » .

أقول : والصواب : وفيه يقول أبو مسعود بن خالد كما في (الأغاني) .

● وجاء في الصفحة نفسها الأبيات :

يا يونس الكاتب يا يونسُ طاب لنا اليوم بك المجلسُ
إن المغنين إذا ما هُمُ جاؤوك حتى بهم الملبوس
تنشر ديباجاً وأشباهه وهم إذا ما نشروا كربسوا

أقول : البيت الثاني قد عرض له شيء من التصحيف ثم اختل وزنه بسبب ذلك والصواب :

. . . . . جارَوْكَ أخنى بهمُ المقبسُ

وكذلك ورد في (الأغاني) .

● وجاء في الصفحة نفسها مقطوعة لامرىء القيس منها :

يا دار ماويّ بذي الحبائل   فالشط من دمدن فالقائل
صم سداها وعفـــا رسمها   واستعجمت عن منطق السائل

وقد أشار المحقق إلى وزن المقطوعة أنها من « السريع » ولم يفطن إلى التصحيف الذي عرض لصدر البيت الأول فأحاله من السريع إلى الرجز . ورواية البيت في الديوان وبها يستقيم بحر السريع :

يا دارَ ماويّةَ بالحـــائل   فالسهب فالخبتين من عاقـل

كما أن عجز البيت قد عرض له التصحيف أيضاً ورواية الديوان هي الصحيحة . وفي البيت الثاني : « صم سداها » والصواب : « صداها » .

● وجاء في الصفحة ٤٢ : « والأشعار فيها لابن دُهَيمة المزني » . والصواب كما في (الأغاني ٤/٤٠٥) ابن رُهَيمة .

● وجاء في الصفحة ٤٣ البيت :

قولا لزينب لو رأيـ   ـت تشوقي لك واشتياقي

أقول : والصواب : رواية « الأغاني ٤/٤٠٤ » : تشوقي لك واشترافي . والاشتراف : التطلع .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

وَجَدَ الفـــؤاد بزينبٍ   وجـداً شديداً مُتعِبـــا

وقد علق المحقق على « زينب » بقوله في الحاشية : « كذا في الأصل ، ولعل الصواب زيناً (كذا) تمشياً مع القاعدة المتعلقة بجوازات الشعر » .

أقول : إن في قوله « لعل الصواب زيناً » ضعفاً وخطأً . أما الضعف فلا معنى لـ « لعلّ » هذه في حين أن الكلام محتاج إلى القطع

والفصل . أما الخطأ ففي الفتحتين على ألف زينب للتنوين لأن « زينب » لا تنون لأنها علم مؤنث ، والصواب أن تمد الفتحة وهي علامة الجر على « زينب » فتؤول إلى ألف مطلقة ، وبذلك يتم التصريع في البيت لأنه مطلع المقطوعة ، والتصريع شائع في مطالع القصائد في الشعر القديم .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

يا زينبُ الحسناء يا زينبُ يا أكرمَ الناس إذا نسبت

أقول : لا يناسب وزن الصدر وزن العجز ذلك أن الصدر من السريع والعجز من الرجز ، وهذا مما لا يمكن أن يحدث . والذي حوّل إلى هذا التجاوز المرفوض ما عرض من التصحيف للعجز ، فالصواب : « يا أكرمَ الناس إذا تُنسَبْ » .

فالكلمة « تنسب » تحولت إلى « نسبت » خطأً .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

قل للذي يلحا على زينب المنى تعلقه مما ضمنت عشير

أقول : إن وزن الطويل يقتضي أن يكون الصدر : « فقل للذي يلحى على زينب المنى »(١) .

ثم إن « يلحى » قد رسمت فيها الألف المقصورة ألفاً قائمة وهذا شيء لم يرد في المقبول من قواعد الرسم ، ذلك أن الألف أصلها ياء فحقها أن ترسم ياءً . وأظن أن رواية الأغاني ٤/٥/٤٠٥ هي الصحيحة وهي :

فليت الذي يلحى على زينب المنى تعلّقَه مما لقيت عشير

● وجاء في الصفحة نفسها في حاشية للمحقق قوله : الديوان ص ٣٠٩ وفيها اختلاف رواية . ولم أدر كيف نسب هذين البيتين (كذا) للاحقي المتقدم ذكره .

(١) وزن الطويل يبيح حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت ، ويسمونه الخرم ، ويسمون البيت أثلم « لجنة المجلة »

أقول : إن هذا التعليق جاء على بيتين للأعشى هما وردا في نص الكتاب على النحو الآتي :

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيـ ـدٍ أسيل تزينه الأطـواقُ

وشتيب كالأقحوان جلاه الطـ ـلُّ فيه عذوبـة واتساق

وقد كتب في أعلى البيتين : وفيها يقول اللاحقي [أي زينب] وقد كتب في أسفل البيتين لأعشى قيس .

وهما كما أشار المحقق للأعشى ، ولكني أسأل لمَ لم يسأل المحقق نفسه عن « اللاحقي » هذا ، وكيف أثبتت النسبة الثانية ؟ ثم إن الصواب : وفيها اختلاف ، إشارة إلى البيتين .

● وجاء في الصفحة ٤٤ : « الأبجر غلام ابن سريج ، واسمه عبيد ابن القسر أبو ظبية ، ولقبه الحسحاس ، مكيٌّ مرصع مولى لبني ليث ، وكان يتيماً لعطاء بن أبي رباح ، ولم يكن بمكة أحد أطر (كذا) ولا أحسن هيئة من الأبجر » .

قلت : لم يرع الأستاذ المحقق نسخته اليتيمة ومثله حقيق برعاية اليتيم . فهذا النص يشكو من التصحيف والخطأ الذي سأبينه :

الأبجر (وهو مغنٍ مشهور) واسمه عبيد الله بن القاسم لا « القسر » . فقد رأى الأب المحقق رسم « القاسم » على هيئة خط المصحف « القسم » ثم انحرف رسم الميم الأخيرة قليلاً فتولد « القسر » وهو أمر عجيب . وهو « ابن ظبية » لا « أبو ظبية » ، كما هو مشهور في كتب الأدب كالأغاني (ط الدار ٣/٣٤٠) وغيرها .

ولا أدري ما معنى « مكيٌّ مرصع » وأظن أن الصواب : مكيٌّ ، وهو مـولى لبني ليث لا « مرصع » ، فقد تصحف (وهو) إلى شيء آخر ، فمسخت الحقيقة .

وعطاء هذا ابن أبي رباح (بالباء الموحدة) لا الياء المثناة .

ثم إن النص ينتهي بـ « ولم يكن بمكة أحد أظرف » لا « أطر » . وليس لـ « أطر » معنى البتة . وكأن المحقق قد فطن إلى هذا فعلق في الحاشية بقوله : « كذا في الأصل ولعله أطرف » .

أقول : ولا معنى للطرافة في هذا السياق ذلك أن الظرف هو المتطلب المقصود ، فالصواب ما أثبتناه وهو « أظرف » .

● وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على « أبجر » : « وكانت حلته بماية دينار وفرسه بماية دينار » .

أقول : والصواب بمائة بالهمزة لأن تسهيل الهمزة في « مائة » من نطق العامة . وتحسن كتابة « مائة » على « مئة » حتى يُتخلص من ألف المد .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وكان يقف بين المازمين » والصواب : المأزمين ، وهو موضع ، ومن حق أسماء المواضع أن تضبط ضبطاً كافياً .

وجاء أيضاً : « فجلس على قريب من النعيم » والصواب : التنعيم وهو موضع بمكة .

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان :

سألني الناس أين يغمد بهذا قلت يأتي في الدار قوماً متريًا
ما قطعت البلاد اسموا ولا أتمـ ـت الا اليك يازكـريا

أقول : وقد لحق البيتان من التصحيف والخطأ ما سآتي عليه : « سألني الناس أين يعمد هذا » لأن قوله « بهذا » يقتضي تسكين الدال في « يغمد » ولا وجه لتسكينها فهي ليست مجزومة . وهي بالعين المهملة لا الغين المعجمة . أما العجز فينبغي أن يكون : « قلت آتي في الدار قوماً سريا » ، وهو رواية الأغاني . أما البيت الثاني :

ماقطعت البلاد وأسري، ولا يمـ ـمتُ إلا إياك يازكـريا

فقد تصفحت « أسري » إلى « اسموا » (كذا) . و « إياك » خير من « إليك » .

● وجاء في الصفحة ٤٥ الأبيات وهي للعرجي :

رأتني خضيب الرأس شمرت ميزري وقد عهدتني أسود الرأس مسبلا

. . . .

حطوطاً إلى اللذات أجررت ميزري كاجرارك الحبل الجواد المجللا

أقول : والصواب : مئزري بالهمز ، وذلك لأن المحقق وجد الناسخ لا يرسم الهمزة فظنها ياءً على طريقة التسهيل . أما البيت الثالث ففيه « ميزري » أيضاً والصواب رواية الديوان : مقودي ، والقرينة دالة واضحة .

● وجاء في الصفحة نفسها : « ابن صاحب الوضوء واسمه محمد أبو عبدالله ، مدني مولى أبي بكر » .

أقول : والصواب كما في الأغاني (طبع الدار ١٣٣/٣) : محمد بن عبدالله . . . . مولى بني أمية .

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان وهما للنابغة :

خطاطيفُ حُجْنٌ في حبال متينة تمدّ بها أيدٍ إليـك نوازعُ

فإن كنت لا ذا الضغن عني مكذباً فـلا حلفي يوماً على البر نافـع

لقد علق المحقق في الحاشية بقوله : « في مخطوطنا حجى . وهو خطأ نسخ . في الديوان ٧١ والأغاني ١٣٣/٣ : حجن وعنه نقلنا » .

أقول : لقد خالف المحقق طريقته فأثبت الصواب في النص مأخوذاً من كتب الأدب ، وأشار إلى الخطأ في الحاشية وهو كما ورد في المخطوط ، وهذا المنهج هو الصحيح في التحقيق وحبذا لو اتبعه في سائر مادة الكتاب ، فكثيراً ما أثبت الخطأ وترك الصحيح مشيراً إليه في الحاشية . وقد جاء البيت الثاني مخالفاً للرواية الصحيحة وهي :

فإن كنت لاذو الضغن عني مكذباً   فلا حالفي يوماً على البرء نافع

فإن « لا » هذه عاملة عمل ليس ، كما وردت في بيت المتنبي :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى   فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

ثم إن « البرء » قد تصحف إلى « البر » في نص الكتاب ، وهذا كله في الديوان .

● وجاء في الصفحة ٤٦ : « فقال شعراً وسأل سنان » .

أقول : والصواب : وسأل سناناً .

● وجاء في الصفحة نفسها : « عمر الوادي : هو عمر بن داوود بن راذان » . وصوابه : عمر بن داود بن زاذان .

● وجاء في الصفحة ٤٧ أبيات للوليد بن يزيد :

سُليمى بسلم سلمي ! كنت للقلب عذابا

سُليمى ابنت عمّي برد الليل وطابا

. . . .

ريقها في الصبح مسك باشرت عذباً رضابا

أقول : إن صدر البيت الأول غير مستقيم معنًى ووزناً . والصواب : رواية الأغاني ٧/٤٠ والديوان ص ٣٥ وهي :

يا سُلَيْمى يا سُلَيْمى كنت للقلب عذابا

وإن صدر البيت الثاني غير مستقيم وزناً ، والصواب : « يا سُلَيْمى ابنة عمّي » ، وإن عجز البيت الرابع لا يستقيم مع صدره ، والصواب : « باشر العذب الرضابا » كما هي الحال في الديوان ص٣٥ وكذلك في الأغاني ٧/٤٠

● وجاء في الصفحة نفسها الأبيات :

أنا حتين ومنزلي النجفُ   وما نديمي إلا الفتى القصِفُ

أغرف بالطاس وسط باطية   مترعة تارة وأغترف

من قهوةٍ باكر التجار بها بنت يهودٍ قرارها الخزف
فالعيش غضٌّ ومنزلي خصيبٌ لم تغرني شقوة ولا عنف

أقول : كان الأولى أن يأخذ رواية الأغاني :

أقرع بالكأس ثغر باطيةٍ مترعة تارةً وأغترف

لأنه لا يستقيم أن يجتمع « أغرف » في أول البيت و « أغترف » في آخره ، كما أن عجز البيت الثالث غير مستقيم بقوله « بنت يهود » والصواب : « بيت يهودٍ » . وقد جاء في البيت الرابع « تغرني » والصواب « تغزّني » .

● وجاء في الصفحة ٤٨ البيت :

أيها الشامت المعيِّر بالدهـ ـر أأنت المبرُّ الموفور

أقول : والصواب : « أأنت المبرّأ الموفور » .

● وجاء في الصفحة نفسها « وجدت له أحد وثلثين صوتاً » .

أقول : والصواب : وجدت له أحداً وثلاثين صوتاً .

● وجاء في الصفحة ٤٩ : دحمان الأشقر « ودحمان لقب ، واسمه عبدالرحمن أبوعمرو »

أقول والصواب : عبدالرحمن بن عمرو كما في الأغاني (ط . الدار ٦/٢١)

● وجاء في الصفحة نفسها « فقال :إنه مغنّي يعلم الجواري الغناء » .

والصواب : إنه مُغنٍّ .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

كنت فحولاً فصرتم يوم حابتكم لما انبرى لكمُ دحمان خصيانا

أقول : والصواب : كنتم فحولاً . . . . .

● وجاء في الصفحة ٥٠ البيت :

وقالت لأتراب لها شبه الدما يبكّين سَجواً والدموع سُجوم

أقول : والصواب : والدموع سُجوم .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

تأوّبني همٌّ نخل فأسهدا فبتُّ كأني بتُّ للحزن أرمدا

أقول : ولا وجه لـ « نخل » ولعلها مصحفة عن « ثقيل » .

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان :

زَمَّ الخليط الجمال فانجردوا بل ليت شعري لأيَّةٍ قصدوا

وقد أشير إلى أن الوزن من « السريع » . والصواب أنه من المنسرح .

● وجاء في الصفحة ٥٢ : « وكان عبداً للعبلات مواليات الغريض » . والصواب : متولّيات .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

اعتادها حزنها بل عاودت سهدا من ذكر هذا الذي لا يثقلني أبدا

أقول : والصواب : « من ذكر هذا الذي لا ينجلي أبدا » .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

تؤرّقني الهمومُ وأنت خلواً لعمركَ ماتؤرِّقُكَ الهمومُ

أقول : والصواب : وبتَّ خلواً .

● وجاء في الصفحة ٥٣ : « الدجاني واسمه عاصم . . . . كان شاعراً مليح الرفض »

أقول : ولا معنى للرفض ، وهو من غير شك « الرقص » .

● وجاء في الصفحة نفسها . « وكانت الفرس تقول . من لم يكره السماع الحسن والصوت المطرب إلا مصرٌّ على المآثم حسود للناس » .

أقول : ولا يستقيم المعنى إلا على النحو الآتي : « لا يكره السماع الحسن والصوت المطرب إلا مُصرٌّ على المآثم حسود للناس » . ويدل على ذلك وجود « إلاّ » المفيدة للحصر والقصر .

● وجاء في الصفحة نفسها :

« تغضّبك من فم ُمناك تقبيله ، بشعر عكاشة بن عبد الصمد الغني لعبيد الصواب » ولا أدري ما معنى « لعبيد الصواب » ؟

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

سقياً لمجلسنا الذي كنا به   يوم الخميس عشيّة أجابا

والصواب : أحبابا

هذه مسائل وجدت من المفيد إثباتها في هذا الكتيب الصغير لأشير بها إلى أن العمل في حاجة إلى مزيد من العناية والتحقيق .

بغداد ـ كلية الآداب   الدكتور إبراهيم السامرائي

فاجعة مايرلنغ

مسرحية شعرية من أربعة فصول

للأستاذ عدنان مردم بك

١٢٠ صفحة ـ منشورات عويدات ـ بيروت ١٩٧٥

الدكتور شكري فيصل

في المكتبة العربية من آثار الأستاذ عدنان مردم مجموعتان قيمتان : مجموعة من المسرحيات الشعرية ومجموعة من الدواوين . كان ديوان نجوى ١٩٥٦ أول ما صدر له من شعره في كتاب ، ثم جاء بعد ذلك ديوانه الثاني : صفحة ذكرى ١٩٦١ ، وديوانه الثالث : عبير من دمشق ١٩٧٠ .. ومضى الشعر متناثراً بعد ذلك في المجلات الأدبية . ومضت المسرحيات متتابعة ، مسرحية كلَّ عام تقريباً .. ففي سنة ١٩٦٧ صدرت غادة أفاميا ، وفي التي تليها كانت العباسة ، وفي ١٩٦٩ كانت زنوبيا .. ثم كانت الحلاج في ١٩٧١ ، ورابعة العدوية في ١٩٧٢ ، ومصرع غرناطة في ١٩٧٣ ، وفلسطين الثائرة ١٩٧٤ .. وكانت أخيراً هذه المسرحية الجديدة : فاجعة مايرلنغ عامَنا هذا .

وكذلك يمضي عمل الأستاذ عدنان مردم أو نشره لأعماله متواتراً منتظماً .. إنه صورة أخرى لحياة منظمة ، يبدو منها للناس سطحها الهادىء ، وتتفجر أعماقها بالعنيف من الإحساس ، والنيِّر من الفكر ، والقوميِّ من الاهتمامات ، والإنساني من النزعات .. وينصاغ ذلك كله على هذا النحو أو ذاك .. ينصاغ شعراً هو مقطوعات وقصائد ، وينصاغ عملاً هادئاً طويلاً في هذه المسرحية أو تلك .

— ١ —

وليس العمل المسرحي بعامة بالعمل الهيّن .. إنه يحتاج إلى كثير من الجهد الفني : في التقاط الموضوع ، وتصوّر الوقائع ، وتعاقب الأحداث ، ونموّ العقدة والانتهاء إلى الحلّ .. إنه يحتاج إلى هذه القدرة الكبيرة على إحكام العمل وإدارة الحوار ودفعه ، كما يحتاج قبلُ وبعدُ إلى هذا التنوع المتكامل في الشخصيات التي تنهض بأحداث المسرحية وتتحدث بعواطفها وأفكارها ، وتبدي للقارىء نماذج من هذه النماذج الإنسانية التي يتحدث عنها الشاعر أو ينفعل بها أو يقرأ في سيرتها أطرافاً من سيرة الإنسان ، ويرى في نوازعها بعض نوازعه ، وفي تطلعاتها ومعاناتها بعض تطلعاته ومعاناته .

وإذا كان ذلك بعض مايحتاج إليه العمل المسرحي النثري ، فإن العمل المسرحي الشعري يحتاج بخاصة إلى جهد فني آخر ينضاف إليه . هو هذا الأداء الشعري .. بكل ما يحتاج إليه الأداء الشعري من حسّ موسيقي مرهف ، وخيال مجنح ، وتصوير حيّ ، وأداء بياني رفيع ، وقدرة على تطويع الشعر لكل هذه الأشياء الكثيرة التي يحتاج إليها العمل المسرحي .

ومن هنا كانوا قلة أولئك الذين أقبلوا على المسرح الشعري .. أعني الذين روّضوا الشعر للمسرح ، ولاءموا بين المسرح وبين الشعر ، أو استطاعوا أن يمضوا شوطاً بعيداً في هذا الميدان الصعب .

لقد فجّر شوقي هذه النبعة الثرّة الغزيرة .. ولعلّ مسرحياته أن تكون واحدة من أبرز مظاهر التجديد في مسيرة الأدب العربي .. ثم تتابعت بعد شوقي الأجيال من الشعراء .. كان في مقدمتها جيل الأستاذ عزيز أباظة ، ثم الجيل المعاصر الذي يليه .. وما من شك في أن الأستاذ عدنان مردم يقف في مقدمة هذا الجيل المعاصر الذي آثر هذه الدروب الصعبة المجدّدة .

— ٢ —

فاجعة مايرلنغ آخر ماظهر للأستاذ مردم من مسرحيات . . ولكنها لم تكن آخر ماكتب . . إنها على النقيض ، من أول ما أنشأ من هذه المسرحيات الشعرية . .
وقد كان الأستاذ مردم جد أمين حين أبان عن ذلك في المقدمة فقال : (إنه نظمها وله من العمر تسعة وعشرون عاماً ، وإنه احتفظ بها - على حين تجاوز مسرحياته الأخرى التي نظمها في سن مبكرة ، وإنه يقدمها للطبع دون أن يزيد عليها شيئاً أو ينقص منها شيئاً) .

إن تأريخ النتاج الفني هو من الأهمية بمكان بالقياس للناقد الأدبي . .
وما من شيء يستطيع أن يساعد على رسم خط التطور في حياة الشاعر أو الفنان بعامة مثل أن نعرف كيف مضى ينشيء هذه الأعمال الفنية عملاً بعد عمل . . إن تلك أكبر المشكلات التي نعانيها في دراسة تراثنا الأدبي . .
فنحن نجد بين أيدينا دواوين كاملة أو مبتورة لبشار وابن الرومي والبحتري وأبي تمام ولأضرابهم ولمن هم دونهم ، ولكننا نحاول أن نعرف بدايات ممارستهم للعمل الشعري ، والخطوات التي تقدموا بها ، وتطور هذه البدايات إلى نهاياتها فيعجزنا ذلك . . ولولا ارتباط ما بين بعض قصائد المديح وبين الأحداث التي استثارت المدح لما استطعنا أن نجد أي تاريخ لأية من القصائد في تراثنا الشعري .

من هنا كانت هذه الإشارة في المقدمة إلى تاريخ المسرحية إشارة قوية الدلالة . . إنها هي التي تضيء أبعاد الطريق الطويلة منذ بدأ الأستاذ عدنان مردم معاناة المسرح الشعري وقدم هذا الإنتاج الخصب فيه .

ومن هنا أيضاً كان الأستاذ مردم حريصاً على أن يوضح مافعله حين حدد تاريخ المسرحية وحين قدمها على هذا النحو من غير تحوير (حتى يتاح لنقدة الأدب الذين يهتمون بدراسة المسرحية الشعرية الحديثة الدراسة الموضوعية لأعماله المسرحية في فترة الشباب وفترة ما بعد الشباب) .

– ٣ –

لا ترتبط فاجعة مايرلنغ بهذه المرحلة المبكرة من حياة الشاعر وإنتاجه .. ولكنها ترتبط قبل ذلك بالحدث الذي استثارها .. إن عدنان مردم يقدّم لنا في وضوح ودقة وصراحة ، ماذا كان وراء اختيار المسرحية من أحداث ذاتية فجّرت عنده هذا العمل الفني .. وذلك حين يردّ الأمر إلى أنه (فجع عام ١٩٤٢ بشقيقه هيثم قبل أن يكمل العشرين ربيعاً ، وحين يقص علينا ما كان عانى من ألم شديد في سنواته الأخيرة وهـو صابر ، وكيف نقل إلى المستشفى الأميركي في بيروت ، وظل يعالج سبعة أشهر كان والده ـ أستاذنا الخليل ، رحمه الله ـ ملازماً لسريره لا يتركه إلا لماماً ، ويشاركه الشاعر هذه الملازمة حتى وقع أمر الله الذي لا يردّ) .

هنالك إذن هذا الحدث الضخم في حياة عدنان مردم العائلية .. ونحن نعرف من أمر هذا الحدث نحواً مما قصّه علينا حين قال : (كانت الفاجعة أكبر من أن يحتملها قلب الوالد المفجوع لأنها طحنته طحناً وكانت السبب في سوء صحته وتعجيل وفاته) ـ هذا إن كان في القدر تأجيل أو تعجيل .. ولكننا لم نكن نعرف أن وفاة هـذا الشقيق (غالت كل مرح وجعلتني أستيقظ مرة واحدة من حلم الشباب العابث إلى تأملات الكهولة الرصينة إذ كان لي من العمر حينذاك خمس وعشرون)

وأيّاً كان ما نعرف أو نجهل فنحن متفقون على أن العمل الفني لابدّ وراءه من حدث كبير يثير مثل هذا الانفعال الكبير .

ما الذي يربط بين فاجعة مايرلنغ وبين فجيعة عدنان مردم بأخيه .. ما هي الخيوط التي تصل بينها .. كيف « انقلب » هذا الحدث الذاتي الفردي إلى عمل فني .. ما هي هذه السلسلة من « التحوّلات » الداخلية العميقة التي « صيّرت » الفجيعة بالأخ مسرحية شعرية نابضة ؟ .

هاهنا ، في هذا التحول ، نجد الفنان .. نجد الشاعر والقاص والمسرحي . ان ضمير هذا الفنان هو الوعاء الذي يتم فيه هذا التفاعل .. وأحاسيسه ومشاعره هي التي تنضجه ، ونزعاته وآراؤه هي التي تقوده ، وبيانه هو الذي ينشئه ، وقدرته الفنية هي التي تسير به نحو الإبداع : تقرّبه منه ، أو تقعد به عنه .

وهل من خلاف بين الناس وبين الشعراء إلا في هذا الخلاف الكبير .. وهل يفترق مابين المنشيء والملتقي إلا في هذا ؟ .. كلّنا : منشئين ومتلقّين ، نواجه ذات الأحداث ، ونرى بأعيننا مثل الذي يراه غيرنا ، ونسمع مثل الذي يسمع ، ونكابد مثل الذي يكابد .. غير أن الشعراء ـ أو الفنانين بعامة ـ هم الذين ينهضون بهذا العمل السحري .. الذي يحيل عمورية إلى آبدة أبي تمام ، ومعاناة بشار إلى هذا الغزل الحادّ ، وخمر أبي نواس إلى أنهار من الضوء ، ومواجد ابن الفارض إلى هذه التسابيح .. إن الشعراء هم السحرة .. ألم يكن فيما اتهم به النبي ﷺ ـ حين واجه العرب القرآن الكريم المعجز ـ أنه شاعر وأنه ساحر ... وهل من هدف الدراسات الأدبية الحديثة إلا أنها تحاول أن تتابع حركات السحر والساحر في شيء من الإدراك لها والتقصي لظواهرها والرصيد لتطورها ؟ .

— ٤ —

ولم يبخل عدنان مردم على القارىء في محاولة الربط بين فاجعة مايرلنغ وفاجعته بأخيه .. ومن الطبيعي أن يتحدث الشاعر عن الحبل الكبير الذي يبدو أنه يربط بين هذين الأمرين . ولكن ذلك لا يعدو أن يكون إيضاحاً ، أن يكون دلالة على الحادثة والحادثة ... أما الخيوط الدقيقة الرفيعة التي تشبه أن تكون الشعيرات والتي تنسج هذا الأثر الفني فأمرها إلى النقاد .

من هنا كان لابد لعدنان مردم من أن يكتفي بالقول : (أردت

في مسرحية مايرلنغ أن أبكي الشباب الذاوي في مطامحه العالية وفي مباذله التافهة ، وأن أصف أحاسيس الشباب المتناقضة من غيرية مثالية إلى أثرة هي غاية في الأنانية) .

ولكن عدنان مردم لا يفلح في أن يخدعنا في ذلك ، وأحسبه لا يريد ، لأننا في العمل الفني لا نقيم هذه المطابقة بين الحادثة والحادثة . الحادثة الذاتية تفجير والحادثة التاريخية تنوير .. إنها بمثابة المشجب الذي نعلق عليه عواطفنا وتطلعاتنا . . وليس هنالك هذان الحدثان المتساويان .. فاجعة مايرلنغ هزت النمسا من أدناها إلى أقصاها . . ووراءها تاريخ ومجتمع وأحداث وعلاقات وبلاط وقصر ومطامح وشهوات .. ولكن فجيعة عدنان مردم ليس وراءها مثل ذلك . . . وإن كان وراءها ما يعدل ذلك من التفاصيل الذاتية الخاصة .

قلت : إنه ليس هنالك حادثتان متساويتان . والمسرحي الذي يقتبس من التاريخ لا يفتش عن الحادثة المساوية ، وإنما هو يستثمر الحادثة التاريخية ليقول ما يقوله . . ليحيل أحزانه أناشيد ، وبكاءه قصائد ، وهمومه حواراً ، وأحداثه الخاصة أحداثاً مشتركة ، وتطوره الفكري تحت وطأة هذه الأحداث رصداً لتطور النفس الإنسانية والفكر الإنساني .

— ٥ —

وفي تقديري أن أبرز ما استطاع عدنان مردم أن يفعله أنه استطاع أن يجمع في عمله الفني بين هذين : بين تصوير الأسى الذي يخالج النفس ويدمي كل ذرة من كيانها ، وبين تصوير هذا التحول الفكري الذي عبر عن جانبه النفسي بالجملة السابقة : (أردت أن أبكي الشباب الذاوي . .) ، والذي عبّر عن جانبه العقلي بهذه الجملة : (كنت شكاكاً لا مبالياً فأصبحت رواقياً

صارماً ، أنظر إلى الحياة بحذر وتأمل ، مقدراً عبء الرسالة التي يحملها الإنسان تجاه الانسانية من دَين عليه ، لها) .

– ٦ –

وما من شك في أن عدنان مردم وقع في فاجعة مايرلنغ على فيض من المادة الأولية التي أفاد منها في عمله المسرحي .

إن مايرلنغ دارة ريفية قريبة من فيينا عاصمة النمسا .. ولكن المكان ليس شيئاً ذا بال دائماً في العمل المسرحي . . إنك تستطيع أن تضع مسرحك في أية من بقاع الأرض على النحو الذي يأتلف مع الموضوع . . في الواحة والدارة وعلى مقاعد طائرة في السماء أو في بيت حقير في الأرض . وإنما هي الشخصيات التي تتحرك فوق هذا المكان ، والأحداث التي تتعامل معها أو تتفاعل بها .

وفي شخصية « رودلف » وجد عدنان مردم – وكان يمكن أن يجد كذلك – هذه الثروة الكبرى في العلاقات والصلات والمقارنات .. وبكلمة موجزة ، وجد هذه الجملة من التناقضات التي تصلح في كل جزئية من جزئياتها لاستثمار كبير .

هو نيِّر الفكر حرّ الضمير في ذاته ، ولكن عيون القصر المحافظ العنيد تحتاطه دائماً . . وهو محبوب من الناس لطيب سريرته ولكنه موضع حذر من البلاط ، وهو يريد تحرير المجر من ربقة النمسا ولذلك يحبه الأحرار على حين يخالف في سياسته سياسة الامبراطورية .. ثم هو متزوج ولكن حوله عدداً من العشيقات .

وراء هذه التناقضات يطلّ (القَدَر) دائماً في هذه المأساة في كل مرحلة من مراحلها .. ألم يكن انصراف رودلف عن الحياة الجادة إلى

الحياة اللاهية من تصاريف القدر ؟.. ألم يكن وقوعه في حب النبيلة آغافيا من صور القدر الحاكم ؟

في حسباني أن هذا القدر الذي نجده في مأساة مايرلنغ هو الذي نجده ، على نحو مواز ، في المأساة الفجيعية بالشاب هيثم .. إنه هو ـ في حياة كل إنسان — هذه الضربةُ تقع منه موقع الإثارة أو التنبيه .. إنها تلفت الإنسان لما حوله .. إن القدر هو الذي يحيل المتشكك مؤمناً ، والرجل الذي لا يبالي بشيء مفكراً في كل شيء .. إن القدر ليس قصة الغنى والفقر ، والسعادة والشقاء .. ولكنه ـ قبل ذلك ومع ذلك ـ قصة الوجود والفناء ، والحياة والموت ، واليقين والشك ، والطمأنينة والقلق ، والاستسلام والحذر .

* * *

أما كيف استخدم عدنان مردم هذه المتناقضات ، وكيف أفاد من هذا القدر .. كيف بنى عمله المسرحي ، وكيف قاد أحداثه ، وكيف استوت له هذه القدرة البيانية فذلك أمر أرجو أن أعرض له في مجال آخر .

شكري فيصل

كتابان في إعراب القرآن

الأستاذ حاتم صالح الضامن

الكتاب الأول هو : مشكل إعراب القرآن (١) لمكي بن أبي طالب المغربي المتوفّى سنة ٤٣٧ هـ . والكتاب الثاني هو : البيان في غريب إعراب القرآن (٢) لأبي البركات الأنباري المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ .

ولا يخفى أن كتاب مُشكل إعراب القرآن من الكتب الهامة ، إذ أنّه جمع أقوال كثير من النحويين واللغويين وآراءهم ، ونبّه على كثير من القراءات فكان منهلاً لكثير من المؤلفين ، أخص بالذكر منهم : ابن عطية في تفسيره المحرّر الوجيز ، وابن الشجري في أماليه ، وأبا البركات الأنباري في أسرار العربية ، والإنصاف ، والبيان في غريب إعراب القرآن ، والعكبري في إملاء ما منّ به الرحمن ، والعزّ بن عبد السلام في الفوائد في مشكل القرآن ، وابن عصفور في شرح الجُمَل ، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، وأبا حيان في تفسيره : البحر المحيط ، والسفاقسي في المجيد في إعراب القرآن المجيد ، والسمين الحلبي في الدرّ المصون ، وابن هشام في مغني اللبيب ، ومسائل في إعراب القرآن ، والفيّومي في المصباح المنير ، وابن جماعة في حاشيته على الجاربردي ، وغيرهم .

---

(١) ظهر ، في جزئين ، ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الأستاذ ياسين محمد السواس .

(٢) طبع في القاهرة بتحقيق د . طه عبدالحميد طه .

والذي يعنينا هنا هو أثر هذا الكتاب في : البيان في غريب إعراب القرآن ، إذ أنّ أبا البركات الأنباري قد تأثر مكياً تأثراً مباشراً ، وأخذ عنه مشكله ، وتابعه في أخطائه . والفرق بين مشكل إعراب القرآن ، والبيان في غريب إعراب القرآن ، هو إهمال الأنباري للاستطرادات التي تميّز بها المشكل ، والإضافة في مواضع قليلة خاصة في الشواهد الشعرية ، والإحالة على كتابه الإنصاف في عدة مواضع . أمّا الآراء وأمّا الأدلة وأمّا الحجج وأمّا القراءات فهي هي في المشكل والبيان . ليس هذا فحسب ، بل حتى الانتقال من آية إلى أخرى ، وتقديم آية على سابقتها ، هو هو في المشكل والبيان .

وهذه أمثلة تبين لنا تشابه الألفاظ والطريقة والعرض :

١ ــ قال مكي[1] في قوله تعالى : « الم » (البقرة ١) : أحرف مقطعة محكية لا تعرب إلا أن تخبر عنها ، أو تعطف بعضها على بعض ، فتقول : هذا ألف وألفك حسنة ، وفي الكتاب ألف ولام وميم. وموضع « الم » نصب على معنى : اقرأ الم . ويجوز أن يكون موضعها خفضاً على قول من جعله قسماً . والفرّاء يجعل « الم » ابتداء ، و « ذلك » الخبر تقديره عنده : حروف المعجم : يا محمد : ذلك الكتاب ، وأنكره الزّجاج .

وقال أبو البركات[2] : « الم » أحرف مقطعة مبنية غير معربة ، وكذلك سائر حروف الهجاء في أوائل السور ، وقد تعرب إلاّ أن يُخبَر بها أو عنها ، أو تعطف بعضها على بعض ، فالإخبار بها نحو أن تقول : هذه ألف ، والإخبار عنها نحو أن تقول : الألف حسنة ، والعطف نحو

(١) مشكل إعراب القرآن ٥١/١

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٤٣/١

أن تقول : في الكتاب ألف ولام ، وموضعها من الإعراب نصب بفعل مقدر ، وتقديره : اقرأ الم . ويجوز أن يكون رفعاً على تقدير مبتدأ ، والتقدير : هذا الم ، وقد أجاز الفرّاء أن يكون « الم » مبتدأ و «ذلك» خبره وأنكره أبو إسحاق الزجاج .

٢ — قال مكي (١) في قوله تعالى : « مُصَدِّقاً » (البقرة ٩١) : حال من الحق مؤكدة ، ولولا أنها مؤكّدة لما جاز الكلام ، كما لا يجوز : هو زيد قائماً ، لأنّ زيداً قد يخلو من القيام وهو زيد بحاله ، والحقّ لا يخلو أنْ يكون مصدّقاً لكتب الله .

وقال أبو البركات (٢) : نصب « مصدّقاً » على الحال من الحق ، والعامل فيها معنى الجملة ، ألا ترى أنّه لا يجوز أنْ يقال : هو زيد قائماً ، لأنّ زيداً قد يفارق القيام وهو زيد بحاله ، والحق لا يجوز أن يفارق التصديق لكتب الله عز وجل ، ولو فارق التصديق لها لخرجت عن أن تكون حقاً .

٣ — قال مكي (٣) في قوله تعالى : « يقيموا الصلاةَ » (إبراهيم ٣١) : تقديره عند أبي إسحاق : قل لهم ليقيموا الصلاة ، ثم حذف اللام لتقدم لفظ الأمر . وقال المبرد : « يقيموا » جواب لأمر محذوف تقديره : قل لهم : أقيموا الصلاة يقيموا . وقال الأخفش : هو جواب قل ، وفيه بُعْدٌ لأنّه ليس بجواب له على الحقيقة ، لأن أمر الله لنبيه ليس فيه أمر لهم بإقامة الصلاة .

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٦٢/١

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١٠٩/١

(٣) مشكل إعراب القرآن ٤٥/١

وقال أبو البركات (١) : يقيموا مجزوم ، وفي جزمه ثلاثة أوجه : **الأول:** أن يكون جواباً للأمر ، وهو (أقيموا) وتقديره : قل لهم أقيموا يقيموا . وإليه ذهب **أبو العباس المبرد** . **والثاني** : أن يكون مجزوماً بلام مقدَّرة وتقديره : ليقيموا ، ثم حذف لام الأمر لتقدم لفظ الأمر . وإليه ذهب **أبو إسحاق** . **والثالث** : أن يكون مجزوماً لأنّه جواب « قل » وإليه ذهب **الأخفش** . وهذا ضعيف لأنّ أمر الله تعالى لنبيه بالقول ليس فيه أمر لهم بإقامة الصلاة .

٤ – قال مكي (٢) في قوله تعالى : « فتلكَ بيوتُهم خاويةً » (النمل ٥٢) : « خاوية » نصب على الحال . ويجوز الرفع في « خاوية » في الكلام من خمسة أوجه : **الأول** : أن تكون « بيوتهم » بدلاً من « تلك » ، و « خاوية » : خبر البيوت . **والثاني** : أن تكون « خاوية » خبراً ثانياً . **والثالث** : أن ترفع « خاوية » على إضمار مبتدأ ، أي : هي خاوية . **والرابع** : أن تجعل «خاوية» بدلاً من البيوت . **والخامس** : أن تجعل « بيوتهم » عطف بيان على تلك و « خاوية » خبر « تلك » .

وقال أبو البركات (٣) : « خاوية » : منصوب على الحال من « بيوتهم » ، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وتقديره : أشير إليها خاوية . والرفع في خاوية من خمسة أوجه : **الأول** : أن يكون « بيوتهم » بدلاً من « تلك » ، و « خاوية » خبر للبيوت . **والثاني** : أن يكون « خاوية » خبراً ثانياً . **والثالث** : أن يكون مرفوعاً بتقدير مبتدأ والتقدير : هي خاوية . **والرابع** : أن يجعل « خاوية » بدلاً من البيوت . **والخامس** : أن يجعل « بيوتهم » عطف بيان على تلك و « خاوية » خبر « تلك » .

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٩
(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/١٥٢
(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٢٢٥

وهذه أمثلة أخرى تبين محاكاته لمكي في الانتقال من آية إلى أخرى :

١ - انتقل مكي من الآية (١١٧) إلى الآية (١٣٢) من الأعراف وتابعه أبو البركات (١) .

٢ - انتقل مكي من الآية (٤٧) إلى الآية (٦٤) من يوسف وتابعه أبو البركات (٢) .

٣ - انتقل مكي من الآية (٢٠٩) إلى الآية (٢٢٧) من الشعراء ، وتابعه أبو البركات (٣) .

٤ - انتقل مكي من الآية (٦١) إلى الآية (٨١) ثم الآية (٨٨) من الزخرف وتابعه أبو البركات (٤) .

وهذه أمثلة أخرى تبين متابعته لمكي في تقديم بعض الآيات :

تقدّمت الآية (٢٥) على الآية (٢١) من التوبة عند مكي وكذا عند الأنباري (٥) .

وتقدمت الآية (٤٨) على الآية (٤٧) من الكهف عند مكي وكذا عند الأنباري (٦) .

وبدأ مكيّ في سورة الدخان بالآية (٥) ثم (٦) ثم (١٣) ثم (٧) ثم (١٦) وكذا عند الأنباري (٧) .

(١) المشكل ١/٣٢٦ ، والبيان ١/٣٧٠ - ٣٧١
(٢) المشكل ١/٤٣١ ، والبيان ٢/٤٢
(٣) المشكل ٢/١٤٢/١٤٣ ، والبيان ٢/٢١٧
(٤) المشكل ٢/٢٨٤ ، والبيان ٢/٤٨٠ - ٤٨٢
(٥) المشكل ١/٣٥٩ ، والبيان ١/٣٩٦
(٦) المشكل ٢/٢٨٧ - ٢٨٨ ، والبيان ٢/١١١
(٧) المشكل ٢/٤٣ ، والبيان ٢/٣٥٧ - ٣٥٨

وجاءت الآية (٤) ثم (١٥ (ثم (٥) ثم (٦) من سورة (هل أتى) عند مكي وكذا عند الأنباري [١] .

ومن متابعته لأخطاء مكي أنَّ الآية (٥) من سورة المجادلة وردت عند مكي [٢] : « ولهم عذابٌ مهين » . وكذا وردت عند الأنباري [٣]. وصوابها : « وللكافرين عذاب مهين » .

كل ذلك يدلُّك على أنَّ أبا البركات الأنباريَّ كان عيالاً على مكيٍّ ، ولا بأس في أن يتأثره الأنباريُّ ، أو يتابعه ، أو ينقل نصوصاً كاملة من كتابه ، إلاَّ أنَّ عرض هذه الأقوال غفلاً وعدم نسبتها إليه ، بما لايقره العلم الذي يقتضي العالم أن يكون أميناً في تحمل الأمانة ، مبرَّءاً من مظنة الجحود وتهمة التدليس .

بغداد — كلية الآداب حاتم صالح الضامن

(١) المشكل ٢/٤٣٦ — ٤٣٧ ، والبيان ٢/٤٨٠ — ٤٨٢

(٢) المشكل ٢/٣٦٤

(٣) البيان ٢/٤٢٦ . وهناك أخطاء أخرى تابع فيها أبو البركات مكياً ذكرها الأخ محمد خير الحلواني في : كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٢١ ...

آراء وأنباء

تقـــرير
عن مؤتمر مجمع اللغة العربية
في دورته الحادية والأربعين

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الحادية والأربعين ، في المدة الواقعة بين تاريخ ١٣ صفر سنة ١٣٩٥هـ الموافق ٢٤ شباط سنة ١٩٧٥ م وتاريخ ٢٧ صفر ١٣٩٥ هـ الموافق ١٠ آذار سنة ١٩٧٥ م ، وعقد خلالها تسع جلسات علمية بالإضافة إلى جلستي الافتتاح والاختتام ، وفيما يلي موجز لأهم ما عرض على المؤتمر وما انتهى إليه :

أولاً : جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث عشر من صفر سنة ١٣٩٥ هـ الموافق للرابع والعشرين من شباط سنة ١٩٧٥ م ، واستمع المؤتمرون والمدعوون إلى هذه الجلسة من رجال الفكر والأدب ، إلى كلمات كل من : وزير الثقافة الأستاذ يوسف السباعي ، ورئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور ، والأمين العام الأستاذ عبد الحميد حسن ، وعضو المجمع من تونس الأستاذ الحبيب بن الخوجة ممثلاً لأعضاء المجمع الوافدين من الأقطار العربية .

وختمت الجلسة على أن تعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى المجمع نفسه .

ثانياً : المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش المصطلحات العلمية التي انتهت إليها اللجان المختصة والمحالة إليه من مجلس المجمع في القاهرة ، وقد أقر الكثير منها وعدّل بعضها وأعاد بعضها الآخر إلى مصدرها لاستيفاء دراستها . وفيما يلي عدد المصطلحات التي أقرها المؤتمر في كل من العلوم والفنون المختلفة :

ا - ٣٢٢ مصطلح في علم المياهيات (الهيدرولوجيا)
ب - ٢٦٥ مصطلح في علوم الأحياء والزراعة
ج - ١١٧ مصطلح في علم الحيوان
د - ١٧٥ مصطلح في الجيولوجية (علوم المعادن والصخور والحفريات)
هـ - ٤٣ مصطلحاً في التاريخ الحديث والمعاصر
و - ١٠٤ مصطلح في كيمياء النفط (البترول)
ز - ١٥٩ مصطلح في الكيمياء والصيدلة
ح - ٤٦ مصطلحاً في فن العمارة القديمة
ط - ١١٨ مصطلح طبيّ
ي - ٧٩ مصطلحاً في ألفاظ الحضارة الحديثة

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون إلى البحوث والدراسات اللغوية والعلميـة والأدبية والتاريخية ، التي ألقاها أعضاء المؤتمر وناقشوها وعلّقوا عليهـا وأقروا نشر أكثرها ، وأحالوا بعضاً منها على اللجان المختصة لإبداء الرأي فيها ، وهي المبينة فيما يلي :

ا - نظم « مثلث قطرب » وشرحه : بحث للأستاذ عبد الله كنون عضو المجمع من المغرب .

ب ـ ظاهرة الاختصار في اللغة : بحث للأستاذ موسى إسحاق الحسيني عضو المجمع من فلسطين .

جـ ـ معجم الألفاظ التركية المأخوذة من العربية : بحث للأستاذ محمد الفاسي عضو المجمع من المغرب .

د ـ البناء على الشاهد الأبتر : بحث للأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع المراسل من سورية .

هـ ـ رحلة « طه حسين » مع الشعر العربي : بحث للأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع من مصر .

و ـ الإحصاء اللغوي : بحث للدكتور إبراهيم أنيس عضو المجمع من مصر .

ز ـ من إيجاز الحذف في القرآن الكريم ، حذف المقابل لما بعد (لا) النافية : بحث للدكتور أحمد الحوفي عضو المجمع من مصر .

حـ ـ التنبيه في القرآن الكريم : بحث للأستاذ علي النجدي ناصف عضو المجمع من مصر .

ط ـ الحركة الأدبية في عهد الدولة الحفصية في تونس : دراسة للدكتور الحبيب بن الخوجة عضو المجمع من تونس .

ي ـ التقاء الساكنين في العربية : بحث للدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان .

ك ـ الحركة الانقلابية الأخيرة في نظام الشعر العربي : بحث للأستاذ أنيس المقدسي عضو المجمع من لبنان .

ل ـ الثقافة والحضارة : بحث للدكتور عثمان أمين عضو المجمع من مصر .

م ـ أثر اللغة العربية في التركية : دراسة للدكتور حسين علي محفوظ عضو المجمع المراسل من العراق .

ن ـ **العاطفة** في الشعر العربي : بحث للأستاذ إبراهيم اللبـان عضو المجمع من مصر .

رابعاً : المعجم الكبير

نظر المؤتمرون فيما أنهته لجنة المعجم الكبير من موادّ ، وبعد المناقشة والبحث والنظر في التعديلات التي اقترحها الأعضـاء ، أقرّ المؤتمر جميـع موادّ حرف (**التاء**) من المعجم .

خامساً : الأرقام الغبارية

نظر المؤتمرون في ردّ لجنة الرياضة على موضوع استعمال الأرقام العربية الأصلية المسماة (**بالأرقام الغبارية أو الإفرنجية** ... 1 , 2 ، 3) وهي مستعملة ومنتشرة في بلاد المغرب العربي ، بحجة أن استعمالها في المشرق العربي ينفع في أختام البريد ، واستخدام الحسابات الالكترونية ، إضافة إلى أن إحياءها يعدّ إحياء لتراث قديم .

وكانت لجنة الرياضة ذكرت في ردّها : أنها لم تطلع على أية مخطوطة دونت فيها الأرقام الغبارية ويرجع تاريخها إلى ما قبل سنة ١١٠٠م ، بينما ثبت لديها بأن الخوارزمي أبا علم الحساب استخدم في مخطوطه الذي يرجع إلى القرن الثاني الهجري (التاسع الميلادي) الأرقام التي يطلق عليها اسم (**الأرقام الهندية**) وهي المنتشرة في جميع بلاد المشرق العربي ، مما حمل اللجنة على عرض الموضـــوع على المؤتمر لأن البتّ فيه يعتبر من الموضوعـات المتروكة للملاءمة .

وبعد المناقشة أقر المؤتمرون عرض الأمر على اتحاد المجامع اللغوية ، بغية دراسة موضوع تنسيق طريقة كتابة الأرقام في مختلف البلاد العربية .

سادساً: أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة على المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة، ودار بينهم النقاش حول بعضها، فمنها ما قبل ومنها ما أجل البت فيه، ومنها مالم يتخذ أي قرار نهائي بشأنه. وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر وما انتهى إليه بعد المناقشة:

أ ـ الأساليب

١ ـ (من على المنابر)

كانت اللجنة قررت: «يخطّىء بعض النقاد (نحو) قول القائل: من على المنابر، متوهمين أن مثل هذا ممتنع، لامتناع دخول حرف الجر على حرف الجر.

وقد بحثت اللجنة هذا، ثم انتهت إلى أن الأسلوب جائز للأدلة الآتية:

أولاً ـ أن (على) هنا اسم بمعنى فوق، كما ذهب إلى ذلك فريق من كبار النحاة وفي مقدمتهم سيبويه.

ثانياً ـ وروده في شعر من يحتج بكلامه، مثل قوله مُزاحم العُقيلي:

غدتْ من عليه بعدما تمّ خِمْسُها تَصِلُّ وعن قيضٍ ببيْداءَ مَجْهل

ثالثاً ـ إن بعض الكوفيين لا يرون مانعاً من دخول حرف جر على آخر.

وبعد عرض الأمر على التصويت أقر المؤتمر سلامة التعبير، على أن (على) اسم، مستبعداً رأي من قال بدخول الحرف على الحرف

٢ ـ (كاد الأمر لا يتم)

كانت لجنة الألفاظ والأساليب قررت تحت هذا العنوان ما يلي:

«يشيع هذا الأسلوب في لغة المعاصرين، وقد يُظن أنه مخالف لما تعرفه العربية من أن أداة النفي تتقدم (كاد) ولا تتأخر عنها. وترى اللجنة أنه صحيح مقبول على أنه نوع من المبالغة...».

وعند عرض الأمر على مجلس المجمع في القاهرة أقره مع استبدال الادعاء بالمبالغة ، وأصبح القرار الذي عرض على المؤتمر بالنصّ التالي :

« ما كدت أدخل حتى استقبلني رب البيت بالترحاب »

يشيع في أقوال المعاصرين هذا القول وأمثاله ، مما تأتي فيه حتى بعد خبر كاد المنفية .

وترى اللجنة أن هذا الأسلوب صحيح على أنه يقوم على الادعاء ، لأن معناه أن الترحيب لقوته قد قارن الدخول » .

وبعد مناقشات حامية اشترك فيها الأساتذة : محمد بهجة الأثري ، وشوقي أمين ، وعلي النجدي ناصف ، وسعيد الأفغاني ، وأحمد الحوفي ، وعباس حسن ، أقر المؤتمر بالأكثرية إعادة الاقتراح إلى اللجنة لزيادة البحث في جوانبه .

٣ — (سافر عبر البحار أو الصحاري) .

(كان النصر حليف العرب في معاركهم عبر التاريخ)

كانت اللجنة اتخذت القرار التالي : « تجري الأقلام في لغة العصر بمثل هذين التعبيرين ، وقد درستهما اللجنة فانتهت إلى أنهما جائزان صحيحان ، أولهما على الحقيقة ، والثاني على المجاز ، بتشبيه زمن التاريخ بالمسافة البعيدة التي يقطعها المسافر .

أما لفظ (عبر) فيهما فهو : إما ظرف حلّ محلّه المصدر ، وإما حال على التأويل باسم الفاعل » .

وأقر المؤتمر بعد النقاش الطويل صحة التعبيرين على أن لفظة (عبر) مصدر أخذ معنى الظرفية ، رافضاً التعليل الثاني :

٤ — (فلان أحسن من ذي قبل)

كانت اللجنة بعد دراستها لهذا التعبير رأت أن الأصل الفصيح له

هو « فلان أحسن من قبل » وهي ترى أن (ذي) فيه يمكن أن تكون اسم موصول معرباً على لغة طيء .

والكلام على حذف مضاف ، والتقدير : حال فلان أحسن من التي قبل .

وعلى ذلك قررت اللجنة : « **أن هذا التعبير جائز في الاستعمال** » .

وبعد مناقشة ما توصلت إليه اللجنة أقر المؤتمر جواز استعمال التعبير على اعتبار أن (ذي) **زائدة** .

٥ — (**كل عام وأنتم بخير**)

كانت اللجنة اتخذت القرار التالي : « يخطّيء بعض النقاد ما يشيع من قول الناس في أعيادهم : كل عام وأنتم بخير ، بناء على أنه لا موضع للواو هنا ، والصحيح عندهم أن يقال : كل عام أنتم بخير .

وقد درست اللجنة هذا التعبير وانتهت إلى أنه جائز من وجهين :
أحدهما : أن تكون (كل) فاعلاً حذف فعله لكثرة الاستعمال ، والتقدير: يُقبلُ كلُّ عام وأنتم بخير .

والآخر : أن تكون (كلّ) مبتدأ حذف خبره ، والتقدير حينئذ : كل عام مقبل وأنتم بخير .

وفي كلتا الحالتين تكونَ الواو حالية ، والجملة بعدها حالاً » .

وانتهى المؤتمرون بعد مناقشة قرار اللجنة إلى الموافقة عليه .

ب ــ الألفاظ

١ - (حسب)

كانت لجنة الألفاظ والأساليب اتخذت القرار التالي : « يستعمل الكاتبون لفظ حسب على هذه الصور : قبضت عشرة فحسب ــ قبضت عشرة وحسب ــ قبضت عشرة حسب .

٤ — (التعبوي والتربوي)

قالت اللجنة في قرارها : « شاع في هذه الأيام استعمال كلمة تعبوي في النسبة إلى تعبية المخففة عن تعبئة ، ومن قبلهما شاعت كلمة التربوي نسبة إلى التربية .

ولما كان من النحاة من يجيز قلب الياء واواً عند النسب إلى الرباعي الذي ثانيه ساكن وآخره ياء ، سواء أكانت الياء أصلية أم منقلبة عن همزة ، رأت اللجنة ـ استناداً إلى هذا الرأي ـ أن لفظي التعبوي والتربوي صحيحتان لا حرج في استعمال كلتيهما » .

وبعد المناقشة أقر المؤتمر ما أوصت به اللجنة .

٥ — (الملاك)

جاء في قرار اللجنة المحال إلى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة : « يشيع استعمال لفظ الملاك على الرغم من إغفال المعاجم العربية له في القديم والحديث .

وقد بحثت اللجنة هذه اللفظة ، ورأت أنه يمكن قبولها على واحد من الأسس الآتية :

أولاً ـ أن الأصل فيها (مَلأك) كما ورد في معاجم اللغة ، نقلت حركة الهمزة إلى اللام ثم سهلت بقلبها ألفاً فصارت َملاك ، ونظيره كمأة ومرأة ، نسمع فيها كماة ومراة .

ثانياً : ورد (المَلاك) على هذه الصورة من قديم فى اللغة السريانية ، ومن الممكن أن يكون أول من استعملها في العربية قد نقلها عن السريانية .

ثالثاً ـ أن تكون هذه اللفظة نتيجة اشتقاق من الفعل (لاك) الذي هو مُسَهَّل الفعل (لأك) كما يحدث في سأل ورأف ، يسهلان إلى

وترى اللجنة : أنها كلها صحيحة ، وأن معنى (حسب) مع الفاء هو لا غير ، أما معناه مع الواو فلا يكون إلا بمعنى كاف ، وكذلك يكون معناه إذا كان بغير فاء أو واو ».

وبعد المناقشات التي اشترك فيها عدد من أعضاء المؤتمر ، وكان الأستاذ سعيد الأفغاني من أشد المتحمسين لرفض قرار اللجنة ، قبل المؤتمرون القرار بالأكثرية .

٢ – (الكفاءة والكفء)

كانت اللجنة اتخذت القرار التالي : « يشيع على ألسنة المعاصرين نحو قولهم : فلان كفء أو من أهل الكفاءة ، على حين أن نصوص اللغة والمعجمات في هذا المقام تقضي أن يقال : هو كاف أو من أهل الكفاية .

وترى اللجنة أن معنى قول القائل : هو كفء ، أو من أهل الكفاءة ، أنه يجانس العمل ويرتفع إلى مستواه .

ولهذا ترى اللجنة : أنه لا مانع من استعمال الكفء حيث يستعمل الكافي، والكفاءة حيث تستعمل الكفاية » .

وبعد المداولة التي اشترك فيها الكثير من الأعضاء بين مؤيد ومنكر ، تقرر بالأكثرية إعادة الموضوع لدراسته مجدداً .

٣ – (سداد الدَّين)

كانت اللجنة قررت ما يلي : « يستعمل كثير من الناس لفظ السداد في معنى قضاء الدين أو أدائه .

وترى اللجنة أن هذا الاستعمال جائز : إما على أنه مصدر لسدَّ ، كما في ملَّ ملالاً ، وجلَّ جلالاً ، وإما على أنه اسم مصدر لفعل سدَّد ... ومثله : كلام وطلاق ، وسراح وسلام ، في كلَّم ، وطلَّق ، وسرَّح ، وسلَّم ».

وقد أقر المؤتمرون ماجاء في القرار المذكور .

سال وراف ، ومضارعها المسموع يسال ويراف .. وعلى هذا يكون (الملاك) « مَفْعَلًا » من (لاك) على القياس .

ويكون إذن لفظ (الملاك) صحيحاً جائز الاستعمال » .

وتناقش المؤتمرون في الموضوع مناقشات حادة انتهت إلى : إقرار النتيجة ، مع استبعاد التعليلين الثاني والثالث .

٦ — (الأقصوصة)

ذكرت اللجنة في قرارها : « شاعت كلمة الأقصوصة مفرداً لأقاصيص في معنى القصة القصيرة .

وترى اللجنة — بعد البحث والدراسة — أنها كلمة مقبولة ، وتوصي بأن تضاف إلى معجمنا الحديث بمعناها الذي يستعملها المعاصرون فيه » .

وبعد المناقشة أقر المؤتمر إدخـــال كلمة (أقصوصة) في المعجم الحديث بالمعنى المشار إليه على أنها (مولدة) .

٧ — (الوقائع)

قالت اللجنة في قرارها : « يخطّىء بعض النقاد كلمة الوقائع على أساس أن مفردها (وقيعة بمعنى الحرب) فلا تؤدي معناها الذي تساق فيه .

وترى اللجنة تصحيح اللفظ على أن المفرد (وقعة) حملا على نظائره من مثل : رخصة ورخائص ، حلبة وحلائب ، كنة وكنائن » .

واحتدم النقاش بين المؤتمرين حول التعليل الذي أوردته اللجنة ،وانتهت الكثرة من الأعضاء إلى قبول : الواقع الشائع وإثبات لفظ الوقائع بمعنى الحوادث مع تجاوز تبين مفردها .

٨ — (مليء بمعنى الممتلىء)

وجاء في قرار اللجنة : « يخطّىء بعض النقاد استعمال مليء ومليئة بمعنى الامتلاء .

وترى اللجنة إجازة ذلك : إما على أن صيغة فعيل مسموعة بوفرة في الصفة المشبهة ، وإما على أن تحويل (مفعول) إلى (فعيل) قياسي عند بعض النحاة » .

وبعد مناقشات طويلة حول التعليل الذي أخذت به اللجنة ، أقرّ المؤتمر النتيجة التي توصلت إليها .

٩ — (المنتزه)

اتخذت اللجنة بشأن شيوع كلمة منتزه القرار التالي :

« يعترض النقاد على استعمال كلمة المنتزه بحجة أن الصواب فيها هو المتنزه .

وترى اللجنة صواب استعمال المنتزه أيضاً ، استئناساً بوروده في شعر الفحول من مثل قول بشار :

وكل منتزه للهو منتقد ... »

وأبدى الأستاذ الأثري رفضه لتعليل اللجنة وشاركه أعضاء آخرون في رأيه ، وبعد مناقشات حادة أقر المؤتمر بالأكثرية قبول صحة استعمال كلمة منتزه بشيوعها ، متجاوزاً التعليل .

١٠ — (الشرق والشرقي)

جاء في قرار لجنة الألفاظ والأساليب المحال إلى المؤتمر من قبل مجلس المجمع في القاهرة ما يلي : « يرى بعض النقاد أن استعمال أسماء الجهات منسوبة ، يدل على المكان الخارج عما أضيف إليه اسم الجهة .

درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى أنه : لا فرق في استعمال المنسوب من أسماء الجهات ، بين كونه جزءاً من المضاف إليه وكونه خارجاً عنه ، وأن المدار في تعيين ذلك إنما هو على القرينة وسياق الكلام » .

وأضافت اللجنة إلى هذا : إن الموضوع كان أعيد إليها من المؤتمر في الدورة الماضية ، وأنها بعد دراسته مجدداً : « لم تجد دليلاً تستند إليه في العدول عن قرارها الأول ، لذا فهي تترك الأمر للمؤتمر » .

وبعد مناقشة طويلة ، اشترك فيها عدد من الأعضاء ، استحسن المؤتمر تخصيص أسماء الجهات المنسوبة بما يدخل في تحديدها ، وغير المنسوبة بما يخرج عنها .

سابعاً : أعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الأصول وما قررته ، ودارت مناقشات في أكثر مقترحاتها ، وفيما يلي تلخيص للمسائل التي كان مجلس المجمع في القاهرة أحالها على المؤتمر :

١ — (الرتابة)

كان الأستاذ أنيس المقدسي عضو المجمع من لبنان ، طلب إضافة كلمة « الرتابة » إلى المعجم بمعنى الثبات والاستقرار والاستمرار ، مما يقابل في التعبير المصري كلمة « روتين » .

وقد رأت لجنة الأصول : « جواز استعمال هذه الصيغة بناء على جواز تحويل كل فعل إلى صيغة فَعُل لإفادة المدح أو الذم أو الالتحاق بالغرائز ، وعلى هذا تكون الرتابة مصدراً قياسياً لفَعُل ، طوعاً لقرار المجمع في تكملة مادة لغوية » .

وبعد المناقشة أقر المؤتمر الاقتراح المعروض عليه .

٢ — (شمّع ومطاوعه تشمّع)

نجم عن مناقشات تمت أثناء النظر في مصطلحات علم النباتات ، أن أحال مجلس المجمع على لجنة الأصول فعل (شمّع ومطاوعه تشمّع) وبعد أن درست اللجنة الموضوع ارتأت ما يلي : « جواز أن يقاس شمّع وتشمّع ،

بناء على أن فعَل محركة العين، يجوز تحويلها إلى فعَّل، مشدد العين، لإفادة التكثير، أو المبالغة، أو التعدية، وأنه يجيء المطاوع منها على تفعَّل، بالعين المشددة».

وقد أقر المؤتمرون ذلك بعد المناقشة.

٣ — صيغة (فَعول)

كان الأستاذ محمد شوقي أمين، عضو المجمع من مصر، قدّم مذكرة تتضمن: أن جمهرة النحاة يتناقلون قياس صوغ «فَعول» بمعنى فاعل من الثلاثي المتعدي، للدلالة على المبالغة والكثرة، مقترحاً إقرار ذلك، محتجاً عليه بحجج بينة، وعندما نظرت لجنة الأصول في المقترح، ارتأت ما يلي:

«الشائع من أقوال النحاة منع مجيء صيغة فَعول من الفعل اللازم للمبالغة أوالصفة المشبهة، بناء على أن أمثلة المبالغة إنما تجيء من المتعدي، وأن صيغ الصفة المشبهة ليس من القياس فيها صيغة «فَعول». ونظراً لما استظهرته اللجنة من ورود أمثلة تزيد على المائة لفَعول من الأفعال اللازمة، فهي ترى.

قياسية صوغ «فَعول» للدلالة على المبالغة أو الصفة المشبهة بحسب مقامات الكلام، وتشير اللجنة في ذلك أيضاً، إلى ما سبق للمجمع إقراره لقياسية صيغة فعّال، وفِعِّيل، وفُعَلة للكثرة والمبالغة من الأفعال اللازمة أو المتعدية على السواء، وما كتب في الاحتجاج لذلك من بحوث ومذكرات».

وبعد المناقشة، أقر المؤتمرون جواز استعمال صيغة فَعول من الفعل اللازم، على أنها للمبالغة أو صفة مشبهة، وأضافوا إلى توصية اللجنة جملة «حين الحاجة».

٤ — (مشروع العربية الأساسية)

عرض على المؤتمر التقرير الذي رفعه الأستاذ عمر فروخ عضو المجمع

من لبنان ، متضمناً ما يسمّى بمشروع العربية الأساسية[1] ، وخبر المؤتمر الذي عقد في بلدة « برمانا » من جبل لبنان تأييداً له .

وبعد أن ناقش المؤتمرون طويلاً ، المحاولات المتعددة التي تتعرض لها العربية في أقطار عربية مختلفة ، وما تخفي وراءها من مؤامرات على الفصحى ، أقر المؤتمر وجوب العمل على التصدي لجميع تلك المحاولات وتوجيه نداء إلى المسؤولين في الجمهورية اللبنانية ، أن يقدروا ما يترتب على مشروع تحديد اللغة العربية الأساسية من خطر جسيم على وحدة اللغة في العالم العربي ، وأهاب المؤتمرون بلبنان الشقيق وهو معقل من معاقل العروبة ، ولأهله فضل يذكر في خدمة الفصحى وإعلاء شأنها ، أن لا يتخلف عن ركب العروبة في تنشئة أبنائه ، بحيث يوحد بينهم لسان عربي مبين .

٥ — (اللغة العربية وما تتعرض له في الظروف الحاضرة)

جرى إطلاع المؤتمرين على مقال ترجمه عن الفرنسية الأستاذ علي أدهم ، ونشرته مجلة « مصباح الفكر » التي تصدرها بالعربية منظمة « اليونسكو » في عدد أيار سنة ١٩٧٤ ، وقد تضمن بحثاً في اللغة العربية زعم فيه كاتبه ، بأنها ليست لغة للعلم الحديث ، ولا أداة للتعبير الحضاري .

وقد شكر المؤتمرون للأستاذين محمد شوقي أمين عضو المجمع ، والدكتور عبد الصبور شاهين الخبير بالمجمع صنيعها ، فقد تكفل ردّها على كاتب المقال ، بدفع الوصمة التي أراد لصقها بالعربية افتراءً .

---

(١) سبق لمجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، أن نشرت للدكتور عمر فرّوخ عضو المجمع ، مقالاً عن هذا المشروع وتبيان خطره على الفصحى ، في الجزء الرابع من المجلد الثامن والأربعين الصادر في تشرين الأول سنة ١٩٧٣

ثامناً : ذكرى الدكتور طه حسين

بمناسبة انعقاد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، انتهزت وزارة الثقافة المصرية الفرصة فدعت المؤتمرين ونخبة من رجال العلم والفكر والأدب من عرب ومستعربين ، إلى الاحتفال بذكرى عميد الأدب العربي الراحل ، الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية في القاهرة الدكتور طه حسين (١٤/ ١١ / ١٨٨٩ — ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٣) .

أقيم الاحتفال في قاعة الاحتفالات الكبرى في جامعة الدول العربية ، خلال أمسيات الأيام التالية : ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ شباط (فبراير) سنة ١٩٧٥ ، كما أقيم معرض لمؤلفات الفقيد وما كتبه ، وما كتب عنه في جوار قاعة الاحتفالات ، وفيها استمع جمهور كبير من رجال العلم والأدب من مختلف أقطار العربية وبعض البلاد الأجنبية ، إلى كلمات وقصائد وأبحاث المشاركين في الاحتفال من رسميين وشعراء ومفكرين عرب ومستعربين .

تاسعاً : ختام المؤتمر ومقرراته

كان انعقاد الجلسة الختامية المؤتمر ، صباح يوم الاثنين في العاشر من من آذار (مارس) سنة ١٩٧٥ ، واستمع أعضاء المؤتمر خلالها إلى بعض المقترحات وإلى تقرير السيد الأمين العام ، ثم اتخذوا المقررات والتوصيات التالية :

١ — في إذاعات العالم العربي وصحافته محاولات ملحوظة لاستعمال الفصحى والأخذ بها ، ويرجو المؤتمر لهذه المحاولات الاطراد والتأكيد .

٢ — الكتاب والمدرس وسيلتان ناجحتان لنشر اللغة وتمكين استعمالها ، ولا يزال الكتاب المدرسي في حاجة إلى مزيد من العناية اللغوية . وفي وسع المدرس أن يؤدي كل ما يريد بلغة سهلة سليمة .

٣ — آن الأوان لأن تنسق الجهود المبذولة لتعليم اللغة العربية وتيسير نشرها ، ولأن تعالج على مستوى العالم العربي بأسره .

٤ – يرحب المؤتمر بالجهود التي تبذل لتوحيد المصطلح العلمي عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أو عن طريق اتحادات المجامع والجامعات .

٥ – يرحب المؤتمر أيضاً بما تبذله البلاد الإسلامية عامة في صون التراث العربي ونشره ، ويأمل أن تتبادل الهيئات العلمية ودور النشر في العالم العربي معها مطبوعاتها ، وأن تعاونها في ذلك ما وسعها .

٦ – يسعد المؤتمر أن المنظمات الدولية عرفت للعربية منزلتها في اللقاءات والمؤتمرات الدولية ، وانتهت إلى اعتبارها واحدة بين اللغات العالمية الكبرى ، ويثق بأن العالم العربي سيغذيها بما تدعو إليه الحاجة من مترجمين ومختزلين .

٧ – تبلغ قرارات المؤتمر إلى جامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات الثقافة ، والتربية ، والتعليم العالي ، والمجامع ، والجامعات .

وبعد الاستماع إلى كلمات وداع وشكر تبادلها الأعضاء ، أعلن الرئيس اختتام أعمال المؤتمر .

عدنان الخطيب
نائب الرئيس

حسني سبح
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، بمناسبة اشتراك جميع أعضائه في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، جلسته الثامنة يوم الاثنين في العشرين من صفر سنة ١٣٩٥ هـ الموافق للثالث من آذار سنة ١٩٧٥م ، بحضور الدكتور عبد العزيز السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن جامعة الدول العربية .

ابتدأت الجلسة بالترحيب بالأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع بالقاهرة المنتخب ممثلاً له في الاتحاد خلفاً المرحوم الدكتور طه حسين .

ثم أجمع أعضاء الاتحاد ، بناء على اقتراح الدكتور عدنان الخطيب عضو مجمع دمشق ، على اختيار الدكتور ابراهيم مدكور رئيساً للاتحاد ، المنصب الشاغر بوفاة المرحوم الدكتور طه حسين ، كما أجمعوا على اختيار الأستاذ محمد خلف الله أحمد أميناً عاماً للاتحاد ، خلفاً للدكتور إبراهيم مدكور .

وبعد اعتماد الحساب الختامي لعام ١٩٧٤ ، نوقشت الترتيبات اللازمة لعقد ندوة لدراسة موضوع تيسير النحو العربي ، وتم الاتفاق على عقد هذه الندوة في مدينة الجزائر في الخريف القادم .

أستـــدراك
على أسماء أعضاء مجمع اللغة العربية

نشرت المجلة في العدد الماضي أسماء أعضاء المجمع العاملين والمراسلين في الأقطار العربية والأجنبية. وقد سقط في تعداد الإخوة الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية من الجمهورية العراقية الأسماء التالية :

١	ــ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	رئيس المجمع العلمي العراقي
٢	ــ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	وزير التربية
٣	ــ الدكتور إبراهيم شوكة	أستاذ بكلية الآداب ـ بغداد
٤	ــ الدكتور عبد اللطيف البدري	أستاذ بكليـة الطب ـ بغداد
٥	ــ الدكتور جميل الملائكة	أستاذ بكلية الهندسة ـ بغداد
٦	ــ الدكتور عبد العزيز الدوري	أستاذ بالجامعة الأردنية ـ عمان
٧	ــ الدكتور محمود الجليلي	المجمع العلمي العراقي ـ بغداد
٨	ــ الدكتور فاضل الطائي	المجمع العلمي العراقي ـ بغداد
٩	ــ الدكتور جميل سعيد	أستاذ بكلية الآداب ـ بغداد
١٠	ــ الدكتور سليم النعيمي	المجمع العلمي العراقي ـ بغداد
١١	ــ الدكتور عبد العزيز البسام	وزارة التربيـــة ـ بغداد
١٢	ــ الدكتور صالح أحمد العلي	أستاذ بكلية الآداب ـ بغداد
١٣	ــ الدكتور يوسف عز الدين	» » » »
١٤	ــ الأستاذ محمد تقي الحكيم	كلية الفقه بالنجف
١٥	ــ الأستاذ كمال إبراهيم	كلية الآداب ـ بغداد
١٦	ــ الأستاذ طه باقر	مشاريع المياه والغاز ـ الشويخ ص . ب ٥١٦ الكويت
١٧	ــ الدكتور صالح مهدي حنتوش	مشاريع المياه والغاز ـ الشويخ ص . ب ٥١٦ الكويت

والذين يمارسون أمر الإشراف على الطباعة يعرفون من هذه الشجون ما لا نحتاج معه إلى اعتذار. ولكن المجلة حريصة على أن تعتذر من الزملاء ومن القراء عن ذلك .

نداء إلى الحكومات العربية :

الأدب العربي المغترب في حالة احتضار (*)

لم نعد ننتظر من الأدب العربي في الأرجنتين أن يتدفق بروائع تُضاف إلى دفتر المجد الذي كتب سطوره الأولى منذ ستين سنة تقريباً ، بل أمسى قصارى أملنا أن تنبثق من نفسه قوة تمدّ البقية الباقية من حياته التي تتلاشى يوماً فيوماً .

إن القصائد التي تسيل بها القرائح في المهاجر - اليوم - هي لُمَعٌ تظهر دون انتظام وعلى غير ميعاد ، وكانت قديماً أشعة متواصلة لا ينبتر لها بريق .

لا ننكر أن الأدب عامة ، والشعر خاصة قد انخفض في معظم أنحاء العالم مقامُه الرفيع القديم بداعي طغيان المادة على مرافق الحياة بعد أن قلبت الاكتشافات العلمية الأخيرة كثيراً من أوضاع الفكر الإنساني رأساً على عقب . ولكن الأدب العربي في المغتربات لم يخبُ نورُه لهذه الأسباب إذ كان تأثيرها عليه طفيفاً . وثمة أسباب أخرى أثرت عليه ، أهمها في رأينا :

أولاً - جفاف المهاجرة العربية وعدم اغتراب أي أديب ناشىء أو ناضج .

ثانياً - احتجاب عدد كبير من المجلات والجرائد وتضاؤل عدد قراء الصحف العربية الباقية ، فالذين كانوا يطالعونها من المهاجرين القُدامى قد انتقل أغلبهم إلى رحمة الله . ولا ندحة لنا من ربط الصحافة العربية بالأدب فهي التي كانت ميداناً - رئيسياً - له تنشر بدائعه .

نعم ، إن الشباب المتحدر من أصل عربي ، غدا بعد أن استقلت الأقطار العربية وأصبح لها وزنها في تعديل المقررات الدولية ، يفاخر بأرومته

(*) تلقينا هذا النداء من الشاعر العربي الكبير الأستاذ الياس قنصل . وإنا لنرجو أن يكون الأدب العربي والحرف العربي واللغة العربية في المهاجر موضع اهتمام الحكومات العربية والمؤسسات الثقافية .

ويعلن على رؤوس الأشهاد اعتزازه بانتسابه إلى أمة الضاد ، غير أن هذا الشباب لا يفهم — بأكثريته الساحقة — من اللغة العربية إلا الكلمات البسيطة المهلهلة ، فغيرته لا تفيد في دعم الأدب العربي .

ثالثاً — انصراف أغلب الأدباء عن الأدب العربي واقتصار انتاجهم على قصائد تُنظم للمناسبات وتتلى في الحفلات .

رابعاً — عدم اهتمام الحكومات العربية بالأدباء المغتربين وهم الذين حافظوا ويحافظون على النَفَس العربي في العالم الجديد .

فإن سأل سائل : وما تستطيع الحكومات أن تفعل ؟

كان الجواب . تستطيع أن تصنع كل شيء — إن هؤلاء الأدباء كانت لهم مُسهمة طيّبة فيما وصلت إليه البلدان العربية من تقدم ونجاح ، وكانوا في كل وقت بوقَ العروبة وراء البحار ، فمن النَّصفة أن ينالوا نصيباً من الجزاء .

في وسعها أن تدعو الأدباء إلى زيارة البلدان العربية ، فإن رؤية أوطانهم حرة مستقلة تذكي نيران الحماس في قلوبهم وتجدّد نشاطهم .

في وسعها أن تتولى طبع دواوين الشعراء ومؤلفات الكتّاب .

في وسعها أن تفعل ذلك وغير ذلك .

إننا نوجه هذا النداء إلى الحكومات العربية الجليلة وإلى وزارات الثقافة والإرشاد والإعلام . فلعلها تعيد إلى الأدباء الذين لا يبرحون في المضمار ثقةً تؤكد لهم أن جهودهم تجد من إخوانهم المقيمين بعض التقدير وأن تضحياتهم في سبيل الأدب والعرب لم تذهب أدراج الرياح .

الياس قنصل

عاصمة الأرجنتين

كتاب « ذهبية العصر في شعراء المئة الثامنة »

لابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى)



بسم الله الرحمن الرحيم

(صورة الورقة الأولى من الكتاب)

كتب إلينا السيد الأستاذ علي العسلي صاحب المكتبة العتيقة (تونس العاصمة نهج جامع الزيتونة رقم ٦١) أن بين يديه جزءاً من هذا الكتاب وأنه يرغب في نشره . ولذلك فهو يرجو الذين يعرفون، معرفة إطلاع أو معرفة تملك، أجزاءه أو أجزاء منه أن يرشدوا إلى ذلك وأن يكتبوا إليه به عن طريق مجمع اللغة العربية بدمشق أو إلى عنوانه في تونس

محمد بن تاويت الطنجي

افتقد الوطن العربي والعاملون في الدراسات العربية والإسلامية عالماً كبيراً من جلّة العلماء ، ومحققاً ثبتاً من أكابر المحققين الذين كانوا يعملون في صمت ، ويدأبون في إيمان ، ويتابعون جهودهم بعيداً عن مواقع الشهرة والضجيج ، هو الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

والفقيد الكريم من طنجة ، بدأ حياته العلمية في المغرب ، ثم تابعها بعد ذلك في القاهرة خلال هذه السنوات – أواخر الثلاثينيات – التي توافد فيها جيل من شبان المغرب على جامعة القاهرة ومعاهدها لمتابعة الطلب والمضي في الدراسات العليا .

ولم يعد ابن تاويت مع الذين عادوا إثر الاستقلال ، ذلك لأن حياته العلمية التي أخذت تنضج وتنمو في القاهرة أكرهته على البقاء فيها لمتابعة بحوثه ودراساته .

وظلّ في القاهرة سنوات كثيرة وجهاً بارزاً في ميدان العمل على تحقيق التراث ، وشارك في كثير من اللجان التي ألفت لهذا الغرض ، وأدّى لمعهد المخطوطات مساعدات قيمة ، وشارك في إعداد بعض فهارسه وتوجيه بعض أعماله . وكان وجوده في القاهرة في بيته هذا الذي كانت تعمر غرفه كلّها الكتب والمصورات و (الأفلام) نقطةَ اجتذاب لكثير من الباحثين ، كما كان وفاؤه لأصدقائه وحرصه على مساعدتهم في ذلك نقطة تفريغ لجهوده وتنويع لها . وحين عاد إلى المغرب بعد ذلك أشرف على القسم الثقافي في وزارة الأوقاف ، فأعدّ العدّة لإحياء مختارات التراث المغربي وأصدر الجزء الأول من ترتيب المدارك للقاضي عياض ، وقطعة صغيرة من كتاب العين للخليل .

وكان على أشد صلة وأقواها بالتراث الفكري في خزائن استانبول وكان منذ أيام الطلب ، في سنوات الإجازة « الليسانس » في القاهرة ، ينفق ماعنده كله ارتحالاً إليها وتصويراً منها وصلات بها ، ولذلك كان إليه رجوع أكثر المهتمين بهذا التراث والمنقبين عنه . ولذلك أيضاً أفاد المغـرب من خبرته فوكل إليه بعض المهات الوطنية التي تتصل بتاريخ المغرب ووثائقه .

وصدر للفقيد عدد من الكتب المحققة ، منها رحـلة ابن خلدون ، ومنها أخلاق الوزيرين الذي صدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

وقد عمل في السنوات الطّوال الأخيرة في استانبول وأنقرة أستاذاً لعلوم الثقافة الإسلاميـة في كلية الإلهيات ، فأتاح له ذلك إتقان التركية والتدريس بها .

وكان أكثر ما استبدّ بجهود المرحوم ابن تاويت عملان ضخمان : أحدهما تحقيقه لمقدمة ابن خلدون ، والآخر تحقيقه لكتاب الفهرست لابن النديم ، وذلك هو الذي اتجه به إلى هذا الانكباب على فروع الثقافة الإسلامية وممارسة علومها ومصطلحـاتها ، لتحقيق المقدمة ، كما اضطره لهذا التواصل الدائب مع المخطوطات العربية لتحقيق الفهرست

والمجمع إذ يسأل الله للفقيد أطيب الرحمة ولآله أجمل العزاء ، يتمنى أن تتضافر الجهود في المغرب الشقيق على صيانة هذا العمل النادر الذي ينهض به في تحقيق هذين الأمرين الجليلين وعلى إخراجها للناس ضنّـاً بالجهود أن تضيع ، ووفاء للفقيد الكريم والتراث العظيم .

رشـاد عبد المطلب

١٩١٧ - ١٩٧٥

نعى معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية أحد كبار موظفيه الأستاذ رشاد عبد المطلب أثر نوبة مفاجئة .

وقد رافق الأستاذ رشاد معهد المخطوطات منذ كان إنشاؤه ، وظل يعمل فيه على تتابع العهود ، يسافر مشاركاً في البعثات الكثيرة التي أوفدها المعهد إلى الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية ، ويقيم دائباً على إعداد قوائم فهارسه و « أفلامه » ، وتنظيم مصوراته والمشاركة في إصدار مجلته .

وقد تميزت حياة الأستاذ رشاد بأمرين : أحدهما معرفته العريضة بهذه المخطوطات وذاكرته القادرة على اختزان ما يتصل بها . وذلك الذي مكّن لعقد هذه الصلات بينه وبين جمهرة الباحثين والدارسين . فما أكثر الباحثين الذين كانوا يعودون إليه يستشيرونه ، وما أكثر ما قدم للدارسين من عون .

والأمر الآخر سلوكه الذي كانت تمازجه دماثة نادرة وخلق رضيّ . فقد كان هانىء النفس حريصاً على الوفاء بحق إخوانه ، لا يكاد يضارع في صورة إقباله عليهم واستقباله لهم .

ومن هنا ، من عمله المتواصل في المعهد ، ومن نهوضه بحق الذين يستشيرونه في المعهد ويزورونه ، ومن متابعته للتراث المخطوط والمطبوع ، واهتمامه بها وحرصه على إذاعتها ، لم يستطع الفقيد الكريم أن يتفرغ للعمل العلمي الشخصي ، وما أكثر ما كان ينوي في ذلك . ولهذا اقتصر ماخلّفه على مقالاته في مجلة معهد المخطوطات ومشاركته في صنع فهارسه وتحقيقه ونشره لكتاب ذيول العبر للذهبي والحسيني الذي صدر عن وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت .

وكان من آخر رحلاته العلمية أن لبّى دعوة الجامعات ومعاهد الاستشراق في الولايات المتحدة «١٩٦٤» وفي انكلترا «١٩٧٢» للمحاضرة عن المخطوطات والإفادة من معلوماته الغزيرة عنها .

والمجمع الذي عرف الفقيد من خلال عمله الطويل في المعهد ، ومن خلال ما كان يبذل من جهد لتزويده بالنادر من المصوّرات ، ما اتصل بما يطبعه أو ينوي طبعه أو يفيد في عمله ، يحتفظ له بأكرم الذكريات ويستمطر له أطيب الرحمات .

رحمه الله وأحسن إليه في آخرته وفي عقبه جزاء ماقدم من جهد ، وعوّض التراث والعاملين فيه خيراً .

تصويبات في مقال : نظرة في معجم المصطلحات الطبية

المنشور في هذا العدد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٦	١٣	Percnssion	Percussion
٢٤٦	٢١	Dictianary	Dictionary
٢٤٨	١٩	الجهد الكهربائي	القياس
٢٤٨	٢٣	isoelectic	isometric
٢٤٨	٢٤	contraction	systole

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
الجغرافية العملية والخرائط	الدكتور أحمد نجم الدين فليجة	الاسكندرية	١٩٦٩
ثورة الربيع	ضياء الدين الخاقاني	البصرة	١٩٧١
موازين الشعر العربي باستعمال الأرقام الثنائية	الدكتور محمد طارق الكاتب	البصرة	١٩٧١
الآثار الخطية في المكتبة القادرية (الجزء الأول)	عماد عبد السلام رؤوف	بغداد	١٩٧٤
الإطار النظري للجغرافية	الدكتور عبد الرزاق عباس حسين	«	١٩٧٠
الأكراد (دراسة جغرافية اثنوغرافية)	الدكتور شاكر خصباك	«	١٩٧٢
الألمانية للمبتدئين	الدكتور نوال سيد	«	١٩٧٢
تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير	الدكتور بدري محمد فهد	«	١٩٧٣
تولستوي فناناً	الدكتورة حياة شرارة	«	١٩٧١
خيري الهنداوي (حياته وديوان شعره)	الدكتور يوسف عز الدين	«	١٩٧٤
داود باشا ونهاية المماليك في العراق	« « «	«	١٩٦٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع	وتاريخه
دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى	ف.ف بارتولد. ترجمة عزيز حداد	بغداد	١٩٧٣
الدولة الحمدانية في الموصل وحلب (الجزء الثاني)	الدكتور فيصل السامر	〃	١٩٧٣
ديوان عمرو بن قميئة	تحقيق خليل إبراهيم العطية	〃	١٩٧٢
الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)	الدكتور يحيى الجبوري	〃	١٩٧٢
عبقري من البصرة	الدكتور مهدي المخزومي	〃	١٩٧٢
العراق الشمالي	الدكتور شاكر خصباك	〃	١٩٧٣
العيون والحدائق في أخبار الحقائق (الجزء الرابع ـ القسم الثاني)	تحقيق نبيلة عبد المنعم داود	〃	١٩٧٣
كنز البخيل ـ التوأمان	بلاوتوس . ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم أبو زيد	〃	١٩٦٩
المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة	عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي	〃	١٩٧٤
المحاجاة بالمسائل النحوية	الدكتورة بهيجة باقر الحسني	〃	١٩٧٣
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (القسم الأول والثاني)	طه الباقر	〃	١٩٥٥-١٩٥٦
ملحمة كلكامش	〃 〃	〃	١٩٧١
ملوك كندة من بني آكل المرار	جونار اولندر . ترجمة الدكتور عبد الجبار المطلبي	〃	١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأسرة في الشرع الإسلامي	عمر فروخ	بيروت ١٩٧٤
حرب حزيران (الجبهة المصرية)	العميد الركن حسن مصطفى	〃 ١٩٧٣
〃 〃 (الجبهة الشرقية)	〃 〃 〃	〃 ١٩٧٣
الخلافة الأموية	الدكتور عبد الأمير عبد حسين دكسن	〃 ١٩٧٣
ديوان الخريمي	حققه علي جواد الطاهر - محمد جبار المعيد	〃 ١٩٧١
شعر عبدة بن الطيب	جمعه الدكتور يحيى الجبوري	〃 ١٩٧١
العباسيون الأوائل (الجزء الثاني)	الدكتور فاروق عمر	〃 ١٩٧٣
العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨	حبيب قهوجي	〃 ١٩٧٢
لغة الأبراج الطينية	حميد سعيد	〃 ١٩٧٠
مروج الذهب (الجزء الخامس)	المسعودي	〃 ١٩٧٤
مناهج بلاغية	الدكتور أحمد مطلوب	〃 ١٩٧٣
الجديد في أدب الجريد	أحمد البختري	تونس
أساسيات تربية الحيوان	الدكتور محمد علي الصقال	حلب ١٩٧٢
تجارب مخبرية في الكيمياء العضوية	〃 صالح القادري	〃 ١٩٧٤
تمارين في الفيزيولوجية النباتية	〃 حمزة قاسم حمزة	〃 ١٩٧٣

أسم الكتاب	اسم المؤلف او الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
الكيمياء العضوية لطلاب شهادة الكيمياء	الدكتور صائح القادري	حلب	١٩٧٤
علم الحيوان العام (قسم الدروس العملية)	الدكتور جمعة خليل إبراهيم	«	١٩٧٣
علم الحيوان العام	» » » »	«	١٩٧٤
العملي في أساسيات تربية الحيوان	الدكتور محمد علي الصقال	«	١٩٧٣
محاضرات في الفيزيولوجية النباتية	الدكتور حمزة قاسم حمزة	«	١٩٧٤
القبول في التعليم العالي	فرانك باولز . ترجمة هشام دياب	دمشق	١٩٧٤
مشاهير علماء نجد وغيرهم	عبد الرحمن آل الشيخ	الرياض	١٩٧٤
نشرة الإضافات الجديدة لمكتبات الجامعة	جامعة الرياض	«	١٩٧٤
القاموس العلمي (عربي ـ كردي)	كمال جلال غريب	السليمانية	١٩٧٤
في النحو العربي (نقد وتوجيه)	الدكتور مهدي المخزومي	صيدا	١٩٦٤
أعلام الجغرافية الحديثة	ج . ر . كرون . تعريب الدكتور شاكر خصباك	القاهرة	١٩٦٤
دليل الهيئات ومراكز البحث في مجال التربية والثقافة والعلوم في الوطن العربي	جامعة الدول العربية	«	١٩٧٤
المدخل في دراسة الجغرافية	الدكتور ج . م . موغي . تعريب الدكتور شاكر خصباك	القاهرة	١٩٦٤
الأدب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين	الدكتور عناد إسماعيل الكبيسي	النجف	١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف او الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
التعازي	علي المدائني	النجف	١٩٧٢
التكملة لوفيات النقلة (الجزء الثالث والرابع)	عبد العظيم المنذري	«	١٩٧١
دمية القصر وعصرة أهل العصر	الباخرزي تحقيق الدكتور سامي العاني	«	١٩٧١
شعر الطرد عند العرب	عبد القادر حسن أمين	«	١٩٧٢
شعر اليزيدين	جمعه وحققه الدكتور محسن غياض	«	١٩٧٣
لمحة عن الأكراد	توما بووا. ترجمة محمد شريف عثمان	«	١٩٧٣
مراجع تراجم الأدباء العرب (الجزء الخامس)	خلدون الوهابي	«	١٩٧٢
مروان بن أبي حفصة وشعره	قحطان التميمي	«	١٩٧٢

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخمسون

التعريف والنقـــد

آراء وأنبـــاء